التقويم التربوي في السنة النبوية

تأليف

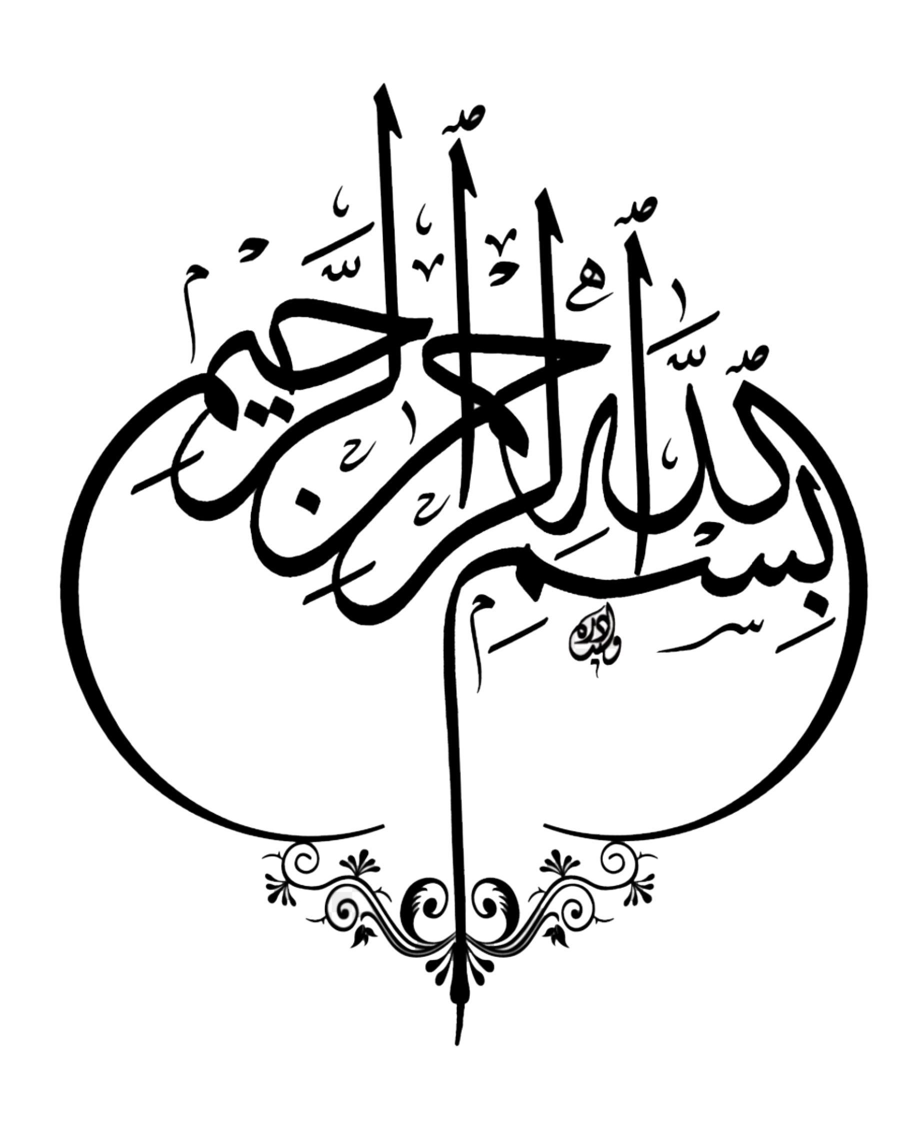
د. محمود مصطفى أبو محمود

تقديم

د. نواف تكروري

رئيس هيئة علماء فلسطين

هيئة علماء فلسطين


بسم الله الرحمن الرحيم

التقويم التربوي في السنة النبوية

تأليف

د. محمود مصطفى أبو محمود

تقديم

د. نوّاف تكروري

رئيس هيئة علماء فلسطين



فهرست المحتويات

إهـداء 5

شكر وتقدير 6

الملخَّص... 7

Abstract 9

تقديـم الدكتـور نـواف هايـل تكـروري رئيس هيئة علماء فلسـطين 11

مقدمة المؤلف 15

الفصل الأول: الإطار النظري للدّراسة 23

المبحث الأول: الدراسات السابقة.. 24

المطلب الأول: دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها الكتاب والسُنّة النبويّة............. 25

المطلب الثاني: دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها السُنّة النبويّة...................... 29

المبحث الثاني: التقويم التربوي في التربية المعاصرة والمفاهيم المرتبطة....................... 32

المطلب الأول: مفهوم العملية التربوية ومنهجها وتأصيلها 33

المطلب الثاني: مصطلح التقويم التربوي والمفاهيم المرتبطة...................................... 38

المطلب الثالث: مجالات التقويم التربوي في التربية المعاصرة وأغراضه 49

المطلب الرابع: خطوات التقويم التربوي في التربية المعاصرة.. 52

المطلب الخامس: أنواع التقويم التربوي في التربية المعاصرة 53

المبحث الثالث: التقويم الواقعي وميزاته 56

المطلب الأول: مفهوم التقويم الواقعي.. 56

المطلب الثاني: ميزات التقويم الواقعي 57

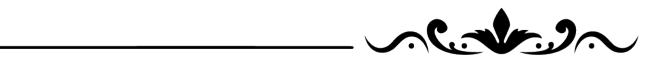
الفصل الثاني: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وأغراضه وضوابطه 59

المبحث الأول: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة... 60

المطلب الأول: مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها وحجيتها... 60

المطلب الثاني: مفردة "التقويم" في القرآن والسُنّة ومفهومه التربوي 65

المبحث الثاني: أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 74
المطلب الأول: أغراض التقويم التربوي للكشف والتشخيص 74
المطلب الثاني: أغراض التقويم التربوي للتكوين والعلاج 77
المطلب الثالث: أغراض التقويم التربوي للتحفيز والتعزيز 84
المطلب الرابع: أغراض التقويم التربوي الوقائية 90
المطلب الخامس: أغراض التقويم التربوي التنظيمية 91
المبحث الثالث: ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 94
المطلب الأول: ضوابط التقويم التربوي الدينية 95
المطلب الثاني: ضوابط التقويم التربوي الأخلاقية 97
المطلب الثالث: ضوابط التقويم التربوي الإدارية 103
الفصل الثالث: أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 107
المبحث الأول: التقويم القَبلي (التمهيدي) 108
المطلب الأول: المقابلات الأولية.. 109
المطلب الثاني: المعايشة القَبلية.. 111
المطلب الثالث: السجلات التاريخية للمعلم والمتعلم 112
المطلب الرابع: الامتحانات القَبلية الخاصة 113
المطلب الخامس: شهادة الأقران 114
المطلب السادس: المسابقات والمبارزات 115
المبحث الثاني: التقويم البِنائي (التكوينيّ)...................................... 117
المطلب الأول: برنامج التزكية اليومي 119
المطلب الثاني: مؤتمر الجمعة الأسبوعي 121
المطلب الثالث: البيعة مع المربِّي.. 123
المطلب الرابع: نظام المؤاخاة... 126
المطلب الخامس: مدرستي رمضان والحج 129
المبحث الثالث: التقويم الخِتامي 130
المطلب الأول: التقويم الختامي في "مراجعة القرآن الكريم". 132
المطلب الثاني: التقويم الختامي تقديرًا للمتعلمين وإبرازًا لتميزهم. 133
المطلب الثالث: التقويم الختامي عقب المواقف والسرايا والغزوات. 136
المطلب الرابع: التقويم الختامي في وصف المجاميع وطرق التعامل معهم................. 137



الفصل الرابع: مبادئ التقويم التربـوي في السُنّة النبويّة وخصائصه ومجالاته 141

المبحث الأول: مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 142

المطلب الأول: تحرّي العدل من جميع الأطراف 143

المطلب الثاني: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين 147

المطلب الثالث: مراعاة التدرُّج في التقويم 153

المطلب الرابع: دمج التقويم في التعلم والتعليم 157

المطلب الخامس: مراعاة التيسير في التقويم 160

المطلب السادس: تشجيع المتعلم على تقويم مكتسبات تعلّمه 166

المطلب السابع: التثبت من الأخبار والبيانات 170

المبحث الثاني: خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 173

المطلب الأول: الشّمول والعموم 175

المطلب الثاني: التنوع 181

المطلب الثالث: الاستمرارية 182

المطلب الرابع: تقويم واقعي 184

المطلب الخامس: تقويم ممتد الأثر 187

المطلب السادس: تقويمٌ مَحَكِّي المرجع 190

المطلب السابع: تقويم تعاوني 193

المبحث الثالث: مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 196

المطلب الأول: التقويم في مجال أهداف العملية التربوية النبويّة 196

المطلب الثاني:التقويم في مجال التعامل مع محتوى الرسالة النبويّة 209

المطلب الثالث: التقويم في مجال طرائق التربية والتعليم 227

الفصل الخامس: استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 239

المبحث الأول: استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الأداء 243

المطلب الأول: الأداء العملي في العبادات 245

المطلب الثاني: المشروع 248

المطلب الثالث: إدارة المواقف وحلّ المشكلات 253

المطلب الرابع: المحاكاة ولعب الأدوار 254

المطلب الخامس: التقديم (العرض والإلقاء) 257



المبحث الثاني: استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على التواصل 259

المطلب الأول: المقابلة 262

المطلب الثاني: الأسئلة والأجوبة 264

المطلب الثالث: الرسل والمراسلات 266

المطلب الرابع: الزيارة 271

المطلب الخامس: المؤْتَمر 274

المطلب السادس: المعايشة 278

المبحث الثالث: استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الملاحظة 285

المطلب الأول: الأدلة الشرعية على الملاحظة التقويمية 287

المطلب الثاني: أنواع الملاحظة التقويمية 288

المطلب الثالث: تهيئة البيئة في الملاحظة 289

المطلب الرابع: وسائل الملاحظة التقويمية وشواهدها في السُنّة النبويّة 291

المبحث الرابع: استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمِد على الأقران 303

المطلب الأول: مفهوم التقويم بالأقران ومكانته في السُنّة النبويّة 305

المطلب الثاني: أنماط التقويم التربوي بالأقران في السُنّة النبويّة 307

المطلب الثالث: انطلاق تقويم الأقران من التوجيه النبوي 312

المطلب الرابع: تقويمات الصحابة في حضرة النبيّ ﷺ 313

المطلب الخامس: إقرار النبيّ ﷺ لتقويمات أصحابه 316

المطلب السادس: مجالات التقويم بالأقران في السُنّة النبويّة 318

المبحث الخامس: استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على مراجعة الذات 327

المطلب الأول: مستويات المراجعة الذاتية وأدواتها وخطواتها 328

المطلب الثاني: المراجعة الذاتية في المنهج التربوي النبوي 334

المطلب الثالث: تطبيقات عملية للمراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة 340

المبحث السادس: استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمِد على الورقة والقلم 349

المطلب الأول: غياب الاختبارات التحريرية عن السُنّة النبويّة 350

المطلب الثاني: ممارسات تقويمية بالورقة والقلم في السُنّة النبويّة 352

الخاتمة 359

نتائج الدراسة 360

التوصيات 366

المراجع 369

التعريف بالمؤلف 386



اسم الكتاب: التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

المؤلف: د.محمود مصطفى أبو محمود

isbn: 978-625-6483-42-2 (رقم إيداع)

الطبعة الأولى

1445هـ/ 2023م

الناشر: دار إقدام للطباعة والنشر- إسطنبول



www.dar-ikdam.com

dar.ikdam@gmail.com

www.facebook.com/darikdam



+905060232235

+902126716248

أصل الكتاب أطروحة علمية، تقدم بها الباحث استكمالًا لمتطلبات حصوله على درجة الدكتوراه، في الدراسات الإسلامية، تخصص التربية الإسلامية في برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية / إسطنبول.

بإشراف الدكتور أحمد يحيى العوّامي، عام 1444هـ/ 2023م.







إهـداء

إلى روح والدي الحبيب ﷺ أسأل الله له واسع المغفرة والرحمة.

إلى أمي - قرة عيني الغالية - بارك الله في عمرها وصحتها، ورزقنا وإياها رضا الله تعالى وحسن الختام.

إلى زوجتي وأبنائي وبناتي.

إلى أخي الشهيد خالد أبو عبيدة رحمه الله.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى كل معلم، وكل مربٍّ، وكل أب وأم.

إليهم جميعًا.. أُهدي هذا العمل راجيًا من الله عز وجل القبول والرضى.

المؤلف







شكر وتقدير

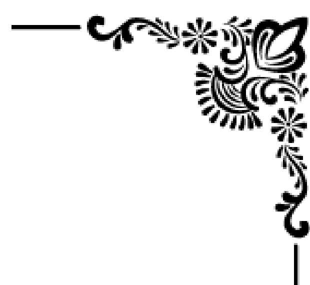
الحمد والشكر أولًا وآخرًا لله ﷻ فبنعمته تتم الصالحات، آمنتُ به، لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو ربّ العرش العظيم، ثم الصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، النبيّ العربي الهاشمي، رسول الإسلام العظيم وخاتم النبيّين والمرسلين؛ نؤمن بنبوته ونصدِّق برسالته ونهتدي بسُنّته. وما هذه الدراسة إلا تتبعٌ لقبس من النور الذي بعث به رحمة للعالمين، فهو حقًّا ﷺ جدير بكل معاني التقدير والشكر، ومنهجه القويم الذي جاء به حريٌّ بالاتباع.

ثم الشكر لأكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية في إسطنبول - ممثلة برئيسها أ. د. عماد الدينِ الرشيد، وعميدِ كليةِ الشريعةِ فيها د. أحمد السعدي على ما بذلوه في مساندتي شخصيًا وعلى ما يقدمونه من جهود متواصلة في خدمة طلبة العلم. والشكر موصول لأساتذة كلية الشريعة في أكاديمية باشاك شهير، وأساتذة كلية الشريعة في جامعة اليرموك في الأردن فجزاهم الله خيرًا. وأخصُّ بالشكر والعرفان المشرف على هذه الأطروحة العلمية: فضيلة د. أحمد يحيى العوّامي، فجزاه الله عنَّا كل خير، ونفعنا والمسلمين بعلمه، وأسبغ عليه ثوب الصحة والعافية.

وأتوجه بكل الاحترام والتقدير إلى اللجنة الموقرة التي تفضلت بمناقشة هذه الأطروحة فحكمت عليها وطورت محتواها وأجازتها، والمكونة من السادة العلماء الأكارم: د. أحمد يحيى العوّامي، أ. د. عماد الدين الرّشيد، د. محمد همام ملحم، د. ميس أمين امرير.

ولا يفوتني شكر السادة العلماء الأفاضل والزملاء الأكارم الذين تفضلوا بمشاركتي آراءهم ومقترحاتهم لتطوير محتوى هذه الأطروحة واستدلالاتها بما يخدم موضوعها، وأخصُّ بالشكر أصحاب الفضيلة في هيئة علماء فلسطين. وأختم بدعائي لكل من أسهم بتمام هذه الدراسة وتدقيقها وإخراجها، فجزى الله الجميع خيرًا.





الملخَّص

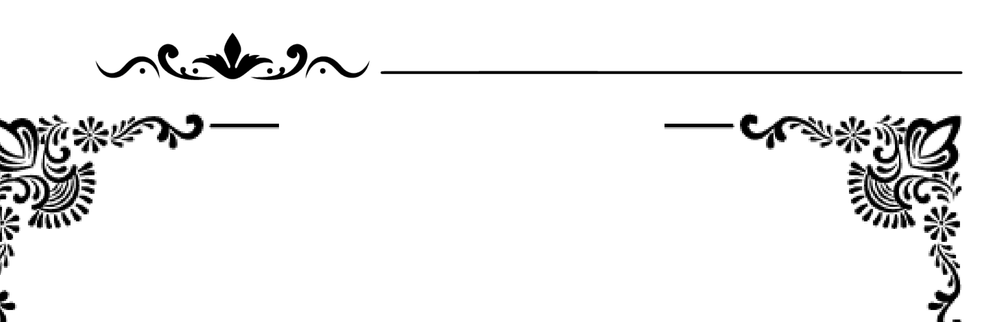
أبو محمود، محمود مصطفى. التقويم التربوي في السُنّة النبويّة. أطروحة دكتوراه برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية، 2023م (المشرف: د. أحمد يحيى العوّامي).

هدفت الدراسة في إطارها العام إلى تأصيل "التقويم التربوي" باعتباره عنصرًا من عناصر المنهج التربوي الإسلامي الذي بُعث به النبيّ محمد ﷺ لهداية الناس وتزكيتهم وتعليمهم. وتقصَّدَت أن يكون جهدها التأصيلي مُنصَبًّا على السُنّة النبويّة بما تشمله من أحاديث وسيرة في سنوات البعثة الثلاث والعشرين. وفي إطار الأهداف التفصيلية سَعَت للكشف عن مبادئ التقويم التربوي الأساسية وخصائصه ووظائفه وضوابطه ومجالاته وأنواعه واستراتيجياته؛ من خلال تتبع الأحاديث النبويّة وبيان الشواهد والدلالات التقويمية فيها. واستخدم لتحقيق أهداف الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي. وكان من نتائجها استنباط سبعة مبادئ أساسية للتقويم التربوية في السُنّة النبويّة، وهي: تحرِّي العدل في الأحكام وإجراءات التقويم التربوي، ومراعاة ما بين الناس من فروق فردية أثناء التقويم، ومراعاة التدرُّج في التقويم، ودمج التقويم في التعلم والتعليم، ومراعاة اليسر والتيسير في التقويم، وتشجيع المتعلم على المشاركة الفعلية في تقويم ذاته وتقويم مكتسبات تعلمه ومشاركته في تطويرها، وكذلك التثبت من الأخبار والبيانات التقويمية. كما استنبطت سبع خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي: "الشمول والعموم"، والتنوع، والاستمرارية، والواقعية، وأن أثره ممتد، وأنه مَحَكِّي المرجع، وتعاوني. وبيَّنت الدراسةُ خمسة أغراض للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة وهي: الكشف والتشخيص، والتكوين والعلاج، والتعزيز والتحفيز، والوقاية، والتنظيم. وفصَّلت في ثلاثة أنواع من ضوابط التقويم: الشرعية، والأخلاقية، والإدارية. وأبرزَت ثلاثة مجالات للتقويم التربوي في



السُنّة النبويّة، وهي: مجال الأهداف التربوية، ومجال التعامل مع محتوى المنهج، ومجال الطرق والأساليب. ثمَ تتبعت الدراسةُ تأصيلَ استراتيجياتِ التقويمِ التربويِ من السُنّة النبويّة، ففصَّلَتْ في: التقويم المعتمِد على التواصلِ، والتقويم المعتمِد على الأداء، والتقويم المعتمِد على الذات، والتقويم المعتمِد على الملاحظة، والتقويم المعتمِد على الأقران وكذلك التقويم المعتمد على الورقة والقلم. وبيَّنت الدراسة - بشواهد من السُنّة النبويّة- أنواع التقويم التربوي بالنسبة لزمن تنفيذه، وهي: التقويم القَبلي، والتقويم البِنائي، والتقويم الختامي. وبذلك تكون الدراسة قد قدَّمت وصفًا لحالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وأثره الكبير في تسديد العملية التربوية النبويّة ونجاحها، وتكون أيضًا قد أكدت أن النبيّ ﷺ استخدم في عمليته التربوية كل وسائل التقويم التربوي المتاحة في بيئته وعصره، واستثمرها على أحسن ما يكون، وأنه ﷺ حاز السبق التربوي في كثير من تفصيلات عملية التقويم التربوي التي أدركها الباحثون والتربويون في عصرنا هذا. وقد ختمت الدراسة بتوصية الباحثين التربويين بالمضي قُدمًا في تأصيل العلوم التربوية والاجتماعية من السُنّة النبويّة، وإطلاق دراسات تستكمل الجهد التأصيلي للتقويم التربوي من القرآن الكريم. كما أوصت الدراسة بمراعاة نتائجها عند صياغة المناهج التربوية، والعناية بالإعلان عنها والتعريف بها وتطبيقها في الميدان التربوي؛ تمسكًا بسنّة النبيّ ﷺ وتأسيًا به كما أوصانا ربنا ﷻ، كما أوصت الدراسة بضرورة تعزيز التعاون بين المربين والدعاة والمختصين من أهل التكنولوجيا؛ لتفعيل كل أدوات العصر المتاحة في مجال التقويم التربوي بإتقانها واستثمارها في عمليات التربية والدعوة والإصلاح.

الكلمات المفتاحية: (التقويم التربوي، السُنّة النبويّة، استراتيجيات التقويم، مجالات التقويم، خصائص التقويم، مبادئ التقويم).



Abstract

The Educational Evaluation in Sunnah Nabawia

By: Mahmoud Mustafa Abu Mahmoud

Supervisor: Dr. Ahmed Yahya Alawami

Başakşehir Islami Akadamisi, Yarmouk University Program ,2023

The present study aimed at rooting educational evaluation as an element of the Islamic educational curriculum that the prophet Mohammed -PBUH- had sent to guide, teach, and recommend people. The study aimed at being the rooting effort much fair on (Sunnah Nabawia) with all that included (Hadeeth and Sira of the prophet Mohammed) -PBUH-. This is through the following situations and instructions related to the evaluation of educational performance during the educational process carried out by the Prophet Mohammed -PBUH-, with regard to the detailed objectives of the story, which aims to discover the principles, characteristics, and functions of educational evaluation as well as its controls, scopes, kinds, and Strategies this is by following (Sunnah Nabawia), locating and identifying evidence of educational evaluation in these (Ahadeeth). In this study, the descriptive Inductive analytical method was used. It deduced seven characteristics, which are comprehensiveness, generality, diversion, continuity, realism, and long-term impact. It's a real reference as well as cooperative. On the other hand, seven basic education evaluations have been extracted from (Sunnah Nabawia) which are: investigating justice in judgments and procedures of evaluation and taking into consideration individual differences. It's important to integrate evaluation with the learning-teaching process, facilitate and simplify the evaluation process, encourage learners to actively participate in self-evaluation, evaluating

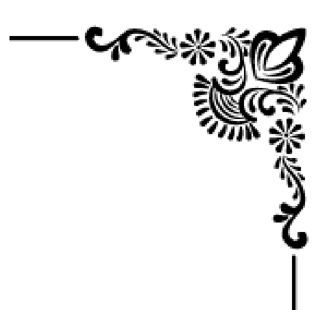


their learning outcomes, and contributing to their development, verify the accuracy of evaluation information and data. The study has shown the functions of educational evaluation which are a function of personal discovery, remedial construction, and systematic administration. It is detailed in three forms of systematic evaluation: (Sha-riaá), ethical, and administration. It focused on three scopes of work which are the educational objectives, contents, and methodologies scopes. It also detailed the rooting of six educational evaluation strategies in detail which are communicational evaluation, evaluation based on performance, evaluation based on individual, evaluation based on observation, evaluation based on mates, and Paper-and-pencil assessment. The study concluded with shreds of evidence from (Sunnah Nabawia) on kinds of educational evaluation and the rate of time for performance. They are pre-evaluation, formative, and summative evaluations. So, the study has introduced a description of educational evaluation in (Sunnah Nabawia) and its influence on the success of (Sunnah Nabawia) in the educational process. Therefore, the study has emphasized that the prophet -PBUH- employed all means and media of educational evaluation in his era and used them in the best ways. The study has recommended that all researchers and studies must continue rooting educational knowledge in (Sunnah Nabawia). It also recommended that other studies must be performed forward to rooting educational evaluation in Holy Quran. It also recommended considering the results of this study, especially during the designing of educational curricula, as well as identifying them and applying them in the educational field. The study finally recommended the necessity of cooperation between teachers at preachers who have good knowledge of applying technology in all fields of educational evaluation. This is to be invested in the educational process and reform.

KEYWORDS:(Educational evaluation, Sunnah Nabawia, Evaluation strategies, Evaluation fields, Evaluation properties, Evaluation principles).







تقديم

بقلم الدكتور نواف هايل تكروري

رئيس هيئة علماء فلسطين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تشرفت وسعدت بقراءة كتاب الأخ العزيز محمود مصطفى بعنوان "التقويم التربوي في السُنّة النبويّة" وهو بحث أكاديمي محكّم أعده لنيل درجة الدكتوراة. وقد وجدته كتاباً نافعاً ومفيدًا يحتاجه كل مربٍ وكل معلمٍ وكل قائدٍ وكل مديرٍ وكل زوجٍ وأبٍ وكل من له وجه توجيه وتربية وتعليم وتدريب، وقد أفدت منه كثيراً وما استطعت تجاوزه لغيره حتى أتممت قراءته، فقد وضع يده على كنز عظيم واستوعب في رسالته القيمة أطراف الموضوع وأصّل وأنار طريقاً لطلبة العلم والباحثين وسلط الضوء بعمق واستيعاب على معالم المنهج النبوي في التربية والتعليم والتقويم الذي كان أساساً في بناء المجتمع المسلم من كل وجه، فأسأل الله تعالى أن يجزل للأخ المؤلف المثوبة على جهده القيم.

وإن الناظر في السُنّة النبويّة لا سيما فيما له علاقة بالتقويم التربوي الذي أصّلت له هذه الدراسة يدرك حجم التحدي الكبير الذي تجاوزه النبيّ المعلم ﷺ وهو يقوّم الملة العوجاء التي كان عليها حال العرب والأمم قبل الإسلام وكيف صحّح مسيرتها حتى صارت خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: 110]، وكيف بنى جيلاً فريداً بإيمانه وأخلاقه وإقدامه وسلوكه وصلته بالخلق والخالق ومعاملاته في السلم والحرب، فصار نموذجًا يحتذى، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[سورة الجمعة: 2].



وظهرت ثمرة هذه الهداية وهذا الرقي المجتمعي على الصعد والمستويات كافة بما سجلته السيرة والتاريخ من دخول الناس في دين الله أفواجًا، وإقبال عالمي على هذا الدين الإسلامي العظيم، مما يعزز الدافع للنظر والبحث في المنهج النبوي في التربية والبناء؛ فصلاح حال الأمة اليوم لا يكون إلا بما صلح به حالها في عهدها الأول على نهج نبيها الكريم ﷺ وأصحابه العظام الذين حوّلوا التعاليم والنظريات إلى سلوكات عملية وحياة مُعاشة.

وقد استوعب الأخ المؤلف جزاه الله خيراً دراسة مفاهيمية أوضحت المراد، وأنزل التقويم التربوي على المصطلحات المستعملة اليوم في هذا المجال وبيّن كيف راعت ذلك السُنة النبويّة، فكان بذلك مسهماً في تقعيد هذا العلم وإخراجه بالأسلوب العصري؛ فقد كشف عن التطبيقات والأدوات والأساليب التي استخدمها النبيّ ﷺ أثناء تقويمه وتربيته لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، ودرس استراتيجيات التقويم التربوي في السُنة النبويّة وفصّل القول فيها، وبين أهم المبادئ والخصائص التي تميز بها التقويم التربوي النبوي وكذا مجالاته وأنواعه وأغراضه وضوابطه.

وإن مثل هذه العلوم التي تسمى حديثة؛ إنما هي حديثة في صياغتها لا في وجودها ككل علوم الآلة من أصول الفقه والنحو والقواعد الفقهية والأصولية، وكذا مثل هذا العلم - علم التقويم التربوي- فهي علوم كانت مستخدمة ومراعاة في التطبيق العملي غير أنها لم تكن مقعّدة في نظام خاص أو أصول موضحة وإنما تراعى تلقائياً وتطبيقاً عملياً.

ويظهر لنا من خلال البحث كيف أن السيرة النبويّة والسُنّة المطهرة قد رسّخت عند الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أنه لا أحد فوق التقويم والتعليم، وأن الخصوصية لا تتجاوز طريقة المعاملة؛ فحاطب البدري رضي الله عنه يقوَّم ويتابَع إلى أبعد الحدود، وعندما تراعى مكانته وأسبقيته وخصوصيته فلا تكون هذه المراعاة على حساب حفظ الحق العام، فنرى كيف تم الحفاظ على مكانة حاطب التي لا يناسب أن تُهدَر لخطأ ولو كان كبيراً، ولكن دون أن تسوق مكانة حاطب على المسلمين الوبال أو يتم تلفيقها، لأنه ممن له فضل أو مكانة فتقع المصائب عندئذ، فقد جمع التقويم النبوي في هذه الحادثة بين حماية الحق العام، ومراعاة مكانة الفرد الذي وقع منه الخلل، وكذا كان الحال في توجيهاته عليه الصلاة والسلام. وإننا نجد اليوم مصائب تقع، ولا يستفاد من الحدث بدعوى أن القائم



بها ذو شأن ينبغي تقدير مكانته وأسبقيته؛ وقد يكون هذا الكلام له وجه حق، ولكن لا يجوز أن تهدر به المصلحة العامة، ولا بد من تقدير الأمر بأفضل النتائج وأقل الخسائر وحفظ فضل أهل الفضل.

ومما أثمره هذا الكتاب هو الإشارة إلى التقييم الصحيح والسليم للمسيرة النبويّة مع الصحب الكرام، التي قامت على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وتصدير أهل الاختصاص واستبعاد الضعفاء في ذات المجال، فلم يضر الصحابي أبا ذر المحبوب أن يُرفض طلبه، ولم ينقص ذلك من مكانته، فهو له بابه؛ ولكن ليس موقعه أن يكون قائداً أو مسؤولاً وإنما أن يكون موجهاً ومربياً فلكلٍ بابه. ولم يمنع حبّ الأنصار من حرمانهم من العطاء يوم غطفان للحاجة إليه في موضع آخر. ولم يمنع شرف المخزومية قطع يدها عند الاستحقاق كما أكد ذلك النبيّ ﷺ في الحديث عند البخاري، فقال: ((إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)).

وقد نشأ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على نقد الفعل وتقويمه وإبداء الرأي فيه - إن رأوه مستحقاً لذلك - ولو كان قائله رسول الله ﷺ؛ فهذا الحُبَاب بن المنذر يقوّم مكان تجهز المسلمين يوم بدر بأنه ليس مناسبًا؛ فقد علّمه أستاذه ومربيه عليه الصلاة والسلام أن موقع القائل لا يمنع نقد القول وبيان الرأي فيه، وكذا فإن تأخر مكانة المرء لا يمنع تقديم قوله إذا كان صالحًا. فهذه هي مدرسة الحبيب في بناء الجيل تقوم على أساس النظر للفكرة، وأن تقدير الأشخاص لا يمنع مناقشة أقوالهم، مع ملاحظة أن ذلك في حق رسول الله ﷺ في حياته وحال وجوده وقبل الاستقرار على شيء، فهو لا يقر على خلل؛ لأنه مصوّب بالنهاية: إما بأصحابه الذين أيده الله بهم، أو بوحي الله تعالى له، فلا يستقر ولا يصح في سُنته عليه الصلاة والسلام إلا الحق. وأما غيره ولو كان عظيمًا وصحابيًا فيمكن أن يمضي ويقضي حياته وتبقى فكرته في أمرٍ مستحقة للتقويم والنقد؛ لا سيما حال خلافه مع أقرانه إذ قد يكون غيره أقرب للصواب منه.

ويبرز جليًا في التقويم التربوي النبوي مراعاة الفروق الفردية والمستويات في المواهب والقدرات؛ فالمطلوب من الخاصة ليس هو المطلوب من العامة، كما في قصة الأعرابي الذي سأل عما يدخله الجنة، فأمره عليه السلام بأداء الصلوات الخمس وصوم رمضان وإيتاء الزكاة، فقال الأعرابي لا أزيد



على ذلك، فقال ﷺ: أفلح إن صدق. بينما نجده يقول لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلًا)). فالأعرابي طلب منه أداء الفرائض وتكفيه؛ إذ هذا مستواه وإمكاناته وما يملكه من الدوافع، بينما عبد الله بن عمر فقد حثّه على أداء النوافل كقيام الليل، وجعل تقصيره فيها منقصاً من شأنه، ((نِعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل))، فهو تقويم تربوي أساسه العدالة والمساءلة على قدر المسؤولية والمكانة.

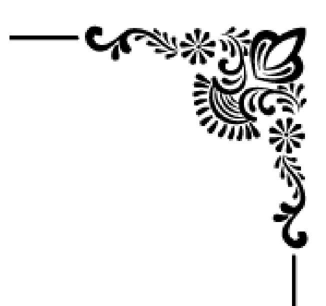
ولا أريد أن أطيل في تقديم هذا البحث القيم، بل أترك القارئ يطلع على أسرار نشأة الجيل الفريد، وما يبعث على اقتفاء الأثر النبوي في منهج بناء الانسان وصناعة الجيل وإعداده؛ خاصة وأننا نرى الأمة الإسلامية في مخاض التحرير والانبعاث من جديد وطوفان الأقصى ينطلق بإذن الله تعالى في مسيرة مباركة نحو العزة والكرامة.

وختاماً فإنني أوصي بتدارس هذا الكتاب على مستوى الأسرة والمؤسسات التعليمية والتربوية؛ كما وأدعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بالأخ محمود أبو مروان وأن يجزل له المثوبة. ولمن لا يعرف الأخ محمود فهو أخ مجتهد في العلم والعمل معًا، وهو أمر قلّ اليوم؛ فتجد المجدّين في البحث يعيشون مع أوراقهم وكتبهم بعيدين عن ميدان العمل، وأما الميدانيون فيعدّون أنفسهم منشغلين بما يسوّغ لهم عدم التفرغ للعلم وإعطائه من وقتهم؛ أما الأخ محمود فقد جمع بين الحزبين والفضيلتين. فأسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يبارك في علمه وأن يوفقه لمزيد من التنقيب عن هذه الأصول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإنَّ تحليق العقل والرُّوح في فضاءات حياة الجيل الأول من أصحاب النبيّ ﷺ يفتح للمرء مغاليق الأفكار، ويَشْرَع أبواب المنهجية الراشدة في التربية على مصاريعها؛ فثمة عملية تربوية كبرى خضع لها هذا الجيل الفذُّ من الصحابة رضي الله عنهم تتجلَّى معالمها في آيات القرآن الكريم، وتنتشر لافتاتها على امتداد سبيل الحق الذي ترسمه السُنّة النبويّة، وقد كان المعلم الأول والرائد الذي لا يكذب أهله في هدايةٍ أو تربيةٍ هو النبيّ محمد ﷺ الذي زكّاه الله سبحانه وتعالى فأحسن تزكيته وعلّمه فأحسن تعليمه، وربَّاه فأحسن تربيته، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [سورة آل عمران: 164].

وما أعظم ما تحمَّله النبيّ ﷺ في سبيل إنجاح مهمته التربوية العظيمة، فهو من يوم أن أمره ربنا سبحانه وتعالى بالقيام منذرًا ألقى عنه دِثاره، وودَّع الفِراش الوثير، وشمَّر لهداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، فأدى أمانة التبليغ، وأمانة التربية بأحسن أداء في الطرائق والأساليب، وكان يقول ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا)) [(1)]، فكان إذا خُيِّر بين أمرين أخذ بأيسرهما ما لم يكن إثمًا؛ رفقًا بالناس وتدرجًا في تقويمهم؛ فاستحق ثناء الله تعالى عليه بما اتصف به من الرأفة والرحمة ولين الجانب، فقال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**

---

(1) مسلم: ابن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت)، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية، (2/ 1104 - ح: 1478). (معنتًا ولا متعنتًا) أي مشددًا على الناس، وملزمًا إياهم ما يصعب، ولا متعنتًا؛ أي: طالبًا زلتهم.



بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: 128]، وقال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** [سورة آل عمران: 159].

وقد شكّل هذا الأداء الأخلاقي من النبيّ المعلم ﷺ عاملًا مؤثرًا في اختياره أنسب طرائق التربية والتعليم والتقويم والتي كانت فاعلة فحققت أحسن النتائج التربوية على المستويين الفردي والجماعي؛ مما يؤكد أننا أمام خير معلم عرفته البشرية على مدار التاريخ.

ومن هنا فإن السُنّة النبويّة تستحق الدراسة والبحث والاتباع، فهي الروح التي تنبعث في الجسد الهامد فتحييه، وتنتشر بين زوايا وخبايا الركام المتهالك فتهزُّه؛ لتدب في أوصاله القوة، فتبني أركان المجتمع الإنساني الصالح، وتُغربله لِتُسقط أرضًا ما يُفسِده، وتدكَّ في أركانه أوتاد هذا الدين المتين، وترفع في بناء المجتمع ما يُصْلِحُه، فتعيد بناءَ أمَّة قوية صالحة.

لقد تميَّز النبيّ المعلم محمد ﷺ بتقويمه التربوي؛ فكان لا ينطق عن الهوى **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** [سورة النجم: 4]، يوحى إليه من الله تعالى الذي أنار في قلبه وسمعه وبصره من نوره؛ فجعله إمامًا ورحمة للعالمين، فلم يخل يوم من حياته ﷺ دون أن يكون للتقويم التربوي أثر مبارك في التكوين، والبناء، وتصحيح السلوك، وتطوير الأداء لأعيان الصحابة وجموعهم رضي الله عنهم حتى شمخ بناء مجتمعهم، فكان القرن الذي عاش فيه رسول الله ﷺ خير القرون بما فيه من رقي أخلاقي وسمو روحي وحسن اتباع وعمل وتناصح وتعاون ونصرة للحق وعدل ودفاع عن المظلوم.

ومن الجدير ذكره أن هذا التقويم التربوي النّبويّ لم يكن صبغة جامدة، بل كان التنوع والمرونة والشمول والواقعية والتيسير سمات بارزة فيه، فكان لكلّ مقام وحال مقال وتقويم مناسب، ولكلِّ شخصية من الصحابة رضي الله عنهم تقويم تربوي خاص يراعى الظروف والأحوال والقدرات والمهارات. وكان يوازي ذلك تقويم تربوي جماعي لفئات مؤمنة من المهاجرين والأنصار ونحوهم ممن دخل في الإسلام قبل الفتح وبعده.

إننا نحتاج أن نستلهم من السُنّة النبويّة طرق التربية وأساليب التقويم في بيوتنا مع أزواجنا وأبنائنا، نحتاجه في حيِّنا مع جيراننا وأصدقائنا وفي أعمالنا، وعند اختلاطنا مع بعضنا؛ فكيف يتصور أن ترتقي هذه الأمة في طريق نهوضها دون أن تدرس تفاصيل العملية التربوية ومن معينها الصافي السُنّة النبويّة،



وتدرس كل موقف وكلمة ووصف وحالٍ تم فيها، والتي مثَّل التقويم التربوي النّبويّ دور الراصد فيها والموجِّه الحكيم، والمحرِّك الفعَّال لتطويرها وتحسين أدائها.

نعم، إنه حِريٌّ بنا أن نسترشد ونهتدي بهدي خير الأنام محمد ﷺ ونقتفي أثره في تقويمه التربوي؛ فندرس كلَّ لَحْظٍ وقَوْلٍ وفعلٍ وتقريرٍ وغضبٍ وبَشاشةٍ وتحفيزٍ وتوبيخٍ وإنفاقٍ وإمساكٍ وصمتٍ واعتزالٍ، وكل ما صدر في سياق عملية التقويم التربوي التي نُفِّذت في فترة الوحي والرسالة خلال الثلاث والعشرين سنة التي عاشها ﷺ معلِّما ومربِّيًا قبل أربعة عشر قرنًا.

وتأتي هذه الدراسة في هذا السياق التأصيلي، وعنوانها "التقويم التربوي في السُنّة النبويّة"، والتي نرجو أن يتقبلها الله ﷻ وأن يجعلها مفتاحًا لأبواب خير تعود على أمتنا بالنفع العظيم، ونسأله ﷻ التوفيق، والقبول، والرضى؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

مسوغات الدراسة وأسئلتها:

بدأت فكرة موضوع هذه الدراسة بعد الاطلاع على جانب من "موسوعة التصنيف الموضوعي للسُنّة النبويّة"، وهي موسوعة ما زالت قيد الإعداد لم تنشر بعد، ويعمل على إنجازها ثلةٌ من طلبة العلم المختصين في الحديث والتربية. وبحكم العلاقة مع القائمين على هذه الموسوعة فقد حظيتُ بفرصة للاطلاع على جانب من الجهود الكبيرة المبذولة فيها - من جمع وتصنيف للأحاديث النبويّة وتوجيه لدلالاتها-، وقد كان اطلاعي موجّهًا إلى تصنيف الموسوعة للأحاديث المندرجة في إطار التربية والتعليم، وفي جانب التقويم التربوي على وجه الخصوص، فوجدناها في الموسوعة بلغت أكثر من خمسمائة حديث محكوم على صحتها ومبين الشاهد فيها والدلالة التقويمية. فكان ذلك ملهمًا بفكرة أن تكون هذه الدراسة في إطار التقويم التربوي في السُنّة النبويّة(1).

ودعم هذا التوجّه ما درسناه وأخبرنا به مشايخنا عن استمرار الحاجة لمتابعة جهود التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية رجاء الإسهام في مشروع بناء نظرية المنهاج الإسلامية والنظرية التربوية الإسلامية، ورجاء زيادة الوعي بما تمتلكه هذه الأمة في تراثها العظيم من رصيد تربوي زاخر.

(1) ملحم، همام سعيد وآخرون، **موسوعة التصنيف الموضوعي للسُّنَّة النبويّة**، موسوعة أحاديث التربية والتعليم (موسوعة منهجية لتصنيف أحاديث كتب السُنّة النبويّة الشريفة)، غير منشورة، إعداد مركز دراسات السُنّة النبويّة الشريفة، عمَّان، الأردن، إشراف د. همام سعيد ملحم، والوصول إليها من خلال د. محمد همام ملحم، تاريخ التصفح: 2021/7/15م.



وفي ظل ندرة الدراسات العلمية المتخصصة في موضوع التقويم التربوي الذي نفَّذه النبيّ المعلم محمد ﷺ أثناء العملية التربوية التي بُعث بها للعالمين، ومع الإيمان بالحاجة لتمسيك الناس بهذه السُنّة النبويّة وتطوير طرق التعامل معها والنظر فيها، ورجاء أن نكون من الذين أشارت لهم الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾ [سورة الأعراف: 170].

وانطلاقا من كل ما سبق وغيره مما يبعث على الاقتداء، واقتفاء الأثر؛ وحيث إن التقويم التربوي يعدُّ ركيزة أساسية في أي عملية تربوية، وإنه ضرورة للمراجعة والتحسين في إطار تجويد المُدْخَلات والمُخْرَجات، وفي تحسين الوسائل والأدوات؛ فقد هُدينا -بفضل الله- للمضي في هذه الدراسة التي تسهم في تأصيل حالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

ويمكن صياغة السؤال الرئيس الذي ستحاول الدراسة الإجابة عنه، على النحو الآتي:

كيف كان التقويم التربويّ في السُنّة النبويّة؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس، الأسئلة الآتية:

1. ما أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
2. ما ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
3. ما أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
4. ما المبادئ الأساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
5. ما خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
6. ما مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
7. ما استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟



أهمية الدراسة:

تكتسب هذا الدراسة أهميتها النظرية من الآتي:

1. أنها تنطلق من السُنّة النبويّة ثاني مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

2. كونها تأتي في الإطار التأصيلي للعلوم التربوية والاجتماعية، فقد اعتنت باستقراء الأحاديث النبويّة والمواقف المرتبطة بالتقويم التربوي باعتباره واحدًا من عناصر المنهج التربوي النبوي. (فهذه الدراسة تسهم في الكشف عن مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة ومبادئه وخصائصه، ووظائفه وضوابطه، واستراتيجياته، وأنواعه، وما يرتبط بهذه العناوين من تفصيلات وتطبيقات نبوية).

3. سعت هذه الدراسة لتقديم صورة تفصيلية عن العديد من الإجراءات التقويمية التي قام بها النبيّ ﷺ أثناء تربيته أصحابه رضي الله عنهم وتزكيتهم وتعليمهم، وتكشف عن أنماط من الاستراتيجيات التي استخدمها وتعرض آثارها ونتائجها التقويمية على العملية التربوية النبويّة.

وبالمقابل يؤمل أن تفيد الدراسة الجهات الآتية في تطبيقاتها العملية:

1. التربويين: المشرفين التربويين، المعلمين، المديرين، الدعاة، الوالدين؛ إذ تثري هذه الدراسة المعرفة العلمية المؤصلة في مجال التقويم التربوي، وتعرض لإجراءات نبوية تقويمية عملية، يمكن أن تناسب كثيرًا من أحوال المتعلمين وظروف العملية التربوية في عصرنا.

2. واضعي المناهج والبرامج التربوية ومصمميها: ليتأسوا بالنبيّ ﷺ في طرقه وأساليبه واستراتيجياته التقويمية، والتي هي أَولى بالاتباع من غيرها، كونها مسدَّدة من الله سبحانه وتعالى خالق البشر والعالم بما يصلح لهم.

3. الباحثين والمعنيين بتأصيل العلوم التربوية؛ رجاء أن يكملوا مشوار التأصيل التربوي، ويتوسعوا فيما أشارت إليه هذه الدراسة، ويبنوا على نتائجها، متابعين في مسيرة أسلمة العلوم التربوية والاجتماعية.

4. متوقع أن تعزز نتائج هذه الدراسة الدوافع الإيجابية لدى أطراف العملية التعليمية والمتأثرين بها، فيزداد تقبلهم وتفاعلهم مع إجراءات التقويم التربوي ويزداد الوعي بأهميته باعتباره من الهدي النّبويّ الذي أُمرنا باقتفائه وامتثاله.



حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: تتناول الدراسة التقويم التربوي بتأصيله من المصادر التي جمعت أحاديث السُنّة وسيرة النبيّ محمد ﷺ.

- الحدود الزمانية: اقتصر مجال البحث في هذه الدراسة على الفترة الزمنية ما بين بعثة النبيّ ووفاته ﷺ وهي الفترة التي أشرف فيها النبيّ محمد ﷺ بنفسه على سير عمليات التربية والتعليم والبناء والتقويم.

منهج الدراسة:

استخدم في الدراسة المنهجين:

- المنهج الاستقرائي: وكان أساسًا في تتبُّع الأحاديث وإحصاء المواقف من السُنّة النبويّة ذات العلاقة بالموضوع وتفصيلاته.

- المنهج الوصفي التحليلي: ومن خلاله تم تشخيص المواقف التربوية التقويمية ووصفها وتحليل أسبابها ونتائجها.

خطوات الدراسة:

قام الباحث أثناء كتابته بمراعاة جملة من الخطوات والإجراءات المنهجية، كان أبرزها ما يأتي:

1. مراجعة الأدب النظري في التربية المعاصرة وما تضمنه من عناوين وموضوعات مرتبطة بالتقويم التربوي. وتتبع الدراسات السابقة في التقويم التربوي ومراجعة محتواها، والوقوف على مناهج البحث فيها وطبيعة الإنجاز الأكاديمي فيها ومجالاته ومستواه.
2. جمع وتوفير جملة من المراجع القديمة والحديثة المرتبطة بموضوع التقويم التربوي، والحصول على إمكانية الولوج الإلكتروني لمكتبة جامعة اليرموك ومكتبة المنظومة. وكذلك المكتبة الشاملة، والتواصل مع بعض الباحثين والحصول على نسخة من أبحاثهم، ونحوه.



3. استقراء لجمع الأحاديث من كتب السُنّة النبويّة وتخيّر الروايات المناسبة للموضوعات وأصحها وتجنب الضعيف منها.

4. دراسة معاني عبارات النصوص من كتب شروح الأحاديث، وتحديد محل الشاهد فيها ووجه دلالته، ثم القيام بعملية الاستنباط والتوجيه في إطار الإجابة عن أسئلة الدراسة.

5. عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في سورها وبيان أرقامها عقب الآية في المتن.

6. عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها؛ وإن كان الحديث أو الأثر من الصحيحين أو في أحدهما فيكتفي الباحث بأخذه من أحدهما، ويعزوه إلى مصدره، ويذكر اسم الكتاب، ثم اسم الباب، ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث. وأما إن كان الحديث في غير الصحيحين، فإن الباحث كان بعد عزوه إلى مصدره يذكر اسم الباب ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث ثم يذكر حُكمًا على صحته من أحد علماء الحديث.

7. تفسير المفردات الغريبة أو المصطلحات العلمية.

8. الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة، وتوثيق مصادرها.

9. استخدمت بعض الرموز في هوامش الدراسة للاختصار في توثيق بيانات المصادر على الآتي: (د. ت) بدون تاريخ نشر، (د. ط) دون طبعة، (د. م) دون مكان نشر، (ح) رقم الحديث، (ت) تاريخ الوفاة.

10. كتابة تفاصيل عن المرجع حال وردوه أول مرة، ومختصرة عند وره مرة أخرى.



مصطلحات الدراسة:

ارتكزت الدراسة على مصطلحين أساسيين، وهما:

التقويم التربوي:

مصطلح مركب من كلمتين، فالتقويم فيه لبيان الإجراء، والتربية فيه لبيان المجال المستهدف، وهما معًا يعبّران عن عملية منهجية كبرى مجالها التربية والتعليم، وتتضمن إجراءات جزئية متوالية ومتداخلة تبدأ بالقياس والتشخيص والتقدير وإصدار الأحكام، وتنتهي بالمعالجة التربوية المناسبة.

وتُعرّف الدراسة الحالية "التقويم التربوي" إجرائيًا، بأنه:

عملية تربوية تستند إلى معايير، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة للموقف التربوي أيًّا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم بنائه، أو تعديل اعوجاجه، أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف منشودة.

السُنّة النبويّة:

مصطلح متداول ومعروف في الأوساط العلمية والشرعية. وينظر له طلبة العلم الشرعي من زوايا عديدة تبعًا لتنوع الاختصاصات، لكن يجمعها كلها جامع وهو "رسول الله ﷺ وطريقته وما ورد عنه".

وقد وجد الباحث أن تعريف شيخنا "همام سعيد" للسُنّة النبويّة، متوافقًا مع إجراءات البحث، وحدود الدراسة، وبعدها التربوي. حيث عرّف السُنّة النبويّة بأنها: "ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية من مبدأ بعثته إلى وفاته، وقد تأتي قولاً أو فعلاً من الصحابة أو التابعين باعتبارهم شهود عصر النبوة والمقتبسين من مشكاتها" [1].

(1) ملحم، همام سعيد، **التمهيد في علوم الحديث**، دار الفرقان، عمان- الأردن، ط1، 1412هـ - 1992م، (ص:11).







الفصل الأول: الإطار النظري للدّراسة

المبحث الأول: الدراسات السابقة

المبحث الثاني: التقويم التربوي في المعاصرة والمفاهيم المرتبطة

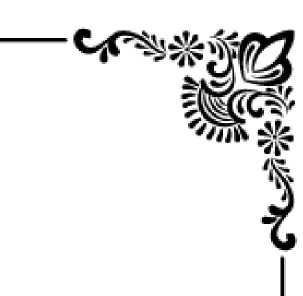
المبحث الثالث: التقويم الواقعي ميزاته











المبحث الأول
الدراسات السابقة

يلاحظ المتتبع للبحوث العلمية والدراسات المرتبطة بموضوع هذه الدراسة تناول العديد من الباحثين جوانب عديدة من التربية النبويّة؛ كالأساليب التربوية وطرائق التعليم وأساليب تصحيح الأخطاء وتعديل السلوك.

وضمن إمكانات الباحث وظروفه؛ فقد راجع قواعد بيانات المكتبات الإلكترونية في كل من: جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية، وجامعة العلوم والتكنولوجيا في الأردن. ثم راجع محركات البحث عبر الإنترنت - في متصفح الكتب والبحوث في قوقل- وفي موقع مكتبة عين الجامعة، ودار المنظومة عبر الإنترنت، فلم يعثر الباحث على دراسة تحمل عنوان درستنا الحالية: "التقويم التربوي في السُنّة النبويّة".

وعند استعراض البحوث العلمية القريبة في مجالها من موضوع هذه الدراسة، فقد وجدت دراسات سابقة قيّمة عديدة لباحثين فضلاء عالجت جوانب من موضوع التقويم التربوي، وقد تنوعت حدود تلك الدراسات وأهدافها ونتائجها. وفيما يلي استعراض لبعضها، وقد صنَّفها الباحث على نوعين، في مطلبين على النحو الآتي:

- دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها القرآن الكريم والسُنّة النبويّة.
- دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها السُنّة النبويّة.



المطلب الأول

دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها الكتاب والسُنّة النبويّة

اطلع الباحث على أربع دراسات تبحث في التقويم من المنظور الإسلامي، أو كما هو في التربية الإسلامية، بمعنى أنها جعلت حدود مجتمعها البحثي الكتاب والسُنّة. وهي:

1- دراسة: "الحسن" (1989م)[1]:

وكان عنوانها: "مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة - دراسة تحليلية مقارنة". وهدفت الدراسة إلى بيان مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الحديثة، واستنباط مبادئ التقويم التربوي الأساسية التي اشتمل عليها القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، وعرض ما تميزت به مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية عن غيرها من مبادئ التقويم الأساسية في التربية الحديثة. واستخدم الباحث المنهج التحليلي لاستخلاص المبادئ والمنهج المقارن لتمييز أوجه التشابه والاختلاف. وكان من نتائجها: استخلاص ثمانية مبادئ أساسية للتقويم التربوي في التصور الإسلامي؛ وهي: الشمول، والاعتماد على الكفايات، والتشاور، والاستمرارية، والموضوعية، والارتباط بالتقوى، والتعاون، وأن التقويم عملية تحكمها الأخلاق الفاضلة. وأكدت تميز هذه المبادئ عن تلك المبادئ التقويمية في التصور الحديث؛ بارتباطها بالتقوى والأخلاق، والثبات، والشمول لجوانب الحياة على اختلاف مجالاتها.

التعقيب على الدراسة: كانت دراسة الحسن في عام 1989م وهي مبكرة نسبيًّا، وكان مجتمع البحث فيها القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وكتب التربية الحديثة. وقد ركّزت على معالجة جانب من جوانب التقويم التربوي، وهو المبادئ الأساسية للتقويم، فقامت بحصر مبادئ التقويم الأساسية في التربية الحديثة، ثم استنباط مبادئ التقويم من الكتاب والسُنّة، وعقد المقارنة بينهما، وبيان ما تميزت به مبادئ التقويم الأساسية المستنبطة من التربية الإسلامية. ولاحظ الباحث أن الدراسة جعلت المبادئ والخصائص في قالب واحد ولم تميز بينهما. في حين أن الدراسة الحالية ميّزت بين خصائص التقويم التربوي ومبادئه الأساسية وفصلّت في عناوين وموضوعات مندرجة تحت التقويم التربوي لم تستهدفها دراسة "الحسن" جزاه الله خيرا.

---

(1) الحسن، أحمد جوهر، **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة - دراسة تحليلية مقارنة**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1989م.



2- دراسة: "سورمارو" (1995م)[1]:

وكان عنوانها: "التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي". وهدفت الدراسة إلى بيان مفهوم التقويم في الدعوة إلى الله ومشروعيته، وأركان التقويم في الدعوة وبيان أنواعه ومجالاته ووسائله وخصائصه، وعوائقه في العهد النبوي وكيفية التغلب عليها؛ كما هدفت إلى بيان آثار التقويم الدعوي في العهد النبوي، واستخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي. وكان من نتائجها: تأكيدها أن التقويم في الدعوة هو محاسبة النفس، وبذل النصيحة للغير في العقيدة والشريعة والعبادة والأخلاق؛ لتصحيح أخطائها أو تثبيت صوابها. وبيَّنت الدراسة فوائد التقويم وأهميته وآثاره على الفرد والمجتمع، وفصلَّت في مجموعة من هذه الفوائد؛ كدوره في تنقية المجتمع الإسلامي في العهد النّبويّ من الهفوات والشوائب في العمل. وأثره في تماسك وحدة الصف الإسلامي أمام ضغوط أعداء الدعوة في السلم والحرب. وبينت أن الهدف الحقيقي للتقويم الدعوي هو طاعة الله ورسوله ﷺ على الوجه المشروع. وبينت أن التقويم له أربعة أركان: المقوِّم، والمقوَّم، وموضوع التقويم، ووسيلة التقويم. ورأت أن التقويم نوعان: التقويم الذاتي، وتقويم الغير. وأن مجالاته تشمل جميع أمور الدين الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي كلٌّ لا يتجزأ. ثم عرضت الدراسة مجموعة من وسائل التقويم في العهد النّبويّ المعتمدة على القول والقوة والقدوة. وبينت مراحل التقويم الدعوي. ثم عرضت لجملة من خصائص التقويم الدعوي كالاستمرارية، والشمول، والفورية.

التعقيب على الدراسة: كان مجتمعُ البحث في دراسة "سورمارو" المباركة القرآنَ الكريم والسُنّة النبويّة ضمن حدود العهد النبوي. ولكونها انطلقت من كلية الدعوة والإعلام فقد ركّزت عنايتها على "التقويم الدعوي". ولم تتخصص في تتبع التقويم التربوي، إلا ما تخللها من ذكر لبعض جوانب التقويم التربوي المتقاطعة مع التقويم الدعوي. في حين أن الدراسة الحالية ركّزت على التقويم في إطار عمليات التربية والتعليم النبويّة، والتي استهدف المسلمين - أبناء الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعاتٍ صغارًا وكبارًا -.

---

(1) سوماورو، ساموكا بن داود، **التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي**، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - السعودية، 1995م.



3- دراسة: "أبو إسماعيل" (2006م)[1]:

وكان عنوانها: "التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية". وهدفت الدراسة إلى تعرّف كيفية التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، والأسباب التي تدعو الشخصية الإسلامية لتقويم ذاتها، والمعايير المعتمَدة لدى الشخصية الإسلامية في تقويم ذاتها، وبيان قواعد التفكير الموضوعي في التقويم الذاتي. واستخدمت لتحقيق أهدافها: المنهج الوصفي التحليلي. وكان من نتائجها أن: التقويم الذاتي للشخصية من القواعد الأساسية في التربية الإسلامية، وإباحة التقويم الذاتي العلني لتحقيق مصلحة أو دفع مفسدة، وأن التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية يشمل تقويم الجوانب المادية والرُّوحية على حد سواء، وأن التقويم الذاتي للنشاط الذي تقوم به الشخصية يدفع إلى إتقان العمل، والقيام به على أكمل وجه.

التعقيب على الدراسة: كانت دراسة "أبو إسماعيل" رسالة علمية قيِّمة، وكان مجتمع البحث فيها واسعًا، فقد شمل القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، وركّزت على موضوع التقويم الذاتي حصرًا، وهو واحد من أهم الاستراتيجيات التقويمية.

في حين أن الدراسة الحالية فصلَّت في استراتيجيات تربوية أخرى، تتعدى تقويم الذات إلى تقويم الآخرين، وهذه لم تستهدفها دراسة "أبو إسماعيل"، كاستراتيجية التقويم المعتمِد على الأداء، واستراتيجية التقويم المعتمِد على الملاحظة، واستراتيجية التقويم من خلال التواصل، واستراتيجية التقويم المعتمِد على الأقران، واستراتيجية التقويم المعتمِد على الورقة والقلم. إلى غير ذلك من العناوين والموضوعات التفصيلية المندرجة تحت التقويم التربوي.

---

(1) أبو إسماعيل، أكرم عبد القادر، **التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1993م، دار النفائس، عمان - الأردن، 2006م.



4- دراسة: "مقبل" (2015م)[1]:

وكان عنوانها: "التقويم التربوي من منظور إسلامي". وهدفت الدراسة إلى تعرف التقويم التربوي من منظور إسلامي، من خلال بيان نماذج تطبيقية لعملية التقويم في القرآن الكريم وفي السُنّة النبويّة وفي عهد الصحابة ﷺ، وصياغة معايير للمُقَوِّم من المنظور الإسلامية. وإبراز جملة من الأساليب العملية للتقويم. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي. وكان من نتائجها بيان أن: التقويم التربوي في منظوره الإسلامي مبنيٌّ على أسس علمية دقيقة، ويتسم بالشمول والاستمرارية، وأن ممارسة عملية التقويم في المجتمع الإسلامي مسؤولية مشتركة، وأنه عملية شاملة لحياة الإنسان ونشاطه وبيئته. واستنبطت الدراسة سبعةَ معايير أساسية من النصوص القرآنية والنبويّة ينبغي أن يراعيها كل من تصدر لعملية التقويم، منها: تنوع أساليب التقويم وتعددها تبعًا لتنوع القضايا والمشكلات، وقد توصل البحث إلى أحد عشر أسلوبًا مستنبطًا من الآيات والأحاديث. وعرضت الدراسة نماذج تطبيقية للتقويم مستنبطة من القرآن والسُنّة ومن حياة الصحابة ﷺ.

التعقيب على الدراسة: كانت "دراسة مقبل" بحثًا علميًّا مقدمًا لمجلة محكمة، وكان مجتمع البحث فيها واسعًا، شمل القرآن الكريم والسُنّة . وحياة الصحابة ﷺ، ولم يكن من أهدافها استيعابُ أطراف موضوع التقويم التربوي، لذا ركَّزت على إبراز خصائص التقويم التربوي من منظور إسلامي، ومعايير المقوِّم، وجملة من أساليب التقويم التربوي ونماذج من تطبيقاتها. في حين أن الدراسة الحالية توسعت في عناوين وموضوعات أخرى تندرج تحت التقويم التربوي مما لم تستوعبها دراسة "مقبل"؛ كاستراتيجيات التقويم التربوي وأنواعه ومجالاته.

---

(1) مقبل، أحمد إسماعيل، **التقويم التربوي من منظور إسلامي**، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية، مجلد (2)، العدد (1)، 2015م، (9 – 64).



المطلب الثاني

دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها السُنّة النبويّة

1- دراسة: "أبو دف" (2006م)[1]:

وكان عنوانها: "منهج الرسول ﷺ في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر". وهدفت دراسة "أبو دف" للكشف عن المنهج النّبويّ في تقويم سلوكات الأفراد عبر تتبع الأحاديث النبويّة المرتبطة بالموضوع. واتبع الباحث المنهج الوصفيَّ واستخدم أسلوب تحليل المحتوى كأداة للدراسة. وكانت أبرز نتائج الدراسة استخلاص مجموعة من السمات العامة للمنهج النّبويّ في تقويم السلوك، ومنها: التنوع والشمول والمعيارية ومراعاة الفروق الفردية والرفق واللين في التعامل، واستخدام المقارنة والحوار وإدراج البدائل الصحيحة للأنماط السلوكية الخاطئة، إلى جانب استثمار العاطفة وإثارتها في توجيه الأفراد نحو السلوكات الصحيحة التي ترضي الله ﷻ واستعمال طرق العقاب المعنوي بأساليب تصاعدية متدرجة تبعًا للموقف أو القضية.

التعقيب على الدراسة: كانت دراسة "أبو دف" بحثًا علميًّا مقدمًا في مؤتمر، وكان مجتمع البحث فيه كتب السُنّة النبويّة، واستخدم فيه منهج تحليل المحتوى، وتم التركيز فيه على تقويم السلوك والأساليب المتبعة لأجل ذلك، وعرض البحث جملة من خصائص المنهج النّبويّ في تقويم السلوك دون التعرض لتقويم باقي عناصر المنهج أو باقي أطراف العملية التربوية. في حين أن الدراسة الحالية فصلَّت في عناوين وموضوعات أخرى مندرجة تحت التقويم التربوي لم تستهدفها دراسة "أبو دف" المباركة؛ كمجالات التقويم التربوي ووظائفه وضوابطه واستراتيجياته وأنواعه.

---

(1) أبو دف: محمود خليل، **منهج الرسول ﷺ في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر**، بحث لمؤتمر تطوير برامج كليات التربية، جامعة الزقازيق، مصر، 2006م.



2- دراسة: "كتبي" (2007م)[1]:

وكان عنوانها: "المنهج التربوي النّبويّ في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبويّة لابن هشام".

وهدفت الدراسة إلى: التعرف على أهمية السيرة النبويّة في التربية ومكانة سيرة ابن هشام في ذلك، وإبراز خصائص المجتمع المدني قبل الهجرة وبعدها، واستخراج مجموعة من المناهج التربوية في كيفية معالجة النبيّ ﷺ لمواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني، والتطبيقات التربوية والسلوكية المستفادة.

واستخدم الباحث المنهجين التاريخي والوصفي. وكان من أهم نتائجها استخراج ثمانية مناهج -كما سمَّاها الباحث- لمعالجة الأخطاء ثم شرحها وذكر شواهد وتطبيقات لها.

التعقيب على الدراسة: يكفي أن نشير إلى المحددات التي كانت في دراسة "كتبي"، فقد حصرت اهتمامها وحدودها في مجتمع المدينة المنورة، ولم تستهدف الفترة المكية على أهميتها. وجعلت مصدرها من كتاب سيرة ابن هشام حصرًا. كما أنها ركّزت عنايتها على استنباط مجموعة من الطرق والأساليب النبويّة في معالجة أخطاء أفراد الناس في العهد النّبويّ المدني.

في حين أن الدراسة الحالية توسعت في حدودها لتشمل الفترتين المكية والمدنية من حياة النبيّ ﷺ كما أنها لم تكتف بطرق معالجة أخطاء الأفراد، بل توسعت لوصف حالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وما يندرج تحت ذلك من عناوين؛ كخصائص التقويم التربوي ومبادئه ومجالاته ووظائفه وضوابطه واستراتيجياته وأنواعه.

---

(1) كتبي: أحمد إسماعيل، **المنهج التربوي النّبويّ في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبويّة**، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، كتاب شهري محكم، إدارة الدعوة والتعليم، رابطة العالم الإسلامي، السنة الثالثة، العدد (222)، 2007م.



3- دراسة: "الشطي" (2010م)[1]:

وكان عنوانها: "المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء". وهدفت الدراسة إلى تعرّف المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء وجوانبه النظرية والعملية والفنون والمهارات والأصول التي على المربي مراعاتها قبل المباشرة بالتقويم التربوي للآخرين. وقد استخدم فيها الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وكان من نتائجها عرض نماذج عملية من المنهج النّبويّ في التقويم التربوي، واستخلاص خمسة وأربعين أصلًا من الأصول التربوية المستنبطة من المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء، والاستدلال عليها من السُنّة النبويّة والقرآن الكريم، ونذكر منها: استخدام أسلوب تكرار العبارة لاستثارة المشاعر نحو الخطأ، وأسلوب التوبيخ والتقريع، وأسلوب الدعاء على المتكبر والمعاند، وأسلوب التأني في معالجة الأمور، وأسلوب الرفق واللين في تعليم الجاهلين، وأسلوب التوجيه الحسن والكلمة الطيبة مع بيان الفعل الصحيح. وخلص الباحث إلى أن أمثل الأساليب وأفضل الطرق لتصحيح الأخطاء وتقويمها هو ما كان مأخوذًا من سُنّة المصطفى ﷺ كونه خير قدوة للناس جميعًا.

التعقيب على الدراسة: كان مجتمع البحث في دراسة "الشطي" المباركة السُنّة النبويّة، وقد ركّزت على مفهوم الخطأ وأنواعه، واستنباط ملامح المنهج النّبويّ في التصدّي للأخطاء، وركّزت الدراسة نتاجها في خمسة وأربعين أصلًا تربويًا تم شرحها والاستدلال عليها من خلال مواقف وتطبيقات في السُنّة النبويّة، وحرص "الشطي" على تضمينها توصيات عملية للدعاة والمربين والمعلمين مستندة إلى المواقف والأحاديث.

في حين أن الدراسة الحالية فصلّت في عناوين وموضوعات أخرى في التقويم التربوي لم تستهدفها "دراسة الشطي" - على فضلها - مثل استراتيجيات التقويم التربوي وأنواعه ومجالاته وخصائصه.

(1) الشطي، محمد يوسف، **المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، 2010م. المكتبة العامرة، ط1، الكويت، 1430هـ - 2009م.



المبحث الثاني

التقويم التربوي في التربية المعاصرة والمفاهيم المرتبطة

نتناول في هذا المبحث العناوين الآتية ونفصلها في خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العملية التربوية ومنهجها وتأصيلها.

المطلب الثاني: مصطلح التقويم التربوي والمفاهيم المرتبطة.

المطلب الثالث: مجالاته التقويم التربوي في التربية المعاصرة وأغراضه.

المطلب الرابع: خطوات التقويم التربوي في التربية المعاصرة.

المطلب الخامس: أنواع التقويم التربوي في التربية المعاصرة.



المطلب الأول

مفهوم العملية التربوية ومنهجها وتأصيلها

في هذا المطلب نوضِّحُ ثلاثة من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة، وهي:

* العملية التربوية، * المنهج التربوي، * التأصيل التربوي، على التفصيل الآتي:

1. العملية التربوية

يدل مفهوم "العملية" على التغير مع الزمن، أو يدل على تاريخ النشاط البشري في بناء ناحية معينة[1]. وعُرّفت مفردة "العملية" بأنها: سلسلة من الأنشطة والخطوات التي تحوّل المدخلات إلى مخرجات، وهذه السلسلة تضيف قيمة للمدخلات بإجراء التعديلات الضرورية عليها لتنتج شيئًا جديدًا ذا قيمة[2].

وإذا كانت هذه "العملية" تتم في إطار التربية، فإنه يمكن تعريفها بأنها:

سلسلة من الأنشطة والخطوات المتتابعة في إطار إحداث التغيير المرغوب عند المستهدفين بإكسابهم المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات وبناء السلوكات؛ وفقًا لمعايير وأهداف تربوية معينة.

العملية التربوية والعملية التعليمية

العملية التربوية أعمّ وأوسع من العملية التعليمية؛ فالتربية تشمل التعليم والتزكية، وتعتني أكثر ببناء القيم والسلوك والاتجاهات وصناعة الدوافع. كما أن التربية تتعامل مع الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته وتسعى لإحداث التغيرات والتطورات والتوجيهات المرغوبة في سلوك المرء لتشكّل أسلوب حياته ونمط تفكيره المؤثرة في علاقاته وتصرفاته. وهي تتسع لتشمل تأثير كل وسط يتحرك فيه الإنسان وكل بيئة يعيش فيها كالأسرة والمساجد والأندية وكذلك تأثير أجهزة الإعلام من قنوات تلفزة ومطبوعات الكتب

(1) خضر، عبد العليم عبد الرحمن، **المسلمون وكتابه التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي**، سلسلة المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ- 1995م، (ص: 36).

(2) إبراهيم، السعيد مبروك، **إدارة المكتبات الجامعية**، المجموعة العربية للنشر والتوزيع، 2012م، ط 1، القاهرة، (ص: 276).



والصحف والمجلات ووسائل الاتصال بأنواعها، فكل ما يحيط بالفرد يسهم في عملية التربية ويؤثر في جوانب شخصية الإنسان العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية والخُلُقية والروحية والعاطفية[1].

بينما يركّز التعليم - عمومًا- على تلقين المعلومات وإكساب المهارات، وغالبًا ما تبدأ عمليات التعليم من سِن يسمح بتعلم القراءة والكتابة في محاضن تؤسس خصيصًا لأجل التعليم كالمدارس والمعاهد والجامعات ومراكز التدريب ونحوها.

عناصر العملية التربوية

ويمكن ملاحظة أن عناصر العملية التربوية هي:

- المربّي: وهو الذي سينفذ عملية التربية ويديرها، وقد يكون معلِمًا أو والدًا أو قرينًا ونحوه.
- المتربي: وهو المستهدف بالتربية سواء أكان ابنًا أو تلميذًا أو طالب تزكية أو كان قرينًا من الأقران ونحوه.
- محتوى المنهج التربوي: وقد يكون في صورة مقرر أو كتاب ويتضمن الأهداف التربوية والأفكار والمفاهيم والمعارف ونحوها، ويحتوي سلسلة الأنشطة والتمارين والخطوات المتتابعة التي يسير وفقها المربي ويهتدي بها المتربي.
- الطرق والأساليب والأدوات المستخدمة في تنفيذ عملية التربية والتي تنسجم وتتوافق مع محتوى المنهج التربوي وتحقق أهدافه وتتناسب مع طبيعة المستهدف ومرحلته.
- البيئة: وهي الحاضنة التربوية كالأسرة والمسجد والمدرسة والنادي ونحوها، وهي تحوي أيضا جملة المؤثرات من وسائل وأدوات وإمكانات يستعان بها لتنفيذ العملية التربوية وتسهيلها.
- التقويم: ومن خلاله تتم متابعة التنفيذ وفحص مناسبة المحتوى وتحقق الأهداف ووزن الإجراءات وقياس النتائج والأثر، والحكم على باقي العناصر والتعامل معها بالمعالجة المناسبة.

---

(1) انظر: المبروك، فرج عمر، **مدير المدرسة والادارة المدرسية**، دار حميثرا للنشر والترجمة، القاهرة، مصر، 2017م، (ص: 32). https://2u.pw/iGhUgz



2. المنهج التربوي

أصل مفردة المنهج من: النَّهْج، وهو الطريق. وَنَهَجَ لي الأمر: أوضَحَه. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيق أيضًا، والجمع: مَنَاهِج[1]. ويعتبر المنهج أساسًا في أي عملية تربوية أو برنامج تربوي. وثمة مفهوم تقليدي له يحصره في المقررات الدراسية التي تركز جلّ عنايتها على الناحية المعرفية في العملية التربوية.

وفي عصرنا يجري تداول مفهوم أوسع للمنهج يستوعب إلى جانب المقرر الدراسي الخبرات والفعاليات والمهارات ويتضمن كل ما من شأنه أن يؤثر في حياة المتعلم عبر توجيهات المؤسسة التعليمية والممتدة خارجها؛ إضافة إلى الاهتمام الواسع بالنواحي المعرفية والمهارية والوجدانية. وعليه وبواسطة المنهج بمفهومه الواسع سيكتسب المتعلم سلوكًا جديدًا، أو يعدّل سلوكه الحالي أو يثبته أو يزيله[2].

ويُعرّف المنهج التربوي بأنه: "منظومة الخبرات التربوية التي تهيئها المؤسسة التربوية لتلاميذها لمساعدتهم على النمو الشامل المتكامل المتوازن؛ إيمانيًا وخلقيًا وجسميًا وعقليًا ونفسيًا وجنسيًا واجتماعيًا"[3]. وعرّف "مدكور" منهج التربية في التصور الإسلامي بأنه: "نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة، ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ويهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة كماله التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها، وفق منهج الله تعالى"[4].

ولنا أن نؤكد أن المنهج التربوي في السُنّة النبويّة منهج لا تنسحب عليه صفات المنهج التقليدي المحصور في مقررات الدراسية؛ بل هو منهج ذو مفهوم واسع ومتكامل العناصر؛ له أهدافه ومحتواه الذي يشمل إلى جانب القرآن الكريم المسطور كل تفصيلات السُنّة النبويّة بما فيهما من مفاهيم وقيم ومعتقدات ومنهجيات، وهو يطبق من خلال العديد من الاستراتيجيات التربوية بما تتضمنه من

---

(1) ابن فارس: أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (5/ 361).

(2) انظر: بحري، منى يونس، **المنهج التربوي (أسسه وتحليله)**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط 1، 1433هـ - 2012م، عمان- الأردن، (ص: 17).

(3) موسى، فؤاد محمد، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي**، مكتبة زهرة المدائن، (د. ط)، (د. ت)، (ص: 6). وانظر: ملكاوي، فتحي حسن، **بحوث المؤتمر التربوي**، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان- الأردن، 1411هـ- 1990م، (ج: 2)، (ص: 60).

(4) مدكور، **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها**، (ص: 61).



طرق وأساليب ووسائل وأدوات، وما يرافقها من مناشط وتكليفات تعليمية وتربوية وتقويمية تتجاوز حيز المؤسسة التعليمية لتشمل نواحي الحياة المختلفة وبيئاتها، ولا تترك جانبًا من جوانب الشخصية إلا وتسعى لإحداث التغيير المرغوب فيه.

ويجدر التنويه إلى عناصر أي منهج تربوي أربعة - كما اشتهر في كتب التربية المعاصرة- وهي: أهداف المنهج، ومحتواه، والطرق والوسائل والأساليب، والتقويم. وإن هذه العناصر يؤثر بعضها في بعض وبينها علاقات تنظيمية تجعلها في تفاعل مستمر وتداخل وتكامل[1].

3. التأصيل التربوي

"الأصل" في اللغة هو: أسفل كل شيء[2]. وأصّلَ الشيء: أي جَعَل له أصلًا ثابتًا يُبنى عليه[3]. وعُرّف التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: بأنه "تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها في الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة الإسلامية ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية"[4].

وقد عبّر إسماعيل الفاروقي ﷺ عن "التأصيل" باستخدامه مصطلح "أسلمة المعرفة"، فقال إنها عملية: "إعادة صياغة المعرفة على أساس علاقة الإسلام بها، يعني أسلمتها، أي إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها، وأن يُقوَّم من جديد ما انتهى إليه من استنتاجات وأن يعاد تحديد الأهداف، على أن يتم كل ذلك بحيث يجعل تلك العلوم تثري التصور الإسلامي وتخدم قضية الإسلام[5].

---

(1) انظر: موسى: **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي**، (ص: 9).

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، (11/ 16).

(3) مختار، أحمد، وفريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب**، ط 1، 1429هـ - 2008م، (1/ 99).

(4) الميمات، بدرية صالح. والسالوس، منى علي، **النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور**، المدينة المنورة، السعودية، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، ط 1، 1435هـ- 2014م، (ص: 265).

(5) الفاروقي، إسماعيل راجي، **أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل**، ترجمة: عبد الوارث سعيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1404هـ - 1984م، (ص: 50).



وعرّف عماد الدين خليل "التأصيل"، بأنه: "ممارسة النشاط المعرفي كشفًا وتجميعًا وتركيبًا وتوصيلًا ونشرًا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"(1).

أما إبراهيم رجب، فقد عرّف التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بأنه: "عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد بوصفهما مصدرين للمعرفة"(2).

ويقول محمد قطب في توضيحه لمفهوم التأصيل للعلوم التربوية: "إن مهمة المشتغلين بالتأصيل الإسلامي في مجال التربية هي إعادة اكتشاف المنهج، وتفصيل الحديث في جوانبه المتعددة، وفي شموله وتوازنه، مع محاولة إجراء التجارب العملية التي تُوصِل إلى تحويل المنهج من نظريات إلى واقع قابل للتطبيق"(3).

وتندرج عملية التأصيل تحت مشروعات تحديث أدوات قراءة التراث بمعنى الانطلاق من المناهج الأصيلة للتصور الإسلامي، ثم تطويره وتجديده من الداخل بحسب أدواته الذاتية، والاستعانة بما يخدمه من أدوات أخرى؛ ويمكن توصيفها بأنها جزء من منهج التجديد، وأنها مشروعات قائمة على جهود علماء مسلمين مُجدّدين، يرومون أفقاً يرتقي ويحمل جذور الاستئناف العلمي الإسلامي المطلوب(4).

وسوف تعتني الدراسة الحالية بتأصيل "التقويم التربوي" بعون الله تعالى، من خلال: استقراء النصوص المرتبطة ووصف المواقف وتحليلها والوقوف على شواهدها ودلالاتها واستنباط أدبيات التقويم التربوي من السُنّة النبويّة بحيث تكون منبثقة عنها وغير مخالفة لها.

---

(1) خليل، عماد الدين، **المدخل إلى إسلامية المعرفة**، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1427هـ- 2006م، (ص: 9).

(2) رجب، إبراهيم عبد الرحمن، **التأصيل الإسلامي للعلوم المفهوم والمنهج**، بحث في المؤتمر الثالث للتأصيل الإسلامي، الإسكندرية، في المدة من 9-11ربيع أول 1416هـ الموافق 5-7 أغسطس 1995، (ص: 15). https://doi.org/10.35632/citj.v1i3.2183

(3) قطب، محمد إبراهيم، **حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1418هـ- 1998م، (ص: 179).

(4) انظر: سرميني، محمد أنس، **منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة**، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر- مكتب الأردن، المجلد (26)، العدد (101)، 1442هـ- 2001م، الصفحات (101-142)، (ص: 134). https://doi.org/10.35632/citj.v26i101.5469



المطلب الثاني

مصطلح التقويم التربوي والمفاهيم المرتبطة

في هذا المطلب نقف على دلالة جملة من المفاهيم التربوية المرتبطة بموضوع الدراسة، على التفصيل الآتي:

1. التربية:

ترجع مفردة التربية إلى أصلها اللغوي من الفعل (رَبَّ)، وعند ابن فارس: أن الرَّاء وَالْبَاء، تدلان على أصول ثلاثة:

الأصل الأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. يقال رَبَّ فُلَانٌ ضَيْعَتَهُ، إِذَا قَامَ عَلَى إِصْلَاحِهَا. وَرَبَبْتُ الصَّبِيَّ أَرُبُّهُ، وَرَبَّبْتُهُ أُرَبِّبُهُ.

والأصل الآخر: لُزُومُ الشَّيْءِ وَالْإِقَامَةُ عَلَيْهِ، يُقَالُ أَرَبَّتِ السَّحَابَةُ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ، إِذَا دَامَتْ.

والأصل الثالث: ضَمُّ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، يُقَالُ لِلْخِرْقَةِ الَّتِي يُجْعَلُ فِيهَا الْقِدَاحُ رِبَابَة(1).

ويُعرِّف القاضي عِياض التربية، بأنها: القيام على الشَّيْء والإصلاح والمعاهدة لَهُ، يُقَال ربَّهُ وربَّاهُ وربَّبه ببائين، وربَّته بِالتَّاءِ كُله بِمَعْنى حضنه وَقَامَ عَلَيْهِ(2).

وعرَّف الأصفهاني التربية بأنها: إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام؛ يقال: رَبَّهُ، وربَّاه ورَبَّبَهُ(3).

وعند البيضاويِّ في تفسيره، أنَّ التربية هي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا(4).

---

(1) ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (2/ 381).

(2) القاضي عِياض، عياض بن موسى، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، الطبعة القديمة، 1333 هـ، (1/ 280).

(3) الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 1، 1412 هـ، (ص: 336).

(4) البيضاوي، عبد الله بن عمر، **تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1418هـ، (1/ 28).



مما سبق يلاحظ أن المعنى اللغوي لمفردة التربية يجمع معاني مؤثرة في صياغة التعريف الاصطلاحي للتربية، وهذه المعاني تشمل:

- القيام على الشيء ولزومه.
- الإصلاح والمعاهدة والمتابعة.
- التدرج بالبناء والتنشئة شيئًا فشيئًا ومن حال إلى حال.
- ضمَّ الشيء إلى الشيء.
- الاستمرارية في التنشئة والدوام عليها حتى بلوغ التمام والكمال.

وعرّف "دراز" التربية اصطلاحًا، بأنها: "تعهُّد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية، والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهِله له طبيعته"[1]. وهذا التعريف ينسحب على تربية الإنسان وتربية غيره من الكائنات الحية التي يتعهدها المرء كالأنعام والخيل ونحوه.

وعرّف "الحجاوي والهياجنة" التربية اصطلاحًا، بأنها: "عملية التكيف والتفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها. وعملية التكيف والتفاعل هذه تعني تكيف مع البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية ومظاهرها، وهي عملية طويلة الأمد، ولا نهاية لها إلا بانتهاء الحياة"[2]. وهذا التعريف ركّز على التكيف والتفاعل بين الإنسان وبيئته، دون أن يشير إلى دور المربي وما يقوم به من رعاية وتنشئة وإصلاح ونحوه.

ويمكن أن نصوغ تعريفًا اصطلاحيًا "للتربية" من وحي المعاني والتعريفات السابقة، بأنها:

بناء ورعاية للشخصية الإنسانية من كافة جوانبها، عبر كل مراحل حياتها، والارتقاء بها من حال إلى حال، وتعهدها بالتعليم والتزكية والإصلاح.

---

(1) دراز، محمد عبد الله، **مبادئ علم الاخلاق**، وندسور- بريطانيا، مؤسسة هنداوي، (د.ط)،2021م، (ص:39).

(2) حجازي، عبد الحكيم ياسين، **الهياجنة، وائل سليم، مفاهيم أساسية في التربية**، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط 1، 1436هـ - 2006م، (ص: 17).



2. التربية الإسلامية:

فصّل "دراز" في الجوانب[1] والمسارات التي تعمل فيها التربية - عمومًا -، فذكر أنها معنية بالمجالات العشرة الآتية:

أ. تنمية لجسم الإنسان وحفظًا لصحته، وهذه هي التربية البدنية.

ب. وتقويمًا للسانه وإصلاحًا لبيانه، وهي التربية الأدبية.

ت. وتثقيفًا لعقله وتسديدًا لتفكيره وأحكامه، وهي التربية العقلية.

ث. وتزويدًا له بالمعلومات الصحيحة النافعة، وهي التربية العلمية.

ج. وترويضًا وتدريبًا له على وسائل الكسب لعيشه، وهي التربية المهنية.

ح. وإيقاظًا لشعوره بجمال الكون، ومعاونة له على التعبير عن هذا الشعور وهي، التربية الفنية.

خ. وتعريفًا له بحقوق المجتمع الذي يعيش فيه، وبما فيه من نظم وقوانين، وهي التربية الاجتماعية والوطنية.

د. وتوسيعا لأفق شعوره بالأخوة العالمية، وهي التربية الإنسانية.

ذ. وتوجيهًا مستمرًا لأعماله على سُنَن الاستقامة والتي تتكون منها العادات الصالحة والأخلاق الحميدة الراسخة، وهي التربية الخُلُقية.

ر. ثم تساميًا بروحه إلى الأفق الأعلى بإطلاق وهي التربية الدينية.

فهذه الجوانب العشر بتفصيلاتها هي بعض مسارات المحتوى الذي يمكن أن تعتني بها أي تربية، ويبقى هل يهتم بها جميعها بنفس الدرجة أو يقدم بعضها ويؤخر الآخر؛ فهذا مرتبط بعوامل كالدين وثقافة المجتمع وعاداته والبيئة وظروفها والمرحلة العمرية وحاجة المتعلم الآنية والمستقبلية.

ومما يميز التربية عندنا كمسلمين أنها تستند وتنصبغ بصبغة الوحي والأخلاق، لذا فهي تسمى بالتربية الإسلامية، باعتبار أن الوحي مرجعيتها ومنه تستلهم غايتها ومحتواها كما أنها تنضبط بحدوده الأخلاقية ومعاييره الشرعية.

---

(1) دراز، محمد عبد الله، **مبادئ علم الاخلاق**، (ص: 39).

ورغم أن التربية الدينية والخُلُقية إحدى مجالات التربية الإسلامية، إلا إنها ليست منعزلة أو منفصلة عن باقي مجالاتها، بل هي متداخلة معها جميعها، ومؤثرة فيها، وضابطة لمسارها؛ كما يبين ذلك دراز، فيقول: "إن سلطان الأخلاق منبسط على وجوه النشاط الإنساني كلها، لا يشذّ عنه عمل تربوي ولا غير تربوي، ولا يتفاوت في حكمه نشاط بدني أو عقلي أو فني أو أدبي أو روحي، فالفنان الذي يجافي بفنّه قانون الحشمة واللياقة ويهتك به ستر الحياء والعفاف يتصدى لمقت الضمير الحي وإن لم تؤاخذه قواعد الفن. والمعلم الذي يختار مادة تدريبه العقلي واللغوي للناشئين من أحاديث الرفث والإثم، يُسيء من حيث يحسب أنه يُحسن.. وهكذا سائر أنواع التربية وشُعبها؛ فإنها وإن اتخذت لها أهدافًا أخرى اشتقت لنفسها منها أسماء معينة، إلا أنها يجب أن تخضع في وسائلها وأساليبها وبواعثها لقواعد الآداب وأن تقيس ذلك كله بمقاييس الفضيلة"[(1)].

وضمن هذا الفهم الشمولي للتربية الإسلامية، جاءت تعريفات الباحثين لتعبر عن دلالتها، فعرفّها "الخطاطبة" بأنها: "منظومة المفاهيم النظرية والتطبيقات العملية المبنية على أصول الإسلام، في تعليم وتزكية وإصلاح الأمة المسلمة أفرادًا وجماعات، بشكل مستمر، ومتكامل، وبكل الوسائل المشروعة، بقصد تحقيق العبودية لله ﷻ في الدنيا، والفوز برضوانه في الآخرة"[(2)]. مع ملاحظة أن مقصد تحقيق "العبودية لله ﷻ" الوارد في تعريف الخطاطبة يتسع بمفهومه العام ليشمل محيا الإنسان كله وما فيه من عمارة الأرض وخلافة الله ﷻ فيها، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [سورة الأنعام: 162، 163].

وقدّمت "ريم عبد الرزاق" تعريفًا موفقًا للتربية الإسلامية، فقالت بأنها "عملية توظيف المدخلات التربوية المتمثلة بالأمر الإلهي وما وافقه من اجتهادات بشريه في المعالجة الناجعة بشقيها التعليمي والتزكوي الموجّهة للنفس الإنسانية عبر مراحل نموها المختلفة بغيه استواء المخرج السلوكي والمجتمعي[(3)].

---

(1) انظر المرجع السابق.

(2) خطاطبة، عدنان مصطفى، **أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها**، عمان - الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 1، 1440هـ - 2019م، (ص: 40).

(3) عبد الرزاق: ريم عبد الرزاق، **النمو المعرفي في التربية الإسلامية وتطبيقاته التربوية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعه اليرموك، 2019م، (ص: 26).



وعرّف "أنور الجندي" التربية الإسلامية، بأنها: "الإعداد الروحي والنفسي للفرد بحيث يكون مؤهلا لتلقي التعليم والثقافة على نحو موجّه، فيأخذ ما هو أساسي وبنّاء وما يمدّه بالقدرة على أداء رسالته في الحياة والمجتمع - هذه الرسالة الجامعة بين هدفي الدنيا والآخرة - من حيث البناء والعمل والسعي الى آفاق التقدم، دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخُلُقية أو المسؤولية الفردية"[1].

ويمكن للدراسة الحالية أن تصوغ تعريفًا اصطلاحيًا للتربية الإسلامية متضمنًا ركائز التعاريف السابقة، بأنها:

البناء المستمر للإنسان من كل جوانب شخصيته، المستند إلى الأدلة الشرعية الكلية والتفصيلية، بُغية صلاح الفرد والجماعة في الدنيا وفلاحهم في الآخرة، وتحقيقًا لعبودية الله ﷻ والاستخلاف في الأرض.

فالتربية الإسلامية هي التي تُحوّل الإطار النظرية في محتوى المنهج الإسلامي وأهدافه إلى سلوك وتطبيق عملي في واقع الحياة، من خلال عملية بناء منهجية مستمرة ومتدرجة ومهدّفة وإيجابية وموجّهة للإنسان المُسلم، فهي تعتني بتنمية شخصيته المتكاملة من جوانبها الجسدية أو الروحية أو العقلية أو الاجتماعية، وتتعهدها بالإصلاح والتطوير عبر كل مراحل حياتها، مستندة في ذلك إلى:

الأدلة الشرعية الكلّية؛ سواء أكانت أدلة شرعية أصلية كالكتاب والسُنّة، أو كانت أدلة شرعية تبعية كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب والعرف.

الأدلة الشرعية التفصيلية كنصوص الكتاب والسُنّة وجزئيات الأدلة الشرعية الأخرى.

وهذا الاستناد في المرجعية إلى الأدلة الشرعية والأخلاق والقيم الإسلامية يمتد أثره إلى كل مجالات التربية وأنواعها؛ ويضبط أداء كل أطراف العملية التربوية.

---

(1) الجندي، أنور، **التربية وبناء الأجيال في الإسلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1975، ط1، (ص: 153).

3. القِياس:

القِياس في اللغة من القَيْسِ وهو مصدر قِسْتُ. والقَيسُ بمنزلة القَدْر. تقول: عُودٌ قَيسُ إِصْبَع أي قدر إِصْبَع. وتقول: قِس هذا بذاك قِياسًا وقَيسًا. والمِقياس: المقدار(1).

وقاسَ الشَّيْءَ إذا قدَّره. تقول: قِسْته وقُسْته أَقُوسُه قَوْسًا وقِياسًا. والْقَائِسِ هو الذي يقيس. والمِقْياس: ما قِيسَ به(2).

والقياس في الاصطلاح: "عملية منظَّمة يتم من خلالها تحديد مقدار أو كمية ما هو موجود في الشيء أو الشخص من السمة أو الخاصية التي يراد قياسها"(3). وهذا تعريف دقيق ويعبر عن مفهوم القياس عمومًا، وهو مناسب لاستخدامه في هذه الدراسة الحالية. ومن دلالة هذا التعريف أن القياس عملية تستخدم أدوات قياس أو اجراءات مناسبة يُتحصّل من خلالها على قراءات كمية أو رقمية ضمن خطة منهجية لجمع البيانات اللازمة حول الأشياء أو الأشخاص أو المواقف، لتكون مقدمة ضرورية تعين على التقييم وإصدار الحكم والنتيجة.

ومتصور أن تختلف أدوات القياس المستخدمة لتناسب طبيعة الأمر أو الشيء المراد قياسه. ففي المجال الطبي مثلًا تستخدم أدوات قياس مناسبة لفحص البصر، وهي تختلف عن أدوات فحص السمع وقياس الضغط ونحوه. وفي المجال التربوي ثمة أدوات قياس عديدة، وتعتبر الاختبارات الشفوية والملاحظة والمقابلة من أبرز الأدوات الصالحة لقياس جوانب السلوك البشري، أو الميول والاتجاهات، أو القدرات والمهارات.

ومن الجدير بالذكر أن "القياس" عملية تنتهي حال قراءة ما تظهره أدوات الوزن والتشخيص والفحص والملاحظة من نتائج رقمية أو كمية والتي تظهرها الأدوات المستخدمة؛ فالقياس بأدواته المناسبة يتقدم بإجراءاته التشخيصية، والتي تسبق عمليتي التقييم والتقويم وتعتبر أساسًا لازمًا لهما(4).

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت)، (5/ 189).

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط 3، 1414 هـ، (6/ 187).

(3) انظر: موسى، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي**، (ص: 166).

(4) انظر: حمود، رفيقة سليم، **التقويم والقياس التربوي**، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، 2023م، (د.ط)، (ص: 19).



4. التقييم:

يرجع أصل مفردة "التقييم" إلى الجذر: (ق ي م)، والفعل منه (قَيَّمَ) بمعنى قدَّر، وهذا لم يَرِد في المعاجم القديمة(1).

وحسب مجمع اللغة العربية المعاصرة فإن: (قيَّمَ يُقيِّم تقييمًا، فهو مُقَيِّم، والمفعول مُقَيَّم)؛ بمعنى قدَّر قِيمَة الشَّيْء. وتقول: قيَّم العملَ. أي قدَّر قيمته وما الجهد المبذول فيه. وقيَّم السِّلعةَ: حدَّد ثمنها. وقيَّم وضْعًا: استعرض نتائجَه وما حقَّقَهُ من تقدُّم ثم قرَّر قيمةَ تلك النتائج(2).

ويُعرَّف "التقييم" في الاصطلاح بأنه: "الإجراءات التي تهدف إلى تقدير ما يبذل من جهود لتحقيق أهداف معينة في ضوء ما أتفق عليه من معايير وما وضع من تخطيط مسبق والحكم على مدى فاعلية وكفاءة هذه الجهود وما يصادفها من عقبات وصعوبات في التنفيذ بقصد تحسين الأداء(3). وعرِّف أيضًا بأنه: "نشاط إداري يقيس بدقة مدى تحقيق الأهداف والغايات المطلوبة... ويتمحور حول متابعة عملية التنفيذ، ورصد الأخطاء فيها، وتقديم تقرير بذلك لاتخاذ القرار المناسب بشأنها"(4).

وتُعرِّف الدراسة الحالية التقييم بأنه: "عملية منهجية دقيقة تُقَدَّر من خلالها الأحكام المتعلقة بنتائج القياس". ويدل التعريف بأن "القياس" بأدواته أساس ومقدمة لازمة للتقييم، ومن ثم وبناء على القراءات الواردة من القياس - بالملاحظة والتشخيصات الرقمية أو الوصفية - يصدر القرار المناسب والنتيجة وهو ما يعبّر عنه بالتقييم. كحال الطبيب حين يفعّل أسئلته وملاحظته أو يستخدم أجهزة طبية خاصة لفحص درجة الحرارة أو قياس مستوى ضغط الدم ونحوها من التحاليل المخبرية، ومن ثم بخبرته يدرك مغزى هذه القراءات ويتوصل إلى "تقييم" حولها، فيعطي نتيجة أو وصفًا حول وضع الحالة ويحكم عليها. وبذلك يأخذ "التقييم" مكانته قبل المباشرة في وصف المعالجة وإجراءاتها - عمومًا -.

---

(1) مختار، أحمد عمر **وآخرون، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، القاهرة - الأردن، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ - 2008م، مادة رقم 1660، (1/ 251).

(2) مختار، أحمد، **وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة**، (3/ 1886).

(3) أبو النصر، مدحت، وياسمين مدحت، **أبعاد وأطراف وفلسفة ومبادئ التنمية المستدامة**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة- مصر، 2017م، (ص: 117).

(4) عبد الغفار: **هشام، الفرق بين التقويم والتقييم**، على شبكة الإنترنت 2021/11/23م.
7232/https: //rs. ksu. edu. sa/issue-1206



5. التقويم:

التَّقْويم في اللغة على ضربين: الأول: يتضمن معاني التعديل والتسوية والتصحيح وإزالة الاعوجاج والاستقامة. وهو يأتي من الجذر: (ق و م)، تقوَّمَ يتقوَّم، تقوُّمًا، فهو مُتقوِّم. وتقوَّم العودُ: اعتدل وزال عَوجُه واستوى[1]. وقَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه، فَهُوَ قَوِيمٌ ومُسْتَقِيمٌ. يُقَال: رُمْحٌ قَوِيمٌ، وقَوَامٌ قَوِيمٌ، أَي: مُسْتَقِيمٌ[2].

والمعنى الثاني للتقويم: هو التقدير، مثل قولك: قوَّمت المتاع؛ أي جعلت له قيمة معلومة[3]. تقول: قَوَّمْتُ السِّلْعَةَ تَقْوِيمًا، أي ثمنتُها وقدَّرت قيمتها[4]. وعند ابن فارس: قَوَّمْتُ الشَّيْءَ تَقْوِيمًا. وَأَصْلُهُ أَنَّكَ تُقِيمُ هذا مكان ذاك. وكان أَهْل مكة يقولون: اسْتَقَمْتُ الْمَتَاعَ، أَيْ قَوَّمْتُهُ[5].

أما التعريف الاصطلاحي للتقويم، فقد عُرِّف بأنه "عملية إصدار حكم على قيمة الأشياء أو الموضوعات أو المواقف أو الأشخاص، اعتمادًا على معايير محددة"[6]. وهذا التعريف يقصر مفهوم "التقويم" على إصدار الحكم. وهو بهذا المعنى يكون مرادفًا لمفهوم التقييم. ولا يعبّر عن المعنى الشمولي لعملية التقويم.

- ونجد بعض الباحثين عند تعريفهم "التقويم" يجعلون تعريفهم من شقين: الشق الأول يشار فيه إلى "دلالة مفهوم التقييم" وما يتضمنه من عمليات القياس والتشخيص والوزن وإصدار الحكم، ويشار في الشق الثاني من تعريفهم إلى "دلالة المفهوم اللغوي للتقويم" الذي يتضمن العلاج والتعديل والتطوير ونحوه. وكلا الشقين معا يشكلان المفهوم الواسع والشامل للتقويم.

---

(1) مختار، أحمد، وفريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (3/ 1875).

(2) الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: على شيري، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1424 هـ، (17/ 594).

(3) حماد، نزيه، **معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء**، دمشق - سوريا، دار القلم، ط 1، 1429هـ - 2008م، (ص: 399).

(4) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (17/ 594).

(5) ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (2/ 381).

(6) لجنة معيار التدريس والتعلم، **استراتيجية التدريس والتعلم والتقويم**، وحدة ضمان الجودة، كلية التربية النوعية، مصر جامعة المنيا، (د. ط). (د. ت). (ص: 20). https: //2u. pw/vVwG4B



كما في دراسة الشيباني التي عرًفت التقويم بأنه: "إصدار الأحكام على الأشياء من أجل اتخاذ قرار بشأنها"(1). وكذا مثلها دراسة "الحوامدة" حيث عرّفت التقويم بأنه: "عملية منهجية تتضمن جمع معلومات عن أمر معين تستخدم في الحُكم عليه على أساس أهداف ومعايير محددة مسبقًا من أجل تطويره وتحسينه"(2).

وتعرّف الدراسة الحالية "التقويم" اصطلاحًا، بأنه: عملية تستند إلى معايير، وتتضمن إجراءات منهجية موجّهة، غرضها المعالجة بالإصلاح أو التطوير، بعد تمام القياس والتقييم.

ومن دلالة التعريف أننا إذا أردنا تقويم برنامج أو موقف أو حالة متعلم فإننا -عمومًا- سنسير ثلاث خطوات متتالية متلازمة في الأولى" القياس" بالوزن والفحص والملاحظة ونحوها.

وفي الخطوة الثانية "التقييم" بالتقدير واستصدار قرار التشخيص المناسب بناء على قراءات القياس، فتعطى الحالة حكمها المناسب أو وصفها أو القرار بشأنها.

وفي الخطوة الثالثة يكون البدء بوصف مسار المعالجة التربوية المناسبة (3) والمباشرة بتنفيذ القرارات والتوصيات والأحكام. انظر الشكل الآتي:

---

(1) خليفة، عبد السلام الشيباني، **الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي ودورها في تطوير العملية التعليمية**، مصر، مجلة فكر وإبداع، مجلد (86)، 2014م، الصفحات (485-506)، (ص: 487).

(2) الحوامدة، سليمان حماد، **منهج التقويم في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة كراتشي، كراتشي – باكستان، 2002م. (ص: 18).

(3) المعالجة التربوية المناسبة: تتضمن مطلق المعالجة، والتي تبدأ من توصيف الحالة ومسار المعالجة، ومن ثم مزاولتها بتمرس واقتدار حتى تمامها. يقول ابن فارس: "الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَرُّسٍ وَمُزَاوَلَةٍ، والْمُعَالَجَةِ، هي مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ. وَالْعِلَاجُ: مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ وَمُعَالَجَتُهُ. تَقُولُ: عَالَجْتُهُ عِلَاجًا وَمُعَالَجَةً. وَاعْتَلَجَ الْقَوْمُ فِي صِرَاعِهِمْ وَقِتَالِهِمْ. وَيُقَالُ لِلْأَمْوَاجِ إِذَا الْتَطَمَتْ: اعْتَلَجَتْ. وَعَالَجْتُ فُلَانًا فَعَلَجْتُهُ عَلْجًا، إِذَا غَلَبْتُهُ. وَفُلَانٌ عِلْجُ مَالٍ، أَيْ يَقُومُ عَلَيْهِ وَيَسُوسُهُ". انظر: ابن فارس: أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (4/ 121). ويفهم من ذلك أن دلالة المعالجة التربوية تتعدى الغرض الاسترجاعي المتمثل بالإصلاح والتصويب، إلى الغرض الاستشرافي، والذي يحمل في دلالته معاني التعديل، والتطوير، والوقاية، والقيام على الشيء بما يبقيه صالحًا حالًا ومستقبلًا.





6. التقويم التربوي:

نجد في التربية الحديثة تعريفات وأوصافًا متقاربة للتقويم التربوي نذكر منها ما قالته: "الحريري" بأنه: "العملية التي يتم من خلالها تشخيص جوانب القصور في العملية التربوية ووصف العلاج اللازم لتعديل جوانب الضعف فيها، واكتشاف مواطن القوة في العملية التربوية وتعزيزها. وهو عملية مستمرة شاملة لكل العناصر التي تتداخل وتتشابك فيما بينها لتشكل كل أركان العملية التربوية وذلك بغية تحقيق الأهداف المرجوة. وتهدف عملية التقويم - أيضًا - إلى التطوير والتجديد إضافة إلى معرفة مدى ما تحقق من الأهداف، ووضع المقترحات لتحقيق ما لم يتم تحقيقه منها"(1).

وعرَّفه "أبو شعبان وعطوان" بأنه: "إصدار أحكام عن طريق جمع البيانات بطرق القياس المختلفة، ثم استخدامها في التوصل إلى أحكام عن فاعلية العمل التربويِّ سواء أكان تدريسيًّا أم غيره، وتستند هذه الأحكام إلى معايير الفاعلية بدلالة مدى تحقق الأهداف التربوية. أو هو العملية التي تحكم من خلالها على مدى نجاح العملية"(2). ويلاحظ في تعريف "أبو شعبان" إغفاله الدلالة العلاجية للتقويم التربوي.

وعرّف "موسى" التقويم في العملية التعليمية التعلمية بأنه "مجموعة الأحكام التي نزن بها أي جانب من جوانب التعليم والتعلم، وتشخيص نقاط القوة والضعف فيه، واقتراح الحلول التي تصحح مساره وتقوِّي دعائمه"(3). وعرَّف "مدكور" التقويم كعنصر من عناصر المنهج التربوي، بأنه: "عملية تشخيص وعلاج لموقف التعلم أو أحد جوانبه أو للمنهج كلِّه في ضوء الأهداف التربوية المنشودة"(4).

---

(1) الحريري، رافدة، **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط 1، 1433هـ - 2012 م، (ص: 18).

(2) أبو شعبان وعطوان، **القياس والتقويم التربوي**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د. ط)، 2019م، (ص:19).

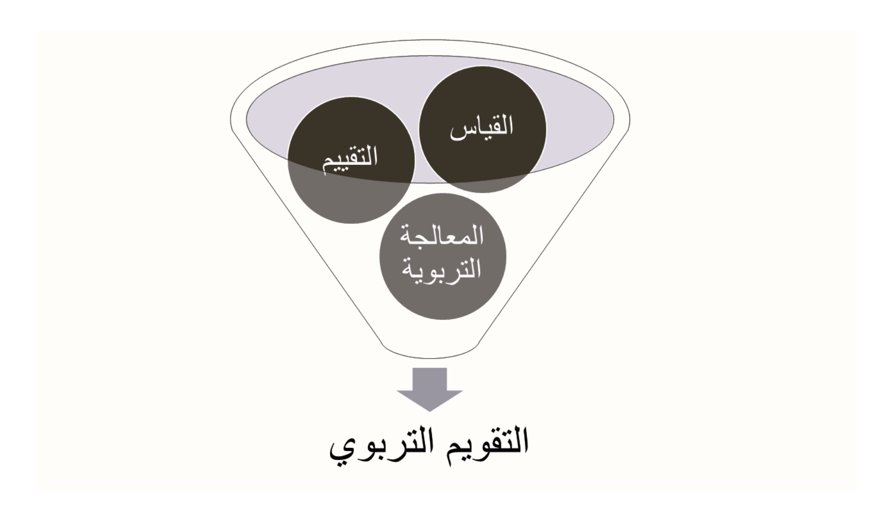
(3) انظر: موسى، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي**، (ص: 166).

(4) مدكور، علي أحمد، **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها**، (ص: 261).



وتصف دراسة "حمود" التقويم التربوي كما في التربية المعاصرة بأنه: عملية دراسة مستمرة للمؤسسة التعليمية؛ بمختلف مكوناتها من أبنية ومرافق ومربين وأهداف ومناهج وطرائق واستراتيجيات وأنشطة وأساليب مستخدمة، ووسائل تقويم... إلخ؛ بهدف الكشف عن نقاط القوة والضعف فيها لاتخاذ المناسب حيالها؛ ولهذا تعتبر عملية التقويم عملية تشخيصية وعلاجية في الوقت نفسه، ملازمة للعملية التربوية، وتوجه النشاط التعليمي ككل، وتساعد المتعلم على اكتشاف نتائج تعلمه وقدراته واستعداداته وميوله، كما تساعد المربين على فهم المتعلم ومعرفته أكثر، وبالتالي على توجيهه ومساعدته، كما تساعدهم على تحسين طرائقهم وأساليبهم وأنشطتهم ووسائل التقويم التي يستخدمونها نفسها. بالإضافة إلى ذلك، فإن عملية التقويم تزود أولياء الأمور بمعلومات عن مدى تقدم أبنائهم[1].

وتُعرّف الدراسة الحالية "التقويم التربوي" إجرائيًا بأنه: عملية تربوية تستند إلى معايير، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة للموقف التربوي أيًّا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم بنائه، أو تعديل اعوجاجه، أو تثبيته ووقايته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف منشودة.



فالتقويم في المجال التربوي عملية منهجية مستمرة متدرجة تبدأ بالقياس ثم التقييم وتنتهي بالمعالجة التربوية المناسبة، وهي تتوجه لتقويم الموقف التربوي بكل ما يؤثر فيه أو يتأثر به، فتزن وتقدّر وتشخص وتصف وتكشف الخلل إن ثمة وتصلحه، أو تباشر بالتطوير بالتحسين والبناء وإعادة التوزيع والترتيب، وتقديم الدعم والتعزيز والتحذير لتلافي أخطاء المستقبل المتوقعة.

---

(1) حمود، رفيقة سليم، **التقويم والقياس التربوي**، (ص: 12).



المطلب الثالث

مجالات التقويم التربوي في التربية المعاصرة وأغراضه

نوضح في هذا المطلب مجالات التقويم التربوي في التربية المعاصرة، ثم نشير لأبرز أغراضه التربوية.

مجالات التقويم التربوي

يشكل "التقويم" العنصر الضابط لأداء العملية التربوية، والضامن لسلامة مسارها، وذلك لأهمية دوره؛ إذ يعدّ من عناصر المنهج التربوي وأحد مكوناته الأربعة والتي هي: "أهداف المنهج، ومحتوى المنهج، والطرائق والأساليب التربوية، والتقويم"[1].

ويحضر التقويم باكرًا من وقت صياغة الأهداف التربوية، ويستمر مواكبًا لتصميم محتوى المنهج والمقرر التربوي، ويتابع مسار تنفيذ العملية التعليمية والتربوية، ويصدر الأحكام التمهيدية والبنائية والختامية، ويقدِّم التغذية الراجعة للمعنيِّ بها.

وعليه فيدخل في مجالات عمل التقويم التربوي كلّ ما له ارتباط بالعملية التربوية، من عناصر المنهج الأربعة، أو الأطراف المشاركة أو العناصر المؤثرة في الموقف التربوي.

أغراض التقويم التربوي وأهدافه

يجدر التنويه إلى أن الهدف التربوي هو "النتيجة" أو "الإنجاز" أو "التغير" المراد الوصول إليه. كما عرّفه "الدغشي" فقال إن الهدف التربوي هو: "التغيّر المرغوب الذي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقه في أي مجال من المجالات التربوية سواء كان ذلك قريبًا أم بعيدًا، مرحليًا جزئيًا متدرجًا أم نهائيًا غائيًا كليًا"[2].

وثمة مستويين للهدف، فالمستوى الأول: أهداف تشكّل "المقاصد والأغراض النهائية" التي يراد إنجازها وتحقيقها من التقويم التربوي. والمستوى الثاني أهداف في صورة وسائل وأدوات واجراءات

(1) مدكور: **نظريات المناهج التربوية**، (ص: 227).

(2) انظر: الدغشي، أحمد محمد، **دراسات في أصول التربية الإسلامية**، عمّان- الأردن، ط1، 2017م، (ص: 66).



فعّالة وخادمة للأهداف النهائية[1]. وكلًا من المستويين لازم للآخر وبينهما تكامل؛ فالهدف النهائي بثباته وقوته يشكّل المحرك والدافع والموجّه والضابط للإجراءات والوسائل الموصلة للنتيجة النهائية. وعلى سبيل المثال: فإذا كان الهدف النهائي "إيقاف الفساد"، فإن إجراءات ووسائل محاربة الفساد بأنواعها تشكّل أغراضًا مرحلية على الطريق. وأيضا.. إذا كان المقصد النهائي هو تحقيق الاستقرار النفسي والأسري للفرد والمجتمع فإن إجراءات بناء الأسرة وحمايتها من التفكك تشكل أغراضًا مرحلية في سبيل ذلك[2].

وتشكّل الأهداف في المنهج التربوي الإسلامي منظومة غائية كبيرة تتدخل فيها الفلسفة الحاكمة للمجتمع المسلم وسياسة التعليم وفلسفة التربية وأهداف التربية، وينبثق عنها أهداف المرحلة التعليمية، فأهداف المقررات، فأهداف الدروس، فأهداف المواقف التعليمية، ومن هذه المجاميع تصنع مصفوفات الأهداف التي تشكل الخارطة الغائية للمنهج عمومًا، وهي موزعة – متدفقة- على المراحل والصفوف والمقررات والمواقف التعليمية[3].

وعلى ضوء ما سبق تصاغ المقررات الدراسية وينظم محتواها، ويُتخيّر لتطبيقها أنسب الطرق والوسائل والأنشطة والفعاليات والبرامج التربوية. ويتم تهيئة البيئة والمدارس، وينتخب المعلمون الأَكْفِيَاء ليباشروا مهمتهم الجليلة في بناء الجيل وصناعة المستقبل. ويبقى التقويم التربوي حاضرًا ليكون داعمًا ومراقبًا لسلامة التطبيق وجودة النتائج ويحكم على المؤثرين من العناصر وأطراف العملية التربوية ويطور من أدائهم.

وعلى وجه العموم فجملة الأغراض الإجرائية للتقويم التربوي تدور حول الكشف عن مواطن الضعف ومواطن القوة، على التفصيل الآتي:

---

(1) انظر: **المرجع السابق،** (ص: 66).

(2) انظر: لويس ورد، **الفرق بين الهدف والغرض، مقالة على الانترنت،** 5 فبراير 2021م.
https://ar.natapa.org/difference-between-goal-and-purpose-3234

(3) الرشيد، عماد الدين محمد، **ملاحظات إثرائية،** مرسلة للباحث مباشرة وأثناء مناقشته، بتاريخ 30 مايو 2023م، وفي تسجيل على الانترنت، مناقشة أطروحة دكتوراه. https://www.youtube.com/watch?v=2zLgQX9ULeo.



* في مجال "الأهداف التربوية": يكون غرض التقويم التدقيق في مصادر الأهداف وشمولها وتنوع مستوياتها وتحديد أنواعها: عامة أم خاصة، قريبة أم بعيدة، مرحلية جزئية متدرجة أم نهائية غائية كلية، وكما من غرضه التدقيق في صياغتها ووضوحها ووسائل الإعلان عنها، وكذلك مراحل تنفيذها، وتقويم مدى تحققها ونحو ذلك(1).

* وفي مجال "محتوى المنهج التربوي" - المقررات الدراسية - فإن أغراض التقويم تبدأ من تشخيص المحتوى المعرفي وضمان سلامته من الأخطاء عمومًا، وتدرج السيل المعرفي فيه، كما من أغراضه التدقيق في مصادره وتنظيمه وترتيبه ومدى ملاءمته وتوفره ووضوحه وتعبيره بصدق عن أهداف العملية التربوية التعليمية(2).

* وفي مجال "الطرائق والأساليب التربوية" وتحقيقها لأهداف المنهج ومناسبتها لمستوى المتعلمين والبيئة المحيطة، فإن أغراض التقويم التربوي تتمثل بالتأكد من تنويعها ومناسبتها للموقف التربوي ومراعاتها للفروق الفردية، ويكشف التقويم التربوي عن نجاعة طريقة أكثر من أخرى، ومناسبة أسلوب أكثر من آخر من خلال مراقبة التنفيذ وتقويم الجدوى وتقدير التكاليف. ولا شك أن بعض هذه الطرق والأساليب خاضعة للتجريب، ويكون دور التقويم الحكم عليها باعتمادها أو تركها إلى غيرها(3).

* ويهدف تقويم "التقويم" إلى تشخيص فعالية الإجراءات التقويمية عمومًا وتطوير أدواتها واستراتيجياتها؛ لتكون مناسبة للتشخيص والمعالجة بما تسمح به القدرات وإمكانات البيئة(4).

---

(1) انظر: حمود، رفيقة سليم، **التقويم والقياس التربوي**، (ص: 42). وانظر: حسين، عبد المنعم خيري، **القياس والتقويم في الفن والتربية الفنية**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان- الأردن، ط1، 2010م، (ص: 55).

(2) انظر: وصوص، ديمة، والجوارنة، المعتصم بالله، **الإشراف التربوي ماهيته تطوره أنواعه أساليبه**، دار الخليج دار الخليج للنشر والتوزيع، 2014م، (ص: 371).

(3) انظر: مدكور: **نظريات المناهج التربوية**، (ص: 378). وانظر: خوالدة، أكرم صالح، **التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي**، عمان - الأردن، دار الحامد للنشر، 2012م، (د. ط)، (ص: 35-36).

(4) انظر: الكريمين، رائد إبراهيم، **استراتيجيات التدريس الفعَّال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم**، عمان - الأردن، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط 1، 2017م، (ص: 247 - 279).



المطلب الرابع
خطوات التقويم التربوي في التربية المعاصرة

معلوم بأن التقويم عملية دقيقة ونتائجه مؤثرة في تطوير مسار العملية التربوية والحكم على المنخرطين فيها، وهو إجراء واجب بحكم الرعاية والمسؤولية؛ لذا ينبغي أن يتم بطريقة سليمة، ولا بد من تصور واضح لخطواته المترابطة.

وعند مراجعة ما كتبه التربويون عن خطوات التقويم التربوي كما عند الحريري(1)، وأبو شعبان(2)، وأبو دية(3) فإنه يمكن القول بأن خطوات التقويم الجيد ينبغي أن تتم ضمن الترتيب الآتي:

1. تعيير أهداف العملية التربوية أو البرنامج أو المرحلة، بتحويلها إلى أهداف جزئية أو مؤشرات أداء يمكن قياسها أو متابعة تحققها.

2. تحديد المجالات المراد تقويمها؛ هل يراد تقويم الأهداف التربوية، أم محتوى المنهج، أم الطرق والوسائل، أم طرق التقويم وأدواته، أم أنّ التقويم موجَّهٌ لأحد أطراف الموقف التربوي، أو أنّه موجَّهٌ للبيئة التربوية وما فيها من وسائل متاحة وإمكانات.

3. تحديد الفئة المستهدفة بالتقويم: من حيث جنسها - رجالًا أم نساء - ومن حيث المرحلة العمرية، ومستواها التربوي، وهل تتكون من المستجدين أم من الخبراء؟ ليكون التقويم التربوي مناسبًا ومراعيًّا للفروق بينها.

4. تحديد الغرض من التقويم؛ من خلال تصور الغايات والقرارات التي ستنبنى على نتائج التقويم؛ هل هي بغرض الترفيع أو التصنيف أو التوزيع، أو أنه بغرض خلق التنافس والتحفيز، أو أنها بقصد التشخيص والاستكشاف، أو أنه في إطار التقويم البنائي التكويني المصاحب للعملية التربوية للعلاج والتعزيز.

---

(1) الحريري: **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 161).

(2) انظر: أبو شعبان وعطوان، **القياس والتقويم التربوي**، (ص: 29).

(3) أبو دية، عدنان أحمد، **أساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات**، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، (ص: 315).



5. الاستعداد للتقويم؛ بتحديد مسار التقويم المناسب: هل هو في إطار التقويم التمهيدي القَبْلي، أم البنائي التكويني، أم هو في إطاره الختامي.

6. تحديد وسيلة التقويم المناسبة وتصميمها وتهيئة الموقف والظروف التي يمكن من خلالها جمع البيانات والأدلة.

7. التطبيق والتنفيذ بجمع البيانات التشخيصية؛ باستخدام أدوات القياس المناسبة والمتاحة.

8. تحليل البيانات وإطلاق الأوصاف وإصدار الأحكام والقرارات.

9. عملية المعالجة والتحسين ومتابعة تنفيذ القرارات، واستقبال التغذية الراجعة.

المطلب الخامس
أنواع التقويم التربوي في التربية المعاصرة

اشتهرت في الأدب التربوي المعاصر تصنيفات عديدة لأنواع التقويم التربوي، ويأتي تنوعها لأسباب منها: تعدد زوايا الاهتمام والنظر والغايات من التقويم، وتنوع شرائح المستهدفين، أو الجهات المنفذة. وبمجموع هذه التصنيفات تكتمل صورة التقويم التربوي؛ لأن كلًّا منها يُعبّر عن حالة من حالات التقويم التربوي أو جزئية فيه.

ومن التصنيفات لأنواع التقويم التربوي التي اشتهرت في الكتب التربوية المعاصرة:

1. تصنيف أنواع التقويم التربوي على أساس وظائفه وأغراضه؛ كالتقويم التشخيصي، والتكويني، والوقائي والعلاجي[1].

2. تصنيف التقويم التربوي بِناءً على الجهة التي تصدره؛ كالتقويم الرسمي الذي تُعدُّه وتُنفِّذه مؤسسات الدول الرسمية، وغيرِ الرسمي كالذي يُعدّه ويجريه المربِّي لتلاميذه في صفّه.

3. تصنيف التقويم التربوي بِناءً على الجهة المستهدفة؛ كالتقويم الذاتي، وتقويم الآخرين.

---

(1) الحريري، **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 48).



4. ثمة تصنيف ثنائي آخر يجعل التقويم التربوي في نوعين بناءً على طريقة تفسير نتائجه، الأول يوصف بأنه تقويم معياري المرجع يعتمد طريقةً اعتبرت تقليدية؛ كون غرضها ينحصر في مقارنة الفرد بمجموعته التي ينتمي إليها، كقولك: إن ترتيب الطالب هو الثالث على مستوى صفه الذي يتكون من ستة وثلاثين طالبًا [1]. فهذا الشكل من التقويم؛ يكشف عن مستوى المتعلم بالنسبة إلى مجموعة من نفس المستوى العمري أو التعليمي، وضمن إمكانات وظروف متقاربة؛ فتعطي قراءة هذا التقويم ترتيب المتعلم بين أقرانه، وتبين مدى تقدمه أو تأخره عنهم. وفي هذا النوع من التقويم قد يكون أحد المتعلمين الأول على مستوى مجموعته، ولكن بأداءات متدنية ودرجات منخفضة؛ كون مجموعته كلها محدودة القدرات وضعيفة المستوى.

أما عند تصدير نتائج التقويمات استنادًا لمستوى أداء مهاري أو سلوكي معين مرتبط بمؤشر من مؤشرات الأهداف، فيوصف هذا النوع من التقويم بأنه "تقويم مَحَكِّي المرجع"[2]؛ لأنه يعتمد في تفسيره وقراءاته لنتائج التقويم على تفريد التقويم؛ كونه يقارن أداء المتعلم وإنجازه المهاريَّ أو السلوكي أو المعرفي بالنسبة إلى الأهداف؛ بغض النظر عن مستوى أقرانه.

ويُستخدَم التقويم المَحَكِّي المرجع عادة في تقويم التعلم الإتقاني، أو التقويم التكويني، أو البنائي، أو التقويم التشخيصي، أو تقويم التحصيل المبني على الأداءات [3].

ويفيد التقويم مَحَكِّي المرجع في الحكم على جودة البرامج التعليمية والتربوية، ومدى فاعليتها وتحقيقها أهدافها؛ حيث إنها تربط الأداء بالهدف[4].

---

(1) الحسن: **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية**، (ص: 27).

(2) انظر: عبد الحميد، صفاء سعيد، **الاختبارات محكية المرجع**، على شبكة الإنترنت 4 يونيو 2021م. https://2h.ae/tGdR

(3) انظر: الكريمين، **استراتيجيات التدريس الفعَّال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم**، (ص: 245).

(4) الحسن: **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية**، (ص: 27)



5. تصنيف التقويم التربوي على أساس مجالاته العديدة: كتقويم الأهداف التربوية، وتقويم محتوى المنهج، وتقويم الطرق والأساليب، وتقويم البيئة التعليمية، ونحوه.

6. تصنيف التقويم التربوي اعتمادًا على توقيت إجرائه بالنسبة إلى العملية التربوية، وهذا يكون على ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: تقويم تمهيدي؛ ويكون قبل عملية التربية والتعليم وتمهيدًا لانطلاقتها.

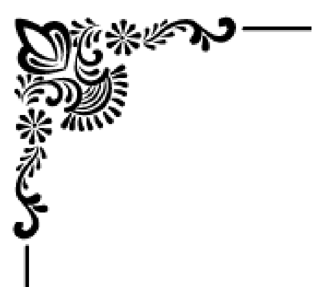
- والنوع الثاني: تقويم تكويني؛ ويكون خلال عملية التربية والتعليم، ويطلق عليه التقويم البنائي أو التلازمي.

- والنوع الثالث: التقويم الختامي؛ ويكون مع نهاية فعاليات تربوية أو برامج تعليمية، أو قرب نهاية مرحلة منها، ويطلق عليه التقويم البَعدي أو النهائي.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأنواع الثلاثة من التقويم ترتبط بالمحتوى التعليمي من جانب وبتوقيت إجرائه من جانب آخر؛ فأي برنامج تربوي محتاج لأنواع التقويم الثلاثة: تقويم تمهيدي - تشخيصي- يسهِّل انطلاقة التعلم من نقطة مناسبة، وتقويم بنائي يتم أثناء تنفيذ التعلُّمات ويدعم تكونها الصحيح. وتقويم ختامي يقوِّم المخرجات ويصدر الأحكام.

وثمة علاقة تربط أغراض التقويم التربوي مع مواقيت تنفيذه؛ فالقياس والتشخيص والاستكشاف أغراض غالبًا ما يتحراها التقويم في بدايات العملية التربوية لوصف حالة المتعلم وتعلّماته السابقة. أما التحفيز والتعزيز والتكوين والعلاج فهي أغراض تتخلل العملية التربوية لتعديل مسارها أو تطويرها. وفي حال كان التقويم ختاميًّا فهو يراد أن يحقق أغراضًا؛ من أبرزها: الوظيفة التجميعية لبيان مدى تحصيل المتعلم من كمّ الدرجات والحكم على أدائه عمومًا ومنحه الإجازة أو الترفيع أو التصنيف والتوزيع المناسب.







المبحث الثالث
التقويم الواقعي وميزاته

أُشتهرت استراتيجيات التقويم الواقعي في الأدب التربوي المعاصر، ونعرض فيما يلي توضيحًا لمفهوم التقويم الواقعي وميزاته وعلاقته بالتقويم الحقيقي والتقويم البديل.

المطلب الأول
مفهوم التقويم الواقعي

يسمَّى التقويم التربوي الذي يراعي توجهات التقويم الحديثة بالتقويم الواقعي. ويُعرَّف بأنه: التقويم الذي يعكس إنجازات المتعلم ويقيسها في مواقف حقيقية[1]. ويكون التقويم واقعيًّا كلما جعل من عملية التقويم خادمة للواقع الحقيقي الذي يعيشه المتعلم أو الذي سيخوضه بعد إنتهاء تعلّمه وتدريبه. فالجنود أو الأطباء أو المهندسون وفي أثناء فترة دراستهم وتدريبهم فإنه يكون عليهم الانخراط في مهام معينة، كما ويطلب منهم العمل تحت ظروف تشبه - إلى حدٍّ بعيد - الواقع والمهام التي سيخدمون فيها لاحقًا؛ فالجندي يُقَوَّم من خلال مشاركة حقيقية في مناورات عسكرية ميدانية، والطبيب يُقَوَّم من خلال معاينة المرضى والمشاركة في عمليات جراحية حقيقية مع أساتذته، والمهندس يُقَوَّم من خلال إصلاح آلات أو صناعة أخرى.

ويطلق على التقويم الواقعي اسم "التقويم الحقيقي" أو "التقويم الفعلي"، وبه يُعلم ما إذا كان الطلاب قادرين على استخدام ما تعلموه في مواقف الحياة المدرسية التي تقترب كثيراً من مواقف الحياة الفعلية، وإذا ما كانوا قادرين على التجديد والابتكار في المواقف الجديدة[2].

---

(1) الثوابتة وفريق عمل: **استراتيجيات التقويم وأدواته**، عمّان- الأردن، مديرية الاختبارات، (د. ط)، 2004م، (ص: 9).

(2) أبو شعبان وعطوان، **القياس والتقويم التربوي**، (ص: 27).



ويُعرّف التقويم الحقيقي بأنه: العملية التي يتم من خلالها جمع الشواهد حول تعلم الطالب ونموه في سياق حقيقي وتوثيق تلك الشواهد[1].

وأثناء السعي لتطبيق التقويم الواقعي - الحقيقي - في التربية المعاصرة ظهر ما يسمى "بالتقويم البديل". وتعتمد فكرته في أساسها على إمكانية تكوين صورة متكاملة عن المتعلم في ضوء مجموعة من البدائل[2]. ويُعرّف التقويم البديل بأنه طريقة بديلة ندرك من خلالها ماذا يعرف الطالب، أو ماذا يستطيع أن يعمل، بهدف متابعة تطوره وتقدمه بعيدًا عن الاختبارات التقليدية والمقننة[3].

المطلب الثاني
ميزات التقويم الواقعي

يمكن تلخيص أهم ميزات التقويم الواقعي في النقاط الآتية:

1. يركِّز التقويم الواقعي على الفاعلية والأثر النهائي الناتج عن عملية التعلم والتقويم، أي إنه يرقب الأداء بأشكاله -كمخرجات حقيقية للتعلّم والتعليم- ويجعل من تجاوز تحديات الواقع جسرًا لتجاوز التحديات المستقبلية المتوقعة؛ فالمشكلات والمهام والأعمال التقويمية المطروحة للتنفيذ تكون واقعية وذات أهمية تربوية وتمسّ حاضر المتعلم ومستقبله فتضيف له مهارة أو تطورًا في أدائه أو في معرفته[4].
2. يُبنَى التقويم الواقعي على أن تعلّم الطالب وتقدّمه في العملية التعليمية يمكن تقويمه بواسطة أعمال ومهام وإنجازات تتطلب انشغالًا نشطًا في البحث والتحرّي؛ لحل المشكلات المعقدة أو القيام بالتجارب الميدانية والأداء المرتفع[5].

---

(1) الهوش، أبو بكر محمود، **إدارة الجودة الشاملة في المجالين التعليمي والخدمي**، دار حميثرا للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2018م، (ص:165).

(2) انظر: أبو شعبان وعطوان، **القياس والتقويم التربوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، 2019م، (ص:27).

(3) انظر: البستنجي: مراد أحمد، **واقع التقييم في التربية الخاصة في الأردن**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، 2007م، (ص: 9)

(4) الحريري: **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 44).

(5) أبو سالم، طلعت، **التقويم الواقعي ضرورة أم حاجة؟**، مقالة على الانترنت، تاريخها 12\2\2019، تاريخ التصفح 29\9\2022م. https: //www. new-educ. com/?p=25670

3. يجعل المتعلمين ينغمسون في مهمات ذات قيمة ومعنى بالنسبة لهم، فيبدو التقويم كنشاطات تعلُّم وليس كاختبارات سرِّية. وهذا يتطلب استخدام مهارات تفكير عُليا كالترتيب والتصنيف والتركيب وعقد المقارنات وتمييز العلاقات، والتحليل والاستنتاج والمواءمة بين مدى واسع من المعارف؛ مع استخدام للتفكير التأملي الذي يساعد في معالجة المعلومات ونقدها وتحليلها؛ مما يوثق الصلة بين التعلم والتعليم، ويدعم مبدأ التعلم مدى الحياة[1].

4. يتيح للمتعلم دورًا مؤثرًا في مسار التقويم، من خلال تقويمه لذاته، أو تقويمه لأقرانه، وتبادل التغذية الراجعة مع معلمه وزملائه[2].

5. كما تظهر الواقعية في التقويم من خلال "استخدام استراتيجيات وأدوات تقويم متعددة لقياس الجوانب المتنوعة في شخصية المتعلم"[3]؛ فلا تقتصر على نمط واحدٍ من الاختبارات والتقويمات. مع مراعاة ألَّا يشكل توفير هذه الأدوات التقويمية المتنوعة أي ضغوطات اقتصادية أو نفسية على المعلم أو المتعلم، فمن الواقعية استثمار الظروف المتاحة والتعامل مع إمكانات البيئة.

6. يعتمد على ما ينجزه المتعلمون لا ما يحفظونه..فهو يُقوِّم المهامَّ والحالة كما هي في الواقع ويحاكيها على هذا الأساس[4].

7. يطبِّق التقويم التربوي الواقعي مبدأ التقويم لأجل التعلم أو دمج التقويم في التعليم.

8. من أهم مبادئ التقويم الواقعي أنه محكِّيُ المرجع؛ ويقتضي ذلك أنه يتجنب المقارنات بين المتعلمين[5] بل يتم التقويم فيه بالمقارنة مع معايير معدّة مسبقًا مستمدة من الأهداف.

---

(1) العياصرة، وليد رفيق، **التربية البيئية واستراتيجيات تدريسها**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، (د. ط)، 2012م، (ص: 429).

(2) انظر: المرجع السابق، (ص: 11).

(3) انظر: الهاشمي، عبد الرحمن عبد وآخرون، **استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية**، عمان - الأردن، دار عالم الثقافة، ط 1، 2010م، (ص: 399).

(4) أبو شارب، سليمان محمد، **استراتيجيات التقويم في التربية المهنية**، عمان - الأردن، دار غيداء، ط 1، 1436هـ - 2015م، (ص: 35 - 37).

(5) انظر: الثوابتة وفريق عمل: **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 11).







الفصل الثاني: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وأغراضه وضوابطه

المبحث الأول: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

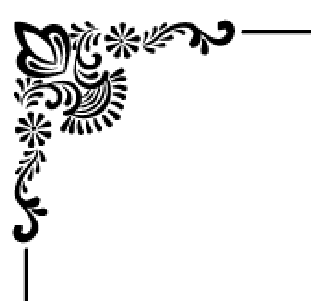
المبحث الثاني: أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

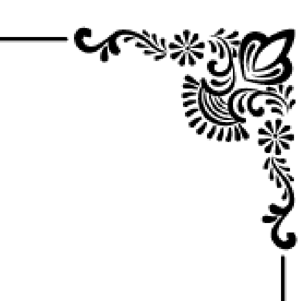
المبحث الثالث: ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة











المبحث الأول
مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

نتتبع في هذا المبحث مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها، ومفردة "التقويم" وبعض معانيها الواردة في القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، ومن ثم نوضح تصور الدراسة لمفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المطلب الأول
مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها وحجيتها

نبين في هذا المطلب مفهوم السُنّة النبويّة، ومكانتها بالنسبة للقرآن الكريم وأدلة حُجِيّتها على النحو الآتي:

أولًا: مفهوم السُنّة النبويّة:

السُنّة النبويّة مصطلح متداول ومعروف في الأوساط العلمية والشرعية، وينظر له طلبة العلم الشرعي من زوايا عديدة تبعًا لتنوع اختصاصاتهم.

وتُعرّف السُنّة في اللغة بأنها: الطَّرِيقَةُ والسِّيرَة، وإذا أُطلقت في الشرع، فيراد بها ما أمر به النبيّ ﷺ وما نهى عنه قولًا وفعلًا، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسُنّة أي القرآن والحديث[1]. والسُنّة: هي طريقة النبيّ المصطفى ﷺ التي كان يتحرَّاها[2] ويأمر الناس باتباعها.

---

(1) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، (13/ 225).

(2) المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة - مصر، عالم الكتب، ط 1، 1410هـ - 1990م، (ص: 198).



كما وتطلق السُنّة على ما يقابل الفرض من العبادات، وعلى ما صدر من النبيّ ﷺ من الأفعال أو الأقوال التي ليست للإعجاز[1].

وقد عرَّفها الحافظ ابن حجر، بأنها: "ما جاء عن النبيّ ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما همَّ بفعله"[2].

وعرَّفها العيني، بأنها: ما صدر عن النبيّ ﷺ غير القرآن الكريم، من قول - ويسمى الحديث- أو فعل أو تقرير[3].

وعرَّف السباعي السُنّة النبويّة بأنها: "ما أُثِرَ عن النبيّ ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلْقية، أو خُلُقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة النبويّة أو بعدها"[4]. وكما يظهر من تعريف السباعي فإنه أدخل السيرة في تعريف السُنّة، كما أنه جعل ما قبل البعثة مما ورد من الأحاديث داخلًا في السُنّة. والحقيقة أن مصطلح السيرة أعم من مصطلح السُنّة وأكثر اتساعًا، فالسيرة تتناول تفاصيل حياته ﷺ قبل البعثة وبعدها وما فيها من وصف للأحداث المرافقة، والوقائع وإرهاصات النبوة ودلائلها، وتفصِّل في مجريات الغزوات والسرايا وبنود الاتفاقات والعهود. أما السُنّة فلا تُعنى بأخبار ما قبل البعثة.

كما ويجدر التنويه إلى أن مصطلح "الحديث" أعم من مصطلح السُنّة وأكثر اتساعًا، حيث يدخل في الحديث ما ثبت من صفات النبيّ ﷺ الخِلْقيَّة كلون بشرته وجسمه وطول شعره وصحته ومرضه ونحوه؛ فهذه تندرج تحت الحديث، ولا تدخل في السُنّة، باعتبار أن صفات النبيّ ﷺ الخِلْقيَّة صفات فِطريه وليست موضع اقتداء، ولا يستفاد منها حكم شرعي"[5].

---

(1) الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ - 1999م، (ص: 249).

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (13/ 245).

(3) العيني، محمود بن أحمد، **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط 1، 1429هـ - 2008 م، (2/ 148).

(4) السباعي، مصطفى حسني، **السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط 3، 1402هـ - 1981م، (ص: 74).

(5) انظر: ملحم، همام سعيد، **التمهيد في علوم الحديث**، (ص:12).

وقد وجد الباحث أن تعريف شيخنا الفاضل الدكتور "همام سعيد" للسُنّة النبويّة، متوافق مع إجراءات البحث، وحدود الدراسة، وبعدها التربوي؛ حيث عرّف السُنّة بأنها: "ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية من مبدأ بعثته إلى وفاته، وقد تأتي قولاً أو فعلاً من الصحابة أو التابعين باعتبارهم شهود عصر النبوة والمقتبسين من مشكاتها"(1).

ونذكّر بأنه يدخل في السُنّة النبويّة كلًا من الحديث المرفوع وهو ما انتهى سنده إلى النبيّ ﷺ، والموقوف وهو الذي انتهى سنده إلى الصحابي، والمقطوع الذي انتهى سنده إلى التابعي. ويعتري هذه الأنواع الثلاثة صفة الحديث الصحيح أو الحسن أو الضعيف (2). وقد سعت الدراسة الحالية للاستغناء بالحديث الصحيح والحسن عن الضعيف.

ومن الجدير التنويه بأن السُنّة النبويّة تؤخذ من مظانِّها المتوفرة ككتب الصِّحاح وكتب السُّنَن والمَسانِيد والمعاجم التي جمعت الحديث النبوي، وكذلك كتب السيرة النبويّة التي جمعت أخبار النبيّ ﷺ ومغازيه وجهاده ودعوته.

ومن اللافت الكثرة الكثيرة للمصنفات التي جمعت السُنّة والسيرة، فقد ألَّفَ الكتاني (ت: 1345هـ) رسالةً علمية ضمَّنها أسماء أكثر من ألف وأربعمِئَة كتاب مما اشتهر من كتب في مجالَي السُنّة والسيرة(3).

ثانيًا: مكانة السُنّة النبويّة:

تُعد السُنّة النبويّة مصدرًا للتشريع مع القرآن الكريم، وهي في الوقت ذاته من أهم المصادر التي تمثل المرجعية العلمية لكثير من الدراسات التربوية الإسلامية وتطبيقاتها.

ومن المهم تصور أن محتوى المنهج التربوي في الرسالة الإسلامية كان وحيًا من الله تعالى تنزل في شكلين: الأول: وحي القرآن الكريم المعجز المتعبد بتلاوته. والثاني: وحي السُنّة النبويّة وهي التطبيق العملي المفصِّل والشارح لكثير من آي القرآن الكريم وأحكامه.

---

(1) المرجع السابق، (ص:11).

(2) انظر : المرجع السابق، (ص:59-62).

(3) الكتاني، محمد بن جعفر، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُنّة المشرفة**، المحقق: محمد المنتصر الزمزمي، بيروت – لبنان، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط 6، 1421هـ - 2000م.



كما يجدر التأكيد على أن كلًّا من القرآن والسُنّة في المصدرية سواء كما أخبر ربُّ العزة، فقال ﷻ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [سورة النجم: 4-3][1]. وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ قوله : ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ))[2]. يقول ابن القيّم معلقًا على عبارة ((وَمِثْلَهُ مَعَهُ)): "وهذا هو السُنّة بلا شك. وأضاف ابن القيم تعليقًا على قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [سورة النساء: 113]، قال: هما القرآن والسُنّة"[3].

ثالثًا: حُجيّة السُنّة النبويّة:

مما يستدل به العلماء على حُجيّة السُنّة النبويّة: قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [سورة آل عمران: 31]. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [سورة النساء: 59]. وقوله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [سورة النساء: 65]. وقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [سورة الحشر: 7].

وكذلك قوله ﷺ: ((فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي))[4]. وقوله: ((ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حَرَامٍ فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لَكُم لحمُ الحِمَارِ الأهليِّ، ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُع))[5].

---

(1) انظر: الجيزاني، محمد بن حسين، **معالم أصول الفقه عند أهل السُنّة والجماعة**، السعودية، دار ابن الجوزي، ط 5، 1427هـ، (ص: 134 - 135).

(2) أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل، ط 1، (د. م)، دار الرسالة العالمية، 1430هـ، كتاب السُنّة: باب في لزوم السُنّة، (4/ 200 - ح: 4604)، وإسناده صحيح، كما بيّن الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، (ص: 249).

(4) ابن ماجه، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، (د. ط)، (د. ت)، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديِّين، (1/ 16 - ح: 43). وصحَّح إسناده الشوكاني، محمد بن علي، في **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، (د. ط)، (د. ت). (5/ 2229).

(5) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب السُنّة، باب لزم السُنّة، (7/ 13 - ح: 4604). وصحّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.



ونحوه حديث النبيّ ﷺ قال: ((لا أُلْفِيَن أحدَكُم مُتَّكئًا على أريكَتِهِ يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه))(1). وفي الأحاديث شواهد على عظيم الإنكار على من فرّق بين الكتاب والسُنّة في الحُجية والمصدرية.

وقد اتفقت الأمة على أنَّ السُنّة النبويّة تأتي بالاحتجاج بها بعد كتاب الله فيما إذا لم تجد الأمة الحكم فيه، أو جاء مجملًا أو عامًّا أو مطلقًا وبيَّنتْ السُنّة تفصيلَه أو تخصيصَه أو تقييدَه أو نسخَه. فإن وجِد الحُكم في كتاب الله - جل جلاله- وجب الوقوف عنده، وإن لم يوجد فُتِّشَ عنه في سنة رسول الله ﷺ(2).

وقال الشافعي رحمه الله: "أجمع الناس على أن مَنْ استبانت له سنة عن رسول اللَّه ﷺ لم يكن له أن يَدعَها لقول أحد [من الناس]" (3).

وقد أكَّدَ ابنُ تيمية رحمه الله مبينًا المكانة العظيمة للسُّنة وحُجيتها مع القرآن الكريم، ونقل اتفاق الصحابة والتابعين على ذلك، فقال: "وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين؛ أنَّ السُنّة تفسر القرآن وتبيِّنه وتدل عليه وتعبِّر عن مجمله، وأنها تفسِّر مجمل القرآن من الأمر والخبر"(4).

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب السُنّة، باب لزم السُنّة، (7/ 15 - ح: 4605). وأخرجه الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (1/ 190 - ح: 368).

(2) أبو الحاج وآخرون، **المدخل إلى الفقه الإسلامي وأصوله**، الأردن، جامعة آل البيت، ط 1، 2007م، (ص: 73).

(3) ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: مشهور حديثة، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1، 1423هـ، (4/ 40).

(4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد، ط 3، 1416هـ - 2005م، (17/ 432).



المطلب الثاني

مفردة "التقويم" في القرآن والسُنّة ومفهومه التربوي

نتتبع في هذا المطلب ورود مفردة "التقويم" في القرآن الكريم والسُنّة النبويّة ودلالاتها اللغوية، ومن ثم نوضح مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

أولًا: مفردة "التقويم" في القرآن الكريم:

ورد الجذر (ق و م) ومشتقاته اللغوية مرات عديدة في آيات القرآن العظيم، ونذكر بعضها مما نرى أنه ارتبط معناه بالإصلاح والتعديل والتسوية، كما في الجدول الآتي:

الآية	الكلمة	المعنى في سياق الآية
﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [سورة الكهف: 77].	أَقَامَهُ	الإصلاح والترميم والتسوية[1].
﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: 9].	أَقْوَمُ	أي الطريقة أو الحالة التي هي أتم استواء وأشد من سائر السبل[2].
﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ﴾ [سورة البقرة: 282].		أصوب للشهادة. وأصله من: "أقمتُه من عَوَجه"، إذا سويته فاستوى[3].

---

(1) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، القاهرة- مصر، مطابع أخبار اليوم، (د. ط)، 1997م، (14/ 8965).

(2) الكرماني، محمود بن حمزة، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، جدة – السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (د. ط)، (د. ت)، (1/ 622).

(3) الطبري: محمد بن جرير، **تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م، (6/ 77).



﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّمًا﴾ [سورة الكهف: 1 -2]. ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَة﴾ [سورة البينة: 3].	قَيِّمًا / قَيِّمَة	مستوية ليس فيها اعوجاج[1].
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾ [سورة التين: 4].	تَقْوِيم	في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه[2].
﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا﴾ [سورة هود: 112].	اسْتَقِمْ	الاستقامة هي الاستمرار في اتجاه واحدة من غير ميل لجهة اليمين أو الشمال[3].

ومن خلال قراءة الجدول أعلاه: يظهر أن مفردة التقويم وردت في القرآن الكريم مرات عديدة، ودلَّت على معان: الإصلاح والترميم والتسوية، كما دلَّت على اعتدال الأمر وصوابيَّتِهِ واستقامته وخلوه من الاعوجاج.

ثانيًا: مفردة "التقويم" في السُنّة النبويّة:

ورد الجذر (ق و م) ومشتقاته اللغوية مرات عديدة في الأحاديث النبويّة، في أكثر من سياق، فأخذت معانٍ عدة، نذكر منها ما يلي:

1- **التقدير والتسعير وتحديد القيمة:** كما في حديث دَيْن عبد اللَّه بْنِ الزُّبَيْر رضي الله عنهما: ((فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِئَةَ أَلْفٍ))[4]؛ بمعنى كم قدّرت قيمتها؟

(1) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000م، (3/ 753).

(2) النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط 1، 1419هـ - 1998م، (3/ 660).

(3) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية ط 2، 1384هـ - 1964م، (9/ 107).

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر. ط 1، بيروت، دار طوق النجاة، (د. ت)، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًّا وميِّتًا، (4/87 - ح: 3129).



وقد وردَ التقويم في السُنّة النبويّة بمعنى تحديد قيمة الأشياء وتسعيرها بسعر ثابت، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قال: "غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ النبيّ ﷺ فَقَالُوا لَهُ: لَوْ قَوَّمْتَ لَنَا سِعْرَنَا"، فقال النبيّ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُقَوِّمُ، -أو الْمُسَعِّرُ- إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُفَارِقَكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ، فِي مَالٍ وَلَا نَفْسٍ))[1]. أيْ لو حَدَّدْت لنا قِيمَتَهَا. والتسعير أن يأمر السلطان - أو نائبه أو كل من وَلِيَ من أمور المسلمين شيئًا- أهلَ السوق أن لا يبيعوا سلعهم إلا بسعر كذا، ويمنعون من الزيادة عليه أو النقصان للمصلحة. ومن دلالة الحديث: أنه لا يكلّف الناس بالتسعير، ولكن يؤمرون بالإنصاف والشفقة على الخلق والنصيحة لهم[2].

وأخرج البخاري حديثًا بالدلالة ذاتها عَنْ عبدِ الله بن عُمَرَ ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي عَبْدٍ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ يَبْلُغُ ثَمَنَ العَبْدِ قُوِّمَ العَبْدُ عَلَيْهِ قِيمَةَ عَدْلٍ، فَأَعْطَى شُرَكَاءَهُ حِصَصَهُمْ، وَعَتَقَ عَلَيْهِ العَبْدُ، وَإِلَّا فَقَدْ عَتَقَ مِنْهُ ما عَتَقَ))[3]. والشاهد في هذا الحديث ورود مفردتي " قُوِّمَ" و"قِيمَةَ"؛ للدلالة على تحديد القيمة. وقد ورد هذا الحديث في إطار ما كانت عليه الفتوى من تقدير ثمن العبد المعتَق، إن كان فيه شركاء، حتى ينال من بقي من الشركاء حقهم المالي ومقدار حصتهم فيه.

2- **تعديل السلوك، وإزالة الاعوجاج**: كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَج، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))[4]. والشاهد في الحديث ورود عبارة (تُقِيمُهُ) والتي تدل على تعديل السلوك وإزالة الاعوجاج. ونحوه حديث عَطَاء بْنِ يَسَار[5] قَالَ:

---

(1) الشيباني، أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ- 2001م، مسند أبي سعيد الخدري، (328/18 - ح: 11809). ((اللَّهُ هُوَ المُقَوِّم)) أي: هو الذي يرخص الأشياء ويغليها، فمن سعّر فقد نازعه فيما له تعالى. وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

(2) انظر: الساعاتي، أحمد البنا، **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2. 1396 هـ، (15/ 65).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العتق، باب إذا أعتق عبدا بين اثنين، (3/ 144 - ح: 2522).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم عليه السلام وذريته، (4/ 133 - ح: 3331).

(5) عطاء بن يسار: تابعي، مدني، من الثقات، وهو مولى ميمونة زوج النبيِّ ﷺ وكان صاحب قصص وعبادة وفضل مات سنة 103هـ في الإسكندرية، وهو ابن أربع وثمانين سنة. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **تهذيب**



لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: ((أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: "أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿**يَا أَيُّهَا النبيّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سورة الأحزاب: 45]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا))[1]. والشاهد في عبارة: "يُقِيمَ به الملَّة العَوْجَاء": يقول ابن حجر: "أيْ ملَّة العرب، ووصفها بِالْعِوَجِ؛ لما دخل فيها من عبادة الأصنام. والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان"[2].

3- **تصحيح الخطأ، وإتمام النقص وحذف الزيادة**. فقد ورد هذا المعنى في رواية زَيْد بن ثَابِت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرسول الله ﷺ وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ بُرَحَاءُ شَدِيدَةٌ، وَعَرِقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجُمانِ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ أو كِسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَمَا أَفْرَغُ حَتَّى تَكَادَ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ الْقُرْآنِ حَتَّى أَقُولَ: لا أَمْشِي عَلَى رِجْلِي أَبَدًا، فَإِذَا فَرَغْتُ قال: "اقْرَأْ"، فَأَقْرَأُهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ))[3].

والشاهد في عبارة: "فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ" والتي تدل على تقويم وتصحيح الخطأ الذي قد يعتري المحتوى المكتوب، وإتمام النقص فيه أو حذف الزيادة عنه.

4- التثبيت على الحق: كما في حديث النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ، وَكَانَ رسول الله ﷺ يَقُولُ: يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ))[4]. والشاهد في ورود عبارة: "إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ" بمعنى ثبَّته على الحق كما يظهر من الدعاء "يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ".

التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1404هـ- 1984م، (5/ 161).

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب كراهية الصخب في الأسواق، (66/3 - ح: 2125). (فظًا) في القول، (غليظ القلب) في الفعل. (سخَّاب) ولا يكثر الصياح.

(2) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (343/4).

(3) الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، (د. ط)، 1414هـ- 1994م، باب عرض الكتاب بعد إملائه، (152/1 - ح: 684). وقال رجاله موثوقون.

(4) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب فيما أنكرت الجهمية، (72/1 - ح: 199). وأصله في **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (2045/4 - ح:2654).



ثالثًا: مفهوم "التقويم" في السُنّة النبويّة:

مما سبق يتبين ورود "مشتقات مفردة "التقويم" في السُنّة النبويّة، وأن معانيها دارت حول:

- التقدير وتحديد القيمة.
- تعديل السلوك وإزالة الاعوجاج.
- تصحيح الخطأ وتتميم النقص في الشيء أو حذف الزيادة عنه.
- التثبيت على الحق.

وعليه فتُعرّف الدراسة الحالية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة إجرائيًا بأنه:

عملية تربوية تستند إلى معايير، نفذّها النبيّ محمد ﷺ وأصحابه ﭫ خلال فترة البعثة، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة للموقف التربوي أيًّا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم بنائه، أو تعديل اعوجاجه، أو لتثبيته ووقايته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية نبوية.

ومن دلالة ألفاظ التعريف:

- لفظ عملية: يعطي دلالة على سلسلة من المناشط والأساليب والطرق والخطوات المتتابعة التي تحوّل المدخلات إلى مخرجات في إطار إحداث التغيير المرغوب في الموقف التربوي أو أحد العناصر المؤثرة.

- تتميز المعايير التي تستند لها عملية التقويم في السُنّة النبويّة بأنها معايير مستمدة من الكتاب والسُنّة النبويّة.

- تتمثل الغايات البعيدة لعملية التقويم التربوي في صلاح الفرد والجماعة في الدارين، وتحقيق العبودية لله ﷻ والاستخلاف في الأرض.

- اعتمد التقويم التربوي في السُنّة النبويّة على النبيّ محمد ﷺ بالدرجة الأولى باعتبار تكليفه بالرسالة وتحمله أمانة تبليغ الدعوة وتعليم الناس وتزكيتهم وتقويمهم.

- وقعت على جيل الصحابة ﭫ مسؤولية تنفيذ مساحة كبيرة من التقويم التربوي في فترة البعثة باعتبارهم المتعلمين وشهود عصر النبوة.



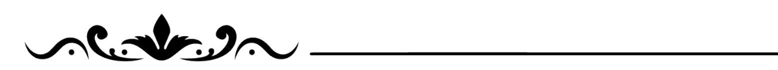
- تَظهر المنهجية في العملية التربوية من وضوح الأهداف وتسلسل الخطوات المنظمة والإجراءات وتتابعها نحو تحقيق الأهداف المرحلية والنهائية. كما وتَظهر المنهجية في حسن اختيار الطرق والأساليب والأدوات والوسائل والتنويع المقصود الهادف فيها، والتقديم والتأخير والتدرج الحكيم بما يناسب الموقف التعليمي وحالة المتعلم وما تسمح به ظروف البيئة وإمكاناتها.

- أما عن مجالات التقويم التربوي النبوي، فمساحة واسعة تشمل التقويم التربوي مطلقًا بكل ما يؤثر في بناء الموقف التربوي أو يتأثر به. ويشمل ذلك العناصر البشرية وعناصر المنهج والبيئة وما تتيحه من إمكانات ووسائل.

- أما حدود هذه العملية التقويمية التربوية النبويّة فهو في إطار دلالة السُنّة النبويّة، التي يخرج منها ما كان قبل البعثة أو ما كان بعد وفاته ﷺ. كما ويخرج من دلالتها ما كان من أحاديث وآثار تشتمل على الصفات الخِلقية له ﷺ باعتبارها صفات فِطرية ليست موضع اقتداء ولا يستفاد منها حكم شرعي.

أوجه الاتفاق والافتراق بين التقويم التربوي النبوي، والتقويم التربوي المعاصر.

أولا: أوجه الاتفاق بين التقويم التربوي النبوي، والتقويم التربوي المعاصر	
التقويم التربوي النبوي	**التقويم التربوي المعاصر**
• عملية تربوية • مجالهما الموقف التربوي، وكل ما يؤثر فيه أو يتأثر به. • الوزن والتقدير أساس فيهما • والمعالجة بأنواعها تَعقُب التشخيص فيهما.	

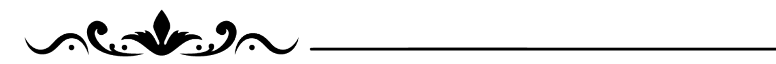


ثانيًا: أوجه الافتراق بين التقويم التربوي النبوي، والتقويم التربوي المعاصر

	التقويم التربوي النبوي	التقويم التربوي المعاصر
منطلقه	الوحي.	فلسفة المجتمع وفكره ودينه.
غايته	تحقيق مقاصد الشريعة تحقيق العبودية لله تعالى بمعناها الواسع تحقيق عمارة الأرض والاستخلاف فيها تحقيق الفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة.	تحقيق أهداف التربية والتعليم المنبثقة عن أهداف المجتمع وفكره.
ماهيته	عملية يندمج فيها التعليم بالتقويم التربوي فلا يشعر المتعلم بأنه يخوض اختبارًا.	يغلب عليه الفصل بين التقويم والتعليم ويضطر المتعلم للشعور برهبة الامتحان وأجوائه.
	مسدد بالوحي، في كثير من تفصيلاته، فهو قد أخذ الاعتماد لطرقه وأساليبه.	يعتمد على الاجتهاد البشري والخبرات المتراكمة.
	يبتعد عن ثقافة الاختبارات التي لها مواقيت محددة وإلزامية.	يعتمد بشكل كبير على الاختبارات ذات المواقيت المحددة والإلزامية.
	تندر فيه الاختبارات التحريرية ويعتمد كثيرًا على الملاحظة والمشافهة والتواصل. ويعوّل كثيرًا على تقويم الأداء المباشر من خلال المعايشة التربوية. وتتقدم فيه استراتيجيات التقويم الذاتي وتقويم الاقران بشكل فعّال.	يعتَمد بشكل كبير على الورقة والقلم، تماشيًا مع الحاجة للتوثيق وتحسبًا للمراجعة والمساءلة، فهي مفضلة في قياس التحصيل الدراسي في المؤسسات التعليمية والتربوية المعاصرة، وعلى أساسها تُمْنَحُ الشهادات والإجازات والترقيات.

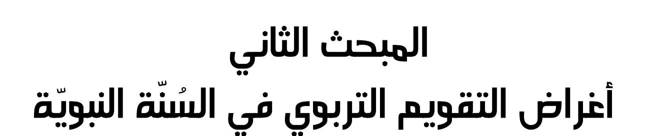


مسماه وشكله	عُرف ممارسة دون إعطائه مسمى تقويم أو قياس، ولم تكن له صورته الرسمية، أو المؤسسية كما في عالمنا المعاصر.	أخذ مسماه وشكله النظامي والمؤسساتي ضمن أنظمة الاختبارات والتقويم في المدارس والجامعات.
أبرز أغراضه	يغلب عليه الغرض التكويني البنائي للفكر والقيم والاتجاهات والأداءات والمهارات. ويبرز فيه الغرض الوقائي بشكل كبير	يغلب عليه الغرض التجميعي للدرجات في إطار منح الشهادات.
مجاله	مطلق التقويم التربوي	يركّز على تقويم عناصر المنهج الأربعة وتقويم المتعلم بالدرجة الأولى.
	الموقف التربوي (سواء أكان في الواقع المشاهد أو الافتراضي المتوقع) فهو يجمع بين التقويم الاسترجاعي والاستشرافي. وهو بذلك يؤسس ويبني الاتجاه والسلوك ابتداءً كبقية أساليب التربية.	يُقَوّم الموقف التربوي بعد حدوثه، وغالبًا ما يكون تعليميًّا، وعليه فهو لا يؤسّس -ابتداءً- توجهًا، بل يغلب عليه المعالجة البَعدية.
قراءة بياناته	يغلب عليه مقارنة أداء المتعلم وإنجازه نسبة إلى أهداف ومؤشرات؛ بغض النظر عن مستوى الأقران.	يغلب عليه مقارنة المتعلم بمجموعته التي ينتمي إليها، فيكشف عن مستواه وترتيبَه بين أقرانه، ويبين مدى تقدمه أو تأخره عنهم.



ضوابطه	يراعي الضوابط الشرعية والأخلاقية المستندة إلى الدين الإسلامي.	يراعي الضوابط التي تفرضها فلسفة التربية وثقافة المجتمع.
وجوده في الفرد أو الجماعة	يعمل التقويم التربوي النبوي بشكل متواز على مختلف الأصعدة: الجماعية والفردية والذاتية.	يركز على التقويم الفردي (يركز على تقويم المتعلمين).
بناء الدافع لتقبله	يربط العملية التقويمية بالمسؤولية الدينية وواجب بذل النصح، ويبني الدافع لتقبلها والإحسان فيها والاتقان.	يجعل العملية التقويمية جسرًا يخوضه المتعلم مجبرًا بدافع الرغبة بالنجاح المرحلي وتحقيق الاستقرار.





المبحث الثاني
أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

نستعرض في هذا المبحث خمسة أغراض للتقويم التربويّ في السُنّة النبويّة؛ وهيَ:

- الكشف والتشخيص
- التكوين والعلاج
- التعزيزُ والتحفيز
- الوقاية
- التنظيم

ونفصِّل فيها ضمن المطالب الخمسة الآتية:

المطلب الأول
أغراض التقويم التربوي للكشف والتشخيص

يواكبُ الغرض التشخيصي العملية التربوية والتعليمية في كل مراحلها، فيكون قبليًا -تمهيديًا- يكشف به المعلم عن استعدادات المتعلم وعن صفاته وميوله ومواقفه وتعلُّماته السابقة، ثم تؤخذ بالاعتبار نتائج تلك التشخيصات لاختيار المحتوى التعليمي المناسب وطريقته وأسلوبه.

وقد يكون التشخيص بعديًا - ختاميًا - أو في أثناء العملية التكوينية بغرض الكشف عن أثر التعلم على المتعلم، وهل تحققت الأهداف، وهل أتقنت المهارات، وهل تحسنت الأداءات. وتسهم هذه البيانات في تسديد المسار التربوي؛ بتكرار الإجراءات التعليمية أو التدريبية أو تغيير طرقها وأساليبها.

ونجدُ أنَّ النبيّ محمد ﷺ ومن بدء عمليته التربوية؛ احتاج أن يشخص أحوال المتعلمين من الصحابة رضي الله عنهم وكان يتم ذلك عادةً حال تواصله الدعوي معهم، أو بعد دخولهم في الإسلام مباشرة، ثم تستمر إجراءات التشخيص إلى جانب إجراءات التكوين والبناء التربوي.



ويمكن ملاحظة أن النبيّ ﷺ كان في تشخيصه يسير مسارين: مسارًا جماعيًا عامًا على مستوى الجماعة (القبيلة أو الفئة)، ومسارًا مع مستوى الحالة الفردية؛ فمثلًا يمكن ملاحظة محاولته ﷺ المستمرة للكشف عن استعداد قبائل الجزيرة لتقَبُّل الإسلام ونصرته، من خلال زياراته ومراسلاته معهم أو مقابلات مع وجوه القوم منهم؛ تمهيدًا للبدء معهم في مشروعه التربوي؛ كما حدث في أثناء زيارته للطائف؛ فقد كشفت زيارته عن موقف عام لأهل الطائف، وعن بعض المواقف الفردية لمن التقاهم وقابلهم كعَدَّاس -من نِينَوَى- وبعض وجوه القوم.

وحصل نحو ذلك مع العديد من وفود القبائل القادمة لمكة في مواسم حجها وأسواقها، وكما جرى في عام الوفود في العام التاسع للهجرة. وكان يرشح عن هذه المقابلات معلومات تفصيلية عن شيوخ العشائر والقبائل وطريقة تفكيرهم وما لديهم من تصورات عقدية ومواقف... الأمر الذي كان يسهم في تخير أنسب الطرق الدعوية والتربوية في التعامل معهم.

وأحيانًا كان النبيّ ﷺ يستعين ببعض أصحابه في تشخيص حال الناس، أو الكشف عن مواقفهم واستعدادهم، كما في حضور عمِّه العباس رضي الله عنه بيعة العقبة الثانية ليتوثَّق ويكشف عن مدى استعداد المؤمنين من الأوس والخزرج لتحمُّلِ تبعات نصرةِ النبيّ ﷺ وحمايته كما في رواية ابن هشام عن كعب بن مالك رضي الله عنه: ((... فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ (عَمُّهُ) الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ. فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا-: إنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إلَّا الِانْحِيَازَ إلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ...))[1]. وقد أدَّى سؤال العباس - وكان صريحًا وحاسمًا- إلى فتح حوار بين المجتمعين من الأنصار، وأظهر ما لدى القوم من أسئلة كانت تدور في نفوسهم، فبسط النبيّ ﷺ في الإجابة والأخذ والردّ حتى زالت مخاوف القوم واطمأنت قلوبهم وتمَّت البيعة.

---

(1) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/ 441). وصححه الألباني في تخريجه، كتاب: الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، دمشق، دار القلم، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط 1، 1427هـ، (ص: 160).



ومن شواهد التشخيصِ (القَبلي) على المستوى الفردي: ملاحظة النبيّ ﷺ وتشخيصه نبوغَ زيد بن ثابت رضي الله عنه وقوة حفظه على صغر سنِّه، فوجَّهه لتعلّم لغة يهود، كما روى ذلك خَارِجَةُ بن زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النبيّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قال زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النبيّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رسول الله، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النبيّ ﷺ، وقال: ((يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ فَإِنِّي وَاللهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي)). قال زَيْدٌ: "فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ - ما مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ- وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"(1). والشاهد دقة التشخيص القبلي لحالة هذا الصحابي الشَّاب من بني النجار والذي عُرض على النبيّ ﷺ وزكّي له، فبدا تميزه بالحفظ والإتقان والأمانة. فكُلِّفَ بمهمة تناسب عمره وأمانته وحفظه. فأتقنها وبرع بها في فترة وجيزة للغاية، وصار ترجمان النبيّ ﷺ وكاتبه.

ومن الشواهد - أيضًا- على التشخيص القبلي كشفه ﷺ المُبكّر عن موهبة وقدرات عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين كان غلامًا. يقول ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»(2). والشاهد ما تم من كشف عن شخصية عبدالله وأمانته وحرصه على طلب العلم والهداية، وقد حدث ذلك بعد حوار قصير بينه وبين النبيّ ﷺ ثم رجوعه رضي الله عنه وطلبه تعلّم بعض أيات القرآن الكريم، مما لفت انتباه النبيّ ﷺ إلى نباهته وتميّزه فقدّم له تقويمًا وتعزيزًا مناسبًا. ويجدر التنويه إلى أن هذا الغلام صار من علماء الصحابة رضي الله عنهم، فقد تميز لاحقًا بغزارة في العلم والحفظ والفهم وكان له أثر كبير مبارك في حركة العلم والاجتهاد في عصر النبوة وما بعدها. ومما قاله رضي الله عنه متحدِّثًا عن نفسه: ((وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ ما مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ))(3).

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث زيد بن ثابت، (82/6 - ح: 3598). وحسَّن الأرنؤوط إسناده في تحقيقه مسند أحمد.

(2) المرجع السابق، مسند عبد الله بن مسعود (82/6 - ح: 3598)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه، (4/ 1913 - ح: 2463).



المطلب الثاني

أغراض التقويم التربوي للتكوين والعلاج

تتضافر الفعاليات التقويمية مع الفعاليات التربوية التعليمية في مسار البناء التربوي، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في السُنّة النبويّة في مجالات عدة: كتصحيح المفهوم، وتعديل السلوك، وتصويب الأداء[1].

ويمكن القول بأن الوظيفة التكوينية العلاجية كانت هي الغالبة على وظائف التقويم التربوي النبوي، وهذا كان يتناسب مع طبيعة المهمة الموكلة للنبيّ ﷺ والتي ركزّت على التعليم والتزكية وتصحيح العقيدة وتتميم الأخلاق وتصويب المسار السلوكي، وفيما يلي شواهد على ذلك:

تصحيح المفهوم والتصورات:

كان النبيّ ﷺ يحرص أثناء جهده التربوي والدعوي على تصحيح تصورات الناس حول الإنسان والحياة والكون وما فيه من ظاهرات كونية، فمثلًا نفى ﷺ لأصحابه أيَّ علاقة تربط بين ظاهرة كسوف الشمس أو خسوف القمر بحياة الناس أو موتهم؛ وأكَّدَ لهم أن الشمس والقمر وحركتهما آيتان من آيات الله تسيران وفق نواميس، فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، وقد جاء تصحيح هذا التصور في الحديث الذي أخرجه البخاري عن المُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، قال: ((كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ))[2]. والشاهد أن النبيّ ﷺ قوَّم ما كان عند أصحابه من تصورات باطلة حول الكسوف والخسوف، وبيَّن أن ما يحدث لهما آيةٌ من آيات الله الكبرى الدالة على عظمته ﷻ والتي تتطلب الخضوع له والتوجَّه له بالصلاة والدعاء. وفي الحديث شاهدٌ على عظم صدق هذا النبيّ الكريم، وأنه مبعوث من ربِّه، فهو لم يقبل أن يثنى عليه أو يرفع من شأن ابنه المتوفى عليه السلام على حساب سلامة العقيدة وصحة تصوراتها.

وفي شأن اجتماعي نرى النبيّ ﷺ يصحِّح مفهومَ "الواصلِ رحمَه" في قوله ﷺ: ((لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))[3]. وقوّم -أيضًا- مصححًا تصور الناس

(1) انظر: ملحم، همام سعيد، وآخرون، **موسوعة التصنيف الموضوعي للسُّنَّة النبويّة**، تصنيف أحاديث التقويم.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الصلاة في كسوف الشمس، (34/2 - ح: 1043).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، (6/8 - ح: 5991).



حول "الرَّقُوبَ" من الناس و"الشديد" منهم، فقال: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ))؟ قال: قُلْنَا: الَّذِي لا يُولَدُ لَهُ. قال: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)). قال: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ))؟ قال: قُلْنَا: الَّذِي لا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قال: ((لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))(1). يقول الإمام النوويُّ معقبًا: "معنى الحديث أنكم تعتقدون أنَّ الرَّقُوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا؛ بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فَرَطًا وسلفًا"(2). فالمحروم من نعمة الولد في الدنيا فلم يولد له أو مات ولده فهذا كان في عرف الناس هو الرَّقُوب، فصحّح لهم النبيّ ﷺ المفهوم بأن الرَّقُوب في الحقيقة هو رَّقُوب الآخرة، وهو الذي لا يجد له يوم القيامة ولدًا فرطًا ينتفع بأجر الصبر عليه يوم القيامه. "وكذلك كانوا يعتقدون أنَّ الصُّرَعَةَ الممدوح القوي الفاضل الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعًا؛ بل هو من يملك نفسه عند الغضب؛ فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلَّ من يقدر على التخلُّق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول"(3).

وفي ذات الإطار ينبِّهُ النبيّ ﷺ إلى المفهوم الحقيقي للمفلس، وأنه ذاك الذي يفقد حسناته يوم القيامة فلا يبقى منها شيء؛ كما روى أَبو هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))(4).فهو عليه السلام أراد من أصحابه رضي الله عنهم تجاوز المعنى الحرفي المتعارف عليه في دنياهم الفانية إلى المعنى الحقيقي المؤثر والنافع في الآخرة، في إشارة إلى أن دلائلَ الأوصاف ومعانيها تبنى على مآلاتها وآثارها يوم القيامة، فالفائز هناك هو الفائز، والمحروم هناك هو المحروم، والمفلس هناك هو المفلس، والخاسر هناك هو الخاسر. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ [سورة الزمر: 15].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، (2014/4 - ح: 2608).

(2) النووي: يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ، (162/16).

(3) المرجع السابق

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1997 - 2581). المفلس: تؤخذ حسناته لغرمائه يوم القيامة فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضعت عليه ثم ألقي في النار.



زرع القيم وبناء التوجُّهات.

نذكر شاهدًا على ذلك "قيام الليل بالصلاة والتهجد" فهي قيمةٌ إسلامية تمثلها النبيّ ﷺ واهتم بغرسها في نفوس أصحابه وبناءِ التوجُّهِ لأدائها. ومن ذلك أنه استثمر تأويله رؤيا لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فأجاب قائلًا ﷺ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلًا))[1]. والشاهد: الثناء على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وتوجيهه لعمل صالحٍ غفل عنه، أو أنه لم يكن يواظب عليه، ألا وهو قيام الليل... فأخذ الصحابي بهذا التوجيه، والتزم به.

وفي شأن آخر يُؤَكِّدُ فيه على قيمة ذكر الله تعالى عمومًا آناء الليل وأطراف النهار، وعند النوم والاستيقاظ وفي الصباح والمساء، وعند الأكل والشرب، ومنها ذكر الله عقب العطاس بقول "الحمد لله"، كما في الحديث الذي رواه أَنَسُ بن مالك رضي الله عنه، قال: ((عَطَسَ رَجُلاَنِ عِنْدَ النبيّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ))[2]. والشاهد بناءُ التوجُّهِ لدى الصحابة رضي الله عنهم لدوام ذكر الله تعالى من خلال تقديم نوعٍ من الاحترام بتشميت العاطس والدعاء له بالرحمة إذا ذكر الله وحمده.

وعلى ذات القيمة يؤكِّدُ النبيّ ﷺ على فاطمة عليها السلام حين اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فَبَلَغَهَا أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النبيّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَة لَهُ، تقول فاطمة عليها السلام: ((فَأَتَانَا، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا. حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ))[3]. والشاهد في الحديث: تعظيم قيمة ذكر الله تعالى وجعلها خيرًا من الخادم. وفيه دلالة على فضيلة اشغال النفس بالذِّكر بدلًا من الشكوى وما يرافقها عادة من الجدال والقيل والقال؛ فإن ذكر الله ﷻ وطاعته يورث الطمأنينة وتحلّ معه البركة والقوة والمعونة وتتنزل بسببه السكينة والرحمة.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، (2/49 - ح: 1121).

(2) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب الحمد للعاطس، (8/ 49 - ح: 6221). تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ دُعَاءٌ لَهُ، وَكُلُّ دَاعٍ لِأَحَدٍ بِخَيْرٍ فَهُوَ مُشَمِّتٌ لَهُ.انظر : ابن فارس: مقاييس اللغة (3/ 211).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس ، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ، (4/ 84 - ح: 3113).



وفي سياق آخر يُذكّر النبيّ ﷺ بأهمية الصلاة في المسجد ويبني التوجّه والسلوك لفضلِ المشي إليها وما يسبقها من طهارة وإسباغ للوضوء وانتظار الصلاة بعد الصلاة، كما ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَة، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله. قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاط))(1). والشاهد تقويمُ النبيّ ﷺ تقصير بعض الناس في حضور صلاة الجماعة وما يرتبط بها من مقدمات؛ من خلال الترغيب بأجر الجماعة وفضلها عند الله ﷻ، وهو بذلك يزرع قيمًا تربوية عديدة؛ كالطهارة والمشي إلى المساجد، والجلوس فيها، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، مؤكدًا أنَّ الحفاظ عليها قيمة تستحق أن يرابط المسلم عليها فلا يتركها.

تصويب الأداء:

وردت نصوصٌ عديدة لتصويب أداءات العبادات عمومًا، مثلما جرى في حديث المسيءِ صلاته الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ كان في المَسْجِد فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النبيّ ﷺ فَرَدَّ، وقال: ((ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ... ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا))(2). والشاهد: ما جرى من ملاحظة أداء الرجل وهو يصلي في المسجد منفردًا، ثم تقويم النبيّ ﷺ للحالة بالحكم على صلاة الرجل في محاولة لدفعه لتقويم ذاته وإصلاح الخلل الحاصل في صلاته؛ لكن لمّا لم يستطع تقويم نفسه بنفسه تم إرشاده وتعليمه الطريقة الصحيحة لأداء الصلاة والطمأنينة فيها.

وفي ذات السياق لتعليم الطريقة الصحيحة لأداء الصلاة وتصويب أخطاء المصلين، تذكر السُنّة أنَّ النبيّ ﷺ صعد المنبر يومًا وصلَّى عليه أمام الناس، وكان هذا الإجراء مفيدًا في التأكيد على الماهر بالصلاة وفرصة للجاهل ليرى ويتعلم، روى ذلك سَهْل بن سَعْدٍ رضي الله عنه فقال: أَرْسَلَ رسول الله ﷺ إِلَى

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (1/ 219 - ح: 251). والرِّباطُ فِي الأَصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب. وقوله: فَذَلِكُمُ الرِّبَاط: أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل الله، وأن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب وجوب القراءة للإمام، (1/ 152 - ح: 757).



امْرَأَةٍ.. ((انْظُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ، يَعْمَلْ لِي أَعْوَادًا أُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَيْهَا، فَعَمِلَ هَذِهِ الثَّلَاثَ دَرَجَاتٍ.. وَلَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ قَامَ عَلَيْهِ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ رَفَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ عَادَ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ آخِرِ صَلَاتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي))[1].

وأرشد النبيّ ﷺ في موقف آخر الناس لما يجب عليهم من "التيمم بالضرب على التراب" استعدادًا للصلاة إذا فقدوا الماء، وصوَّب ما كان منهم من أخطاء في ذلك، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري، يقول فيه عَمَّارُ بن يَاسِرٍ لِعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ -ذلك- لِلنَّبِيِّ ﷺ، فقال: ((إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا؛ فَضَرَبَ النبيّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ))[2]. والشاهد: تقويمُ النبيّ ﷺ أداءَ أصحابه، مؤكدًا لهما أنَّ الصلاة لا تسقط بفقد الماء، وأن الطهارة عند ذلك تكون بالتيمم، ثم بيَّنَ طريقته الصحيحة؛ بضرب الأرض بالكفين ثم يمسح بهما المرء وجهه ويديه.

وفي موقفٍ آخر يقوِّمُ النبيّ ﷺ أداءَ المسافرين إن هم صاموا خلال سفرهم، فقرَّرَ لهم قاعدةً تخفف عنهم، كما في حديث جَابِرِ بن عبد اللهِ رضي الله عنهما، قال: كَانَ رسول الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ما لَهُ؟ قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ))[3]. والشاهد: تقويمُ النبيّ ﷺ لأداء المسافر الذي سقط على الأرض من تعب السفر ومشقة الصيام فيه، فبين له ولغيره أن "الصيام في السفر" ليس من البر. قال ابن دقيق العيد: "أُخِذَ من هذه القصةِ أنّ كراهة الصوم في السفر مختصة بمن هو في مثل هذه الحالة؛ ممن يُجهِده الصوم ويشقّ عليه أو يؤدي به إلى ترك ما هو أولى من الصوم من وجوه القُرَب"[4].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، (1/ 386 - ح: 544).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التيمم، باب: المتيمم هل ينفخ فيهما؟ (1/ 75 - ح: 338).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، (2/ 786)، (1115).

(4) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (4/ 184).



تعديل السلوك:

من الشواهد في السُنّة على تعديل السلوك حديثُ الأعرابي الذي بال في المسجد، والذي أخرجه البخاري عن أَبي هُرَيْرَة ﷺ قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النبيّ ﷺ: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[1]. وفي الحديث أكثر من شاهد على تعديل السلوك: فقد أُوقِفَ النَّاس ومُنِعوا من تعنيف الأعرابي الجاهل بحرمة المكان، كما قُوِّمَ سلوك الحاضرين من الصحابة ﷺ بأمرهم بالرفق ومراعاة التيسير والرفق. وبالمقابل فقد قُدِّمَ النصح المناسب الممزوج بالرفق والتيسير لتقويم سلوك الأعرابي الذي عُذر لجهله، حيث دَعَاهُ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ لَهُ: ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))[2].

وفي موقف آخر يقوِّم ﷺ بيده سلوك أحدِ أصحابه كان يديم النظر إلى وجه امرأة وَضِيئَة جاءت تَسْتَفْتِي فأدار وجهه عنها، كما روى ذلك عبد اللَّه بن عَبَّاس ﷺ، قال: ((أَرْدَفَ رسول الله ﷺ الفَضْلَ بن عَبَّاسٍ يَوْمَ النَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجُزِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَ الفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فَوَقَفَ النبيّ ﷺ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رسول الله ﷺ فَطَفِقَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فَالْتَفَتَ النبيّ ﷺ وَالفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ فَأَخَذَ بِذَقَنِ الفَضْلِ، فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا..))[3].

كما قوَّم النبيّ ﷺ سلوكَ المجاهدين في سبيل الله في حديث أبي هُرَيْرَة ﷺ قال: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رسول الله ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ "مِدْعَمٌ"... فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رسول الله ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا، فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النبيّ ﷺ بِشِرَاكٍ أو بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب قول النبيِّ ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30 - ح: 6128). ((السَجْل)) وهي الدلو الممتلئة ماء، وكذلك الذنوب.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول، (1/ 236 - ح: 285).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، (8/ 51 - ح: 6228).



رسول الله ﷺ: شِرَاكٌ - أو شِرَاكَانِ- مِنْ نَارٍ))[1]. والشاهد: تصحيح النبيّ ﷺ لسلوك المجاهدين ومن سار معهم، فصوَّب طريقة تعاملهم مع الغنائم قبل قسمها، وحذَّرهم من الغلول ولو بالشيء القليل.

وفي موقف آخر يحذِّرُ النبيّ ﷺ من الحلف بغير الله تعالى أو لعن المؤمن أو تكفيره، أو قتل النفس، باعتبارها سلوكات محرمة ينبغي تجنبها، كما في حديث ثَابِتِ بن الضَّحَّاكِ، عَنِ النبيّ ﷺ قال: ((مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قال، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ))[2]. والشاهد: التحذير من عدة سلوكات مخالفة للإسلام؛ كالحلف بغير الله، أو الانتحار بأي شكل، أو لعن المؤمن لأخيه، أو وصمه بالكفر.

وفي ذات السياق يقوِّمُ النبيّ ﷺ سلوكَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فضله ومكانته، حين حلف - مرةً - بغير الله تعالى كما أخرج ذلك البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بن الخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: ((أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أو لِيَصْمُتْ))[3].

في موقف آخر يقول النبيّ ﷺ محذرًا النساء من اللعن وكفران العشير: ((يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: ((تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ))[4]. والشاهد في الحديث ما جرى من سعي النبيّ لتعديل سلوكات، وغرس سلوكات حسنة بديلة عند النساء، وجاء ذلك في سياق تقويم بنائي تحذيري للمرأة المسلمة، والتأكيد على دورها الإيجابي الهام في تحقيق تماسك الأسرة وبناء المجتمع. ومن دلالة الموقف النبوي تخصيص التقويم التربوي "بالصدقة والإكثار من الاستغفار" في

---

(1) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (5/ 138 - ح: 4234). العائر من السهم والحجارة: هو الذي لا يدري من أين يأتي. الشَّملة: كساء يشتمل به الرجل. والشِّراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

(2) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، (8/ 26 - ح: 6105). (ثابت بن الضحاك الأوسي، أبو زيد المدني: كان ممن بايع تحت الشجرة، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد. مات في سنة 64 هـ). انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (2/ 8).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (8/ 132 - ح: 6646).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، (1/ 86 - ح: 79). (أريتكن) أراني الله إياكن وذلك ليلة الإسراء. (تكثرن اللعن) تتلفظن به كثيرًا. (تكفرن العشير) تجحدن نعمة الزوج وتنكرن إحسانه.



إشارة أنهما من أعظم ما يدفع به عذاب الله تعالى وتصلح به النفوس. فتكرار الاستغفار وكثرته مظنة حصول مراجعة المرأة لنفسها وتحقق التقويم الذاتي. أما الصدقة واعتيادها فهي مظنة الفِكاك من شُحِّ النفوس وتهوين التعلُّقِ بالدنيا الزائلة؛ وهذا مؤثر في التقليل من التذمر والشكوى ونكران العشير بسبب ضيق العيش ونحوه. ويتسع مفهوم الصدقة ليتعدى صدقة المال إلى الصدقة بالعفو والسماحة والتغافل والكلمة الطيبة والإصلاح بين الناس والعدل بينهم، وقد عنون مسلم في صحيحه فقال: باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف. وذكر حديث النبيّ ﷺ قال: ((وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))[1].

المطلب الثالث

أغراض التقويم التربوي للتحفيز والتعزيز

يجدر الإشارة بداية أن تحفيز المتعلم للقيام بالفعل أو تجويده يكون قبل الأداء، أما تعزيزه فيكون عقب الأداء كمكافأة له وتقدير، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

1- التقويم للتحفيز:

اتَّضح سابقًا من مفهوم التقويم التربوي أنه معنيٌّ بتحفيز المتعلمين على التقدم والثبات على الحق وبذل الجهد المضاعف للتحسين والتجويد؛ فالتقويم يصنع الحافز ويبني الدافع للفعل أو للترك.

ويتحقق الغرض التحفيزي للتقويم من خلال ملاحظة المعلم أو رصده لجوانب القوة والإبداع عند المتعلم، ثم وضع الحافز وتوجيهه للتقدم إلى مستوى أعلى مما هو عليه، ونذكر فيما يأتي ثلاث وسائل للتحفيز استخدمت في العملية التربوية النبويّة على النحو الآتي:

أ. **التذكير بالجزاء الحسن المنتظر**، كالوعد بالأجر والثواب ونحوه، فنجد في السُنّة النبويّة دوام التذكير بما أعده الله ﷻ من جزاء حسن للمرء في الجنة. كما في قصة عُمَيْرِ بن الْحُمَامِ ابن الجَمُوْحِ الأَنْصَارِيِّ السَّلَمِيِّ رضي الله عنه التي رواها أَنَس بن مالك رضي الله عنه، فحين قال النبيّ ﷺ يوم بدر: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْض)). قال عُمَيْرُ رضي الله عنه: يَا رسول الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قال: ((نَعَمْ)). قال: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((ما يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ))؟ قال: لا وَاللهِ يَا رسول الله، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قال: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)). فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ

(1) المرجع السابق، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (2/ 699 - ح: 1009).



مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قال: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قال: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ))[1]. ومن ذلك ما ورد في السُنّة النبويّة من تحفيز الصحابة ﵃ على الثبات والصبر، كما في حديث جابرٍ بن عبد الله ﵁ أن رسول الله ﷺ ((مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ))[2]. والشاهد في الحديثين السابقين استخدامُ النبيّ ﷺ الوعدَ بالجنة، والتذكير بالجزاء الحسن المنتظر؛ لتثبيت أصحابه ومضاعفة صبرهم، وقد أثمر تحفيزه خيرًا؛ فقام عمير يجاهد ويقاتل حتى استشهد، وصبر آل ياسر حتى نال الزوجين - ياسر وسمية- الشهادة صابرين ﵃.

وكان يجري تحفيز المتعلمين من الصحابة ﵃ على أداء المهام خاصَّةً إن كان ثمة ظروف صعبة، كيوم أُحُد، فقد روى ذلك أَنَس بن مالك ﵁ أَنَّ رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قال: ((مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ - أو هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ- فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أو هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: ما أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا))[3].

والشاهد ما فعله النبيّ ﷺ في غزوة أحد من تحفيز أصحابه على الجهاد والقتال بعد أن دارت الدائرة على المسلمين، فقد تعرض النبيّ ﷺ لهجمة شديدة من مقاتلي قريش، وبقي في قلة قليلة من أصحابه الكرام يجاهدون معه ويدفعون عنه، فتطلب الأمر تحفيزًا إضافيًا؛ فوعد بالرفقة في الجنة لمن يردُّ الكافرين ويدفعهم. وقد أثمر هذا التحفيز بسالةً وثباتًا وإقدامًا قدّره النبيّ ﷺ وأثنى على أصحابه الشهداء ﵃.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، (3/ 1509 - 1901). (بخ بخ) فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منونا وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. (فأخرج تمرات من قرنه) هو بقاف وراء مفتوحتين أي جعبة النشاب. وفيه جواز الانغماس في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء. انظر: النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (13/ 46).

(2) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ذكر مناقب عمار بن ياسر ﵁ (3/ 438)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، (3/ 1415 - ح1789).



ب. **سرد قصص السابقين من الموهوبين والمتفوقين،** والتعرض للأسباب التي أوصلتهم إلى العَلياء والقِمَم وتحبيب شخصياتهم إلى المتعلم؛ ليتَّخذهم مثلًا وقدوة، مع ضرورة لفت الانتباه إلى جعل هؤلاء القدوة بوابةً نحو مزيد من التقدم والإبداع وإضافة الجديد، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند ما حقَّقوه ووصلوا إليه[1]. وفي هذا السياق نجد أن القرآن الكريم قصّ كثيرًا من قصص الرسل والأنبياء عليهم السلام تسليةً للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وهي في ذات الوقت كانت تبني الأسوة بأبطال تلك القصص، فيتحفز المتعلم والسامع للتخلُّقِ بأخلاقهم والتحمُّل والثبات والصبر مثلهم والسير على خطاهم، نحو قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ [سورة الممتحنة: 4].

وكذلك الحال في السُنّة النبويّة فقد أوردت قصصًا للمؤمنين من الأمم السابقة؛ تحفيزًا للصحابة رضي الله عنهم على التأسي بهم، ومن شواهد ذلك ما قاله خَبَّاب بن الأَرَتّ رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النبيّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: ((لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أو عَصَبٍ، ما يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ ما يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، ما يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ))[2]. والشاهد: أنَّ النبيّ ﷺ جعل من سِير السابقين من المؤمنين دافعًا وحافزًا لخباب وغيره من جيل الصحابة رضي الله عنهم لتحفيزهم لمزيد من الصبر والتحمل والثبات.

ومن الشواهدِ على التحفيز ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: نَزَلَ النبيّ ﷺ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((تَعَهَّدْنَا ائْتِنَا)). فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا حَاجَتُكَ))؟ فَقَالَ: نَاقَةٌ بِرَحْلِهَا وَيَحْلِبُ لَبَنَهَا أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((عَجَزَ هَذَا أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ)). فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: ((إِنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ

---

(1) انظر: العامري، عبد الله، **المعلم الناجح**، عمان - الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2019م، (ص: 82).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبيّ ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، (5/ -45 3852).



عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نخْرجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلَّا عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى؛ فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ. قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ؛ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَعْطِهَا حُكْمَهَا. فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا؛ فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمُ أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا قَالَتْ لَهُمُ: احْفِرُوا فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ فَلَمَّا أَنْ أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ))[1]. والشاهد في الحديث: الدعوةُ إلى التأسِّي بعجوز بني إسرائيل الموفقة والمتميزة، فهي قدمَّتْ أسوةً في تجاوز متاع الدنيا الزائل والنظر إلى الجنة ورفقة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أعالي الدرجات. وقد شكَّلَ موقفها حافزًا يدفع إلى اقتناص فرص النجاح والتطلع لمعالي الأمور.

ج. **الدعاء للمتعلم والتلطف به والثناء عليه.** وهذا يشعر المتعلم بالتقدير ويحفزه؛ لمزيد من العطاء والثبات وحسن الأداء، ومن الشواهد على الأثر التحفيزي ما رُوي عن أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ حين قصَّتْ على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا لأخيها عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال لها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؛ فكان بَعْدُ لا يَنام من الليلِ إلا قليلًا))[2]. والشاهد أن التقويم الذي قام به النبيّ لحالة عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والثناء عليه خَلَقَ عنده حالةً من التحفيز أثمرت تشميرًا واجتهادًا؛ لأداء أفضل في قيام الليل، فكان لا ينام من الليل إلا قليلًا. ومن ذلك التحفيز ما نقله سَعِيد بْنُ المُسَيِّب قال: سَمِعْتُ سَعْد بْنَ أَبِي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُول: نَثَلَ لِي النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: ((ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي))[3]. وفي ذلك اليوم - يوم غزوة أُحد- أصيب المسلمون، وقلَّ الرجال الثابتون حوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجمع في تحفيزه لسعد والديه.

---

(1) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، ذكر مناقب عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (2/ 439)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، (2/49 - ح: 1121).

(3) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: 122]، (5/97 - ح: 4055). (نثل كنانته) استخرج لي ما فيها من سهام. و(سعد) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم مبكرًا، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أحد الستة أهل الشورى وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان ممن ثبت يوم أحد. ومات سنة (51 هـ) وهو ابن (73سنة). انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (3/ 483).



2- التقويم للتعزيز:

يُعرَّف التعزيز بأنه: "تقوية السلوك من خلال إضافة مثيرات إيجابية أو إزالة مثيرات منفرة، الأمر الذي يترتب عليه زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة"[1]. والتجارب والواقع يوكدان الأثر الكبير والمبارك للتعزيز - بنوعيه المادي والمعنوي- وكيف يسهم في تجاوزِ كثيرٍ من تحديات التعلم والتربية والتدريب والحفظ، كما أنه يسرِّع في تعديل السلوك أو تمام الأداء المطلوب. ويحقِّقُ التقويم غرضه التعزيزي من خلال الرصد لنواتج التعلم وما وصل إليه المتعلم من إنجازٍ معرفي أو مهاري ونحوه؛ حينها يقدم له المعلم تعزيزًا معنويًّا بالمدح والثناء والتقدير ونحوه، أو ماديًّا بعطاءٍ محبوب، أو يرفع عنه شكلًا من أشكال الضغط المكروهة.

ومن الجدير ذكرُهُ أن هذا التعزيز مظنة دفع المتعلم لتكرار ما أحسن فيه، أو تقديم مستوى أعلى من الأداء والإبداع؛ فالتعزيز بمثابة مكافأة تُعطى لتقوية الاستجابة وزيادة تكرارها [2].

كما أن لتعزيز المتعلم أثرٌ مبارك ممتد إلى الأقران ومن كان في حكمهم؛ فيُشمّرون للاقتداء والتأسي والسير على ذات الطريق. وثمة شواهد عديدة في السُنّة النبويّة على استخدام التعزيز والثناء على المتعلمين، ونذكر منها على سبيل المثال: تقدير النبيّ ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وتعزيزه، كما في حديث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يَقُولُ: ((مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ -يَعْنِي الجَنَّةَ- يَا عبد الله هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرَّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ما عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وقال: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رسول الله؟ قال: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ))[3]. وفي الحديث مشهد تقويمي يدفع السامع لتفقد حاله وسؤال نفسه: من أي أبواب الجنة أَستحق أن أُدعى؟ والموقف التربوي في الحديث بدأ بالتحفيز

---

(1) الكريمين، **استراتيجيات التدريس الفعال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم**، (ص: 327).

(2) انظر: دغمان: نجاة محمد، **تطوير أداء معلمات التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم المناهج، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (ص: 86).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أصحابِ النبيِّ ﷺ، باب قول النبيِّ ﷺ: ((لو كنت متخذًا خليلًا))، (5/6 - ح: 3666).



وانتهى بالتعزيز، وهو بالإجمال يدفع للتميز الإيجابي المثمر في أداءات صالحة متنوعة ضمن ما يحسن المرء وما لديه من إمكانات وميول، فقد يتميز الغني بالصدقة فيدعى من بابها في الجنة، وقد يتميز آخرُ بالصلاة فيدعى من بابها، وقد يتميز القوي الشجاع بالجهاد فيدعى من بابه، وقد يتميز آخر بالصيام فيدعى من بابه، وليس على أحدٍ من سبيل أن يتميز بها كلها فيدعى من كل أبواب الجنة، وهذا الذي سأل عنه أبو بكر ﵁ فكان جواب النبيّ ﷺ له تقديرًا وتعزيزًا.

ويقدِّم النبيّ ﷺ تعزيزًا لعمر بن الخطاب ﵁ أثناء تفسيره رؤيا له ﷺ، فقال: ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، شَرِبْتُ، يَعْنِي، اللَّبَنَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أو فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ. فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قال: العِلْمَ))[1]. ونحوه قول النبيّ ﷺ في حقِّ عثمان بن عفان ﵁ تعزيزًا وثناء: ((مَا ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ))[2]؛ بسبب مساهمته السخية في تجهيز جيش العسرة في العام التاسع للهجرة.

- وعمومًا - فقد كان من عادة النبيّ ﷺ أن يكافئ المحسن من أصحابه ويخصّ المساكين والضعفاء بعنايته، فيتفقدهم ويسأله عن حاجتهم تعزيزًا لهم وتقديرًا وجبرًا لخواطرهم، ومن ذلك ما رواه رواية ربيعَة بن كَعْب الْأَسْلَمِي ﵁، قال: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))[3]. والشاهد هذا التقدير من النبيّ ﷺ لهذا الصحابي - من أهل الصُّفة - بسؤاله عن حاجته ومكافأته، ثم تعزيزه له بالموافقة على طلبه، وتحفيزه للتشمير لكثرة السجود ودلالته على ما يرفعه ليكون رفيق النبيّ ﷺ في الجنة. وفي الحديث دلالة على فطنة هذا الصحابي ﵁ وإثاره مرافقة النبي ﷺ في الجنة على متاع الدنيا الزائل.

---

(1) المرجع السابق، كتاب أصحاب النبيّ ﷺ، مناقب عمر، (5/ 10 - ح: 3681).

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان، (5/ 626 - ح: 3701). وحسَّنه الترمذي.

(3) مسلم: **صحيح صحيح**، كتاب الصلاة، باب فضل السجود، (1/ 353 - ح: 489). ربِيعَة الْأَسْلَمِي: مدني، كان من أهل الصُّفة، خدم النبيّ ﷺ ولازمه في السفر والحضر وروى عنه، مات سنة 63 هـ. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب** (3/ 262)



المطلب الرابع

أغراض التقويم التربوي الوقائية

يمكن تعريف التقويم التربوي الوقائي بأنه: التنبؤ بالأخطاء والمشكلات التي قد يقع فيها المتعلم قبل وقوعها وذلك استنادًا لخبرة واسعة وممارسة ميدانية سابقة، وتحذيره منها.

وهذا الأسلوب التقويمي يهدف إلى تجنيب أفراد الفئة المستهدفة أيَّ صعوبات أو عثرات قد تعترض أداءهم لأعمالهم ومهامهم المتصلة بتنظيم التعلم أو التعليم أو الإدارة أو التقويم(1).

وينظر المعلم من حرصه على المتعلمين بعين المستقبل، ويلفت انتباههم لتصحيح البدايات لتسلم لهم النهايات، فيجري تقويمًا وقائيًّا تحذيريًّا بناء على التجربة والخبرة السابقة والتغذية الراجعة، فينبه من الزلل ويُحذِّر من لحوق التقصير، وبالتالي يكسب قلوب المتعلمين ويشعرهم بالوفاء والحب. وقد اهتمَّ الباحثون بالتربية الوقائية، ومما كُتب من الدراسات العلمية - مؤخرًا- في هذا المجال؛ رسالتا ماجستير، الأولى بعنوان: التربية الوقائية في القرآن الكريم(2)، والثانية بعنوان: التربية الوقائية في السُنّة النبويّة وتطبيقاتها(3).

ومن شواهد السُنّة النبويّة التي قدَّمها النبيّ ﷺ لأصحابه في إطار التقويم الوقائي، وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في سياق حديث طويل: ((أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قال: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))(4). والشاهد في الحديث التحذير والتنبيه من خطورة اللسان وما يمكن أن يقع به من زلات، فدعاه لضبطه والحذر من عواقب زلاته وما يصدر عنه.

---

(1) انظر: وصوص، ديمة، والجوارنة، المعتصم بالله، **الإشراف التربوي ماهيته تطوره أنواعه أساليبه**، دار الخليج دار الخليج للنشر والتوزيع، 2014م، (ص: 82).

(2) زيود، حازم حسني، **التربية الوقائية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة النجاح، فلسطين، 1430هـ - 2009م.

(3) العنزي، عبد الله عقيل، **التربية الوقائية في السُنّة النبويّة وتطبيقاتها على تلاميذ المرحلة الابتدائية**، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية التربية، السعودية، 2018م.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (4/ 308 -ح: 2616)، وقال: حديث حسن صحيح.



ومما يندرج من أحاديث تحت "التقويم الوقائي" ما رواه عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النبيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((وَيْحَكُمْ - أَوْ قَالَ: وَيْلَكُمْ - لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))(1). وهو بذلك يحذِّرُهم من النكوص إلى الضلال والكفر، وما يتبع ذلك من التنازع والتقاتل.

المطلب الخامس

أغراض التقويم التربوي التنظيمية

كثيرًا ما كانت تبرز أمام النبيّ ﷺ والصحابة رضي الله عنهم تحديات ومستجدات في أثناء ممارستهم عمليات الدعوة والتربية والإعداد والبناء، مما كان يتطلب منهم تنظيمًا وترتيبًا وتقديمًا وتأخيرًا، وكان يرفع بعضها إلى النبي ﷺ كتغذية راجعة على شكل مقترح لمسار تربوي مستقبلي أو تعديل لمسار قائم. فمثلًا وبناءً على تقويمه ﷺ لحال الناس في مكة، فهو قد بدأ دعوته وتربيته لأصحابه سرًّا، ثم جاء التوجيهُ للبدء بدعوة العشيرة والأقربين، ثم جهر بالدعوة وصدح بها بعد ثلاث سنوات. وكان الجهاد في الفترة المكيِّة بالقرآن والحجة والبيان، وأمر بعض الصحابة رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة تخلصًا من أذى قريش، وادخارًا لفئة مؤمنة تتربى وتتعلم وتعبد الله حُرَّةً بعيدةً عن سطوة المشركين.

ثم توجَّه النبيّ ﷺ للبحث عن نصير لدعوته، وحاضنة للتربية خارج مكة، فتجاوز مدينة الطائف حين رفض أهلها قبول دعوته، حتى وصل به الأمر إلى الهجرة إلى يثرب، وفيها كتب وثيقة المدينة التي نظَّمت علاقات المسلمين بغيرهم من سكان يثرب. وحينما استقر المسلمون في يثرب تم التعرض لتجارة قريش، وشرع النبيّ ﷺ لأصحابه القتال بالسيف، وعقد الصلح والتحالفات، وأرسل المعلمين والدعاة فحملوا الرسائل إلى أطراف الجزيرة وخارجها؛ كل ذلك ليصل إلى شريحة أكبر من الناس والمتعلمين ثم يباشر معهم مشوار التزكية والتعليم وما يرافقه من تقويم تربوي.

ومن القضايا التنظيمية أيضًا ما ارتبط بمحتوى الرسالة - القرآن الكريم- وما جرى من العناية الكبيرة بكتابة آياته فور نزولها، وما رافق ذلك من النهي عن كتابة غير القرآن الكريم كيلا يختلط معه غيره.

ومن الجدير بالذكر أنَّ النبيّ ﷺ كان ينظم مسار العملية التربوية مدركًا مراحلها، ويؤمن يقينًا بنجاحها، لذا لم يكن يتردَّدُ في رفض أيّة محاولة من أصحابه رضي الله عنهم لاستعجال النتائج، أو تجاوز

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: لا ترجعوا بعدي كفارًا..، (82/1 - ح: 66). (ويحكم، أو ويلكم) كلمتان للتعجب والتوجع والزجر. (كفارًا) تفعلون فعل الكفار.



المراحل، أو تغيير أدوات التعامل مع المشركين. فكان يربِّي أصحابه على الصبر والثبات والثقة بوعد الله تعالى، ومن ذلك توجيهه لخَبَّاب بن الأَرَتّ ﷺ بعد ازدياد ظلم مشركي قريش في مكة، يقول خَبَّاب ﷺ: شَكَوْنَا إِلَى رسول الله ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فقال: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[1].والشاهد: إدراك النبيّ ﷺ لعاملِ الزمن، وأثره في إحداثِ التغيير الإيجابي على مستوى الفرد والمجتمع، وأيضًا ثقته الكبيرة بتحقق وعد الله وانتصار الحق على الباطل، لذلك لم يسمح للمندفعين أو الغيورين - حتى لو كانت نيتهم حسنة- بتغيير المسار التربوي أو الدعوي أو الانتقال إلى مرحلة تقويمية متقدمة قبل أوانها.

ويمكن ملاحظة عناية النبيّ ﷺ لتشخيص مدى التقدم في الإنجاز الدعوي والتربوي؛ من خلال طلبه إجراء إحصاء لأعداد من يلفظ الإسلام، وقد ورد ذلك في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ الذي أخرجه مسلم: قال: كُنَّا مَعَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ، قال: فَقُلْنَا: يَا رسول الله، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ ما بَيْنَ السِّتِّمِئَةِ إِلَى السَّبْعِمِئةٍ؟ قال: إِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا، قال: فَابْتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا))[2]. والشاهد هذه العملية الإحصائية التي تمت بأمر النبيّ ﷺ للوقوف على بيانات الأعداد والإمكانات، مما يعين على اتخاذ القرار الإداري المناسب الذي يحفظ سلامة المؤمنين ويخفف تبعات المواجهة والابتلاء.

وكان التقويم التربوي يتدخل في تحديد المكان والزمان المناسبين للتربية والتعليم، واختيار أدواته والمعلمين المناسبين، والتقديم والتأخير في تنفيذ الإجراءات التقويمية والتدرج فيها. كل هذه الإجراءات التقويمية؛ كان يتم إدارتها وتنظيمها فيما يخدم تقدّم العملية التربوية وتقويمها. فقد ذكرت مرويات السُنّة النبويّة اتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ للتربية والتعليم، وذكرت الهجرتين إلى الحبشة ومبررات كل منهما - وكان منها البحث عن بيئة آمنة ومناسبة للتربية والتعليم- ثم بُنيت المساجد لتكون أماكن للعبادة والتزكية الروحية والتربية والتعليم والتقويم.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (4/ 201 - ح: 3612).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الاستسرار للخائف، (1/ 131 - ح: 149).



وقد ذكرت السُنّة النبويّة وصية النبيّ ﷺ لمعاذ بن جَبَل رضي الله عنه بالتدرج في تطبيق المحتوى التربوي وتقويم الناس، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَن، فقال له: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))[1].

وقدَّمَ النبيّ ﷺ أمورًا فقوَّمها وأخَّر أخرى لحكمة قدَّرها، فترك هدم الأصنام حول الكعبة حتى فتحت مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة، ثم أمر بتطهير بيئتها من مظاهر الشرك كُليًّا مع نهاية العام التاسع للهجرة في موسم الحج الأكبر عقب نزول سورة التوبة. وقد ذكرت السُنّة النبويّة ترك النبيّ ﷺ تصحيح بناء الكعبة مراعاة لحالة الناس، وخشيته من فتنتهم إن رأوها تهدم، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: ((لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ -أَوْ قَالَ: بِكُفْرٍ- لَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَجَعَلْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، وَلَأَدْخَلْتُ فِيهَا مِنَ الْحِجْرِ))[2].

وسجّلت السُنّة النبويّة حسن إدارته ﷺ في التعامل مع جيرانه اليهود، فلم يخرجهم أو يقتلهم؛ حتى نقضوا عهدهم وجاهروا بعدواتهم.

ونحوه من حسن إدارته ﷺ في التعامل مع ملف المنافقين وكثرة حيلهم واعتذارهم، فكرّر نصحهم ووعظهم، وتجنب فضح أعيانهم أو قتلهم، وأبقى لهم باب التوبة والرجوع مواربًا.

وقد تميزت إجراءات النبيّ ﷺ على وجه العموم ببعد النظر، والذي تطلب الصبر والحلم على المدعوين والمتعلمين، فلم يترك النبيّ ﷺ قومه، ولم يدعُ بهلاكهم، كما جرى مع بعض من سبقه من إخوانه الأنبياء الكرام عليهم السلام بل ظلّ بينهم مشفقًا عليهم يدعو لهم بالهداية.

وما سبق من الشواهد يؤكّد أنَ غرض التنظيم والإدارة في التعامل مع المتعلمين كان حاضرًا في العملية التقويمية التربوية النبويّة، وكان يُراعَى بناءً على تصور الأهداف التربوية النهائية، وبناءً على فهمٍ دقيق لمعطيات البيئة، وظروفِ الواقع، وحال المستهدفين، وتقدير للإمكانات، ومراعاة لميزان المصالح والمفاسد.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، (2/ 128 - ح: 1496).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، (2/ 969 - ح: 1333).







المبحث الثالث

ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

الضوابط، من الضَّبْط، وهو لُزُومُ الشَّيْءِ وحَبْسُه. وضَبْطُ الشَّيْءِ حِفْظُه بِالْحَزْمِ. يقال: ضَبَطَ عَلَيْهِ وضَبَطَه يَضْبُط ضَبْطاً [1].

والمفهوم الإجرائي للضوابط في هذا المبحث بأنها: جملة المبادئ أو الشروط الشرعية والأخلاقية والإدارية التي تلزم التقويم التربوي، وتحكم مساره؛ لينجح ويحقق أغراضه بما ينسجم مع أهداف المنهج التربوي.

ونفصّل فيما يأتي في ثلاثة أنواع من ضوابط التقويم في السُنّة النبويّة: في الإطار الديني، والأخلاقي، والإداري، ضمن المطالب الثلاثة الآتية:

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، (7/ 340).



المطلب الأول
ضوابط التقويم التربوي الدينية

نعرض فيما يلي ضوابط شرعية كانت تحرس عملية التقويم التربوي النبوي، على النحو الآتي:

1. استحضار نية التعبد في العملية التقويمية مِن قِبل المقوِّم والمقوَّم.

ونية التعبد تتمثل بالإخلاص لله ﷻ في الأقوال والأفعال والنِّيات، وهي تعتبر ضابطًا أساسيًا في قبول أعمال المسلم عمومًا، وفي العبادات خصوصًا. كما هو ظاهر دلالة حديث عُمَر بن الخَطَّابِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُول: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ))(1). ويرتبط هذا الضابط بضابط آخر حتى تقبل الأعمال عند الله تعالى وهو صحة العمل وموافقته للشرع، كما هو ظاهر من دلالة قوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الكهف: 110]، ويتولَّد عن استحضار الإخلاص وسلامة الاتباعِ تجويدُ الأداء والإحسان فيه، ويتحقق فيه جملة من القيم التربوية كالأمانة، والعدل، والسلامة من الغش.

2. مراعاة التقويم لقدرات المتعلمين الجسدية والعقلية.

ينبغي أن يراعي المقوِّم ما يطيقه المتعلمون من الفهم وما يقدرون عليه من الأداء، فيعذر جهل الصغير، وعجز الكبير، ويدرك أثر البيئة والعرف، كما يُفهم ذلك من وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: ((حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))(2). والشاهد: تأكيده رضي الله عنه على المعلمين والمربين عند مخاطبتهم الناس أو تزكيتهم أو تقويمهم؛ بضرورة مراعاة ما بين المتعلمين من تفاوت في الأفهام وما يطيقونه من قدرات وما يحيط بهم من ظروف.

ونحوه حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين كان رَدِيفَ النبيّ ﷺ عَلَى الرَّحْلِ، فقال له: ((يَا مُعَاذَ بن جَبَلٍ)). قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: ((يَا مُعَاذُ)). قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قال: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كيف كان بدء الوحي، (1/6 - ح: 1).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم..، (1/ 37 - ح: 127).



النَّارِ)). قال يَا رسول الله: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: ((إِذًا يَتَّكِلُوا)). وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا))[1]. والشاهد: كما بوَّبَ البخاري: أن النبيّ ﷺ خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية ألَّا يَفهم - من جهل- فيتَّكل. وفي الحديث تقويمٌ مرتبط بالشهادتين ركن الإسلام الأول، فإن قالها صاحبها صدقًا من قلبه؛ حرَّمه الله على النار. ويتعامل العالِم المسلم مع ظاهر الحديث بطريقة إيجابية تدفعه لدوام العمل شكرًا لله ﷻ، أما الجاهل فقد يتَّكِل عليه فيترك العمل. قال الحافظ ابن حجر- شارحًا-: أيْ إنْ أخبرتهم -يا معاذ- يتّكِلوا فيمتنعوا من العمل؛ اعتمادًا على ما يتبادر من ظاهر الحديث[2].

3. مراعاة مشروعية الوسائل والطرق التربوية والأساليب.

فيتحرى المقوِّم المباح والأرفق وما أوصى به الشرع من الحكمة والموعظة الحسنة وحسن التدبير ونحوه. ويتجنب كل ما حُرِّم من الطرق والوسائل وما به قسوة وتحطيم للمتعلمين، لقول النبيّ ﷺ: ((إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ))[3].

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: بَعَثَ النبيّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النبيّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قال: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النبيّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ. فَبَلَغَ النبيّ ﷺ فَقَالَ: ((لَوْ دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ؛ الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ))[4]. وظاهر الحديث يدل على أنَّ الطاعة تَحرُمُ في المعصية المأمور بها، وأنَّ المطيع فيها يستحق العقاب[5].

وعليه فإن على المتعلم أن يطيع معلمَه طاعة مُبْصرة - أثناء التقويم وإجراءات التعلم والتعليم والتربية - فإن أمره بمعروف أو مباح امتثل، وإن أمره بمعصية فلا طاعة لمخلوق -أيًّا كان- في معصية

(1) المرجع السابق، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، (1/37 - ح: 128).

(2) انظر: ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/227).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، (3/ 1461 - ح: 1830). (الْحُطَمَةُ)؛ هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار، ضربه مثلًا لوالي السوء.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة، (5/ 161 - ح: 4340).

(5) انظر: القرطبي، أحمد بن عمر، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محيي الدين ميستو وآخرون، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط 1، 1417هـ- 1996م، (4/ 40).

الخالق. وفي الحديث تقويم لهذه الوسيلة المحرمة التي حاول استخدامها أمير السَرِيَة، وأنه لا مبرر أبدًا أن يعاقب بها أصحابه أو يقوِّم سلوكهم بتعريضهم للحرق والهلاك.

ومن دلالة الحديث: أنَّ على المقوِّم أن يتقي الله تعالى فيمن تحت يده من المتعلمين، فيكون تقويمهم بما أباحه الله تعالى من طرق وأساليب ووسائل. وفي المقابل حذَّر الأتباع والمتعلمين من قبول الطاعة في أمر يكون معصيةً لله تعالى فيقع عليهم غضبه، ولا عذر لهم. فهذه كما قال ابن القيِّم: "فتوى عامة لكل من أمره أمير بمعصية اللَّه كائنًا من كان، ولا تخصيص فيها البتة"(1).

المطلب الثاني
ضوابط التقويم التربوي الأخلاقية

وفيما يلي جملة من الضوابط الأخلاقية التي أشارت إليها السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

أ. تجنب الاعتماد على الظن؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [سورة يونس: 36]، ولحديث أَبِي هُرَيْرَة ﵁ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ))(2). فالظن والتخمين مسلك ضعيف غير صالح للبناء عليه عند إصدار الأحكام على الناس أو حال تقويمهم.

وقد ذكرت السُنّة النبويّة ما وقع فيه بعض الصحابة ﵃ من زلل حين انساقوا خلف المنافقين في قولهم الإفك وظنهم السوء في حقّ الطاهرة أم المؤمنين عائشة ﵂ فجاء تقويمهم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾ [سورة النور: 12]. وفي الموقف قدّم النبيّ ﷺ أسوة حسنة في تعامله مع حالات الافتراء وسوء الظن، وأنه ينبغي التثبت والتقصي قبل إصدار الأحكام النهائية أو اعتماد الشاهدات(3).

---

(1) ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (6/ 567).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (8/ 19 - ح: 6064).

(3) المرجع السابق، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، (3/ 173 - ح: 2661). (يَرِيبُكِ) من الشك والشبهة، (أَغْمِصُهُ): أي: أستره أو أعيبُه. (الدَّاجِنُ) الشاة التي تألف البيت.



ب. تجنب التجسس وما فيه من تتبع للعورات، ووجوب ردّ الغيبة والنميمة. فالتجسس محرم شرعًا ولا يصلح أن يعتمد مصدرًا للمعلومات التشخيصية حول المتعلمين أو المستهدفين بالتقويم التربوي، لقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجَسَّسُوا**﴾ [سورة الحجرات: 12]، ولحديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا))[1]. والشاهد ورود النهي الصريح في الكتاب والسُنّة عن تجسس المسلم على أخيه، أو البحث عن معايبه وأسرارِه التي لا يرضى إفشاءها أو اطّلاعَ غيرِهِ عليها[2].

وعليه فالتجسس مناقض لحق الأخوة بين المؤمنين، والتي يجب تعاهدها ومراعاتها حتى في عملية التقويم التربوي. وعند النووي أن: التحسس والتجسس بمعنى واحد، وهو طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة. وقيل: التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم، وبالجيم البحث عن العورات والتفتيش عن بواطن الأمور[3]. وقال الماوردي: "وأما ما لم يظهر من المحظورات، فليس للمحتسب أن يتجسس عنها ولا أن يهتك الأستار"[4].

وقد ورد التحذير من تتبع عورات الناس لما تحدثه من آثار تؤدي إلى فشل التقويم التربوي وقلة الحياء والعناد والمكابرة والمجاهرة؛ كما في دلالة رواية معاوية ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((إنَّكَ إن اتَّبعتَ عَوراتِ الناسِ أَفْسَدْتَهُم، أو كِدْتَ أن تُفْسِدَهُم))[5]. ويظهر فسادهم عند ظهور قلة الحياء، ومجاهرتهم بالمعايب، والقيام بها عنادًا.

وقد ثبت التحذير النبوي من تتبع عورات المؤمنين، في الحديث الذي أخرجه الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: ((صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)) [6].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (8/ 19 - ح: 6064).

(2) العسكري: **معجم الفروق اللغوية**، (ص: 118).

(3) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (16/ 119).

(4) الماوردي، علي بن محمد، **الأحكام السلطانية**، القاهرة، دار الحديث، (د. ط)، (د. ت)، (ص: 365).

(5) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسُّس، (250/7 -ح: 4888). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح في تحقيقه كتاب سنن أبي داود.

(6) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (378/4 - ح: 2032). وقال: حديث حسن غريب.



وقد أوردت السُنّة النبويّة امتثال علماء الصحابة ﷺ وتأكيدهم على تحريم التجسس والغيبة والنميمة، وعدم التعامل مع أي بيانات ترد من خلالها، وأنها لا تصلح لبناء الأحكام التقويمية على أساسها. فقد أخرج الحاكم وأبو داود عن زيدِ بنِ وهب، قال: أُتي ابن مسعود ﷺ، فقيل: هذا فلان تقطُرُ لحيتُه خمراً، فقال عبد الله: ((إنا قد نُهِينا، عن التجَسُّس؛ ولكن إن يظهَرْ لنا شيء نأخُذْ به))[1]. والشاهد أن ابن مسعود ﷺ رفض التعامل مع المعلومة الواردة عن طريق التجسس والوشاية أو تتبع العورات.

وفرّق ابن رجب الحنبلي بين الغيبة والنصيحة، فقال: "واعلم أن الناس على ضربين: أحدهما: من كان مستورًا لا يُعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز كشفها، ولا هتكها، ولا التحدث بها، لأن ذلك غِيبَة محرمة. والثاني: من كان مشتهرًا بالمعاصي، معلنًا بها لا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجر المعلن، وليس له غيبة[2].

وعليه فيربأ المعلم والمربي المسلم بنفسه عن السير في طريق التجسس وتتبع العورات، ويرفض الاستماع إلى الغيبة والنميمة ولا يعتبرها مسلكًا للتشخيص أو التقويم التربوي. ومن جانب آخر فإن على المربي أن يبقى متيقظًا ترقب عيناه وأذناه أي بوادر تجاه السلوكات المرضية عند المتعلمين، ولعل بعضها يرفع إليه جهلًا بحكمها، أو تنقل له حسدًا وغيرة، أو تزلفًا ونفاقًا، أو فتنة وإفسادًا، أو صرفًا خبيثًا للهمم نحو الخلاف والنزاع والقيل والقال.

ونوضح فيما يلي كيف ينبغي التعامل مع وشاية الواشي أو المتتبع لعورات إخوانه والماشي بينهم بالغيبة والنميمة؛ كما أورد تفصيل ذلك الإمام الغزالي في كتابه الإحياء في سياق توصياته لعلاج وتقويم هذه الظاهرة، ومنها[3]:

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسُّس، (7/ 250 -ح: 4890). وأخرجه الحاكم في: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الحدود، باب: وأما حديث شرحبيل بن أوس (4/ 418 - ح: 8135)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 7، 1422هـ- 2001م، (292/2).

(3) الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، (د، ط)، 1402هـ- 1982م، (61/3).



الأول: أن لا يصدقه، لأن النمّام – والمتتبع للعورات- فاسق وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قوماً بجهالة**﴾ [سورة الحجرات: 6]. وعليه فهذا النمّام الواشي لا ينبغي أن يُقدَّر على نميمته، ولا أن يُشكر على وشايته، حتى وإن أقسم مؤكدًا نزاهته وسلامة نيته وحرصه. يقول مصعب بن الزبير رضي الله عنهما [1]: إن قبول السعاية شرّ من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلّ على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه؛ فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً في قوله لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويُقبّح عليه فعله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [سورة لقمان: 17]. ويحذّره من قبيح صنيعه وأثره الخطير على دينه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ فَإِنَّهَا الحَالِقَةُ))[2].

الثالث: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء، لقول الله تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [سورة الحجرات: 12].

الرابع: أن لا يحملك ما حُكي لك على التجسس والبحث للتحقق، اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجَسَّسُوا**﴾ [سورة الحجرات: 12].

الخامس: أن لا ترضى لنفسك ما نَهيتَ النمّام عنه، ولا تحكي نميمته، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نمّاماً ومغتاباً، وقد تكون قد أَتيتَ ما عنه نَهيت.

وخلاصة القول فإن على المعلم أو المربي أن يربأ بنفسه عن السير في طريق التجسس وتتبع عورات طلابه وزملائه، وعليه أن يرفض اعتبار ذلك مسلكًا للتشخيص والتقويم.

---

(1) مصعب بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما: ولّاه أخوه عبد الله بن الزبير العراق فبدأ بالبصرة فنزلها ثم خرج في جيش كثير إلى "المختار بن أبي عبيد" وهو بالكوفة فقاتله حتى قتله وفرق عماله، وبعث برأسه إلى أخيه عبد الله بن الزبير، قتله جيش عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وسبعين. انظر ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (5/ 140).

(2) الترمذي، **سنن الترمذي**، (4/ 663 -ح: 2508). وقال: هذا حديث صحيح غريب. ومعنى قوله (وسوء ذات البين) إنما يعني العداوة والبغضاء، وقوله (الحالقة) يقول: إنها تحلق الدين.



ج. سلامة العملية التقويمية من أخلاق السوء كالغش والتزوير والكذب والرياء والخداع والخيانة، وهذه جملة من أخلاق المنافقين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلًا**﴾ [سورة النساء: 142].

وقد حذَّرَ النبيّ ﷺ كلَّ المؤمنين على اختلاف مستوياتهم الإدارية ووظائفهم -من الاتصاف بصفات المنافقين أو بعضها في أثناء المعاملات عمومًا، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ النبيّ ﷺ قال: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"(1).

ورفض النبيّ ﷺ ممارسةَ الخيانة في أثناء تقويم الناس أو معاملتهم، حتى لو عبر إيماءة بالعين، كما أخرج أبو دواد وغيره أنه لمّا كان يوم فتح مكة؛ اختبأ عبد الله بن سعْد بن أبي سَرح عند عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فجاء به حتى أوقفه على النبيّ ﷺ فقال: ((يَا رَسُولَ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَا فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي قَدْ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ؟، قَالُوا: مَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِنَبِيٍّ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ))(2).

وبلا شك؛ فإن أخلاق المنافقين إن صدرت من أي طرف في العملية التربوية التقويمية فإنها كفيلة بحرف مسار التقويم وتزييف نتائجه؛ مما يلحق الضرر على الفرد والمجتمع ولو بعد حين. لذا حذَّرَ النبيّ ﷺ من عموم أشكال الغش والتزوير، فقال: ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))(3). وقال ﷺ ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))(4).

وإذا كان الغش من المتعلمين محرَّمٌ، فهو من المعلمين أو المقوِّمين من باب أولى، فهم بحكم مسؤوليتهم مطالبون بتحري العدل في معاملتهم وفي تقويمهم، كما في حديث مَعْقِلِ بن يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (16/1 - ح: 34).

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، (319/4 - ح: 2683). وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، (47/3 - ح: 4360).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قول النبيّ ﷺ: ((من غشَّنا فليس منا))، (99/1 - ح: 102).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، (26/3 -ح: 1903).



الذي ذكره عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيَادٍ عندما عاده في مرضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قال معقل ﷺ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً ما حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))[1]. ودلالة الحديث أنَّ الغش والخيانة أخلاقٌ مذمومة ومحرمة على عوام المسلمين، وهي في حق الإمام أو الراعي أشدُّ حرمة لتعدِّي أثرها في كلِّ الرعية، فكان تحريم الجنة على الإمام الغاش رعيته ترهيبًا وتخويفًا.

د. مراعاة السرية والستر في أثناء التقويم التربوي؛ لأن مقصود التقويم التربوي إزالة الخطأ أو تعديل السلوك أو تصحيح الفهم، وليس تحقير الناس أو فضحهم؛ لذا نجد في السُنّة النبويّة استخدام النبيّ ﷺ في معرض تقويمه عبارة ((ما بال أقوام)) مركزًا على الفعل لا على الفاعل، نحو قوله ﷺ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ...))[2]. وقوله ﷺ ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ))[3]. وقوله ﷺ ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ...))[4]. والنبيّ ﷺ بهذه الأحاديث يقدِّمُ أسوة من نفسه -خاصة عند حديثه العام على المنبر- فيراعي الستر، ويُبقي المسلمين في دائرة الاحترام المتبادل، ويبتعد بهم عن الفضيحة وما يتبعها من تعيير وإهانة وتجريح. كما أنه يتيح بذلك فرصةً أكبر لتوبة المقصر، ورجوع العاصي، ويحفظه من الكبر والإصرار. وبذلك يتحقق المطلوبُ من توجيهه وتقويمه ﷺ دونما آثار جانبية سلبية.

هـ. سلامة أطراف العملية التقويمية من الكِبْر والاستعلاء أو الغلظة. فالكِبْر والتكبر: ثمرة العُجْب، وقد هلك به كثير من الناس ولم يسلم منه حتى العلماء والدعاة والزهاد، ويظهر إعجاب المرء بنفسه حين ينسى فضل الله عليه وكيف كان حاله من قبل؛ حينها يرى المرء نفسه أكبر من غيره وأعظم؛ فيحتقر الناس ويزدريهم ويتعالى عليهم فلا يستمع لنصح ناصح ولا وعظ واعظ؛ استكبارا وعلوًا. كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**﴾ [سورة البقرة: 206]، وبذلك يضيع هذه المتكبر على نفسه فرصة إصلاحها أو تقويمها، ويفوّت فرصة الإفادة من

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، (125/1 - ح: 142).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر، (98/1 - ح: 456).

(3) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، (150/1 - ح: 750).

(4) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (26/8 - ح: 6101).



ثمرة إخلاص الأقران والمحيطين به والذين يحبّون له الخير ويبذلون له النصح.

وعليه فلا يتكبر المربّي أو المعلم ولا يستعلي على طلابه بل يخاطبهم كأبنائه أو كإخوانه بعيدًا عن الاحتقار أو الإهانة أو الإذلال أو السخرية بالقول أو الفعل. وبالمقابل فلا يستكبر المتربي عن تقديم الاحترام لمعلمه بسؤاله وطاعته وأخذ العلم عنه وتقبُّل النصح منه والإرشاد.

وفي هذا السياق يروي سَلَمَة بْنِ الْأَكْوَعِ ﵁ أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[1]. والشاهد في الحديث أن الرجل كان يأكل بشماله، فأمر بالأكل باليمين تذكيرًا وتنبيهًا لعله كان غافلًا، لكنه لم يستجب واعتذر بعدم الاستطاعة ولم يتقبل تقويم النبيّ ﷺ له فحرم نفسه أجر الطاعة واستحق الدعاء عليه. يقول النووي ﵀: "وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه"[2].

المطلب الثالث

ضوابط التقويم التربوي الإدارية

نشير فيما يلي إلى اثنين من الضوابط الإدارية التي كانت تتدخل في مسار عملية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؛ على النحو الآتي:

أ. وجود مرجعية للبتّ والفصل في صلاحية الأداء التقويمي حال التنازع أو الاختلاف، الأمر الذي يحدث -غالبًا- في أثناء تقويم الأقران لبعضهم، أو مراجعات المتعلمين في الأحكام الصادرة حول المواقف والأشخاص.

وقد مثَّل النبيّ ﷺ في أثناء حياته هذه المرجعية لأصحابه بحكم وجوده بينهم، ومقام نبوته وعلمه بالوحي المنزّل عليه. وقد سبق التوجيه القرآني بوجوب تحكيم النبيّ ﷺ حال التنازع والاختلاف، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [سورة النساء: 59]. يقول صاحب

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (3/1599 - ح: 2021).

(2) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (13/ 192).



الظلال: "إذًا فيجبُ على المختلفين أنفسهم أن يردّوا ما تنازعوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنَّ الردَّ إلى كتاب الله: هو الردُّ إلى القرآن، والرد إلى الرسول ﷺ يكون إليه في حياته، وإلى سنته ﷺ بعد وفاته"(1).

ويمكن تتبع العديد من الشواهد على رجوع الصحابة رضي الله عنهم إلى النبيّ ﷺ للفصل بينهم فيما شجر بينهم، نذكر منها:

1. بعد أن زار سلمان الفارسي أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما في بيته وقوَّم طريقته في العبادة، بقوله: ((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ))(2). والشاهد أن نتيجة هذا التقويم كانت تحتاج إلى الاعتماد والإقرار من النبيّ ﷺ ليقول رأيه فيها، وقد أقر صحة موقف سلمان الفارسي رضي الله عنه وصدقه في تقويمه.

2. ما أخبر به مَعْنُ بنُ يَزِيدَ رضي الله عنهما قال: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ ما إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((لَكَ ما نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ ما أَخَذْتَ يَا مَعْنُ))(3). والشاهد ما جرى من اختلاف بين الأب وابنه في مسألة أحقية أخذ مال الصدقة، وتقدير كل منهما أنه على صواب فيما فعل، فرفع الأمر إلى النبيّ ﷺ فقال مبينًا أن للأب ما نوى وما قصد من الأجر والثواب، وللابن ما أخذ من الصدقة رضي الله عنهما.

3. حين حدث خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في فهم دلالة أمر النبيّ ﷺ بعد قوله: ((لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ، فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: لا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رسول الله، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قال: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ))(4). والشاهد

(1) قطب، سيد إبراهيم، **في ظلال القرآن**، بيروت- القاهرة، دار الشروق، ط 17، 1412هـ، (1/ 140).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/38 - ح: 1968).
(سلمان الفارسي) أسلم عند قدوم النبيّ ﷺ المدينة، وأول مشاهده الخندق، أوخي بينه وبين أبي الدرداء، مات بالمدائن في خلافة عثمان سنة "33"، ولقب بسلمان الخير. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (4/ 139).
(أبو الدرداء): عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحدًا وأبلى فيها، مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (8/ 176).

(3) المرجع السابق، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر، (2/111 - ح: 1422).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين، (3/1391 - ح: 1770).



رجوع الصحابة ﷺ إلى النبيّ ﷺ ليقوِّمَ اجتهادهم واختلاف طريقتهم في تنفيذ الأمر النبوي. يقول النووي في تعليقه: "فيه دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى، ولمن يقول بالظاهر أيضًا، وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد، وقد يستدل به على أن كل مجتهد مصيب. وللقائل الآخر أن يقول: لم يصرح بإصابة الطائفتين بل ترك تعنيفهم؛ ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه في الاجتهاد والله أعلم" (1).

ب. مراعاة الشفافية في إجراءات التقويم وعند تعليل أحكامها، وهذا مؤثر جدًّا في جعل المتعلمين أكثر تقبُّلًا للتقويم ونتائجه، ويتيح لهم الفرصة للاعتراض أو التظلم إن اقتضى الأمر، مما يحافظ على سلامة العلاقات البينية بين أطراف العملية التقويمية، ويفيدُ أيضًا في نقل الخبرات التقويمية عبر توضيح آليات تنفيذها.

ويمكن ملاحظة أن كثيرًا من المواقف التقويمية كانت تُعَالَجُ على مرأى ومسمع من الصحابة ﷺ، وكانت الاجراءات التقويمية واضحة بمقدماتها ونتائجها وبالتعقيبات عليها، وأحيانًا كان يستدعي الأمر تعميمًا لتفاصيل المشهد التقويمي على الملأ أو على المنبر كإجراء وقائي حتى يتعظ الناس ويأخذوا العبرة.

ونجدُ نحوًا من هذه الشفافية في مرويات السُنّة النبويّة؛ حين فصَّلت وبيَّنت ملابساتٍ دقيقة في أثناء وعقب حادثة الإفك التي وجهت فيها سهام المنافقين نحو الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين. ونجدها أيضًا في مشهد تقويم المخلَّفين الثلاثة عن غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، فقد عرض كعب بن مالك ﷺ في رواية طويلة ما جرى من الإجراءات التقويميَّة بأدق تفصيلاتها، مما يؤكد الوضوح والشفافية.

وظهرت الشفافية أثناء تقويم موقف حَاطِبِ بن أَبِي بَلْتَعَة ﷺ حين حاول تمرير رسالة لقريش يسرِّبُ فيها معلومات عن تحركات المسلمين لفتح مكة. يقول القرطبي: وَكَتَبَ فِي الْكِتَابِ: أَنَّ رسول الله ﷺ يُرِيدُكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ... وَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَأَخْبَرَ النبيّ ﷺ بِذَلِكَ(2). ويصف عَلِيّ بن أبي طالب ﷺ تفاصيل الموقف، فيقول: بَعَثَنِي رسول الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بن الأَسْوَدِ، قال:

(1) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (12/ 97).

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (18/ 51).



((انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا)). فَانْطَلَقْنَا تَعَادى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ،.. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رسول الله ﷺ فقال: ((يَا حَاطِبُ ما هَذَا؟ قال: يَا رسول الله، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ صَدَقَكُمْ))[1].

والشاهد وضوح الإجراءات التقويمية، والتي بدأت وتتابعت على مرأى ومسمع من نفر من الصحابة، حيث أحضرت الرسالة قبل وصولها لقريش، وتبين للناس هوية كاتبها، فحقق معه واستفسر منه عن سبب إرسالها، واستمع لتبريره، ثم حكم النبيّ ﷺ بصدقه وردّ مقترحًا بقتل حاطب رغم أن ما فعله صنعة الجاسوس الذي يهدّد مسار الجماعة المسلمة والدولة ويعرّض أمنها للخطر، وقد جاء العفو لسابقة في سجل حاطب رضي الله عنه فهو من أهل بدر، كما أن صدقه وإقراره شفع له.

ثم نزلت آيات في مطلع سورة الممتحنة تعقيبًا على الحادثة، وافتتحت بتقويمات وخطاب وأمر ونهي للمؤمنين في إيحاء أن حاطبًا رضي الله عنه مؤمنٌ رغم خطئه الكبير، كما تضمنت الآيات الكريمات جملة من التعقيبات والتوجيهات وتفصيلًا في ضوابط العلاقة بين المؤمنين والمشركين.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59 - ح: 3007).
روضة خاخ: موضع قرب المدينة على طريق مكة. (ظعينة) هي المرأة في الهودج، ثم اتسع فيه وأُطلق على مطلق المرأة. (عقاصها) جمع عقيصة أو عقصة وهي ضفائر الشعر.







الفصل الثالث: أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

المبحث الأول: التقويمُ القَبْلي (التمهيدي).

المبحث الثاني: التقويمُ البنائي (التكوينيُّ).

المبحث الثالث: التقويمُ الختامي.











المبحث الأول

التقويم القَبلي (التمهيدي)

نمهد في بداية هذا المبحث ببيان مفهوم التقويم القَبلي وأغراضه في التربية المعاصرة، ثم نبين أدواته في السُنّة النبويّة وشواهده.

تمهيد:

يوصف التقويم القَبلي في التربية المعاصرة بأنه تشخيص قدرات المتعلم ومدى استعداداته ومستواه في مجال ما، قبل المباشرة بتربيته وتعليمه، ويُجرى عادة في بداية العملية التربوية، أو قبل انطلاق مرحلة منها، أو قبل البدء بمحتوى تعليمي جديد. ويطلق عليه أيضًا التقويم التمهيدي كونه يمهّد لما يأتي بعده من تعلّمات وتربية.

وقد عرَّف الباحثون "التقويم القَبلي" بتعريفات متقاربة، وكان جلّ تركيزهم في تعريفاتهم على وقت تنفيذه، كما فعلت "الديلمي" حين عرّفته بأنه: التقويم الذي يُجرى قبل عملية التعليم أو التعلم ويهدف إلى تحديد مستوى المتعلم تمهيدًا للحكم على صلاحيته في مجال ما [1].

وكذا عرّفه "حسين" بأنه التقويم الذي يتم في بداية البرنامج التعليمي للتعرف على حالة الطلبة وما يمتلكونه من معلومات ومهارات وقدرات قبل بدء البرنامج [2].

ولأن التشخيص هو الغرض الأبرز من التقويم القَبلي فقد أطلق عليه بعض الباحثين التقويم التشخيصي؛ فمن خلاله يُكْشَفُ عن قدرات المتعلمين وقابليتهم ومهارتهم وميولهم نحو تعلم موضوع ما. كما ينتج عنه تحديد مواطن الخلل - إن وجدت- في التعلُّمات السابقة بهدف معالجتها قبل الانتقال إلى غيرها؛ لضمان استيعاب الخبرة الجديدة[3].

---

(1) الديلمي، ناهدة عبد زيد، **مفاهيم في التربية الحركية**، دار الكتب العلمية، 2011م، (ص: 159). وانظر: خوالدة: التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، (ص: 37).

(2) حسين، **القياس والتقويم في الفن والتربية الفنية**، (ص: 240).

(3) انظر: أبو شعبان وعطوان: **القياس والتقويم التربوي**، (ص: 24).



ويجدر التنويه إلى أن التقويم بغرض التشخيص لا ينحصر في التقويم القَبلي، بل يبقى التشخيص مستمرًا على امتداد مراحل التربية والتعليم وتتنوع غاياته التفصيلية حسب المرحلة التي يُجرى فيها.

ومما يتميز به التقويم القَبلي أن نتائجه تسهم في تصحيح ودعم عملية التعلم والتعليم كلما انطلقت مع متعلم جديد أو مرحلة جديدة أو برنامج جديد، فهي: توضح للمعلم النتائج المخفية عن مستوى المتعلمين في مسار تعلُّمي معين، فمثلًا؛ إذا بدا أن المتعلمين لم يتمكنوا من السلوكات أو بعض المعارف القبلية؛ فيجب أن تتوفر لهم مادة علاجية أو استدراكية قبل أن ينتقلوا إلى تعلُّمٍ جديد[1]. كما إذا كان المتعلم مستجدًا فإن التقويم القَبلي يساعد في البدء بالمحتوى التعليمي المناسب لمستواه المعرفي أو المهاري.

ويمكن تصور مفهوم "التقويم التربوي القَبلي في السُنّة النبويّة" بأنه تشخيص قدرات المتعلمين من الصحابة رضي الله عنهم أفرادًا وجماعات وتحديد مدى استعدادهم ومعرفتهم السابقة وميولهم والفروق بينهم ومستواهم في مجال ما، قبل المباشرة بتزكيتهم أو تعليمهم أو تكليفهم بالمهام المناسبة.

وفي المطالب الستة الآتية عرض لبعض أدوات التقويم القبلي التشخيصي من السُنّة النبويّة.

المطلب الأول
المقابلات الأولية

تعد المقابلات في بداية العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم - وما تتضمنه من أسئلة موجّهة وأجوبة - الأداة التقويمية الأبرز في تشخيص حالة المتعلم عمومًا قبل البدء معه بعملية التعلم والتعليم، فهي تمنح فرصة كبيرةً لتدفق معلومات قيّمة حول شخصية المتعلم ونمط تفكيره، وتاريخه الدراسي والصحي وإنجازاته وهواياته ونحوه.

وفي قصة إسلام أبي ذَرّ رضي الله عنه أنموذج لما كان يمارسه النبيّ صلى الله عليه وسلم من مقابلات أولية؛ يمكن إدراجها تحت التقويم القبلي بغرض الكشف والتشخيص للداخلين الجدد في الإسلام على المستوى الفردي. ويتحدث أبو ذَرّ رضي الله عنه عن مقابلته الأولى مع النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيقول: ((كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ

---

(1) مدانات، أوجيني، **الإشراف التربوي لتعليم أفضل**، عمان - الأردن، دار مجدلاوي، ط 1، 1423هـ-2002م، (ص: 166).



الْإِسْلَامِ، قال: فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رسول الله؛ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ قال: مَنْ أَنْتَ؟ قال قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قال: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قال: مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟ قال قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قال: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قال قُلْتُ: ما كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رسول الله، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقَ رسول الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا))[1].

والشاهد ما دار في أثناء هذه المقابلة الأولى من حوار بين أبي ذَرّ والنبيّ ﷺ تعارفا من خلاله على بعضهما، وأبدى النبيّ ﷺ ردة فعل بوضع أصابعه على رأسه عندما علم أنه من قبيلة غِفَار. وعند ابن سعد: "قال فعجب النبيّ ﷺ لأنهم كانوا يقطعون الطريق. فجعل النبيّ ﷺ يرفع بصره فيه ويصوبه تعجبًا من ذلك؛ لما كان يعلم منهم[2]. ثم تابع النبيّ ﷺ يسأل أبا ذَرّ عن سبب قدومه إلى مكة، وكيف كان يعتاش فيها خلال الثلاثين يومًا التي قضاها في مكة؛ في محاولة لتشخيص حال الرجل. ثم يوافق النبيّ ﷺ على ترك أبي ذَرٍّ في ضيافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مما أتاح فرصة إضافية لمزيد من المحاورة خلال المعايشة والضيافة بينهما؛ فتتوضح جوانب أخرى من شخصية أبي ذَرّ رضي الله عنه واتجاهاته ودوافعه.

ويعتبر مكوث الصحابي عند النبيّ ﷺ عدة أيام بعد إسلامه نهجًا نبويًا يمكن ملاحظته وتتبعه، وكان ذلك مثمرًا كونه يمنح فرصة أكبر للكشف عن قدرات المتعلم الجديد ومواهبه وسجله التاريخي والعائلي وطرفًا من جوانب شخصيته وطباعه، وهو مفيد أيضًا قبل أن يُكلّف المتعلم بمهمته الأولى؛ كما جرى مع أبي ذَرّ الغفاري والطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيّ[3] رضي الله عنهما حين أُرسِل كل منهما داعيًا ومعلمًا إلى قبيلته وقومه.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، (4/ 1919 - ح: 2473).

(2) انظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (4/ 168).

(3) انظر: في هذا الكتاب صفحة (250) مشروع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه. وانظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (1/ 384).



المطلب الثاني
المعايشة القَبلية

يجدر التنويه إلى أنَّ حياة النبيّ ﷺ بين قومه في مكة ومعايشته لهم قبل النبوة مدة أربعين عامًا؛ كانت كفيلة بمنحه معرفة تفصيلية عن قريش وكثير من أفرادها وزعمائها وخارطة القبائل المجاورة، وقد استثمرها النبيّ ﷺ عندما باشر بدعوة قومه وتعامله التربوي معهم.

ومن الشواهد على أهمية المعرفة المسبقة ما جرى في أثناء المفاوضات التي سبقت صلح الحديبية، حين تتابع المفاوضون المرسلون من طرف قريش للتباحث في شأن الصلح، فكان لمعرفة النبيّ ﷺ القَبلية بهؤلاء المبعوثين أثرٌ في تحقيق أداء تفاوضي أفضل. وكان من هؤلاء المفاوضين الذين أرسلتهم قريش رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، قال لقريش: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِه، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النبيّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قال رسول الله ﷺ: ((هَذَا فُلاَنٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ. فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، ما يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قال: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بن حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قال النبيّ ﷺ: هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبيّ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بن عَمْرو، فقَالَ النبيّ ﷺ: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ))(1).

والشاهد: تشخيصُ النبيّ ﷺ للرجال القادمين للتفاوض من طرف قريش مستثمرًا معرفته السابقة بهم؛ فعرَّفَ بالقادم - مِنْ بَنِي كِنَانَة - ووصفه بأنه من قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، وأمر ببعثها بين يديه. وعرَّف بالآخر، فقال يصفه ((هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ)). ولما قدم سهيل بن عمرو عرفه واستبشر بقدومه وبشَّرَ أصحابه بتيسير أمرهم. فأسهمت هذه المعرفة القبلية في حسن التعامل مع المفاوضين، وأثمرت صلحًا عُدَّ فتحًا للمسلمين كما وصفه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ [سورة الفتح: 1]، وكان من نتائج هذا الصلح أن فتحت السبل والأبواب للنبي ﷺ لدعوة القبائل، فتيسر أمر التواصل والالتقاء والمباشرة بها في مشوار الدعوة والتربية والتعليم.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (3/ 195 - ح: 2731).



المطلب الثالث

السجلات التاريخية للمعلم والمتعلم

مما يذكر في سياق استثمار السجلات التاريخية شهادة أم المؤمنين خديجة ﵂ للنبي ﷺ وتقويمها ما جرى معه يوم نزل عليه الوحي أول مرة، وكذا اختيارها ابن عمها ورقة بن نوفل بحكم معرفتها بخبرته وعلمه وصدقه. فهي استثمرت ذلك كله في تثبيت النبي ﷺ وإخراجه من حالة خوفه. تخبرنا عن ذلك أم المؤمنين عائشة ﵂ فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: ((أَيْ خَدِيجَةُ! ما لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قالتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ..)[1].

وأبدع أبو بكر الصديق ﵁ وتميَّز بخبرة ومعلومات محفوظة كانت بمثابة السجلات التاريخية التي كانت تعطي صورةً تفصيلية عن حال وأنساب أحاد العرب وقبائلهم وسيرهم وأخلاقهم.

أخرج البخاريُّ عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنَّ النبيّ ﷺ طلبَ من حسّان بن ثابت أن يتريث فلا يبدأ بنظم شعره وهجو قريش حتى يجلس إلى أبي بكر الصديق ﵁؛ ليضعه في تفاصيل أنساب قريش وعشائرها. فقال له: ((لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رسول الله قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قالتْ عَائِشَة: فَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى))[2]. والشاهد: أنه كان على حسّان ﵁ قبل مباشرته هجوَ قريش بشِعره دفاعًا عن النبيّ ﷺ وعن المسلمين؛ أن يأخذ تفصيلًا ضروريًّا - من متخصص بالأنساب- يضيف له معرفة دقيقة تعينه في هجو المشركين، وتحميه من الزلل والخلط. وكل ذلك كان بتوجيه منه ﷺ ومتابعة.

وقد أسهمت المعلومات القبلية المقدَّمَة من أبي بكر الصديق ﵁ في تحقيق النجاح الكبير لحسان بن ثابت ﵁ في مهمته.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [سورة الضحى: 3]، (173/6 - ح: 4953).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب فضائل حسان بن ثابت، (4/ 1935 - ح: 2490).



المطلب الرابع
الامتحانات القَبلية الخاصة

اقتضى ظرف هجرة بعض المؤمنات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية إلى إجراء امتحان لهم، وكان ذلك بتوجيه قرآني، كما في رواية عَائِشَةَ ﵂ قالت: إنَّ رسول الله ﷺ ((كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ المُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿**يَا أَيُّهَا النبيّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ**﴾ [سورة الممتحنة: 12]))[1].

وتفاصيل ذلك أن رسول الله ﷺ كان قد صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يردَّ عليهم من جاء بغير إذن وليه، فلما هاجرت النساء إلى يثرب، أبَى الله ﷻ أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام... فأمسك رسول الله ﷺ النساء وردَّ الرجال[2].

وعَنِ ابن عَبَّاسٍ ﵄، قال: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا أَتَتِ النبيّ ﷺ لِتُسْلِمَ، حَلَّفَهَا بِاللهِ ﷻ مَا خَرَجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، وَبِاللهِ ﷻ ما خَرَجَتْ رَغْبَةً بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ، وَبِاللهِ ﷻ ما خَرَجَتِ الْتِمَاسَ دُنْيَا، وَبِاللهِ ﷻ ما خَرَجَتْ إِلَّا حُبًّا لَهُ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ[3].

والشاهد: التوجيهُ الإلهي والتنفيذ النبوي؛ لإجراء تقويمٍ للمهاجرات من نساء قريش، بغرض التحري عن دافعهن لترك أزواجهن والهجرة إلى المدينة، أهو الإيمان أم أمر آخر؟ ﴿**فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾ [سورة الممتحنة: 10].

قال سيد قطب: وأول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحري سبب الهجرة، فلا يكون تخلصًا من زواج مكروه، ولا طلبًا لمنفعة، ولا جريًا وراء حبٍّ فردي في دار الإسلام![4]. فإن أقسمت المرأة المهاجرة وأقرَّتْ؛ فإنها ستكون بذلك مرشحة للبيعة مع النبيّ ﷺ، ثم تبدأ بعدها حياتها في المجتمع المسلم.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (5/ 127 - ح: 4182).
(2) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 326).
(3) الطبري: **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل القرآن**، (23/ 325).
(4) قطب، **في ظلال القرآن**، (9/ 369).



المطلب الخامس
شهادة الأقران

يتَّسعُ مفهوم الأقران في هذا المقام ليشمل أفراد الأسرة والوالدين والأخوة والزملاء.. ونحوهم. فإن هؤلاء بما لهم من علاقة مع المتعلم، يمكن أن يوفروا للمعلم بيانات أو توصيات مفيدة جدًّا في إطار التقويم القبلي، مما يختصر الجهد والوقت في اكتشاف قدرات المتعلم ومواهبه.

نَذكرُ شاهدًا على ذلك ما رواه خَارِجَة بن زَيْد، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا ﵁ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النبيّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قال زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النبيّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رسول الله، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النبيّ ﷺ، وقال: ((يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي. قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، ما مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ))(1). والشاهد: أنَّ الناس عمدوا إلى إحضار زيد ﵁ إلى مجلس النبيّ ﷺ معرفين به ومزكِّين، فقالوا: إنه من بني النجار، وإنه يحفظ بضع عشرة سورة من القرآن الكريم على صغر سِنِّه. فأُعجب النبيّ ﷺ بحفظه ومهارته فكلّفه بتعلم لغة اليهود؛ فما كانت إلا فترة وجيزة حتى رجع زيد ﵁ وقد أتقن لغة اليهود قراءة وكتابة.

وفي أثناء حادثة الإفك اجتمع النبيّ ﷺ ببعض أهله كأسامة بن زيد وعَلِيّ بن أَبِي طَالِب ﵄ واستمع رأيهم وتقويمهم لما يتناقله الناس من حديث: ((فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رسول الله، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ؛ فأشار عليه قائلًا: وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ)). وأخذ النبيّ ﷺ: بتوصية علي ﵁ فاستدعى الجارية المرافقة لعائشة ﵂ وسألها، فقال: ((يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُه))(2). والشاهد أن النبيّ ﷺ احتاج في هذا الموقف الاستماع لتقويم الأقران حتى يبني حكمه وتصرفه على أساس سليم. وفي الحديث دلالة على قبول تقويم الرجال النساءَ، وتقويم النساء بعضهن بعضًا كما بوّب ذلك البخاري.

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث زيد بن ثابت، (490/35 - ح: 21618). وحسَّن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

(2) المرجع السابق، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، (3/ 173 - ح:2661). (يَرِيبُكِ) من الشك والشبهة، (أَغْمِصُهُ): أي: أستره أو أعيبُه. (الدَّاجِنُ) الشاة التي تألف البيت.



وفي أثناء غزوة تبوك يتفقد النبي ﷺ الغائب من أصحابه رضي الله عنهم فيسأل قائلًا: ((مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟... فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رسول الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بن جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رسول الله ما عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رسول الله ﷺ))[1]. والشاهد استماع النبيّ ﷺ لتقويم الأقران في حقّ بعضهم. وفيه أيضًا تقويم على التقويم حين ردّ معاذ شهادة الرجل من بني سلمة، وشهد لكعب بالخير رضي الله عنهم جميعهم.

المطلب السادس

المسابقات والمبارزات

يمكن أن تحقق المسابقات الرياضية والمبارزات بأنواعها دورًا فاعلًا في إظهار القدرات والكشف عن المهارات؛ ففيها يحدث شكل من أشكال التقويم القبلي يمكن من خلالها ملاحظة المواهب وفرزها وتوزيعها، ومن ثم تكليف المتعلم بمهام تناسبها، فيقدم القوي ويجاز، ويردّ الضعيف ويُؤجَّل.

ومن الشواهد عليها ما رواه سَمُرَة بن جُنْدَب رضي الله عنه قال: أُيِّمَتْ أُمِّي، وَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ، فَخَطَبَهَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: لا أَتَزَوَّجُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِي هَذَا الْيَتِيمَ. فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قال: ((فَكَانَ رسول الله ﷺ يَعْرِضُ غِلْمَانَ الْأَنْصَارِ، فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ. قال: فَعُرِضْتُ عَامًا، فَأَلْحَقَ غُلَامًا، وَرَدَّنِي؛ فَقُلْتُ: يَا رسول الله، لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ. قال: فَصَارِعْهُ. فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ فَأَلْحَقَنِي))[2]. والشاهد أن ما نقله سمرة رضي الله عنه يصفُ شكلًا من أشكال التشخيص والكشف عن القدرات والمهارات؛ كان يجريه رسول الله ﷺ لاستعراض قوة الفتيان فيُلحق من أدرك منهم بمهام الجهاد.

---

(1) حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ: أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه.

(2) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب: وأما حديث معمر بن رشد، (2/ 69 - ح: 2356). وصحَّحه الحاكم. (أُيِّمَتْ) صارت أرملة. (سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ بن هلال الفزاريُّ)، صحابي يكنى بأبي سليمان. وهو من حلفاء الأنصار، قدمت به أمُّه بعد موت أبيه، فتزوجها رجل من الأنصار. كان غلامًا على عهد النبيّ ﷺ فحفظ عنه. ثم نزل البصرة، وكان شديدًا على الخوارج، مات في حدود سنة (60 هـ). انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415 هـ، (150/3).



ونقل ابن عمر رضي الله عنه، فقال: ((عَرَضَنِي رسول الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَنَا ابن أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَأَنَا ابن خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي))(1).

وروي نحوه أيضًا عن البَرَاء رضي الله عنه قال: ((اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ))(2).

وعليه فيمكن تصور أن هذا المهرجان السنوي وما تخلله: تقويمٌ قبلي بغرض الفرز والاختيار والتوزيع، حيث كانت تستعرض فيه قوة الفتيان ويظهرون فيه مهارتهم واستعدادهم الجسدي والمعنوي أمام النبيّ ﷺ، ومن ثم يأتي الحكم والقرار بمنح بعضهم شرف الانضمام إلى جماعة المقاتلين، ويُرَدُّ البعض ليبقى فترة أخرى في تصنيف الغلمان.

ومن دلالة حديث سمرة رضي الله عنه جوازُ المراجعة في نتائج التقويم، ولزوم المعلم سماعها وتقبلها، وفي رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة للمعلمين.

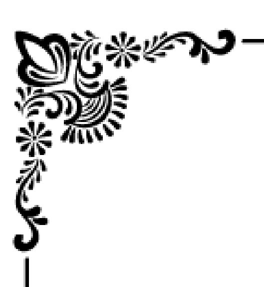
ومن دلالته أيضًا عنايته ﷺ ورعايته للطفولة واستثناؤه الغلمان الصغار من مهام الجهاد والقتال رغم حرصهم، وبالمقابل تشجيعه ودعمه من بلغ من الفتيان وإفساح المجال لهم لمشاركة الرجال في بعض الأعمال الجهادية والأداءات الهامة.

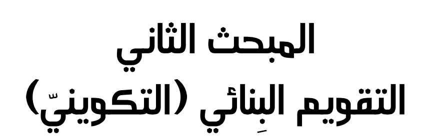
---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ، (3/ 1490 - ح: 1868). (ابن عمر) أبو عبد الرحمن، أسلم وهو صغير وهاجر وهو ابن عشر سنين مع أبيه، فاستصغر في أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها، ومات سنة ثلاث وسبعين. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (5/ 328).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، (5/ 73 - ح: 3956). (البراء) بن عازب بن الحارث الأنصاريُّ الأوسيُّ، يكنى أبا عمارة. له ولأبيه صحبة، وشهد أحدًا، وروي أنه غزا مع النبيّ ﷺ أربع عشرة غزوة، ومات في (72 هـ) انظر: ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، (1/ 411).







المبحث الثاني
التقويم البِنائي (التكوينيّ)

يوصف التقويم البنائي في التربية المعاصرة بأنه التَّقويم الذي يواكب العملية التربوية فيبدأ معها ويستمر إلى قبيل انتهائها، فيرصد جوانب الخلل أثناء بناء التعلُّمات وأداء المهارات أولًا بأول ويعالجها، أو أنه يرصد جوانب القوة فيعززها ويدعمها.

ويعرَّفُ التقويم البنائي في التربية المعاصرة بأنه: عملية تقويمية منظَّمة تحدث أثناء التدريس، وغرضها تزويد المعلم والمتعلم بتغذية راجعة؛ من أجل تحسين العملية التعليمية، ومعرفة مدى تقدم الطلبة[1]. ويطلق عليه التقويم التكويني، أو التقويم المستمر، أو التقويم التلازمي؛ كونه يصاحب عملية التعلم والتربية، وفيه يتجلى مبدأ التقويم لأجل التعلم والتعليم، ومبدأ دمج التقويم في التعلم والتعليم. ويمكن القول هنا بأن التقويم التكويني -البنائي- يهتم بتقويم العمليات أو مراقبة تنفيذ الأنشطة[2].

وتتلخص أبرز أغراض التقويم البنائي التكويني في مسارات منها:

1. التشخيص المستمر بأدواته المختلفة.
2. العلاج المتجدد لجوانب الضعف.
3. تعزيز جوانب القوة وبناء الاتجاهات الإيجابية.

وأضاف "أبو شعبان" أغراضًا أخرى للتقويم البنائي (التكويني)[3]:

4. إثارة الدافعية للتعلم والاستمرار فيه.
5. توجيه الطلبة في الاتجاه الصحيح.
6. مساعدة المعلم على تحسين أسلوبه وإعادة النظر في طريقة تدريسه.

ويركز التقويم البنائي التكويني على ما أحرزه التلاميذ من تقدُّم، وما أخفقوا فيه خلال تعلم موضوع

---

(1) انظر: أبو شعبان وعطوان: **القياس والتقويم التربوي**، (ص: 25).

(2) الحريري: **التقويم التربوي مفهومه وأهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 49).

(3) انظر: **أبو شعبان وعطوان: القياس والتقويم التربوي**، (ص: 25).



دراسي معين، فإذا فشل أغلبية التلاميذ في التقويم التكويني، وجبَ إعادة النظر في طرق وأساليب التعليم، أما إذا فشل قلة منهم، فيجب إعداد وصْفات من شأنها تصحيح الأخطاء التعلمية الفردية[1]. ويساعد التقويم التكويني على خلق وتجديد عملية التعلم من خلال تفقد تعلّم الطلاب وتبادل التغذية الراجعة لاستخدامها في تحسين تعليمهم وتعلّمهم. فهو أشبه بدورة دائمة حيث يقود المعلمون طلابهم باستمرار لاستحضار معرفتهم القبلية وإشراكهم في أنشطة تعليمية لبناء قاعدتهم المعرفية، ثم استعراض نجاحاتهم التعلمية من خلال أساليب تقويم عديدة، والتأمل في الإنجازات والمهارات. وبعد أن تُستكمل هذه الدورة، فإن العملية برمتها تبدأ من جديد[2].

ويمكن تصور مفهوم "التقويم التربوي البنائي في السُنّة النبويّة" بأنه ذاك التَّقويم الذي كان يواكب العملية التربوية النبويّة ويستمر معها أثناء الأداءات والمهام والغزوات ونحوه، فيرصد في الأثناء جوانب الخلل فيعالجها، أو يرصد جوانب القوة فيعززها، أو يبني الاتجاهات الإيجابية ويدعمها.

ويجدر التنويه إلى أن التقويم البنائي في السُنّة النبويّة لم يقتصر تنفيذه على النبيّ المعلم ﷺ؛ بل كان يمارسه الصحابي وحده في مسارين: أثناء تقويمه ذاته ومراجعته نفسه وتطوير أدائها وسلوكها وعاداتها.. وأثناء تقويمه أهله وأقرانه ومن حوله من الناس.

ويجدر التذكير بأن التقويم البنائي من ميزاته أنه مندمج في عملية التعليم، مما يجعل فعالياتهما متداخلة، وينسحب هذا التداخل على أدواتهما ووسائل كل منهما وهذا كان واضحًا في السُنّة النبويّة.

كما ينبغي التذكير بأن العديد من الاستراتيجيات التقويمية التربوية؛ تندرج تحت التقويم البنائي، كالمعايشة التربوية، وتقويم الأقران، والتقويم المعتمد على التأمل الذاتي، والتقويم المعتمد على الأداء، والتقويم عقب الملاحظة.

ونستعرض في المطالب الآتية جملة من أدوات التقويم البنائي- التكويني- تميزت بها السُنّة النبويّة على التفصيل التالي:

---

(1) الحريري: **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 49).

(2) انظر: شاف، ريان ل، **استخدام الألعاب الرقمية كأدوات للتقويم والتعليم**، الدمام - السعودية، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، ط 1، 1439 هـ، (ص: 45).



المطلب الأول

برنامج التزكية اليومي

يمكن ملاحظة أن نصوص الوحي قد وجّهت المسلم إلى برنامج من العبادات اليومي، طاعةً لله وتزكية للروح وتهذيبًا للنفس وبناء للأسوة الحسنة المؤثرة في الأسرة والمحيط، ومنها قوله تعالى: ﴿**اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: 45]، والشاهد في الآية الكريمة أنها تضمنت توجيهات وتطبيقات أساسية في برنامج التزكية اليومي عند المسلم تثمر حين التزامها تعظيمًا لقدر الله في قلب المؤمن وتزيد من مراقبته لربه سبحانه؛ ففيها أمرٌ بالتلاوة الدؤوبة المتدبرة لآيات وسور الوحي الكريم، وأمر بالحفاظ على الصلاة بإقامتها وأدائها في وقتها بشروطها وأركانها، ومراعاة دوام ذكر الله والإكثار منه آناء الليل وفي ساعات النهار. وبلا شك فإن مضمون هذه الآية العظيمة يمثّل الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي في كيفية مجاهدة النفس وتربيتها وكبح جماحها، وهي تشكل أساسًا في التقويم الذاتي وتقوية الروح وتحصين النفس وتقوية إرادتها وتنمية دوافع الخير فيها.

وقد نقل القرطبي عن المفسرين أن المراد بـ "أقم الصلاة"؛ إدامتها والقيام بحدودها، ثم أخبر حكمًا منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة. والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادَّكر أنه واقف بين يديه وأن الله مطلع عليه ويراه؛ صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة"[(1)].

وبهذا البرنامج العملي اليومي؛ ستكون عند المسلم فرصة دورية لتقويم نفسه وحملها على الاستقامة وتزكيتها حتى وإن زلّت أو أصابها الفتور، كما في دلالة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله ﷺ يَقُولُ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ. قَالُوا: لا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قال: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا))[(2)].

---

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (13/ 348).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (1/ 112 - ح: 528). درنه) وسخه. (به) في نسخة (بها). (الخطايا) الذنوب الصغيرة].



والشاهد أن الصلوات الخمس بمثابة الأداة الفعَّالة التي تغسل صاحبها من أثر الآثام، وتقوِّمُ اعوجاجه، وتصلح حاله، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر. يقول صاحب الظلال: إقامة الصلاة... لا مجرد أداء الصلاة.. إقامتها على أصولها التي تجعل منها صلةً حقيقية بين العبد والرب، وعنصرًا تهذيبيًّا وتربويًّا وفق المنهج الرباني القويم، وناهيًا عن الفحشاء والمنكر، حياءً من الوقوف بين يدي اللَّهِ بحصيلة من الفحشاء والمنكر! [1].

وإذا رُوعِيَ أن تُصلَّى هذه الخمس في جماعة؛ فإن فضلها -بنص الحديث- يتضاعف مرات، كما في رواية عبد الله بن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً))[2]. كما يتضاعف أثرها المبارك على نفس المسلم وأسرته ومجتمعه، حيث يتعاظم شعور المرء بالانتماء للجماعة، وتحصل في صلاة الجماعة فرصةٌ أوفر للتعارف والتعاون على البر، والتناصح، والتأسي بالصالحين، فتتوثق عرى الأخوة ويقوى المجتمع على الخير والمحبة.

ومفيد أن يستشعر المرء في نفسه قبيل صلاته: أنه مودِّع لهذه الدنيا وأهلها، وأن صلاته هذه ربما تكون آخر عمله؛ فهذا مما يدفعه لتحري الخشوع وإتقانها والطمأنينة فيها. كما ويجدر التذكير بإحياء سنّة الجهر في الصلاة الجهرية والسّر في الصلاة السّرية حتى لو صلى المرء منفردًا أو في بيته. فالشارع الحكيم أراد في صلوات الليل أن تسمع أصوات المصلين في المساجد والبيوت وأن يشاهد الناس يغدون ويروحون ويلبون نداء الآذان.

ويحرص المرء المسلم على ثواب صلاة الجماعة حتى في منزله أو مكان عمله فيصلي مع أهله وأبنائه أو زملائه. ويتمهل فلا يستعجل القيام عقب صلاته؛ بل يأخذ لنفسه نصيبًا من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وما فتح الله عليه من سؤال ربه حاجته ودعائه سبحانه.

وما ذُكر أعلاه أساسياتٌ في برنامج التزكية اليومي للمسلم، ضمن باقة واسعة من النوافل والصدقات وأعمال التضامن والبر الكثيرة؛ وهي كلها - بالإضافة إلى كونها عبادات يتوجه بها إلى الله- فإنها تؤدي بلا شك وظيفةً تقويمية تكوينية، يتعزز بها التقويم الذاتي المستمر وتتقوى بها النفس وتتزكى ويتجدد إيمانها، وينمو وازعها الديني الذي ينهاها عن الفحشاء والمنكر.

---

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، (3/ 212).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، (1/ 131 - ح: 645).



المطلب الثاني
مؤتمر الجمعة الأسبوعي

معلوم أن صلاة الجمعة عبادة أسبوعية، يحضرها كل مسلم مكلف[1]، وهي بمثابة "مؤتمر أسبوعي لمسلمي العالم يجتمعون فيه للصلاة، وتبادل الآراء حول ما يهمهم في حياتهم اليومية من قريب أو بعيد"[2].

ويمكن تصور فضل صلاة الجمعة وأثرها المبارك فهي فرصة متجدِّدَة للبناء المعرفي والتقويم السلوكي، ولأجلها يذر المؤمنون بيعهم في وقتها، ويسعون لذكر الله فيها، في مشهد مهيب لا ينبغي أن يتخلف عنه إلا المعذور. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون**﴾ [سورة الجمعة: 9].

وفي يوم الجمعة وصلاتها وخطبتها وأحكامها وردت أحاديث عديدة، نذكر منها:

عَنْ أَوْس بن أَوْس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَغَسَّلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا))[3]. وعن سَلْمَانَ الفَارِسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَتَطَهَّرَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، ثُمَّ ادَّهَنَ أو مَسَّ مِنْ طِيبٍ، ثُمَّ رَاحَ فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فَصَلَّى ما كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ الإِمَامُ أَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى))[4].

ويتجدَّدُ اللقاء التزكوي التعليمي في صلاة الجمعة بين مسلمي كل حي، ويحدث التفقد بينهم والسؤال عن الأحوال وتبادل السلام وتشارك الهموم. وهي فرصة متكررة ينظر فيها الإمام وأهل المحلة

---

(1) ولا تجبُ صلاة الجمعة على أربعة: المرأة، والمريض، والمسافر، والصبي، ومن في حكمهم، ومن حضرها منهم أجزأته. انظر: التويجري، محمد بن إبراهيم، **موسوعة الفقه الإسلامي**، بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430هـ- 2009م، (2/ 547).

(2) فلاحة، سوسن فريد، **الإمام سفيان الثوري وآراءه الفقهية**، الرياض – السعودية، دار العبيكان، ط 1، 2007م، (ص: 647).

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، (2/ 367 - ح: 496). وحسَّنه الترمذي.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، باب: لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة، (2/ 8 - ح: 910).



مشاكلهم وتحدياتهم ويقفون معًا لتحليل أسبابها وحلِّها وتجاوز آثارها، كما يظهر ذلك في حديث أَنَس بن مالك ﵁، قال: ((أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النبيّ ﷺ، فَبَيْنَا النبيّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ يَا رسول الله: هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ -أو قال: غَيْرُهُ- فَقَالَ: يَا رسول الله، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا. فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ))(1). وفي ظاهر الحديث شاهد على استجابة النبيّ ﷺ لطلب الأعرابي، في تفاعل منه ﷺ مع قضايا المجتمع والتصدي لحل مشاكل الناس. وفيه شاهد على أن صلاة الجمعة وخطبتها ودعاءها تستوعب معالجة وتقويم ما يعاني منه الناس من مشاكل وما يمر بهم من أحداث أسبوعية؛ حيث يملك خطيب منبر الجمعة وسيلة تمنحه أفضلية في استجلاب التغذية الراجعة من الناس، ومن ثَمَّ يعلِّق عليها مؤصلًا لحكمها ومبينًا ومعززًا الاتجاهات السليمة والقيم الأصيلة.

وتتكامل الإجراءات الذاتية التي يعتني بها الفرد المسلم ليلة الجمعة ونهارها مع توجيهات خطيب الجمعة وإرشاداته لتدعم تقويمًا تربويًا بنائيًا أسبوعيًا؛ وهي تبدأ حين يستحضر المرء فضل يوم الجمعة على سائر الأيام، وحين يلتفت إلى زوجه فيهبها من وقته وعطفه، ويلتفت إلى جسده فيغتسل متنظفًا ومتطهرًا، ويرتدي أبهج ملابس أسبوعه، ويمس من العِطر ما تيسر، ويتلو متدبرًا سورة الكهف، ويخرج مبكّرًا وماشيًا إلى مسجده الجامع، مصطحبًا أبناءه وأهله، فيراهم الجيران والأقران، ويحدث السلام والتأسي، ثم يجلسُ حيث ينتهى به المجلس؛ فلا يؤذي أو يفرِّق بين اثنين مراعيًا النظام وحرمة المسجد، ويصمت بخشوع وينصت بإجلال، ويؤمِّنُ على الدعاء، ثم يصلي في صف متراص؛ فتقترب الأجساد، وتتراص الصفوف، وتتآلف الأرواح.

هذه صلاة الجمعة مؤتمر المسلمين الأسبوعي، يتكامل فيها التقويم الذاتي مع التقويم الجمعي، وهي تأتي وتجدد في سياق التقويم التكويني المستمر الذي يبني المجتمع المسلم ويقف حارسًا على أخلاقه وقيمه.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، (2/ 12 - ح: 933). (سَنَة): شدة وجهد وقحط. (قزعة): قطعة غيم أو الغيم الرقيق.



المطلب الثالث

البيعة مع المربِّي

البيعة في اللغة من المُبَايَعَة والتَّبَايُع، وهي عبارة عن المُعَاقَدَةِ والمُعَاهَدَةِ، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره. وقد تكرر ذكرها في الحديث[(1)]. ويمكن تعريف البيعة في اصطلاح السُنّة النبويّة بأنها: "العهد على الطاعة"؛ كأنَّ المبايع يعاهد أميره على أنه يسلِّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلِّفه به من الأمر على المنشط والمكره. وكانوا إذا بايعوا الأمير، وعقدوا عهده؛ جعلوا أيديهم في يده تأكيدًا للعهد؛ وصارت البيعة مصافحة بالأيدي[(2)].

وقد وردت مفردة البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [سورة الفتح: 10]، وفي الآية تعظيم لشأن البيعة وتحذير من نكثها. وقد ورد التوجيه القرآني للنبي الكريم ﷺ ببيعة النساء المهاجرات من قريش بعد امتحانهن، في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النبيّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم**﴾ [سورة الممتحنة: 12]. والشاهد أنَّ الآية الكريمة تضمنت الأمر ببيعة من طلب البيعة واستعد لها وأقر بشروطها؛ مما يؤكد أنها وسيلة صالحة تسهم في تأسيس وتنظيم العلاقة بين المتبايعيَن، وتحدث تقويمًا سلوكيًّا إيجابيًا يتجاوز الماضي وينظر إلى مستقبل المتعلم وتدفعه ليبدأ صفحة جديدة مع نفسه ومحيطه؛ وفاء لبيعته وعهده.

وقد ورد مصطلح البيعة في السُنّة النبويّة، فاشتهرت بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية في الفترة المكية، وبيعة الرضوان في الحديبية والتي أشير إليها في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [سورة الفتح: 18].

---

(1) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (20/ 370).

(2) العجم، رفيق، **موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني**، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2004م، (1/ 45).

وكان للنساء نصيب أيضًا في مبايعة النبيّ ﷺ، فقد أحصى ابن الجوزي عدد النساء المبايعات فقال: "وقد سميَّنا من أحصينا من المبايعات... أربعمائة وسبع وخمسون امرأة"[1]. وبيَّنت عائشة رضي الله عنها طريقة بيعة النساء، فقالت: ((كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ، قال لَهُنَّ رسول الله ﷺ: انْطَلِقْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ، وَلَا وَاللهِ ما مَسَّتْ يَدُ رسول الله ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ، قالتْ عَائِشَة: وَاللهِ، ما أَخَذَ رسول الله ﷺ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ تعالى))[2]. وهي تشير إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النبيّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ**﴾ [سورة الممتحنة: 12].

وعليه فإن المبايعة يمكن اعتبارها أداة أساسية في التقويم التربوي النّبويّ البنائي، وكان النبيّ ﷺ يستخدمها حال دخول الرجل في الإسلام، أو عند الحاجة لتجديد البيعة بسبب ظرف طارئ كما حدث في بيعة الرضوان. فمن خلال البيعة كان يتم التأكيد على تعلّمات معينة وأحكام مناسبة للحالة والموقف، كما تبدأ معها رحلة المتعلم في تقويمه نفسه، متحريًا الثبات على بيعته.

ويجدُر التذكير بأن النبيّ ﷺ بايع الناس في إطار تقويمهم؛ كل واحد بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهدٍ أو توكيد أمرٍ، حتى إنه بايع الفتيان؛ كما أخرج مسلم أن النبيّ بايع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وهو ابن سبع سنين أو ثمان[3]. وقد عنون البخاري في صحيحه أبوابًا مرتبطة: كباب بيعة الصغير، وباب بيعة النساء، وباب بيعة الأعرابي.

ونذكر فيما يلي شاهدَين من أحاديث السُنّة النبويّة، تؤكد استخدام البيعة كأداة في التقويم النّبويّ البنائي، على النحو الآتي:

عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ ضِمَادًا الأزدي رضي الله عنه قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وكان صديقا للنَّبيِّ ﷺ وكان يتطبَّب ويَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قال فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ

(1) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1422هـ، (8/ 246).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، (3/ 1489 - ح: 1866).

(3) الكتاني، محمد عبد الحيّ، **التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبويّة**، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم، ط 2، (د. ت)، (1/ 198). وانظر: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب استحباب تحنيك المولود، (3/ 1689 - ح: 2146).



الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ)). قال: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قال: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قال: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: وَعَلَى قَوْمِكَ))[(1)]. والشاهد: استخدام النبيّ ﷺ البيعة بالمصافحة لتكون وسيلة مناسبة - بعد دخول الرجل في الإسلام- تلزمه بالثبات على الإيمان، وتدفعه للوفاء بما عاهد عليه من مقتضيات الإسلام والسمع والطاعة له ﷺ.

وجرى نحوًا من هذه البيعة مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: ((بَايَعْتُ رسول الله ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))[(2)].

والشاهد أن مضمون البيعة مع الصحابة رضي الله عنهم كان يختلف من شخص لآخر في تفاصيل مناسبة لحال المبايع، لكنها كلها تدور حول تحقيق أهداف تربوية تقويمية تعود بالخير على الفرد المبايع أولًا ثم على محيطه وأقرانه ثانيًا، كما في بيعة جرير التي تضمنت النصح لكل مسلم.

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي أن مبايعة النبيّ ﷺ لأصحابه كانت بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهد، أو توكيد أمر، فلذلك اختلفت ألفاظهم[(3)].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (2/ 593 -ح: 868). يَرْقِي مِنَ الريح: أَيِ من الْجِنِّ. نَاعُوس الْبَحْرِ: وسطه أو قعره.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/ 75 - ح: 56).

(3) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/ 139).



المطلب الرابع

نظام المؤاخاة

ومما انفردت به التربية الإسلامية في إطار إجراءاتها التقويمية البنائية؛ ما أقامه النبيّ ﷺ من علاقات ثنائية بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة إلى يثرب عرفت بالمؤاخاة، والتي تندرج في كثير من تطبيقاتها تحت استراتيجية التقويم بالأقران، يقول ابن إسحاق: ((وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: تآخوا في الله أخوين))[1].

ويجدر بالذكر أن النبيّ ﷺ أقام ضمن منهجه التربوي مستويين من العلاقة الأخوية:

الأول "أخوة عامة" تجمع كل المؤمنين، ويستشعر بها المرء بانتمائه للجماعة المؤمنة ويهبها الولاء والنصرة والتكافل ونحوه، وتندرج تحت قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [سورة الحجرات: 10].

أما المستوى الثاني فهو أخوة خاصة، يُعبَّرُ عنها بالمؤاخاة أو الإخاء، وقد شكَّلت حالةً استثنائية من العلاقة احتيج إليها عقب الهجرة إلى المدينة مباشرة، وكانت بين المهاجرين والأنصار. وتمت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [سورة الحشر: 9].

ويجدر بالذكر أنَّ هذه المؤاخاة التي انفرد بها المنهج التربوي النبوي؛ كان لها أبعاد وآثار تربوية عديدة على الفرد والمجتمع، فقد عملت على تجاوز حالة العَوَز -المادي والمعنوي- التي كان المهاجرون يمرُّون بها؛ بعد أن تركوا خلفهم في مكة بيوتهم وأموالهم وعشيرتهم، فجاءت لتسهم في تجاوز ما يعانونه من تحديات، كما يقول السهيلي في الروض الأنف: "آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسَهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدَّ أزر بعضهم ببعض. فلما عزَّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله ﷻ قوله: ﴿**وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ [سورة الأحزاب: 6]، يعني -اقتصر الميراث بين الأرحام- ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [سورة الحجرات: 10]، يعني في التواد"[2].

---

(1) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/ 505). قال الشحود: صحيح مرسل. انظر: الشحود: علي بن نايف، موسوعة السُنّة النبويّة، (ص: 1751).

(2) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، **الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام**، تحقيق: عمر السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421هـ- 2000م، (4/ 177).

يقول محمد قطب في تعليقه على الآثار التقويمية النفسية للمؤاخاة: حين تمنع النفس -لتقويمها- من شيء من رغائبها؛ فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة، هي إيجاد نشاطٍ جديد لهذه الرغبة ذاتها، أو لرغبة سواها، فالنفس من الداخل كلها وثيقةُ الاتصال! وهذا ما أدت إليه "المؤاخاة" حين ملأت ما في نفوس المهاجرين من فراغ؛ بسبب قطع علائقهم مع الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد من مشركي قريش، فملأت المؤاخاة فراغ نفوسهم حقيقة، وصارت تعدل في حسِّهم صلة الدم، حتى وصلت بهم إلى اقتسام كل شيء[1].

وقد أولى المنهج الإسلامي اهتمامًا عظيمًا بالحاجات النفسية والوجدانية، فعمل على بناء المحبة والإخاء بين المسلمين، وإشباع الحاجة إلى الحبِّ المؤدي لتحقيق المودة والتعاون، وكانت المؤاخاة أداةً لتحقيق ذلك[2].

يقول مرسي: إن المؤاخاة كانت سببًا للألفة، وقد تولَّد عنها المصافاة والإخلاص والوفاء، وهذه أعلى مراتب الألفة[3]. ويقول النووي مؤكدًا امتداد أثر المؤاخاة -عبر الزمن- إلى التناصح والتعاون وإقامة الحق: "أما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة الله والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فهذا باقٍ لم يُنسخ"[4].

واعتبر محمد قطب المؤاخاة التي عقدها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار تدريبًا عمليًّا على "الأخوة الإسلامية" -العامة- التي تبعثها العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين بها. وكانت كذلك تدريبًا عمليًّا على "التكافل" وهو من المعاني العميقة في بناء الجماعة المسلمة. وكان تدريبًا ناجحًا، فذًّا في نجاحه، فريدًا في التاريخ[5].

---

(1) انظر: قطب، محمد إبراهيم، **منهج التربية الإسلامية**، مصر، دار الشروق، ط 16، 2019م، (1/ 207).

(2) انظر: عاطف السيد، **التربية الإسلامية - أصولها ومنهجها ومعلمها**، مصر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، (د. ط)، 2008م، (ص: 41).

(3) مرسي، محمد منير، **التربية الإسلامية - أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، 1425هـ- 2005م، (ص: 57).

(4) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (16/ 82).

(5) انظر: قطب، **منهج التربية الإسلامية**، (2/ 305).



يقول الحافظ ابن حجر: إن الإخاء المذكور كان في أول الهجرة، وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ من ذلك الميراث، وبقي ما لم يبطله القرآن، وهو التعاون على الحق والنصر، والأخذ على يد الظالم[1].

وبناءً على ما سبق؛ فيمكن اعتبار نظام المؤاخاة أداة مفيدة جدًا في تحقق التقويم التربوي البنائي، حيث يُفَعَّلُ من خلالها تقويمُ الأقران؛ والذي عبَّرت عن جانب منه رواية أَنَس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسول الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: تَحْجُزُهُ، أو تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ))[2]. وصرت تجد المسلمين يتناصحون ويتعاونون ويكون أحدهم مرآة لأخيه ويقوِّم بعضهم بعضًا؛ كما جاء في الحديث الذي أخرجه أَبُو هُرَيْرَة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: ((الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ))[3]. مما يدل على أن الأخ يدفع عن أخيه وينصره ويعلّمه ويقوِّم اعوجاجه ويتبادل معه المراجعات والنقد والتوجيه في طريق بناء الذات بحكم ما بينهم من علاقة حميمة وصداقة تتيح إمكانية الاطلاع على الأحوال وتقبُّل التدخل والتغيير والتقويم.

---

(1) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (4/ 473).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإكراه، (9/ 22 - ح: 6952).

(3) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة، (4/ 280 - ح: 4918). وحسَّن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.



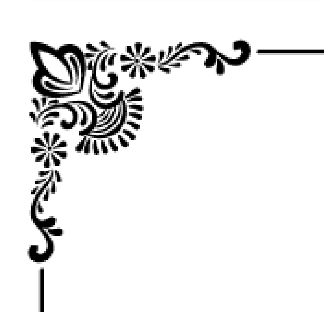
المطلب الخامس

مدرستي رمضان والحج

ومما انفردت به التربية الإسلامية في إطار إجراءاتها التقويمية البنائية تشريع عدة مواسم على مدار العام كصيام شهر رمضان المبارك، وما يتم فيه تفصيلات وتدريبات على الصبر وضبط النفس وإدارة الذات، والارتقاء بمستوى التقوى من خلال قيام الليل بصلاة التراويح، وتحري ليلة القدر في العشر الأواخر بالعبادة والذكر وقراءة القرآن. والشاهد: هذا الأثر التربوي البنائي الذي يخرج به المسلم بعد شهوده شهر رمضان المبارك وما يعقبه الصيام من تنمية للتقوى في النفوس وتعزيز الشعور بالمراقبة والتقويم الذاتي، كما ويحقق صيام النهار ثمرات تربوية واجتماعية كتدعيم الشعور بالتضامن وتفقد الفقراء والمساكين؛ وما يرتبط بذلك من الحض على تفطير الصائمين وبذل الصدقات عمومًا وصدقة الفطر خصوصًا، مما يجعل من شهر رمضان مدرسة تربوية سنوية ترتقي بصحة جسد المسلم وبروحه وأخلاقه وتزيد من قربه من ربه ومن تضامنه مع غيره.

ونحوًا من ذلك يحدث ويتجدد في أشهر الحج الثلاثة الحج في كل عام، وفي العشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة، ويوم العيد وأيام التشريق، وما يكون فيها من تعظيم لله تعالى بالسفر لأجله، والطواف ببيته الحرام، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف في صعيد عرفة، ورمي الجمرات والمبيت في منى، وذبح الأضاحي، وكثرة الذكر والتلبية. وإن القيام بذلك مع تحمّل تعبه واستسهاله، وضبط النفس في زحام الحج العظيم وتحمّل الأذى، وكفّ اللسان عن الصخب والرفث إنما هو تعبير عن التوحيد الخالص والطاعة له ﷻ والامتثال والبذل في سبيل الله تعالى. وهذه تنعكس خيرًا على نفْس المسلم فيشعر برضا ربه عليه، فتسْلم نفْسه وتطمئن، ويعود من حجه المبرور مغفور الذنب طاهر النفس كيوم ولدته أمه.





المبحث الثالث
التقويم الخِتامي

يعرِّف التربويون التقويم الختامي بأنه: التقويم الذي يستند إلى نتائج الاختبارات التي يعطيها المعلم في نهاية الحصة أو في نهاية الفصل أو في نهاية العام؛ بهدف تحديد المستويات النهائية للطلبة[1].

وعرّفه الخوالدة بأنه: العملية التقويمية التي يجري القيام بها في نهاية برنامج تعليمي، يكون المفحوص قد أتم متطلباته في الوقت المحدد، بهدف تحديد درجة تحقيقه للمخرجات الرئيسة لتعلم مقرر ما [2]. ويهتم التقويم الختامي بدرجة أكبر بالأثر والنواتج عن العملية التربوية؛ بهدف معرفة مدى تحقيق برنامج تعليمي معين لأهدافه المحددة وذلك بعد الانتهاء من تنفيذه[3].

ومما سبق يمكن ملاحظة أن التقويم الختامي يجرى غالبًا في نهاية العملية التربوية أو مرحلة منها، كنهاية فصل، أو عقب تنفيذ برنامج أو تطبيق مقرر، أو عند تمام وحدة دراسية، أو عقب مهمة أو تجربة لتقويم آثارها ونتائجها.

وتتقدم الوظيفة التجميعية كغرض بارز للتقويم الختامي، فمن خلالها يُسترجَعُ ما حُصِّلَ من معارف متفرقة ومهارات في أثناء تنفيذ البرنامج التربوي، وتُقَوَّمُ هذه كلها بشكل متكامل يعبر عن حالة الإنجاز، ثم يُصدِر المعلم حكمه على مستوى المتعلم العام.

ويبقى الغرض البنائي- التكويني- حاضرًا في التقويم الختامي لتتميم البناء المعرفي ومراجعته اطمئنانًا على تحققه عند المستهدف بالشكل الكامل والسليم؛ فيكون بذلك آلية للبناء المعرفي والتكوين المهاري عند المتعلم، لأن الاستعداد للتقويم الختامي والتحضر لدخوله يدفع المتعلم إلى

---

(1) انظر: أبو شعبان وعطوان: **القياس والتقويم التربوي**، (ص: 26).

(2) خوالدة: **التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي**، (ص: 46).

(3) انظر: الحريري: **التقويم التربوي مفهومه، أهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 49).



مراجعة كامل المحتوى وربط أجزائه الذي تمت دراستها، واستذكار المحفوظات، وتكثيف التدرب على المهارات ونحوه؛ لذلك لا يملُّ المعلمون الجيدون من إجراء الاختبارات الختامية عقب كل مرحلة أو وحدة دراسية، ويأتي فعلهم الختامي هذا في سياق بنائي تكويني.

كما يحقق التقويم الختامي وظيفة استشرافية توجيهية، فمن خلال نتائجه تتوفر التغذية الراجعة والتي تسهم في تطوير البرنامج التعليمي أو رسم مسارات مستقبلية للمتعلم. كما يشير إلى ذلك صاحب كتاب "المرجع في تربية الموهوبين" مشيرًا إلى وظائف التقويم الختامي، فيقول: يتمثل الاهتمام الرئيس في هذا النوع من التقويم في قضايا مثل: المساءلة وفاعلية البرنامج؛ بمعنى أن للتقويم الختامي جوانبَ استرجاعية وأخرى استشرافية؛ فهو استرجاعي: عندما يحاول تحديد ما إذا كان البرنامج فاعلًا، وهو استشرافي: لأنه يُستخدم - وبشكل متكرر- في اتخاذ قرارات رئيسة حول مستقبل برنامج ما؛ كالاستمرار فيه أو إنهائه(1).

ويمكن تصور مفهوم "التقويم التربوي الختامي في السُنّة النبويّة" بأنه ذاك التَّقويم التربوي الذي كان يجرى عقب المراحل والغزوات والحوادث والمواقف لتقويم أداءات الصحابة رضي الله عنهم أفرادًا وجماعات. ونحوه التقويم الختامي لتعديل طرق التعامل مع المحتوى، وتطوير بعض الطرق والوسائل التعليمية والتربوية لتناسب التقدم في العملية التربوية وما قد يحصل من تغيّر في ظروف المتعلم وبيئته.

ويمكن تتبع مظاهر التقويم الختامي في السُنّة النبويّة على أكثر من مستوى، نذكر بعضها في المطالب الأربعة الآتية:

---

(1) انظر: كالإنجيل، نيكولاس، وديفيز، غازي، **المرجع في تربية الموهوبين**، ترجمة صالح أبو جادو، السعودية، دار العبيكان، 2012م، (ص: 339). (**المساءلة**): من المفاهيم التربوية التي تعتمد اعتمادًا رئيسًا على التقويم التربوي، ولكنها ليست مرادفةً له. فهي تمثل قبول المسؤولية وتحمّلها فيما يتعلق بتحقيق النواتج المرجوة للتعليم والتربية باعتباره من الخدمات الجماهيرية الأساسية. فالمساءلة تؤكد حق - المجتمع والأسرة- في معرفة ما يجري في – المؤسسات التعليمية- ومدى فاعليتها في تحقيق أهدافها التربوية. ولا تقتصر الغاية من المساءلة على إيقاع العقوبات إذا لم تحقق – المؤسسات التعليمية- هذه الأهداف؛ بل يجري على إثرها توجيه الاهتمام لإعادة تصميم الأنشطة التعليمية والتربوية بما يحقق فاعليتها وفعاليتها. انظر: الحروب، زهير حسن، **أساليب حديثة في تقويم أداء المعلم**، عمان- الأردن، دار غيداء، ط 1، 2020م، (ص: 22).



المطلب الأول

التقويم الختامي في "مراجعة القرآن الكريم".

كانت تتم مراجعة القرآن الكريم كاملًا كل عام مرة، وفي رمضان الأخير من حياة النبيّ ﷺ تمت مراجعة القرآن مع جبريل عليه السلام مرتين[1]. ويظهر ذلك من رواية فاطِمَة عليها السلام قالَت: أَسَرَّ إِلَيَّ النبيّ ﷺ: ((إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي. فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ))[2]. ويجدر التنويه بأن هذا كان يجري في رمضان من كل عام.

ويمكن تصور دلالة عبارة "يعارضني القرآن" التي تتضمن مراجعة الحفظ والترتيب النهائي للسور والآيات وضبط طريقة التلاوة الصحيحة ونحوه من التأكيد على تثبيت بعض الأحكام أو نسخها، قال الحافظ ابن حجر: "المعارضة" مُفاعَلة من الجانبين كأن كلّاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[3]. وقال الطِّيبي: قوله: "يعارضني القرآن؛ أي: يدارسني جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة والمقابلة، ومنه: عارضت الكتاب بالكتاب؛ أي: قابلته به"[4]. والشاهد أن تقويمًا - من خلال المعارضة- كان يجري سنويًا لمحتوى القرآن الكريم وأنه جرى مرتين في آخر رمضان عاشه النبيّ ﷺ وكان في ذلك إشارة لاقتراب أجله ﷺ وانتهاء مهمته، وتأتي هذه المراجعة في سياق العناية من الله تعالى بكتابه المنزَّل، فهو سبحانه وتعالى تعهد بحفظه وهيأ أسباب ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [سورة الحجر: 9].

وعليه فيمكن اعتبار ما كان يجرى من هذه المراجعة للقرآن الكريم - في رمضان من كل عام- تقويمًا ختاميًا للتتميم على سلامة المحتوى الرئيس للمنهج التربوي الإسلامي وترتيب آياته وسوره.

---

(1) تمت هذه المراجعة الأخيرة للقرآن الكريم مع جبريل عليه السلام في العام العاشر للهجرة قبل حجة الوداع، وقبل وفاته ﷺ والتي كانت في ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة. انظر: العيني، محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت)، (8/ 219).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (4/203 - ح: 3624). (يعارضني القرآن) من المعارضة وهي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب.

(3) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (9/ 43).

(4) الطيبي: **شرح المشكاة = الكاشف عن حقائق السنن**، (12/ 3902).



المطلب الثاني

التقويم الختامي تقديرًا للمتعلمين وإبرازًا لتميزهم.

من الإجراءات في السُنّة النبويّة الدالة على التقويم الختامي تحديد المعلم البديل للناس وتمكينه والإعلان عن اسمه، كما يظهر من رواية الجُبَيْرِ بن مُطْعِم ﵁ قال: أَتَتِ النبيّ ﷺ امْرَأَةٌ، فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قالتْ: يَا رسول الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ -كَأَنَّهَا تُرِيدُ المَوْتَ-، قال: ((إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِ أَبَا بَكْرٍ))[1]. فالشاهد أن النبيّ ﷺ حدّد للمرأة بديلًا عنه يقضي حاجتها حال غيابه أو موته. وفيه إبراز لدور أبي بكر الصديق المستقبلي في النيابة عن النبيّ ﷺ وخلافته.

ومن الطبيعي أن يظهر فرق كبير بين ما كان عليه حال أعيان الصحابة قبل أن يبدءوا مسيرتهم التربوية وبين حالهم بعد إسلامهم وطول صحبتهم مع النبيّ الكريم محمد ﷺ، حيث حازوا أعلى المراتب واستحقوا أحسن الشهادات والأوسمة النبوية، يقول ابن بطال: "يجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه الإعلام بصفاتهم؛ لتعرف لهم سابقتهم، وتقدمهم في الفضل؛ فينزلوا منازلهم، ويقدّموا على من لا يساويهم، ويقتدى بهم في الخير، ولو لم يجز وصفهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترى أن النبيّ ﷺ خصّ أصحابه بخواص من الفضائل بانوا بها عن سائر الناس وعرفوا بها إلى يوم القيامة"[2].

وقد حفلت السُنّة النبويّة بأحاديث تضمنت أوصافًا وأحكامًا في حق الصحابة ﵃ وكانت ترد - أحيانًا - في سياق تقويمي، كما في رواية أَبي هريرة، قال: ((نَزَلْنَا مَعَ رسول الله ﷺ مَنْزِلًا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ، فَيَقُولُ رسول الله ﷺ مَنْ هَذَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَأَقُولُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُ: نِعْمَ عبد اللَّهِ هَذَا، وَيَقُولُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُ: بِئْسَ عبد اللَّهِ هَذَا، حَتَّى مَرَّ خَالِدُ بن الوَلِيدِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَذَا خَالِدُ بن الوَلِيدِ، فَقَالَ: نِعْمَ عبد اللَّهِ خَالِدُ بن الوَلِيدِ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ))[3]. والشاهد أن هذه التقويمات الوصفية كانت متنوعة، وعلى مستويات، فمنها الحسن ومنها دون ذلك. وظاهر هذه

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (9/ 81 - ح: 7220).

(2) ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**، (9/ 255).

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب خالد بن الوليد، (5/ 688 - ح: 3846). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.



الرواية يشير أنها كانت متأخرة، وأنها صدرت في سياق ختامي، بدلالة أن إسلام خالد بن الوليد ﵁ كان قبيل فتح مكة في العام الثامن للهجرة[1]. وكذلك فإن راوي الحديث أبو هريرة[2] ﵁ أسلم متأخرًا في العام السابع للهجرة.

ويمكننا اعتبار أحاديث مناقب الصحابة -عمومًا-، وما نالوه من أوسمة، وألقاب في سياق تقويمي ختامي أيضًا، فأبو بكر ﵁ وصف بالصدِّيق عقب رحلة الإسراء، وتم اختياره - دون غيره- ليؤم الناس بالصلاة أثناء مرض النبيّ ﷺ الذي قبض فيه، فقد أخرج البخاري عَنْ عائشة ﵂ قول النبيّ ﷺ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ))[3]. والشاهد: أن النبيّ ﷺ من تقويمه الختامي لمستوى أصحابه ﵃ رأى أن أبا بكر هو الأولى بإمامة المسلمين في صلاتهم. ونحوه ما كان من أوصاف ختامية صادرة في حقّ عمر بن الخطاب ﵁ وما ورد من وصفه بأنه "مُحَدَّث"، كما روى ذلك أَبو هُرَيْرَة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ. وفي رواية: لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ))[4]. والمُحَدَّث: هو المُلْهَم، كأنه حُدِّث بشيء فقاله، أو هو: من لقي في نفسه شيئًا فيخبِر به حدسًا وفراسة، يخصُّ بها اللَّه من يشاء. وقيل: مصيبٌ إذا ظن فكأنه حُدِّث به[5]. والشاهد في الحديث ما تضمنه من تقويم لعمر ﵁ وأنه مُحَدَّث، فقد عُرف بـ موافقاته[6]

---

(1) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 278).

(2) عبد الرحمن بن صخر الأزدي اليماني، هاجر إلى يثرب في العام السابع للهجرة، وأحفظ من روى الحديث في دهره، عاش (58) عامًا. وكانت وفاته سنة (57 هـ) . ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، (7/ 362).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (1/136 - ح: 679).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، (5/ 12 - 3689).

(5) الدِّهلوي، عبد الحق بن سيف الدين، **لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: تقي الدين الندوي، دمشق – سوريا، دار النوادر، ط 1، 1435هـ - 2014م (9/ 608 - ح: 6035).

(6) يقول عمر بن الخطاب ﵁: "وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يا رسول الله، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿**وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾، وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يا رسول الله، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النبيّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**﴾، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ". انظر: البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، (1/89 - ح: 402).



للقرآن الكريم، والتي أظهر من خلالها فهمًا متقدمًا لمقاصد الشريعة ومبادئها وتفاعلًا منقطع النظير مع محتوى المنهج التربوي، واجتهادًا مستمرًّا لتقديم الحلول الداعمة والمقترحات، وهذا مما قدّمه على كثير من الصحابة الكرام ﷺ.

- وفي حديث آخر جمع ثلة من أسماء الصحابة الكرام يرويه أنس بن مالك، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيّ بن كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بن ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بن جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ))(1). والشاهد ما تضمنه الحديث من تقويمات ختامية لسبعة من الصحابة ﷺ كانت كأوسمة لهم أو إجازات في مسارات تخصصاتهم، فأبرزت باب الخير الذي تميز به كل واحد منهم. وكان الإعلان عن هذا مفيدًا في توجيه المتعلمين والأقران لأخذ العلم عن المتخصص فيه.

- ونجد نحو هذا التقويم الختامي في حق أبي ذَر، والبراء بن عازب ﷺ كما في رواية عبد الله بن عَمْرٍو ﷺ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أبي ذَر))(2). وعَنْ أَنَس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ البَرَاءُ بن مَالِكٍ))(3).

- وتجدر الإشارة إلى أن هذه التقويمات صدرت من النبيّ ﷺ بحكم معايشته أصحابه وملاحظته أداءهم، ومعرفته بأحوالهم، أو ما ينقل له من أخبارهم. وما أوردناه منها على سبيل المثال لا الحصر، فالمتتبع في كتب السُنّة النبوية سيجد نحوها في حق العديد من الصحابة الكرام ﷺ.

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأُبي، وأبي عبيدة بن الجراح ﷺ، (5/ 665 - ح: 3791). وقال حديث حسن صحيح.

(2) المرجع السابق، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب أبي ذر، (5/ 669 - ح: 381). وقال حديث حسن. (ما أظلت) من الظل. (الخضراء) السماء. (ولا أقلت) من الإقلال. (الغبراء) الأرض.

(3) المرجع السابق، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن عازب، (5/ 692 - ح: 3854). وقال حسن غريب. (الطمر) الثوب الخلق. (لا يؤبه له) أي لا يبالي به.



المطلب الثالث

التقويم الختامي عقب المواقف والسرايا والغزوات.

يمكن تتبع التقويم الختامي عقب التجارب والمواقف والهجرات والسرايا والغزوات، فكل واحدة منها كان يجري لها شكل من أشكال التقويم الختامي له أسلوبه الخاص، ومحتواه المغاير، وهذا ظاهر في القرآن الكريم. وعلى سبيل المثال فقد تنزلت آيات من سورة الأنفال تقوِّم أداء المؤمنين في غزوة بدر الكبرى، وتَنَزَّلَ بعض سورة آل عمران تعقيبًا وتقويمًا لأداء المؤمنين عقب نزول الرماة من مكانهم الذي أدى لاستشهاد سبعين من المسلمين في غزوة أحد، ونحو ذلك في سورة الأحزاب وما فيها من تقويم تجربة غزوة الخندق وما جرى فيها من أحداث وشدة، وكذلك سورة التوبة أثناء العودة من غزوة تبوك، ونحوه ما تَنَزَّل من الآيات في سورة النور؛ تعقيبًا وتقويمًا لأداء المؤمنين في تعاملهم المتباين مع حادثة الإفك.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النمط من التقويمات والتوجيهات عقب الأحداث والمواقف كان من حِكم تَنَزُّل القرآن الكريم مُنجَّمًا، كما قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 106]. فقد نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، مبينًا ومفسرًا، يبلغه للناس، ويتلوه عليهم على مهل شيئًا بعد شيء[1].

وكثيرًا ما كان يأتي هذا التنزل القرآني حسب الوقائع في سياقات تقويمية ختامية، وهذا مما تميزت به العملية التربوية النبويّة، ويمكن اعتبار هذا النمط من التقويم استراتيجية تعليمية تقويمية واقعية، أثبتت نجاعتها؛ فهي استثمرت مواقف المتعلمين الحياتية كما حدثت في الواقع وجعلت منها مادة خصبة للتعلم والتقويم وتبادل التغذية الراجعة في إطار التقويم الختامي الاسترجاعي للحكم على ما رشح من الأداءات الفردية والجماعية، وفي إطار التقويم الختامي الاستشرافي للتحسين وتطوير الأداء المستقبلي.

---

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ، (5/ 116).



المطلب الرابع

التقويم الختامي في وصف المجاميع وطرق التعامل معهم.

في السُنّة النبويّة كان يتم التعامل مع مجاميع المهاجرين، والأنصار، ونحوهم من القبائل، والعشائر العربية، فعلى سبيل المثال: فإن العملية التربوية النبويّة التي نفذت على المؤمنين من الأنصار في يثرب؛ قد مرّت بمراحل تقويمية بداية من التقويم التمهيدي الذي بدأ قبل الهجرة من خلال المقابلات النبويّة مع اليثربيين الأنصار قبل بيعة العقبة الأولى والثانية، فخلالها تم تشخيص حالهم، وموقفهم، وتوجهاتهم.

فقد أكدت السُنّة النبوية وجود مراسلات، ومقابلات ختامية بين النبيّ ﷺ ومصعب بن عمير رضي الله عنه في إطار تقديم التقرير النهائي والتقويم الختامي لحالة يثرب، وما صار عليه حال الأنصار خلال العام بعد بيعة العقبة الثانية، ومدى جهوزية مدينة يثرب لاستقبال النبيّ المعلم ﷺ.

وفي سياق آخر حظي الصحابة المشاركون في غزوة بدر الكبرى بتقويم رباني رفع قدرهم، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النبيّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة الأنفال: 64]. كما ظهر شرف البدريين في قصة حَاطِب بن أَبِي بَلْتَعَة رضي الله عنه قال النبيّ ﷺ ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))(1). والشاهد هذا التقدير الكبير للصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر، وهو ما يمثل تقويمًا ختاميًّا لأدائهم رضي الله عنهم.

وفي موقف آخر يخبر ﷻ عن رضاه عن الصحابة الذين بايعوا النبيّ ﷺ تحت الشجرة يوم الحديبية، فقال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [سورة الفتح: 18]. وفيهم ورد حديث أُمُّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها قالت: سَمِعَتِ النبيّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ-إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا. قالتْ: بَلَى، يَا رسول الله فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾ [سورة مريم: 71]، فَقَالَ النبيّ ﷺ: قَدْ قال اللهُ ﷻ: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [سورة مريم: 72]))(2).

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59 - ح: 3007).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، (4/ 1942 - ح: 2496).



ونجد في السُنّة النبويّة نحوًا من ذلك التقدير لعموم الصحابة ﵃، كما أخرج البخاري عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ ﵁ قال: قال النبيّ ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ))[1]. ونقل النووي عن القاضي عياض قوله في تعليل ذلك: "لأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً**﴾ [سورة الحديد: 10]، وهذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء"[2].

في معرض التقويم الختامي للمجاميع تأتي وصية النبيّ ﷺ بالأنصار ﵃ فقد صَعِدَ المِنْبَرَ في آخر أيامه ﷺ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: ((أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ))[3]. والشاهد أن النبيّ ﷺ أجرى تقويمًا ختاميًّا لجماعة الأنصار عمومًا، فبيَّن فضلهم، ومكانتهم منه ﷺ وأوصى المسلمين بهم خيرًا.

وفي حديث آخر يجري النبيّ ﷺ أثناء عودته من تبوك- تقويمًا ختاميًّا يُبيِّن فيه الأفضلية في دور الأنصار وعشائرها، فبيَّن الأفضل منها ثم الذي يليه، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِي ﵁: قال: غَزَوْنَا مَعَ النبيّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى المَدِينَةِ قال: ((هَذِهِ طَابَةُ، فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قال: هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بَلَى، قال: دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عبد الأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ -أو دُورُ بَنِي الحَارِثِ بن الخَزْرَجِ- وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ-يَعْنِي- خَيْرًا))[4]. والشاهد هنا أن النبيّ ﷺ أجرى تقويمات تفصيلية ختامية لعشائر الأنصار. "وإنما فضل بني النجار؛ لسبقهم في الإسلام، وآثارهم الجميلة في الدين. ولعل مناسبة

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أصحاب النبيّ ﷺ، باب قول النبيّ ﷺ: ((لو كنت متخذا خليلا))، (5/ 8 - ح: 3673).

(2) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (16/ 93).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبيّ ﷺ: ((اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم))، (5/ 34 - ح: 3799).

(4) المرجع السابق، كتب الزكاة، باب خَرْصِ الثَّمَرِ، (2/ 125 - ح: 1481).



هذه المفاضلة عودته ﷺ من جهاد طويل وسفر وغربة عن المدينة المنورة، فحين أشرف عليها راجعًا، ورأى جبلها ذَكَرَ من حبه لها، فناسب ذلك ذِكر محبته لأهلها، ومحبة أهلها له، بسبب حسن اتباعهم وجهادهم في سبيل الإسلام. والمراد من المفاضلة بين الدور المفاضلة بين أهل الدور" [1].
وتمثّل هذه صورة من صور التقويم الختامي التي كان يجريها النبيّ ﷺ للمجاميع والقبائل والعشائر من المسلمين.

ومن الإجراءات التقويمية الختامية التي بدأ بها النبيّ ﷺ وأوصى بإكمال تنفيذها إخراج قبائل اليهود من جزيرة العرب؛ تخلُّصًا من إفسادهم وتحريضهم، بعد نقضهم المتتالي للعهود مع المسلمين، فقد تم إجلاؤهم بداية عن المدينة المنورة، ومن ثم هزم اليهود في غزوة خيبر في العام السابع للهجرة، وختامًا جاءت التوصية بإخراجهم من جزيرة العرب، كما أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ أوصى وهو على فراش موته، فقال: ((أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ))[2].

ومما تم من التقويم الختامي في نهاية العهد النّبويّ ما جرى من سدّ الأبواب على المنافقين، ومنعهم من الإفساد في المجتمع، وقد نزلت سورة قرآنية تحمل اسمهم وتحذّر من شرهم، ونزل نحوًا من ذلك في سورة التوبة - وهي من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم[3]- فكشفت عن صفاتهم وفضحت نواياهم وأفعالهم.

وينبغي التنويه بأن الأخطر في سلوك المنافقين هو ما يحدث من انتقالهم من مربع الرياء وإظهار الصلاح والمراقبة الخبيثة، إلى مربع الممارسة السلبية المضللة التي يجتمع فيها كفر المنافقين مع مجاهرتهم الوقحة بالمعصية والخيانة والدعوة إليها؛ حيث يمارس المنافقون تقويمًا عكسيًّا، يلبّسون به على الناس؛ فيأمرون بالمنكر ويروجون له، وينهون عن المعروف ويتنكرون لأصحابه في مسعًى هدام - يمسُّ جوانب الحياة المختلفة - ينطلق من فسقهم وتجاوزهم الحدّ في التخريب والإفساد، كما وصفهم الحق سبحانه وتعالى فقال: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾ [سورة التوبة: 67].

---

(1) انظر: لاشين: **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، (9/ 95).
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، (4/ 99 - ح: 3168).
(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة، (3/ 1236 - ح: 1618).



وقد تضمنت سورة التوبة وصفًا لتحرك خبيث للمنافقين مرتبط بمسجد الضِّرَار الذي بنوه أثناء انشغال المسلمين في التجهز لغزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، وأرادوه مقرًّا يجتمعون فيه على الكفر والنفاق، ومن شدة مكرهم أنهم دعوا النبيّ ﷺ لافتتاحه والصلاة فيه لِيُضْفُوا عليه مصداقية وشرعية، فقالوا: "إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ" [1]. ولم يلبث النبيّ ﷺ حتى كُشف له خبر تخطيطهم الخبيث وأنهم بصدد تنفيذ مشروع فساد وضِرار في ثوب مسجد أقيم إرصادًا لمن حارب الله ورسوله؛ فأمر ﷺ بهدمه وحرقه على الفور، ونزل في شأنه قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ**﴾ [سورة التوبة: 107]. ولم تُجْدِ تبريراتهم وأيمانهم الكاذبة في تبرئة ساحتهم. قال تعالى: ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [سورة التوبة: 107].

ويمكن تلخيص منهج النبي ﷺ في تقويم ظاهرة النفاق بالمسارات الآتية:

1. التوعية وبيان ماهية النفاق وأنواعه، وصفات المنافقين وأفعالهم، وكشف دوافعهم ونواياهم الخبيثة.
2. دعوة المسلم إلى تقوية إيمانه وتجنب صحبة المنافقين أو التخلق بأخلاقهم.
3. محاورة المنافقين ومجادلتهم باستخدام الحجة والبرهان لإبطال ادعاءاتهم ودحض شبهاتهم.
4. دعوة المنافقين إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى وإتاحة الفرصة لهم لتغيير سلوكهم وأفعالهم.
5. الحزم في التعامل مع المنافقين وترك الصلاة على أمواتهم أو الاستغفار لهم.
6. التعاون لرصد حالة النفاق ومنع إفساد المنافقين، وعدم السماح ببناء مؤسسات تجمعهم على باطلهم.
7. التأكيد على معاملة الناس -عمومًا- على ظاهر حالهم، وتجنب تتبع عوراتهم، وترك السرائر إلى الله سبحانه.

(1) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 529).







الفصل الرابع: مبادئ التقويم الترบــوي في السُنّة النبويّة وخصائصه ومجالاته

المبحث الأول: مبادئ أساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

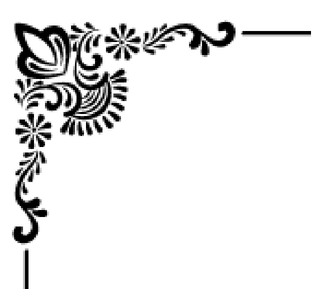
المبحث الثاني: خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة,

المبحث الثالث: مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.









المبحث الأول
مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

مبادئ أي علم أو فن هي قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها(1). وهي في هذه الدراسة جملة من المرتكزات، والقواعد الإيمانية، أو الخُلُقية، أو الإدارية التي يستند إليها التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

من خلال استقراء للأحاديث في السُنّة النبويّة، أمكن الوقوف على جملة من "المبادئ الأساسية" للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي:

1. تحرِّي العدل من جميع الأطراف في التقويم التربوي.
2. مراعاة الفروق الفردية أثناء التقويم.
3. مراعاة التدرُّج في التقويم.
4. دمج التقويم في التعلم والتعليم.
5. مراعاة التيسير في إجراءات التقويم التربوي.
6. تشجيع المتعلم على تقويم مكتسبات تعلمه ومشاركته في تطويرها.
7. التثبت من الأخبار والبيانات قبل التقويم.

وفيما يأتي من مطالب تفصيل لهذه المبادئ وبيان شواهدها في السُنّة النبويّة.

---

(1) معجم المعاني الجامع، **تعريف ومعنى المبادئ**، على شبكة الإنترنت، تاريخ التصفح 2023/1/1م.



المطلب الأول
تحرِّي العدل من جميع الأطراف

العدل هو: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء هو عِدله. والعدل: نقيض الجَور، تقول: عَدَلَ في رعيته[1]. وفي الاصطلاح: وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها وإنزالها منازلها. وقد تَسمَّى ﷻ بالحَكم العدل[2]، فهو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه؛ فلا يظلم مثقال ذَرَّة، ولا يحمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره، قال تعالى﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [سورة هود: 56][3].

وقد أرسل الله ﷻ رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط –الْعَدْل- قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [سورة الحديد: 25]، ولذا كان تحقيق العدل في الأرض من أهم مقاصد الشرائع، وكذا الحال في الرسالة الإسلامية التي حملها لنا رسول الله محمد ﷺ لذا نجد أن النصوص في القرآن الكريم أمرت بالعدل صراحة في بضع وعشرين آية[4]. وبالمقابل يمكن تتبع قرابة مائتين وست وسبعين آية في كتاب الله تعالى تحذّر من الظلم بأشكاله وتذم الظالمين وتتوعدهم[5]. وكذلك الحال في السُنّة النبويّة فقد راوحت نصوصها بين الأمر بالعدل وبين تحريم الظلم، مع سيرة عملية له ﷺ تتحرَّى العدل وترفض الظلم وتحذّر منه، كما في حديث أبي ذَرّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ، فِيمَا يرويه عن ربه تبارك وتعالى أَنَّهُ قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا))[6]. والشاهد في الحديث تحريم الظلم بين الناس مطلقًا، ووجوب تحري العدل بينهم في كل المجالات، ومنها العدل في مجال التقويم التربوي.

---

(1) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، (4/ 246).

(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل**، تحقيق: محمد الحلبي، بيروت، دار الفكر، 1398هـ–1978م، (ص:276).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن اللويحق، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م، (ص: 948).

(4) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الكتب المصرية، 1945م، (د. ط)، 1945م، (مادة: ع د ل/ 448).

(5) عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (مادة: ظ ل م/ 434).

(6) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1994 - ح: 2577).



وكذلك الحديث الذي رواه أَبو هُرَيْرَة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: ((كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ))(1). قال الإسكندراني: "والحديث ليس فيه إلا العدل. ولكن لمَّا خاطب الناس كلهم بالعدل بين الناس، وقد علم أن في الناس الحكام وغيرهم، فكان عدل الحاكم إذا حكم، وعدل غيره إذا أصلح"(2). ومن دلالة الحديث أن الصدقة لا تكون بالمال فقط؛ بل هي بالأفعال والأقوال الصالحة ومنها العدل بين الناس، فقد روى عُبَادَة بن الصَّامِت ﵁، فقال: ((بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا، وَعَلَى أَنْ لا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ))(3). وفي رواية عند البخاري: ((وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا))(4). والشاهد أنه ومن وقت مبكر، وقبل قيام الدولة الإسلامية الأولى فإنه كان من مضامين بيعة العقبة الأولى التعاهد على قول العدل - الحق- حيثما كان المرء. وإن شهادة المقوِّم بالعدل والعمل به هي أساس نجاح ودقة أي عملية تقويم تربوي.

وروى النُّعْمَان بن بَشِيرٍ ﵄، قال: ((أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رسولَ اللهِ ﷺ فَأَتَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رسول الله، قال: أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟، قال: لاَ، قال: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ، قال: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ))(5). والشاهد عنايته ﷺ والصحابة ﵃ بتحقيق العدل في الأسرة، وما جرى من تقويم نبوي رفض فيه تمييز أحد الأبناء بالعطية دون إخوته.

وكون التقويم التربوي مادته هي التعامل البشري ضمن عمليات الكشف، والتشخيص، والعلاج وإصدار الأحكام؛ لذا كان مبدأ العدل أساس التقويم؛ ومن هنا صار العدل في التقويم التربوي واجبًا

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس، والعدل بينهم، (3/ 187 - ح: 2707). (سلاَمَى) المفصل من مفاصل جسد الإنسان.

(2) الإسكندراني، أحمد بن محمد، **المتواري على تراجم أبواب البخاري**، تحقيق: صلاح مقبول، الكويت، مكتبة المعلا، ط 1، 1407هـ – 1987م، (ص: 313).

(3) النسائي، **المجتبى من السنن= السنن الصغرى**، كتاب البيعة، باب البيعة على القول بالعدل، (7/ 139 - ح: 4153). وقد أخرج مسلم نحوه، بلفظ "وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا". انظره : باب وجوب طاعة الأمير، (3/ 1470 - ح: 1709).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب كيف يباع الإمام الناس، (9/ 77 - ح: 7199).

(5) المرجع السابق، كتاب الهبة وفضلها، باب الإشهاد في الهبة، (3/ 158 - ح: 2587).



وعرفًا، ولا يتصور تحقق التقويم التربوي بدونه، حيث يتوجب على كل أطراف العملية التربوية تحري العدل وتجنب الظلم؛ فالمعلم والمتعلم والوالدان، والمشرفون والمدراء، كل واحد من هؤلاء عليه مراعاة ميزان العدل فلا يَظلم ولا يُظلم، ولا يقصِّر ولا يحابي.

ولم يكن العدل شعارًا فقط، بل تطبيقًا عمليًّا مؤثرًا في التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، كما يظهر ذلك جليًّا في قصة المرأة المخزومية التي سرقت، فظن بعض قريش أنهم قادرون على تعطيل ميزان العدل، لكن محاولتهم قوبلت برفض وإنكار شديد من النبيّ محمد ﷺ ثم إنه استثمر الموقف بخطبة بيَّن فيها أثر غياب العدل في تعجيل هلاك الأمم، فقد أخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها:((أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةَ بن زَيْدٍ، حِب رسول الله ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قال: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))(1). فأراد النبيّ ﷺ تطبيق عقوبة الحدِّ على السارقة - بقطع يدها- امتثالًا لما ورد في كتاب الله تعالى من عقوبة رادعة لها في الدنيا تُقَوِّم سلوكها، ويكون فيها عبرة لغيرها، قال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة المائدة: 38].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "حذّرنا من مشابهة من قبلنا، في أنهم كانوا يفرّقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء، وأمر أن يسوّى بين الناس في ذلك، وكان بنو مخزوم من أشرف بطون قريش، واشتد عليهم أن تُقطَع يد امرأة منهم، فبين النبيّ ﷺ: أن هلاك بني إسرائيل، إنما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات، وأخبر عليه السلام أن فاطمة ابنته، والتي هي أشرف النساء لو سرقت وقد أعاذها الله من ذلك لَقَطَعَ يدها؛ ليبين أن وجوب العدل والتعميم في الحدود لا يستثنى منه بنت الرسول، فضلًا عن بنت غيره"(2) عليهما السلام.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (4/ 175 - ح: 3475). (ومن يجترئ عليه) أي لا يتجاسر على الكلام في ذلك أحدٌ لمهابته ﷺ. (الحدّ) عقوبة مقدرة من المشرِّع، وحَدّ السرقة قطع يد السارق. (الشريف) الذي له شأن في قومه بسبب مال أو نسب أو عشيرة. (الضعيف) من ليس له عشيرة أو وجاهة في قومه. (وأيم الله) من ألفاظ القسم.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: ناصر العقل، بيروت، لبنان، دار عالم الكتب، ط7، 1419هـ - 1999م، (1/ 330).



وعليه فيمكن القول بأن الأحكام الناتجة عن أي تقويم تربوي ينبغي أن يُتحرى فيها العدل، فلا يُفرق ولا يُميز بين غني وفقير، أو قوي وضعيف.

وقد أكد النبيّ ﷺ ذلك في حديث أخرجه أبو داود عن يحيى بن راشد، قال: جلسنا لعبدِ الله بن عُمر رضي الله عنهما فخرج إلينا فجلس، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((مَن حَالتْ شفَاعَتُهُ دون حَدٍّ من حُدودِ الله، فقد ضادَّ الله، ومن خاصمَ في باطلٍ وهو يعلمُهُ، لم يَزَلْ في سَخَطِ الله حتى يَنزعَ، ومن قال في مؤمن ما ليسَ فيه، أسكنه اللهُ ردْغَةَ الخَبَالِ حتى يَخرُجَ مِمَّا قال))[1]. والشاهد تضمن الحديث التحذير من تضييع العدل أو المضي في المراء دفاعًا عن باطل أو شهادة زور أو القول في مؤمن ما ليس فيه. كما ويفتح النبي ﷺ أثناء تقويمه التحذيري في هذا الحديث بابًا واسعًا للمراجعة الذاتية ومحاسبة النفس مظنة أن ترجع النفوس عن الظلم إحقاقًا للحق وإنصافًا للمظلوم.

وقد قوّم النبيّ ﷺ طريقة التعامل مع الشرائح الضعيفة في المجتمع لحماية حقوقها، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللهم إني أُحَرِّجُ حق الضعيفَين: اليتيم، والمرأة))[2]. وفي موقف آخر يقوِّم النبيّ ﷺ سلوك أبي ذَر رضي الله عنه فَقَالَ له: ((أَسَابَبْتَ فُلاَنًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ))[3]. والشاهد عموم التقويم التربوي ليشمل العلاقات المجتمعية والأسرية، حتى تلك العلاقات مع الضعيف من النساء واليتامى والخدم ونحوهم، والتحذير من انتقاص حقوقهم. وفي الحديث تثبيت لمبادئ التعامل مع هذه الشرائح الضعيفة في المجتمع بوجوب عونها، وضمان حقها، والدفاع عنها.

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم، (5/450 - ح: 3597). وأخرجه الحاكم وصحَّحه في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (2/ 32 - ح: 2222). (ردْغَة الخَبَال): عُصارةُ أهل النار. والردغة بسكون الدال وفتحها: طين ووحل كثير. والخبال: في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول.

(2) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، (1/ 131 - ح:212). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، (8/ 16 - ح: 6050).



المطلب الثاني
مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين

عُرِّفت الفروق الفردية بأنها: الانحرافات الفردية عن المتوسط العام للمجموعة في صِفة أو أكثر من صِفات الشخصية، والتي من خلالها يتميز الفرد عن الأفراد الآخرين[1]. وهذا يعني أن على المعلم، أو المربي بداية ملاحظة وإدراك ما بين تلاميذه من فروق فردية في القدرات، والأنماط، والخبرات، والطباع ونحوه، ثم يراعي ذلك في تعليمه وتقويمه لهم، فيُقوِّم آحادهم وفق ما يحسن كل منهم، ويختبره بما يستطيع، فليس من الحكمة تقويمهم بذات المستوى أو الطريقة أو الأسلوب. ويعبِّر الغزالي عن ذلك فيقول: "وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قَتَلَ أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم، وأمات قلوبهم؛ بل ينبغي أن ينظر في مرض المُريد، وفي حاله وسِنّه، ومزاجه، وما تحتمله بنيته من الرياضة، ويبني على ذلك رياضته"[2]. وعليه فثمة فروق بين الناس تندرج تحت مستوى الوعي والثقافة والفهم والعمر والجنس وكذلك ما يوجد بين الناس عادة من تفاوت في القدرات والمواهب والجاه والمنصب والغنى ونحوه، وهي فروق واقعية ينبغي مراعاتها لتخيّر أنسب الطرق والأساليب في الإنكار والتغيير، وهذا مؤثر في زيادة تقبل الناس للنصيحة وما يرافقها من تقويم تربوي.

ونجد أن النبيّ الكريم ﷺ كان أثناء تعليمه، وتقويمه التربوي يراعي الفروق الفردية بين الناس، وقد ذكر القرضاوي رحمه الله خمس تطبيقات على مراعاة الفروق الفردية في السُنّة النبويّة، وهي:

أولا: اختلاف وصاياه ﷺ باختلاف الأشخاص الذين طلبوا منه الوصية.

ثانيًا: اختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين.

ثالثًا: اختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم.

رابعًا: اختلاف أوامره وتكليفاته باختلاف من يكلفهم من الأشخاص واختلاف قدراتهم.

خامسًا: قبوله من بعض موقفًا، أو سلوكًا لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف والقدرات[3].

---

(1) الزعبي، أحمد محمد، **سيكولوجية الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية**، الرياض، مكتبة الرشد، ط 2، 1435هـ-2014م، (ص: 20).

(2) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (61/3).

(3) القرضاوي: **الرسول والعلم**، (ص: 134).



وفيما يأتي شواهد تؤكد مراعاة الفروق الفردية أثناء التقويم التربوي النبوي:

1- تكليف المتعلم بما يجيد من أداءات تناسب طاقته ومواهبه وظروفه.

ومن شواهد ذلك أن النبيّ ﷺ كان يوفد من تميَّز بالعلم وحسن الدعوة دون غيره كمصعب بن عمير رضي الله عنه حين أرسله إلى يثرب لمتابعة دعوة أهلها وتعليمهم القرآن الكريم[1]، وكان ﷺ يتخيَّر المناسب من الرجال لمهام خاصة كتكليفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمبيت مكانه يوم الهجرة وتوزيع الأمانات على أصحابها في مكة المكرمة[2]، وأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه ليكون مبعوث المسلمين إلى قريش قبيل صلح الحديبية[3]، وأُنيطت مهمة التخلص من - عدو المسلمين - كعب بن الأشرف إلى محمد بن مسلمة وثلة من رفاقه رضي الله عنهم[4]، وأُرسل زيد بن ثابت رضي الله عنه لتعلُّم لغة يهود - اللغة السريانية-[5]، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه جُعل إمامًا للصلاة أثناء مرضه عليه السلام[6] وكذا كان أميرًا على الحج في العام التاسع للهجرة[7]. ونجد في السنة النبويّة كثيرًا من المهام الجهادية والدعوية والتعليمية والقضائية كان يتخير لها الأنسب والأقدر من الصحابة رضي الله عنهم وكانت هذه المهام تكشف عن جودة الأداء وقوة الإيمان وتراعي ما بينهم من تميز وفروق في القدرات والمواهب.

2- تجنب تكليف الضعيف وغير المناسب حتى لو طلب ذلك.

وقد حدث نحوًا من ذلك مع أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه حين سأل النبيّ ﷺ فقال: ((يَا رسول الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِه، ثمَّ قال: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَة، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))[8]. وهكذا كان يُنزل كل متعلم

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبيّ ﷺ وأصحابه المدينة، (5/ 66 - ح: 3925).

(2) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/ 482، 493).

(3) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، (2/ 74). وهو في **صحيح البخاري**، في باب مناقب عثمان بن عفان.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرهن، باب رهن السلاح، (3/ 142 - ح: 2510). وانظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (2/ 24).

(5) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (5/ 489 - ح: 3645). وأخرجه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح. (5/ 67 - ح: 2715).

(6) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الآذان، حد المريض أن يشهد الجماعة، (1/ 133 - ح: 664).

(7) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس، (5/ 167 - ح: 4363).

(8) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، (3/1457 - ح: 1825).



من الصحابة الكرام منزلته المناسبة ضمن ما يحسن ويستطيع دون أن يضره هذا التوزيع أو يقلل من قدره.. فلكلٍ بابه رضي الله عنهم.

3- إجراء المقابلات لفحص القدرات لاختيار الأنسب للمهمات.

ومن ذلك أن النبيّ ﷺ أراد اختيار شاعر من المسلمين ينافح عنهم ويهجو عدوهم، كما روت عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ، قال: ((اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ. فَأَرْسَلَ إِلَى ابنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: اهْجُهُمْ. فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بن مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بن ثَابِت... قالتْ عَائِشَة: فَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، ما نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ. وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى))[1]. والشاهد أن النبيّ ﷺ أجرى عدة مقابلات، وأدرك الفروق في مستوى الأداء بين أصحابه الشعراء رضي الله عنهم حتى وقع اختياره على حسّان بن ثابت رضي الله عنه ورضي منه شعره وهو يذبُّ دفاعًا عن الله ورسوله.

4- اختلاف التوجيه والتوصية بحسب حال السائل.

فالناس كانوا يأتون النبيّ ﷺ يسألونه الوصية، فكان يستثمر سؤالهم هذا في تقويمهم، وتهذيب أخلاقهم وتطوير أدائهم؛ فيوصي كل واحد منهم بما يناسب حاله وظروفه؛ فمرة أوصى رجلًا، فقال له ﷺ: ((لاَ تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قال: لا تَغْضَبْ))[2]. وأوصى رجلًا يتحضر للسفر، فقال: ((عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ. فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ، قال: اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ))[3]. قال القرضاوي رحمه الله: "نجد أناسًا عديدين سألوه ﷺ أن يوصيهم إما مطلقًا، وإما مقيدًا بما يقربهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار، أو نحو ذلك من العبارات الجامعة، فأوصاهم بوصايا مختلفة: فبعضهم قال له: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم. وبعضهم قال له: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن. وبعضهم قال له: قل: آمنت بالله ثم استقم"[4].

---

(1) المرجع السابق، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان، (1936/4 - ح: 2490).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (28/8 - ح: 6116).

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب الدعوات، (5/500 - ح: 3445). وقال الترمذي: حديث حسن.

(4) القرضاوي، **الرسول والعلم**، القاهرة، دار الصحوة، (د، ط)، 2001، (ص: 135).



5- المراوحة بين التقويم الفردي والجماعي.

كما في تقويمه ﷺ حال الرجل الذي لم يتم ركوعه وسجوده ولم يطمئن في صلاته [(1)]، وكذا تقويمه لعثمان بن مظعون رضي الله عنه حين أكثر من صيام النهار وقيام الليل على حساب حق أهله ونفسه، فقال النبيّ ﷺ: ((يا عثمان، أرغِبتَ عن سُنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله! ولكن سُنَّتك أطلُبُ، قال: "فإني أنامُ وأصلِّي، وأصومُ وأُفطر، وأنكِحُ النساءَ، فاتَّقِ الله يا عثمانُ، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لضَيفِكَ عليك حقًّا، وإن لنَفسِكَ عليك حقًّا، فصُم وأَفطِر، وصَلِّ ونَمْ))[(2)]. ونحو من ذلك حدث مع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حين قوَّم له طريقته في ختم القرآن وصيام النهار، وحدَّد له سقفها، فقال له: ((صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ، صَوْم دَاوُدَ، صِيَام يَوْمٍ وَإِفْطَار يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً))[(3)]. وقد قوَّم النبيّ ﷺ حال الشاب الذي جاء يستأذن بالزنا، فحاوره بالموازنة العقلية وأقنعه بأنه ذلك مخالف للفطرة والعقل، وأنه لا يجوز شرعًا، ثم دعا له بالخير[(4)].

وكان النبيّ ﷺ يقطع خطابه العام - أحيانًا - ليلتفت إلى حالة فردية خاصة؛ فيعتني بصاحبها ويرشده ويقوِّم من حاله معرفيًا وتربويًا. كما في موقفه مع أبي رِفاعَة رضي الله عنه حين انْتَهَى إلى النبيّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فقال: ((يَا رسولَ الله! رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لا يَدْرِي ما دِينُهُ. قال أبو رِفَاعَة: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قال: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[(5)]. وفي الحديث تقويم للرجل بعلاج ما كان من جهله بدينه، فهو كما قال غريب لا يدري ما دينه، فاحتاج

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب أمر النبيّ ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، (1/ 158 - ح: 793).

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب تفريع أبواب التطوع، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، (2/ 521 - ح: 1369). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، في تحقيقه مسند أحمد.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ من القرآن، (6/ 196 - ح: 5052).

(4) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو أُمَامَةَ، الصُّدَيُّ بْن عَجْلَانَ الْبَاهِلِيُّ، (36/ 545 - ح: 22211). وقال الأرنؤوط: صحيح، في تحقيقه سنن أبي داود.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، (2/ 597 - ح: 876). أَبُو رِفَاعَةَ: تميم بن أسيد العدوي صحابي، يُعد فِي أهل البصرة، وَكَانَ صاحب ليل وعبادة وغزو، استشهد في سرية عليهم عَبْد الرَّحْمَنِ بن سَمُرَة، تهجد فنام عَلَى الطريق فذُبح غيلًا، الوفاة بين 41 - 50 هـ. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، المحقق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، (2/ 448).



خطابًا خاصًّا يستدرك فيه بعض ما فاته. ومما يلفت الانتباه أن الموقف كان أثناء خطبة الجمعة، ومع ذلك فلم يؤجله النبيّ المعلم ﷺ أو يسكته أو يتجاهله، ولم يرسل له من يتكفل بتعلميه؛ بل قطع خطبته ونزل بنفسه إليه وجلس متواضعًا على كرسي بسيط أمام الناس؛ فعلمَّه وقوَّمه ما شاء الله ثم رجع إلى خطبته فأتمها ﷺ. ومن دلالة الحديث كما أورد النووي: "استحباب تلطف السائل في عبارته، وسؤاله العالم. وفيه تواضع النبيّ ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم. وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي، وتقديم أهم الأمور فأهمها، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور"(1).

6- تعدد مجالات الأسئلة التقويمية لتغطي مجالات عديدة وقدرات مختلفة.

كما حدث عند سؤاله ﷺ مقومًا الإنجازات الفردية اليومية لأصحابه رضي الله عنهم فقال: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ما اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))(2). والشاهد تعدد الأسئلة النبويّة التي تشير إلى أبواب الخير والأجر، مما يدل على مراعاته ﷺ اختلاف ظروف الناس، واهتماماتهم، وقدراتهم.

7- عطاؤه ﷺ لأشخاص دون غيرهم تأليفًا وتثبيتًا وتقويمًا لنفوسهم مما فيها من الجزع والهلع.

كما في حديث عَمْرِو بن تَغْلِب رضي الله عنه ((أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ، أو سَبْيٍ، فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى ما جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بن تَغْلِبَ. – قال عمرو- فَوَاللَّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ))(3). وهذا التمييز في

---

(1) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (6/ 165).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، (2/713 - ح: 1028).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، (2/10 - ح: 923). (سبي) ما يؤخذ من العدو من النساء والأطفال. (عتبوا) سخطوا في أنفسهم. (الجزع) الضعف عن الصبر وتحمل ما ينزل به مكروه. (الهلع) أشد الفزع والخوف. (أَكِلُ) أترك. (الغنى) النفسي والتعفف. (الخير) الإيمان الحامل على الصبر والرضى. (حمر النعم) الإبل الحمراء وكانت أعجب الأموال وأحبها إلى العرب. (عمرو بن تغلب



العطاء يدل على عناية كبيرة من النبي ﷺ وإداركه ما بين أصحابه والناس من فروق فردية، ومراعاته لها وتقويمه ومعاملته بناء عليها، فكان يعطي أناسًا ليعالج أمرًا في نفوسهم، ويمنع العطاء عن آخرين ويثني عليهم معززا ذاكرًا ما فيهم من صفات حميدة كالقناعة والرضا، كحاله مع عمرو بن تغلب رضي الله عنه.

8- كان النبيّ ﷺ يأمر أصحابه الأئمة - ومن كان في حكمهم - بمراعاة الفروق بين الناس.

ويظهر ذلك من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: ((أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ، أو النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ. وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النبيّ ﷺ، فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النبيّ ﷺ: يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أو أَفَاتِنٌ، ثَلاثَ مِرَارٍ: فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الحَاجَةِ))[1]. والشاهد أن النبيّ ﷺ شدَّد في حديثه مع معاذ بن جبل رضي الله عنه يذكّره ويدفعه لمراعاة التباين والفروق في أحوال المصلين خلفه. ويبدو من ظاهر الحديث التفاعل الكبير من النبيّ ﷺ مع الموقف؛ كونه يشكِّل حالة قد تتكرر، فاحتاج الأمر تقويمًا وتوجيهًا ضابطًا لطول صلاة كل من يؤمُّ الناس، فقال ﷺ: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ ما شَاءَ))[2]. وكان هذا الضابط النبوي صالحًا بحيث يمكن مراعاته في مواقف حياتية عديدة - عدا الصلاة- فليس للمرء أن يلزم الناس بما يستطيع هو؛ بل عليه مراعاة اختلاف أحوالهم وظروفهم وقدراتهم.

9 تعدد مستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبعًا للفروق الفردية[3].

يظهر ذلك من التوجيه النّبويّ التقويمي الظاهر في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أَبي سَعِيد الْخُدْرِيّ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))[4]. والشاهد ما تضمنه الحديث من

النَّمري)، العبدي، صحابي من البحرين، هاجر إلى يثرب، نزل الصُّفَّةَ وسكن البصرة، وروى عنه الحسن البصري، توفي بعد 40 هـ. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (8/ 8).

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، (142/1 - ح: 705). (بناضحين) مثنى ناضح وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل. (فانطلق الرجل) فارقه ولم يتم صلاته معه.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، (142/1 - ح: 703).

(3) التويجري وآخرون، **علم النفس التربوي**، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط 9، 1434هـ- 2014م، (ص: 312).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (1/ 69 - ح: 49).



مستويات ثلاثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي لم تترك أي مسلم إلا وجعلته مُلْزَمًا لاتخاذ موقف من المنكر حال ملاحظته، وأن عليه أن يضع نفسه تحت واحد من هذه المستويات الثلاثة بما يناسب الموقف والقدرة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: 7]، فعلى كل إنسان أن ينظر في داخلة تفسه فيعرف قدراته وإمكاناته وعلى أساسها يعلم حدود تكليف الله تعالى له فيعمل وفق ذلك بالأمر والنهي ونحوه.

المطلب الثالث
مراعاة التدرُّج في التقويم

التدرُّج لغة، هو: المضي في الشيء خطوة خطوة لا دفعة واحدة. كما ورد تعريفه في المعجم المحيط: وهو من تدَرَّجَ يَتَدَرَّجُ تَدَرُّجًا: أي تَقدَّم شيئًا فشيئًا، أي درجة فدرجة[1].

ويقصد بالتدرج في التقويم التربوي النبوي: ما كان يراعيه النبيّ ﷺ من التقدم شيئًا فشيئًا، وخطوة خطوة أثناء تقويم أصحابه تربويًّا وتعديل سلوكهم.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: "ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسًا، أو بترك صفة أخرى، ولم يسمح بضدها دفعة؛ فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه[2]. فالغزالي يلفت الانتباه إلى أهمية مراعاة التدرِّج في التقويم ويؤكد على ضرورة عناية المربِّي بالانتقال خطوة خطوة حتى يصل إلى مراده بما يناسب ظروف المتعلم وحاله.

ومعلوم أن النبيّ ﷺ بُعِثَ في مجتمع جاهلي عبد أهله الأوثان دهرًا وجهلوا عن عبادة الله وحده. فكان من حكمته ﷺ أنه لم يفاجئهم بتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، بل دعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، متدرجًا معهم في بيان أحكام الله وشرائعه، وتطبيقها في واقع حياتهم، فاستجاب الناس له، وأقبلوا يدخلون في دينه أفواجًا[3].

ومن الجدير ذكره أنَّ التدرُّج سُنة من سنن الله الاجتماعية في خلقه، فمن أراد أنْ يغيِّر واقع

---

(1) اللجمي وآخرون، **المعجم المحيط**، المراجعة: أديب اللجمي- نبيلة الرزاز، 1993م، (ص: 2301).

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، (3/ 62).

(3) انظر: المطلق، إبراهيم بن عبد الله، **التدرج في دعوة النبيّ ﷺ**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1417هـ، (ص: 10).



الناس أو يصلحه فعليه مراعاة هذه السُنّة، فيتدبر أولًا واقع الناس الذي يريد تغييره، فإنْ كانت طبيعته تقتضي التدرُّج تدرج وإلا فإنَّه سيخالف سُنَّة الله التي جَبَلَ الناس عليها. كما أكد ذلك "حبنكه" فقال: "ورغبتنا بالإنجاز التام السريع على خلاف طبائع الأشياء معاكسة لسُنَّة الله في كونه"(1)(2).

وقد تتبع باحثون(3) مسالك التدرج في السُنّة النبويّة فوجدوها تأتي من مسارات ثلاثة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعملية التقويم التربوي، على التفصيل الآتي:

أولًا- التدرج في تَنزُّل محتوى المنهج التربوي، حيث كان يؤثر التقديم والتأخير في تقبُّل المتعلمين للتقويم وتجاوبهم معه. ووفقًا لما جرى في العملية التربوية النبويّة فقد تم تقديم التوحيد وما ارتبط به من أركان كالإيمان بالله واليوم الآخر؛ حتى إذا ما استقر في قلوب المؤمنين وثبت، راحت الأحكام والتشريعات التفصيلية تتنزل تباعًا. وقد بدا ذلك واضحًا من ظاهر رواية عَائِشَة أُمِّ المُؤْمِنِين ﵂ حيث قالت: ((إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ ما نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾ [سورة القمر: 46]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ))(4). والشاهد في الحديث هذا التدرُّج الحكيم في تَنزُّل محتوى الرسالة؛ مراعاة لحال المخاطبين، والمتعلمين رجاء تحقق الامتثال وحدوث التقويم التربوي المنشود. قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 106].

ثانيًا- التدرُّج في وسائل التقويم وطرقه، فقد بدأ النبيّ ﷺ بالسِّرِّية في الدعوة والتربية، ثم تحوّل إلى الجهرية بعد ثلاث سنين، ثم كانت الهجرات لأجل الدِّين إلى الحبشة وإلى يثرب، ثم بنيت المساجد ورفع الأذان ونزلت الأحكام، وتنقّل المسلمون بين جهادهم بالكلمة وجهاد السيف.

---

(1) حبنكه، عبد الرحمن حسن، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق - دار القلم، ط 5، 1420هـ- 1990م، (ص: 195).

(2) انظر: سيد، معاوية أحمد، **فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهما وتطبيقًا**، اليمن، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1425هـ - 2004م، (ص: 24).

(3) انظر: إبراهيم المطلق في بحثه **"التدرج في دعوة النبيّ ﷺ"**. وعبد الرحمن المصري في بحثه **"التدرج في التشريع"**. ومحمد الأشقر في بحثه **"التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية"**. ومعاوية أحمد في بحثه **"فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهمًا وتطبيقًا"**.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (6/ 185 - ح: 4993).



ثالثًا- يظهر التدرج في توسيع دائرة المستهدفين بالتقويم من خلال بدء النبيّ ﷺ بإنذار أهل بيته وعشيرته الأقربين وأصحابه الموثوقين، ثم توسع تجاه الناس عمومًا وتدريجيًّا، فخرج من مكة إلى الطائف، وعرض نفسه على الحجيج والقبائل، وانتقل إلى يثرب، ونشر المعلمين والدعاة، والقضاة حاملين رسائله الدعوية والتربوية إلى عموم الناس في أطراف الجزيرة وخارجها.

وقد أشار (معاوية أحمد) في بحثه إلى نوعين من التدرُّج في السُنّة النبويّة: الأول: تدرج في التشريع، والثاني: تدرج في التطبيق. وقال: "إن التدرج التشريعي ارتبط بتنزل الوحي وانتهى بوفاة النبيّ ﷺ. وأمَّا التدرج في التطبيق، فإنه يرتبط بالمكلَّف - المعلم والمتعلم - وهو باقٍ إلى اليوم. فإذا سُئِلَ المربِّي أو المعلم مثلًا عن شرب الخمر فإنه يفتي بتحريم شربها، ولكن يبقى فسحة في التدرُّج أثناء تطبيق هذا الحكم على مدمن شربها، فيتدرج معه حتى يترك الخمر كليًّا"(1). وقد استدل الباحث (معاوية أحمد) على بقاء التدرُّج في التطبيق حتى بعد استقرار الأحكام والتشريعات، بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبيّ ﷺ إلى اليمن، في أواخر حَيَاةِ النبيّ ﷺ بعد استقرار كثير من الأحكام، فأوصاه فقال: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))(2). والشاهد في الحديث وصية النبيّ ﷺ لمعاذ رضي الله عنه بالتدرج في تعليم أهل الكتاب في اليمن حتى بعد استقرار الأحكام وتمام نزولها، فأمره أن يبدأ معهم بتقويم عقيدتهم من خلال الإقرار بالشهادتين أولًا، فإن هو اطمأن لتقبلهم ذلك؛ انتقل بهم تباعًا إلى أحكام العبادات كالصلاة والزكاة ونحوها.

ومن الشواهد أيضًا تطبيق النبيّ ﷺ التدرج في تشريع الصوم في شهر رمضان، فهو لم يفرض دفعة واحدة، بل جاء على مراحل ثلاث، كما بيَّن ذلك مُعَاذ بْن جَبَل رضي الله عنه فقال: ((أُحِيلَ الصِّيَامُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ... قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَيَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ [سورة البقرة: 183] إِلَى قَوْلِهِ ﴿**طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [سورة البقرة: 184]، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَصُومَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُفْطِرَ وَيُطْعِمَ كُلَّ

(1) انظر: أحمد، **فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهمًا وتطبيقًا**، (ص: 26).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، (2/ 128 - ح: 1496). ذكر ابن حجر: أن مبعثه كان ما بين السنة الثامنة إلى العاشرة للهجرة. انظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (3/ 358).

يَوْمٍ مِسْكِينًا أَجْزَأَهُ ذَلِكَ؛ وَهَذَا حَوْلٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [سورة البقرة: 185]، إِلَى ﴿**أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [سورة البقرة: 184]، فَثَبَتَ الصِّيَامُ عَلَى مَنْ شَهِدَ الشَّهْرَ وَعَلَى الْمُسَافِرِ أَنْ يَقْضِيَ، وَثَبَتَ الطَّعَامُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزِ اللَّذَيْنِ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ))(1). يقول ابن القيم: وكان للصوم رتب ثلاث، إحداها: إيجابه بوصف التَّخْيِيرِ. والثانية: تَحَتُّمُهُ، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حَرُمَ عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة، فنُسخ ذلك بالرتبة الثالثة، وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة(2). والحكمة في هذا التدرّج أن في عبادة الصوم مشقة على النفوس يلزمها صبر واستعداد وعادة، فدرج التشريع في فرضه على مراحل لا دفعة واحدة.

ومن الشواهد القرآنية على التدرُّج في تعديل السلوك ما أوصى به الله ﷻ لمعالجة نشوز المرأة عن طاعة زوجها، بالتدرج في أساليب تقويمها رجاء صلاح حالها؛ بالموعظة الحسنة بداية وتذكيرها بتقوى الله تعالى وحقِّ الزوج، فإن بقيت على حالها عالجها بهجرها في المضاجع، فإن لم يفد ذلك أذن بعلاجها بالضرب أو تخويفها به، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**﴾ [سورة النساء: 34].

ويجدر التنبيه إلى أن التدرج كان وما زال سلاحًا بيد المفسدين من شياطين الإنس والجن يسلطونه لغواية الناس، فيأخذونهم من منكر صغير إلى منكر أكبر متدرجين بهم خطوة خطوة، قال تعالى: ﴿۞ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: 21].

فطريق الزنا مثلًا مُعبَّدٌ بذنوب اللَّمم التي يستهين بها كثير من الناس، كما نقل ابن عباس ﷺ، فقال: "ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قال أَبو هُرَيْرَة ﷺ عَنِ النبيّ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابن آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ))(3). وهذا المعنى الدقيق للتدرج يمكن فهمه من نهي الله ﷻ

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، (1/ 140 - ح: 507). وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 27، 1415هـ - 1994م، (2/ 30).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، (8/ 54 - ح: 6243).

عباده عن الاقتراب من الفواحش عمومًا ومن الزنا خصوصًا، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ [سورة الأنعام: 151]. وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 32]، يقول صاحب الظلال: "كان التعبير: (وَلا تَقْرَبُوا).. للنهي عن مجرد الاقتراب؛ سدًّا للذرائع، واتقاء للجاذبية التي تضعف معها الإرادة؛ لذلك حرمت النظرة الثانية، بعد الأولى غير المتعمدة، ولذلك كان الاختلاط ضرورة تتاح بقدر الضرورة، ولذلك كان التبرج -حتى بالتعطر في الطريق- حرامًّا، وكانت الحركات المثيرة والضحكات المثيرة والإشارات المثيرة ممنوعة في الحياة الإسلامية النظيفة، فهذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة، ثم يكلِّف أعصابهم عنتًا في المقاومة! فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات. وهو دين حماية للضمائر والمشاعر والحواس والجوارح. وربك أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير" [1].

المطلب الرابع

دمج التقويم في التعلم والتعليم

ونقصد به ما يحدث من تداخل، وتزامن بين إجراءات التقويم، وإجراءات التعلم والتعليم، فلا يفصل بينها بحدود زمنية أو مرحلية. وقد أشار "الخليلي" لهذا المبدأ، فقال: "إن التقويم الحقيقي إجراء يرافق عمليتي التعلم والتعليم ويربطهما معًا في جميع مراحلهما بقصد تحقق بلوغ كل طالب لمحكَّات الأداء المطلوبة، وتوفير التغذية الراجعة الفورية له حول إنجازاته، بما يكفل تصويب مسيرته التعليمية ومواصلة عملية التعلم" [2].

ومما ينتج عن هذا الدمج بين التقويم وبين التعلم والتعليم المرونة في الإجراءات التقويمية، والوفرة في التغذية الراجعة المتبادلة بين الأطراف، والتي تفضي لتعديل الأنشطة وطريقة التفكير، وتحسِّن من جودة المنتج التعليمي، وتعزز باستمرار فرص تطوير الأداء في المرات القادمة[3].

كما ينتج عن دمج التقويم في التعلم والتعليم جعل التقويم بحد ذاته تعلمًا، ففيه يكون التركيز على دور المتعلمين في ربط التعلم بالتقويم. مما يجعلهم أكثر نشاطًا وفاعلية وتأثيرًا ونقدًا، فيستطيعون

(1) قطب: **في ظلال القرآن**، (4/ 136).

(2) الخليلي: خليل يوسف، **التقييم الحقيقي في التربية**، مجلة التربية، العدد (126)، 1998م، الصفحات (118-132).

(3) انظر: الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 11).



استخدام التعلم الحالي، وربطه بالمعرفة السابقة، واستثماره في تعلم جديد. وهذه العملية التنظيمية المستمرة تعوِّد المتعلمين على مراقبة ما يتعلمونه وتعزز التقويم الذاتي(1).

ومن خلال تتبع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة نجده يبتعد عن ثقافة الاختبارات التحصيلية الكتابية وما يرتبط بها من مواقيت محددة كما هو حاصل في واقعنا المعاصر.

وقد أمكن ملاحظة حالة الدمج في السُنّة النبويّة بين مهام التعلم ومهام التقويم؛ فيُرى التداخل بينهما والتزامن والتقديم والتأخير دون أن تكون هناك حاجة للتنويه؛ فأحيانًا كان النبيّ ﷺ يبدأ موقفه بالتعليم ثم يختمه بتقويم، أو يبدأ بالتقويم ثم يعقِّب مفسِّرًا ومعلِّمًا ومرشدًا، وأحيانًا كان يستخدم طريقة تضيف علمًا ومعرفة وفي ذات الوقت تبني توجهًا ودافعًا لإحداث تقويم ذاتي عند المتعلم. ويمكن القول بأن هذا التداخل والتشابه والتزامن بين موقف التقويم، وموقف التعليم له تبريره كما يقول شحاتة: فمهام التعلم ومهام التقويم مشابهة كثيرًا لبعضها البعض؛ لأن الهدف من مهمة التعلم هو حثُّ المتعلمين على تنمية وتعزيز الكفاءات التي يجب أن تتوافر لديهم، ومهمة التقويم تتطلب من المتعلمين أن يظهروا ويوظفوا هذه الكفاءات نفسها بدون تلقي مساعدات إضافية(2). ويبقى التمييز على عاتق المعلم فهو من يحدد الغرض من الموقف، هل يريده موقفًا تعليميًّا أم تقويميًّا، وهل يريده تقويمًا تكوينيًّا يبني المعارف والمهارات، أم يريده تقويمًا تجميعيًّا لإصدار الأحكام واتخاذ القرارت الختامية.

ونذكر فيما يلي شواهد من السُنّة النبويّة على ما كان يجري من دمج بين إجراءات التقويم وإجراءات التعلم والتعليم، وما كان بينهما من تشابه وتداخل وتزامن، على النحو الآتي:

1- في موقف يبدأ النبيّ ﷺ بالتقويم لسلوك صحابي جليل كان قد أخطأ فعيَّر رجلًا بأمه، فاستنطقه فأقر، فأنكر عليه مقولته، ثم استثمر النبيّ ﷺ الموقف مرشدًا ومعلمًا للناس عمومًا من خلال خطابه التربوي لأبي ذَرّ رضي الله عنه فقال ﷺ مؤدبًا: ((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ))(3).

---

(1) انظر: درندري، **إقبال زيد العابدين، نحو تقييم موجه للتعلم**، بحث على شبكة الإنترنت. https://fliphtml5.com/xtjxv/touj/basic

(2) انظر: شحاتة، حسن سيد، **التقويم الواقعي من أساليب التقويم الحديثة نموذج خماسي**، في المؤتمر العلمي السنوي، اتجاهات معاصرة في تطوير التعليم في الوطن العربي بني سويف، جامعة بني سويف، مجلد (1)، (2010)، (ص: 104).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العتق، باب قول النبيّ ﷺ: ((العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون))، (3/ 149 - ح: 2545).



والشاهد تضمن الحديث تقويمًا وتعليمًا، وارتباطهما وتساندهما معًا لمعالجة الموقف، وتقدم فيه التقويم.

2- ونجد النبيّ ﷺ في موقف آخر جمع في خطابه لأصحابه بين التعليم والتقويم في آن واحد، فلا يكاد يفصل بينهما، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ، وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ، ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [سورة المطففين: 14]))[1]. فالنبيّ ﷺ أوضح في الحديث معلومات دقيقة بشأن أثر المعاصي على القلوب، ثم هو وأثناء تقريره وبيانه حرص على بناء توجُّه عند أصحابه ودافع لتجديد التوبة والاستغفار، والحذر من الاستهانة في المعصية أو التمادي بها.

3- وفي موقف يصفه معاذ بن جبَل ﷺ قال: ((كُنْتُ مَعَ النبيّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ؟ قال: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقيمُ الصَّلاَةَ،... ثُمَّ قال: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قال: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[2].

وفي هذا الحديث تأكيد من النبيّ ﷺ على مجموعة محكَّات أساسية ينبغي على المسلم أداؤها كأركان الإسلام الخمس، ونوافلها، والجهاد في سبيل الله. وفيه تنبيه على معيار جودتها وسبب قبولها عند الله تعالى وهو الإخلاص فيها. ثم يتوجه النبيّ لتقويم اللسان، ويحذر من فوضى الكلام التي تبطل الأعمال وتضيع الأجور، ثم أَخَذَ ﷺ بِلِسَانِهِ، وقال: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا". وإن هذا الدمج الرائع المنسجم بين التعليم والتقويم في موقف واحد، بلا فاصل ولا تنويه؛ يُعدُّ من مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، ويأتي في سياقه دون اضطراب أو خلل، بل هو ما تقتضيه واقعية الموقف وما يحتاجه المتعلم.

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب التفسير، باب ومن سورة ويل للمطففين، (5/ 434 - ح: 3334). وقال الترمذي حسن صحيح.

(2) المرجع السابق، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (4/ 308 -ح: 2616)، وقال حديث حسن صحيح.



المطلب الخامس
مراعاة التيسير في التقويم

التيسير، من الْيُسْر والسماحة، وفيه معاني السهولة والتخفيف والرفق واللين. وضده التعسير، من الْعُسْرِ بمعنى الضِّيق والشِّدَّة والصُّعُوبَة[1]. وفي دلالة الرفق يقول العسكري: "الرِّفْق هُوَ الْيُسْر فِي الْأُمُور والسهولة فِي التوصل إِلَيْهَا، وخلافه العنف وَهُوَ التَّشْدِيد فِي التَّوَصُّل إِلَى الْمَطْلُوب"[2]. ويضيف الرازي في دلالة السماحة وارتباطها بالتيسير، فقال: "السماحة والْمُسَامَحَةُ بمعنى الْمُسَاهَلَةُ، ومنه قول القائل: تَسَامَحُوا بمعنى: تَسَاهَلُوا"[3]. ومن دلالة التيسير: مراعاة التدرج في التنفيذ ليكون على مهل وليس دفعة واحدة، نحو قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا**﴾ [الفرقان: 46]. قال الزمخشري مفسرًا:"يَسِيراً أى على مهل، وفي هذا القبض اليسير شيئًا بعد شيء من المنافع ما لا يعدّ ولا يحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعًا" [4].

وقد وردت نصوص قرآنية عديدة تؤكد عناية الشارع بالتيسير ونبذ التعسير، كما في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [سورة البقرة: 185]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [سورة الحج: 78]، **وقوله تعالى:** ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [سورة النساء: 28].

وقد أدى هذا التأكيد المتكرر إلى سريان روح التيسير في تفاصيل الأحكام والمعاملات والأخلاق، فصار اليسر والتيسير سمة هذا الدِّين، كما في قوله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا))[5]. وكذلك تسرب اليسر إلى كل إجراءات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة،

(1) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (13/ 27).

(2) العسكري، الحسن بن عبد الله، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: بيت الله بيات، قم - إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1412هـ، (ص: 259).

(3) الرازي: محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط 5، 1420هـ - 1999م، (ص: 153).

(4) الزمخشري: محمود بن عمرو، **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، (3/ 283).

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، (1/ 16 - ح: 39).



حتى صارت سمة غالبة عليه، فيمكن ملاحظة أن من أهم كفايات المعلم والمربي تحلِّيهما بأخلاق الرفق واللين والسماحة والتجاوز والعفو والتخفيف والحلم وسعة الصدر والتدرج والتمهل؛ وهي جميعها أخلاق مرتبطة باليسر والتيسير. وكلها تمثلت في خلق النبيّ ﷺ أثناء تعليمه الناس وتزكيتهم وتقويمهم، وهذا زاد من إقبال الناس على دينه والالتفاف حوله، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [سورة آل عمران: 159].

ويمكن تتبع مظاهر اليسر والتيسير في التقويم التربوي النّبويّ من خلال العناوين الآتية وشواهدها في السُنّة النبويّة:

1- التيسير على ضعفاء المسلمين والمعذَّبين منهم في الفترة المكية بالإذن لهم أن يقولوا ما يخفف عنهم، ويرفع عنهم العذاب أو الملاحقة. فقد أخرج الحاكم في مستدركه ((أن الْمُشْرِكِينَ أخذوا عَمَّار بنَ يَاسِرٍ رضي الله عنه فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النبيّ ﷺ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رسول الله ﷺ قال: مَا وَرَاءَكَ؟ قال: شَرٌّ يَا رسول الله، ما تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ قال: كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ قال: مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ قال: إِنْ عَادُوا فَعُدْ))[1]. وقد نزل فيه وفي أمثاله قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة النحل: 106]، يقول الحافظ ابن حجر: "وهو وعيد شديد لمن ارتد مختارًا، وأما من أكره على ذلك فهو معذور بالآية؛ لأن الاستثناء من الإثبات نفي فيقتضي ألا يدخل الذي أكره على الكفر تحت الوعيد. والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر"[2]. والشاهد من الآية الكريمة والحديث ما تضمناه من رفع الحرج عن المكره على الكفر، والتيسير عليه بقبول هذا المستوى من الأداء بسبب الإكراه ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان.

---

(1) الحاكم، محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1990م، كتاب التفسير، تفسير سورة النحل، (389/2 - ح: 3362). وصحَّحه.

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (312/12). وأورد الحافظ ابن حجر روايات للحديث، وقال إنها مراسيل تَقوَّى بعضها ببعض.



2- جرى تيسير كبير على الضعفاء والمرضى، وعلى الذين لا يجدون نفقات الجهاد، فرُفع عنهم الحرج وقبلت أعذار المتخلفين منهم عن الغزوات والهجرة، كما وعِدوا بنيل أجر نيتهم الصالحة وثواب حرصهم على الخروج، كما في حديث أنس بن مالك ﵁ أَنَّ رسول الله ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، ما سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رسول الله، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قال: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ))[1]. والشاهد في الحديث تضمنه تقويمًا فيه تقدير لحال العاجزين عن المشاركة في الأعمال الجهادية؛ مما منحهم دعمًا معنويًّا جبر خواطرهم. وفيه إيحاء بكفِّ ألسنة الناس عنهم وترك كل ما يجرح مشاعر القاعدين بسبب العذر. كما أن فيه تيسير على الناس بقبول هذا المستوى من الأداء بسبب العجز وقلة الحيلة.

3- التيسير بالتجاوز عن الخطأ والعفو عن الجاهل بالحكم، كما حصل مع الأعرابي الذي بالَ في المسجد، كما روى أبو هُرَيْرَة: ((أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رسولُ الله ﷺ: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[2]. يقول ابن دقيق العيد: "الحديث أصل في الرفقِ بالجاهل واللطفِ في تعليمه واستمالة قلبه للحقّ"[3].

4- التيسير باختيار أيسر الأمرين، وقد أخبرت بذلك عائشة ﵂ فقالت: ((مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ))[4]. والشاهد وصف أم المؤمنين عائشة ﵂ حال النبيّ ﷺ وكيف كان يراعي الأخذ بأَيسر الأمرين ما كان مباحًا. قال النووي: "فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا"[5]. ومن دلالة الحديث أن على المربي أو المعلم في حال تقويمه الناس أو إصلاحهم أن ينحو مسار التيسير في أدواته وطرقه وأساليبه ما دامت مباحة وتُحقِّقُ الغرض التقويمي المطلوب.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، (6/ 8 - ح: 4423).

(2) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب قول النبيّ ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30 - ح: 6128).

(3) ابن دقيق العيد، محمد بن علي، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: محمد خلوف، سوريا، دار النوادر، ط2، 1430هـ - 2009م، (1/ 524).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب صفة النبيّ ﷺ، (4/ 189 - ح: 3560).

(5) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (15/ 83).



5- التيسير بالتخيير، حيث يقدم المعلِّم للمتعلم مجموعة من الخيارات، فيأخذ بما تميل له نفسه أو يقدر عليه، ومن ذلك مضمون الإعلان الذي حمله أبو سفيان يوم فتح مكة، كما أخرجه مسلم: ((أن أَبَا سُفْيَانَ- جاء النبيّ ﷺ حين توجّه لفتح مكة- فَقَالَ: يَا رسول الله، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قال أَبُو سُفْيَانَ: قال رسول الله ﷺ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ))[1]. وفي رواية عند أبي داود، قال فيها العباس رضي الله عنه: ((فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رسول الله ﷺ، فَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رسول الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قال: نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِن))[2]. والشاهد توسيع خيارات طرق النجاة أمام أفراد المشركين من قريش يوم فتح مكة؛ فخيار واحد لم يكن ليسعهم وفيه تضييق عليهم؛ لكن بهذا التخيير والتنويع حصل التيسير المؤدي لنجاتهم وحفظ أرواحهم، مما سهّل تحولهم ودخولهم في الإسلام.

6- التيسير بقبول أكثر من أداء بناء على اجتهاد يحتمله الأمر النبوي، كما في حادثة صلاة العصر في بني قريظة التي رواها عبد الله ابن عُمَرَ رضي الله عنهما، فقَالَ: ((نَادَى فِينَا رسولُ الله ﷺ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ: أَنْ لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ، فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: لا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رسول الله، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قال: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ))[3]. فتخوف ناس فوت الوقت فصلَّوا في الطريق، وتمسك آخرون بظاهر الأمر فلم يصلُّوا إلا بعد وصولهم بني قريظة، فما عنَّف النبيّ ﷺ أحدًا من الطرفين من أجل الاجتهاد المسوغ، والمقصد الصالح[4]. والشاهد: التيسير في ترك تعنيف الناس، والتيسير في قبول تحقق الغاية والنتيجة النهائية، وهي الوصول سريعًا إلى بني قريظة، والتجاوز والتغافل عن الطريقة التي تحقق فيها المقصود ما دام نص الأمر مَرِنًا ويسمح بالاجتهاد.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (3/ 1407 - ح: 1780).

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب الخراج والفيء، باب ما جاء في خبر مكة، (3/ 162 - ح: 3022). وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين، (3/ 1391 - ح: 1770). بنو قريظة: فرقة من اليهود سكنوا يثرب.

(4) انظر: الشنقيطي، محمد الخَضِر، **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415هـ - 1995م، (4/ 40).



7- التيسير برفض التشدد أو الغلو في الدين أو النذر بما لا يطيق، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النبيّ ﷺ : ((أَدْرَكَ شَيْخًا يَمْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ، يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النبيّ ﷺ: ما شَأْنُ هَذَا؟ فقال ابْنَاهُ: يَا رسولَ الله، كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: ارْكَبْ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكَ، وَعَنْ نَذْرِكَ))[1]. ومثله حديث عَائِشَة ﵂، قالتْ: ((كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قُلْتُ: فُلاَنَةُ لا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلاَتِهَا، فَقَالَ: مَهْ! عَلَيْكُمْ ما تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا))[2].

8- ويظهر التيسير في التقويم التربوي في التأكيد على تحقيق التوازن بين حاجات الجسد، وتطلعات الروح، ومتطلبات حقوق الآخرين. فعندما نحا بعض الصحابة للتشديد على أنفسهم في العبادة، جاءهم التقويم من النبيّ ﷺ يُلزمهم بالتوازن، ويأمرهم بالبقاء في دائرة الاعتدال، مؤكدًا لهم أن هذه سنّته ومنهجه. بدا ذلك واضحًا في حديث الرهط الثلاثة الذي قال لهم رسول الله ﷺ: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[3].

ونحوه حديث سلمان الفارسي في وصيته لأخيه أبي الدرداء ﵄، قائلا له: ((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ))[4]. ومنها أيضًا موقفه ﷺ في تقويم عبد اللَّهِ بن عَمْرو ﵄ حين دَخلَ عَلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ له: ((أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قال: فَلاَ تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))[5].

وكذلك ما روي عن عائشة ﵂: أن النبيّ ﷺ بَعَثَ إلى عثمان بن مظعون ﵁، فجاءه، فقال: ((يا عثمانُ، أرغِبتَ عن سُنتي؟ قال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، ولكن سُنَّتك أطلُبُ، قال: فإني أنامُ وأصلِّي، وأصومُ وأُفطر، وأنكِحُ النساءَ، فاتَّقِ الله يا عثمانُ، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لضَيفِكَ

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، (3/ 1264 - ح: 1643).
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، (2/ 54 - ح: 1151).
(3) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/ 2 - ح: 5063).
(4) المرجع السابق، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/ 38 - ح: 1968).
(5) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب حق الضيف، (8/ 32 - ح: 6134).



عليك حقًّا، وإن لنَفسِكَ عليك حقًّا، فصُمْ وأَفطِرْ، وصَلِّ ونَمْ))(1). وأخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص، قال: ((رَدَّ رسول الله ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا))(2). وأخرج البخاري عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((دَخَلَ النبيّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: ما هَذَا الحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فتَرَ فَلْيَقْعُدْ))(3). والشاهد في عموم الأحاديث السابقة أنها تظهر عناية النبي ﷺ بالتيسير من خلال تكرار التأكيد وفي أكثر من مناسبة على ضرورة التخفيف على النفس وتجنب تحميلها فوق طاقتها، وكذا تقرير أهمية مراعاة التوازن بين حاجات الجسد، وتطلعات الروح، ومتطلبات حقوق الآخرين في الأسرة والمجتمع.

المطلب السادس
تشجيع المتعلم على تقويم مكتسبات تعلّمه

إن مشاركة المتعلم في التقويم تأتي منه على شكل مقترحات وتغذية راجعة حول محتوى المنهج التربوي أو بعض الطرق والأساليب المستخدمة في التدريس والتربية وكذلك مشاركته في تطوير معايير التقويم، كما تكون حال مراجعة المتعلم فيما يناله من أوصاف تقويمية أو درجات. وهي تشير - غالبًا - إلى ارتقاء في مستوى الأداء والفهم والتحليل لدى المتعلمين، وتعبر أيضًا عن اهتمامهم وتفاعلهم الإيجابي مع العملية التربوية.

فتقويم المتعلمين لمكتسبات تعلّمهم يعطيهم فرصة للتأمل في عمليات تفكيرهم، فيصبحون أكثر وعيًا بما يقوّي أو يعوق تعلّمهم، كما ويدعم فرص التقييم الذاتي لمدى الشعور باكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات أو الميول الجديدة. ويعمل أيضًا على تشجيع انخراط الطلبة في التعلم حيث

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب تفريع أبواب التطوع، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، (2/ 521 - ح: 1369). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، في تحقيقه مسند أحمد.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، (2/ 1020 -ح: 1402). (التبتل) هو ترك النكاح لأجل التفرغ للعبادة. (عثمان بن مظعون): أسلم في مكة بعد (13) رجلًا. وهاجر إلى الحبشة هو وابنه الهجرة الأولى، توفي بعد شهوده بدرًا في السنة (2 هـ)، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر: ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة** (4/ 381).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، (2/ -53 ح: 1150). (الساريتين) مثنى سارية وهي الأسطوانة والدعامة التي يقوم عليها السقف. (زينب) بنت جحش رضي الله عنها إحدى زوجاته ﷺ.



تزداد الدافعية عند إدراكهم أنَّ التغذية الراجعة المقدمة منهم تؤخذ بعين الاعتبار من المعلم[1].

وقد ذكرت السُنّة كثيرًا من مراجعات الصحابة للنبيّ ﷺ في سياق المقترحات والأفكارًا الداعمة؛ ومما اشتهر من ذلك مراجعات عمر رضي الله عنه، وظلّ هذا الباب مفتوحًا أمام عموم الصحابة رضي الله عنهم في إطار تحليلهم للمواقف وفهمهم للمحتوى ومشاركتهم في تقويم الأداءات والأساليب والمخرج التربوي.

ويجدر التذكير بأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا متعلمين متلقين فقط؛ بل كانوا شركاء حاملين همَّ الدعوة، والتعليم والتربية. يقول البيضاوي في تعليقه على دلالة قوله ﷺ : ((فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[2]. "خطاب مع الحاضرين من الصحابة، جعل بعثته إليهم للتيسير، بمنزلة بعثتهم كذلك؛ لأنهم خلفاؤه ونوابه في ذلك"[3]. لذلك كان عليه السلام يصغي، ويتقبل، ويستشير، ويثني على هذه المبادرات؛ رفعًا لقدر أصحابه رضي الله عنهم ومشاركة لهم في بناء المسار والقرار. وقد قابل الصحابة رضي الله عنهم ذلك بإيجابية دفعتهم لتقديم المزيد من المبادرات.

ومنذ بدايات التكليف يوم نزول الوحي على النبيّ ﷺ أول مرة في غار حراء، وكان ما جرى أمرًا مفاجئًا وغريبًا لدرجة أن النبيّ ﷺ خشي على نفسه، فرجع إلى أهله خائفًا يقول: زملوني. فاستقبلته السيدة خديجة رضي الله عنها فقدمت له دعمًا مناسبًا فدفعت عنه الأوهام والخوف، وشدَّت من أزره. وكان لاستعانتها بابن عمها ورقة بن نوفل أثر مبارك في تفسير أبعاد ما جرى في الغار؛ فاستجمع النبيّ ﷺ نفسه سريعًا، وشمرّ لمهمته، وراح يرقب عودة الوحي إليه. روى ذلك البخاري فقال: إن رسول الله ﷺ قال: ((أَيْ خَدِيجَةُ! ما لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قالتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ..))[4].

---

(1) انظر: بيج كيلي، **التقييم البنائي في العلوم- 75 استراتيجية لربط التقييم والتدريس والتعليم-**، ترجمة جبرين الجبر، الرياض، دار جامعة الملك سعود، 2014 هـ، (ص: 267).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب قول النبيّ ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30 - ح: 6128).

(3) البيضاوي، عبد الله بن عمر، **تحفة الأبرار شرح مصابيح السُنّة**، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، (د. ط)، 1433هـ - 2012م، (1/ 212).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [سورة الضحى: 3]، (6/173 - ح: 4953).



والشاهد: هذه المشاركة الفاعلة من السيدة خديجة ﵂ في مساندة النبيّ ﷺ في هذا المستجد غير المعهود، وتحليل ما جرى في موقف غار حراء، وكيف أنها هُديت فاستعانت بالسجل التاريخي المشرِّف للنبي ﷺ لتثبيته ودعمه، وبعلم ابن عمها ورقة بن نوفل.

وفي موقف لاحق حدث عقب صلح الحديبية مباشرة، والذي كان من بنوده أن يرجع المسلمون دون عُمرة في عامهم ذلك، فشقَّ ذلك على الصحابة ﵃ وهم المشتاقون لمكة ويقفون على تخومها؛ فأمر النبيّ ﷺ الناس بالتحلل، والاستعداد للعودة إلى يثرب، فقال لهم: ((قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، قال الراوي: فَوَاللَّهِ ما قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قال ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا))[1]. وبذلك تكون أم سلمة ﵂ قد هديت فحلَّلت الموقف وأدركت أبعاده، ووفِّقت حين أشارت على النبيّ ﷺ بطريقة تربوية حكيمة ترفع عنه وعن أصحابه حرج الموقف، فأشارت عليه، فبدأ بنفسه ﷺ فحلق ونحر؛ مما جعل الناس يتيقنون تمام أمر الصلح مع قريش، وأنه لا مفرَّ من الرجوع عن مكة دون عمرة ذاك العام.

وتذكر السُنّة أن عائشة ﵂ راجعت النبيّ ﷺ في أمر إمامة والدها واقترحت بديلًا عنه، واستعانت بحفصة ﵂ على ذلك. قالت عائشة ﵂: إنَّ رسول الله ﷺ قال فِي مَرَضِه: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ. قالتْ عَائِشَة: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَة: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ))[2]. وفي الحديث ردٌّ لمقترح عائشة ﵂ رغم إلحاحها وتعليلها رأيها.

وأخرج البخاري أن السيدة عائشة أم المؤمنين ﵂ كَانَتْ لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، ومن ذلك أَنَّ النبيّ ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ. قالتْ عَائِشَة: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [سورة الانشقاق: 8]، قالتْ: فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ))[3].

(1) المرجع السابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (93/3 - ح: 2731).

(2) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (136/1 - ح: 679).

(3) المرجع السابق، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه، (32/1 - ح: 103).



وفي موقف آخر تقدِم حفصة أم المؤمنين ﵂ مراجعة بين يدي النبيّ ﷺ حين قال ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ -الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا-. قالتْ: بَلَى، يَا رسول الله. فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم: 71]، فَقَالَ النبيّ ﷺ: قَدْ قال اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [سورة مريم: 72]))(1). وفي الحديث: "دليل على المناظرة في العلم، وجواز الاعتراض والسؤال فيه لاستخراج الفائدة، وهو مقصد حفصة إن شاء الله، لا أنها قصدت ردَّ مقال النبيّ ﷺ فقولها: (بلى) جاء طلبًا لشأن ما أشكل عليها، واحتاجت إلى تفسيره من هذا الظاهر المخالف، لما سمعته منه ﷺ(2). والشاهد أن كلًّا من حفصة وعائشة ﵄ قد قدمتا مداخلات ومراجعات مع النبيّ ﷺ أثناء تلقي العلم، في محاولة منهما لإزالة اللبس في الفهم خاصة عند المقابلة بين الآيات والأدلة في محتوى الرسالة. وكان النبيّ المعلم ﷺ يستوعب هذه المراجعات ويتقبلها؛ لأنها كانت في سياق الاستعلام الذي يتبعه تقويم للفهم وإرشاد للصواب.

ويجدر التنويه إلى تنوع المقترحات وشكل المشاركات من الصحابة ﵃ واختلاف تقديراتهم في المسألة الواحدة، فكان النبيّ ﷺ يميل لبعضها ويترك بعضها، كما حدث في قضية أسارى قريش يوم بدر، يقول ابن عباس ﵁: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: ((مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ ما تَرَى يَا ابن الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ ما قُلْتُ))(3).

وفي موقف آخر رواه هِشَام بن عَامِر ﵁، قال: ((شَكَوْنَا إِلَى رسول الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْنَا: يَا رسول الله، الْحَفْرُ عَلَيْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ شَدِيدٌ؟ فَقَالَ النبيّ ﷺ: احْفِرُوا وَأَعْمِقُوا وَأَحْسِنُوا، وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. قَالُوا: فَمَنْ نُقَدِّمُ يَا رسول الله؟ قال: قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا))(4). وفي الحديث

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، (4/ 1942 - ح: 2496).

(2) القاضي عياض، عياض بن موسى، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق، يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1419هـ - 1998م، (7/ 540).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، (3/ 1385 - ح: 1763).

(4) الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الشهداء، باب ما جاء في دفن الشهداء، وقال حديث حسن صحيح، (4/ 213 -ح: 1713).



شاهد على مشاركة الصحابة ﷺ في تقديم مقترحات تطويرية تعين وتسهّل تنفيذ الأوامر النبويّة. ومن دلالة الحديث التجاوب والتقبُّل من النبيّ ﷺ مراعاة لحال أصحابه فقد أصابتهم جراحات وكثر فيهم الشهداء؛ فخفف عنهم، وأذن لهم بتغيير طريقة الدفن على غير العادة، فدفنوا الاثنين والثلاثة معًا. وفي قوله ﷺ: ((قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا)) تقويم تربوي بالإيحاء، يبين فضل حامل القرآن، ويدفع للعناية بتلاوته وحفظه، كما أن فيه رفع لأي خلاف قد يحدث عند الرغبة بتقديم أحد على آخر أثناء الدفن؛ بوضع معيار للتقديم والتأخير.

وذكرت السُنّة النبويّة في موقف آخر أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فبلغها أن رسول الله ﷺ أُتي بِسَبْيٍ، فأتته تسأله خادمًا يخدمها، لكنه ﷺ قدّم بيع ذلك الرقيق للنفقة على أهل الصُّفَّة[1]. ثم قال لها: ((أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى ما هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ))[2]. والحديث يبيّن أن السيدة فاطمة عليها السلام قد قدَّرت بأنه يمكنها أن تحصل على خادم يخفف عنها، خاصة مع توفر الخدم في ذلك الموقف؛ لكن النبيّ ﷺ لم يلبِّ رغبتها رغم أن القضية تمسُّ راحة ابنته. وقدم لنا صورة عظيمة من إيثاره ﷺ لحاجة أهل الصُّفَّة على حاجة أهل بيته الكرام ﷺ. وهو بذلك يقدم موازنة لها ولكل المؤمنين، مضمونها: أن الاستعانة بالله، وذكره بالتسبيح والتحميد والتكبير تهب المسلم قوة في جسده، وعزيمة في روحه، وذلك خير له وأصلح من خادم.

وفي موقف آخر يستغرب أعرابي طريقة النبيّ ﷺ في ملاطفته للصغار من أحفاده وتقبيلهم، قائلا: ((تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ))[3]. وبهذا التعقيب على هذا النقد يؤسس النبيّ ﷺ لمبدأ الرحمة في معاملة الأهل والأبناء ومن كان في حكمهم من الضعفاء والمرضى والخدم، ويقدِّم ﷺ من نفسه أسوة حسنة في ذلك برحمة الأبناء والأحفاد، وحملهم، وتقبيلهم، والتلطف بهم. وفي رواية: قال فيها الأقرع بن حابس رضي الله عنه: "إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم.."[4]. والشاهد مراجعات الصحابة لما كان يجري من مواقف

---

(1) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (11/ 123).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، (2092/4 - ح: 2728).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (7/8 - ح: 5998).

(4) المرجع السابق، (4/-1808 ح: 2318).



تربوية كانوا يلاحظونها. فكان النبيّ ﷺ يسمعها ثم يعلّق عليها مقوّمًا ومسددًا. وطبيعي أن تكشف هذه المداخلات والمراجعات عن تشخيصات لطباع الصحابة رضي الله عنهم وسلوكاتهم الاجتماعية. وكان النبيّ ﷺ بأسلوبه الحكيم يجيب عن الاستفسار الوارد أو التعليق بما يصحّح المفهوم ويعدّل السلوك، كما في هذا الموقف التقويمي الذي تم التأكيد فيه على أهمية الرحمة عمومًا ورحمة الصغار خصوصًا.

المطلب السابع
التثبت من الأخبار والبيانات

ينبغي أن يسبق الأحكام التقويمية تَثبُّت وتشخيص كاف مبني على أدلة معتبرة تراعي سلامة وموثوقية مصدر المعلومة وأدواتها وخلوها من خطأ الحواس أو العجلة أو التحيز ونحوه.

ونجد منطلق هذا المبدأ من القرآن الكريم، حيث ورد الأمر الإلهي الصريح الداعي للتبين، فتكرر ورود عبارة "فَتَبَيَّنُوا" ثلاث مرات في سياق تقويم المؤمنين لغيرهم أو لبعضهم، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [سورة النساء: 94]. وقد ورد في السُنّة النبويّة سبب نزول الآية كما أخرج البخاري عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: ((كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [سورة النساء: 94]))[(1)]. فظاهر الموقف أن هذا الرجل قد قُتِل دون أن يأخذ حقه من التثبت والتبين من حاله - فهو قد ألقى السلام - فاستدعى الأمر التنبيه الإلهي والعتاب والتحذير. وفي ذات السياق يستنكر النبيّ ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنه عجلته وتصرفه دون تثبّت حين قتل رجلًا نطق بكلمة التوحيد - لا إله إلا الله- أثناء سجال مع المشركين، فقال له النبيّ ﷺ مستنكرًا ورافضًا تقويمه الذي تعذّر به: ((أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) [سورة النساء: 94]، (6/ 47 - ح: 4591). وانظر: الوادعِي، مقبل هَادِي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط4، 1408 هـ- 1987م، (ص: 73). (ألقى إليكم السلام) نطق بالشهادتين أو حياكم بتحية الإسلام. (لست مؤمنا) أي: تقولون لم يؤمن حقيقة، إنما نطق بالإسلام تقية. (غُنَيْمَته) تصغير غنم أي قطيع صغير من الغنم.



وَقَتَلْتَهُ؟ قال: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إِنَّمَا قالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قال: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ يقول أسامةُ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ))[1].

أما قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [سورة الحجرات: 6]، فقد أوردت السُنّة النبويّة أن الآية نزلت تعقيبًا على حادثة بعث النبيّ ﷺ الوليد بن عقبة[2] إلى قبيلة بني المصطلق، وتحديدًا إلى الْحَارِث بن أَبِي ضِرَار الْخُزَاعِي والد جويرية أم المؤمنين عليها السلام ليأتي بالزكاة منهم، فلما أتاهم الوليد خرجوا يَتلَقَّونه، فظنهم ارتدّوا وحسبهم أرادوا قتله؛ فخاف ورجع، ثم إنه أتى النبيّ ﷺ فأخبره بأن القوم ارتدّوا، وأنهم منعوه الزكاة وأرادوا قتله، فبعث النبيّ ﷺ إليهم خالدًا رضي الله عنه في سرية، فتبين أن ما قاله الوليد بن عقبة غير صحيح أبدًا، وأن القوم على خير وصلاح. والشاهد من الآيتين ورود الأمر بالتبين والتثبت عند ورود الأخبار أو المعلومات قبل اتخاذ قرار بشأنها، لقوله تعالى: (فَتَبَيَّنُوا)، فالأمر نزل تقويمًا لمنهجية إصدار الأحكام والقرارات؛ وضرورة التثبت من الأخبار والتحقق من البيانات الواردة قبل أي إجراء أو حكم تقويمي نهائي.

كما جاء التوجيه من الله تعالى لضبط الأحكام الصادرة والأقوال، وضرورة استنادها لأدلة معتبرة، تحت طائلة المسؤولية والحساب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا**﴾ [سورة الإسراء: 36]، فإما أن يشهد المرء بناءً على علم حقيقي وفهم دقيق مصدره سمع أو مشاهدة أو تجربة، أو أنه يسعه الصمت بل يلزمه. وقد نقل الطبري قولي المفسرين في معنى قوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ)، "الأول: لا تقُلْ، والثاني: لا ترمِ، وقال: وهذان التأويلان متقاربا المعنى؛ لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، حين يدِّعي المرء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره. وعليه فالمعنى: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفو"[3].

ومن ممارسات التثبت النبويّة، ما نقل ((أن رسول الله ﷺ كان يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (96/1 - ح: 96).

(2) الوليد بن عقبة: صحابي، أسلم يوم الفتح، لا خلاف بين أهل العلم بالقرآن أنه نزل فيه قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [سورة الحجرات: 6]. وقد ولاه عثمان الكوفة، وبعد قتل عثمان اعتزل الفتنة إلى أن مات في خلافة معاوية رضي الله عنهم. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب** (11/ 143).

(3) الطبري: **تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن**، (17/ 447).



الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ))[1]. ومن تثبُّتِه ﷺ أنه كان لا يحكم بقضاء قبل أن يستمع ويحقق، كما جرى بعد محاولة تسريب خبر جيش الفتح إلى قريش، فبعد أن استعيدت الرسالة وعرف مضمونها؛ سأل النبيّ ﷺ حاطبًا، فقال: ((يَا حَاطِبُ ما هَذَا؟ قال: يَا رسولَ اللهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ))[2]. والشاهد أن النبي ﷺ أحضر الرسالة وتبين ما فيها بدقة، ثم واجه الرجل بها، وسأله واستمع له وحقق معه قبل أن يقول رأيه أو يحكم عليه.

ومن أبرز الشواهد على التثبت من الأخبار قبل إصدار الحكم والتصرف والتقويم ما جرى أثناء حادثة الإفك، فقد حقق النبيّ ﷺ في الأمر، فرجع إلى زوجه عائشة عليها السلام فاستفسر منها، وطلب رأي بعض أهله والمقربين واطلع على تقديرهم للموقف[3].

ختامًا فإن ما سبق كان بيانًا لشواهد في إطار تأصيل سبعة مبادئ أساسية لعملية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي من الأهمية بمكان حيث شكَّلت جوهرًا وأساسًا في العملية التربوية النبويّة.

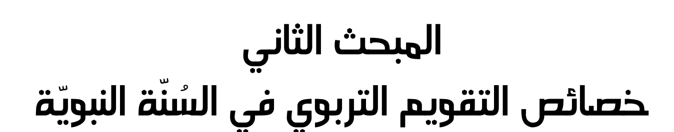
---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة، (1/ 288 - ح: 382).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59 - ح: 3007). روضة خاخ: موضع قرب المدينة على طريق مكة. (ظعينة) هي المرأة في الهودج، ثم اتسع فيه وأُطلق على مطلق المرأة. (عقاصها) جمع عقيصة، أو عقصة وهي ضفائر الشعر.

(3) انظر: في هذا الكتاب الصفحات (97، 114)





المبحث الثاني
خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

الخصائص: جمع خصيصة، بمعنى الصِفة التي تميز الشيء وتحدده[1]. وقد ميّز د. عماد الدين الرشيد بين المبادئ والخصائص، فقال بأن: "المبادئ: كليّات تدخل في ماهية الفكرة وبنائها وأنها قواعد أساسية يبنى عليها المفهوم ويقوم. أما الخصائص فهي دالة على معان كليّة تتصف بها معظم جوانب الفكرة ولا تدخل في بنائها. والفرق بينهما كالفرق بين الجوهر والعرض"[2].

وخصائص التقويم التربوي في هذه الدراسة، هي تلكم السمات التي تميّز التقويم التربوي في السُنّة النبويّة. وقد أشارت دراسات سابقة إلى جملة من الخصائص للتقويم التربوي النبوي، نذكر منها ما يأتي:

1. ربانية مصدر التقويم[3]: بمعنى أن التقويم التربوي كان يستند بشكل أساس إلى القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وما فيهما من أهداف تربوية ومعايير وضوابط وأحكام.
2. الشمول والتنوع[4]: بمعنى شمول التقويم التربوي النبوي لأنماط متنوعة من الأداء، وتنوع مجالاته في تقويم العقيدة والعبادة والأخلاق والعلاقات والمعاملات والسلوك.
3. الفورية[5]: وتظهر من ناحيتين: الأولى: فورية استجابة الصحابة ﵃ للتقويم التربوي النبوي بحكم مقام نبوته ﷺ ووجوب طاعته وامتثال أمره. والناحية الثانية: فورية تنفيذ التقويم التربوي من النبيّ ﷺ؛ مما يعكس دقة الملاحظة وحسن المتابعة وسرعة معالجة الموقف في حينه.

---

(1) مختار وآخرون: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، (ج1/ 351).

(2) الرشيد، عماد الدين محمد، **ملاحظات إثرائية**، مرسلة للباحث مباشرة وأثناء مناقشته، بتاريخ 2023/5/30م، وفي تسجيل على الانترنت، مناقشة أطروحة دكتوراه. https://www.youtube.com/watch?v=2zLgQX9ULeo

(3) انظر دراسة: سوماورو، **التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي**، (ص: 236). وانظر دراسة: مقبل، **التقويم التربوي من منظور إسلامي**، (ص: 16).

(4) انظر دراسة: الحسن، **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة**، (ص: 39).

(5) انظر دراسة: سوماورو، **التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي**، (ص: 238).



4. استمرارية عملية التقويم[1] فهي لا تتوقف عند سنٍ معينة أو مرحلة.
5. تقويم يقوم على أسس علمية دقيقة[2]، ويتثبت من المعلومات والبيانات قبل إصدار الأحكام.
6. المعيارية[3]، بمعنى أنه تقويم ينطلق من معايير واضحة محددة يمكن مقارنة الأداء بها.
7. التلاؤمية[4]، بمعنى أن مستوى التقويم النبوي ونوعه وشكله كان يتلاءم ويتناسب مع حالة المتعلمين من حيث الفروق بينهم؛ من تنوع بيئتهم واختلاف طبائعهم وأعمارهم وجنسهم، وكيف يكون حالهم عند التلبّس في الزلل من حيث الجهل أو التعمُّد أو التكرار؟
8. الوقائية وقيامه على التنبؤ[5]، بمعنى أن التقويم التربوي النّبويّ كان يضع الوسائل ويثبت المبادئ التي تقي الفرد والجماعة من المفاسد والانحرافات؛ من خلال تنبئه بها وسدّه منافذ الخلل وتحذيره من منطلقاتها بشكل استباقي وقائي.
9. الجمع بين عوامل الضبط الخارجي (التقويم من الغير) والداخلي (التقويم الذاتي)[6].
10. التعاون بين المؤثرين والمتأثرين في العملية التقويمية[7] بالمساندة والدعم المتبادل بين المعلمين والمتعلمين والأقران والأسرة والمجتمع.

وتؤكد الدراسة الحالية على دقة ما وصل إليه الباحثون الكرام من استخلاصهم تلك الخصائص العشر السابقة، وأنها مما تميز به التقويم التربوي النبوي، ولذا كانت جديرة بالتنويه إليها.

---

(1) انظر دراسة: الحسن، **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة**، (ص: 61). وانظر دراسة سوماورو، **التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي**، (ص: 245). وانظر دراسة: مقبل، **التقويم التربوي من منظور إسلامي**، (ص: 19).

(2) الحوامدة، سليمان حماد، **منهج التقويم في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة كراتشي، كراتشي – باكستان، 2002م، (ص: 72).

(3) انظر بحث: أبو دف: **منهج الرسول ﷺ في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر**.
https: //slpemad. files. wordpress. com/201412//d985d986d987d8ac-d8a7d984d8b1d8b3d988d984-d981d98a-d8aad982d988d98ad985-d8a7d984d8b3d984d988d983. pdf

(4) انظر: المرجع السابق

(5) انظر: المرجع السابق

(6) انظر: الحوامدة، **منهج التقويم في القرآن الكريم**، (ص: 72).

(7) انظر دراسة: الحسن، **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة**، (ص: 71). وانظر دراسة: مقبل، **التقويم التربوي من منظور إسلامي**، (ص: 19).



وفيما يأتي مزيد تفصيل وتأصيل في سبع خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي:

1. "الشمول والعموم".
2. التنوع.
3. الاستمرارية.
4. تقويم واقعي.
5. تقويم ممتد الأثر.
6. تقويم "مَحَكِّي المرجع".
7. تقويم تعاوني.

المطلب الأول
الشّمول والعموم

إن أي دراسة تبحث في خصائص التقويم التربوي النبوي ستجد أن سمة الشمول والعموم من أبرز السمات، ولا غرابة فالتقويم التربوي يستمد شموله من المنهج الإسلامي في التربية، والذي يمتد أثره المبارك إلى تقويم عموم جوانب حياة الإنسان، وعلاقاته المختلفة، كما أنه يستهدف عموم المسلمين حيثما كانوا.

وقد شمل التقويم في السُنّة النبويّة جميع عناصر المنهج من تقويم للأهداف التربوية ولطريقة التعامل مع محتوى المنهج - القرآن والسُنّة - وشمل كذلك تقويم الطرائق والأساليب، وتقويم أطراف العملية التربوية من المعلم والمتعلم والبيئة التعليمية وما فيها من وسائل وأدوات.

ويظهر شمول التقويم التربوي في عنايته بتقويم المعارف والمفاهيم والتصورات والمعتقدات وتقويم النواحي الوجدانية والقيم وتقويم المهارات والأداءات، وكذلك منظومة العلاقات والسلوكات الظاهرة والباطنة للمسلم.



ومن الشواهد على شمول التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وعمومه ما يأتي:

1. تقويم علاقة المسلم مع ربه ﷻ والتي تبنى على أساس نبذ الشرك وتحقيق الإخلاص في الأقوال والأعمال. ويظهر ذلك في شواهد عديدة نذكر منها: الحوار التربوي بين النبيّ ﷺ ومعاذ بن جبل ﵁ يقول فيه معاذ: ((كُنْتُ رِدْفَ النبيّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذ بن جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: هَلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قال: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله، وَسَعْدَيْكَ، قال: هَلْ تَدْرِي ما حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ قال: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ))[1].

والشاهد أن النبيّ ﷺ كان في موقفه هذا يؤسس لمعاذ بن جبل ﵁ طبيعة العلاقة مع الله وينظمها ويختصرها في جواب سؤالين: بيَّن في الأول: حق الله على عباده، و بيَّن في الثاني: حق العباد على ربهم ﷻ بتأمينهم من العذاب، والثاني مترتب على الأول وجزاء له، كما أن الثاني حافز ودافع لأداء الأول ومراعاته. ويبدأ أثر جواب السؤال الأول من السعي لتحقيق الإيمان به ﷻ ومعرفته وتوحيده، والإخلاص له بالعبادة والتي يمتد أثرها ليتجاوز الفرائض والعبادات الخاصة إلى عموم نشاطات الإنسان وأقواله، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنعام: 162]، وبذلك تكون الآية والحديث قد تضمنا تقويمًا شاملًا يصل بالمسلم كما يقول قطب نحو: "التجرد الكامل للّه، بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه"[2].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، (1/ 58 - ح: 30).

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 148).

2. تقويم منظومة علاقات المسلم مع غيره؛ بالإحسان إلى الوالدين، والأقربين، وصلة الأرحام، وتكوين الأسرة وحسن معاشرة الزوج، ورعاية الأبناء، والإحسان إلى الجار، وبذل النصح للأصحاب، والوفاء للأمة والمجتمع بأداء الأمانة وتحمل المسؤوليات.

ومن الشواهد في السُنّة النبويّة أن النبيّ ﷺ قوّم علاقة المسلم مع أخيه المسلم - عمومًا - فبيّن أنه ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[1]، وحذّر من إيذاء الجار فقال: ((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))[2]، وأكد على صلة الرحم، فقال: ((لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِع))[3]، وفصّل النبيّ ﷺ في تقويم التعاملات الاجتماعية، فقال: ((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))[4]. وفي الأحاديث شواهد يكمل بعضها بعضًا تؤكد التقويم الشمولي لمنظومة العلاقات، فلم يترك النبيّ ﷺ مساحة من العلاقات الأخوية أو المجتمعية أو البينية إلا وأرسى قواعد تسهم في تقويمها وتنظيمها.

وحتى العلاقة مع البيئة، فالمسلم فيها لا يسير مسارًا يفسد فيه الحرث، أو يهلك فيه النسل؛ بل هو محسن رحيم ودود، ويكفيه دافعًا للإصلاح أن الله ﷻ يحب المصلحين ويكره الفساد والمفسدين، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [سورة البقرة: 205]. وقد ورد في السُنّة النبويّة أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، فقال ﷺ: ((عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ))[5].

وفي المقابل غفر الله ﷻ لأخرى حين رحمت كلبًا؛ فسقته شربة ماء، كما ورد في قوله ﷺ: ((بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا،

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (1/ 12 - ح:13).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، (1/ 68 - ح: 48).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، (8/ 5 - ح: 5984).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (4/ 1986 - ح: 2564).

(5) انظر: البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، (3/ 112 - ح: 2365).



فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ))[1]. والشاهد أن تقويمًا جرى في إطار تنظيم علاقة المسلم مع بيئته، وأن عليه أن ينظر بعين الرحمة إلى ما فيها من كائنات حية، وفي الحديث: ((قالوا: يا رسول الله: وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ))[2].

3. شمول التقويم للأخلاق الظاهرة والباطنة، كما في حديث عَمْرِو بن تَغْلِبَ ﵁: أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ -أو سَبْيٍ- فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: ((أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى ما جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بن تَغْلِبَ، فَوَاللَّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ))[3]. والشاهد في الحديث: شمول تقويم النبيّ ﷺ للأخلاق الخفية في نفوس بعض المتعلمين، بقصد معالجة حالة الجزع والهلع في صدورهم، وتأليف قلوبهم، وتثبيتها على الإسلام من خلال منحهم بعض العطاء، والثناء على من تحلَّى بالصفات الحميدة، والخصال الكريمة. أما الأخلاق الظاهرة، والسلوكات البينة، فإن مواقف تقويمه ﷺ لها كثيرة، ونذكر منها تقويمه لسلوك بعض أصحابه ﵃ عند إحداثهم جلبة أثناء قدومهم لصلاة الجماعة، كما في رواية أبي قتادة، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النبيّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قال: ((مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلاَةِ؟ قال: فَلاَ تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا))[4]. والشاهد تقويم النبيّ ﷺ للسلوك الظاهر، فأمرهم بالسكينة إذا أتوا الصلاة.

4. ومن مظاهر شمول التقويم التربوي وعمومه أنه كان مطلقًا في مكانه وزمانه، يجري حيثما أمكن وتيسر؛ في البيت والمسجد والسوق وفي الأسفار والغزوات وأثناء المعايشة مطلقًا، ففي المسجد قوّم

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب فضل سقيا البهائم، (4/1761 - ح: 2245). (مُوقَهَا) ما يلبس فوق الخُفِّ. (بركية) الركية هي البئر.

(2) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (8/ 9 - ح: 6009).

(3) المرجع السابق، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، (2/ 11 - ح: 923). (حمر النعم) الإبل الحمراء وكانت أعجب الأموال وأحبها إلى العرب.

(4) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة، (1/ 129 - ح: 635). (جلبة) صوت الحركة والكلام والاستعجال. (بالسكينة) الهدوء والتأني في الحركة. (أبو قتادة): هو: الحارث بن ربيعي السلمي الأنصاري، شهد أحدًا وما بعدها، توفي بالكوفة سنة (54 هـ) وهو ابن سبعين سنة. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (12/ 204).



صلاة الرجل وصحّحها له حين قال له ﷺ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، ثَلاَثًا))[1]. وجرى تقويم تاجر الطعام في السوق حين مرّ ﷺ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: ((مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قال أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قال: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[2]. وفي الحديث الأول تقويم تربوي لطريقة أداء الصلاة ورفض لأدائها ناقصة الأركان، وفي الحديث الثاني رفض لسلوك الغش مطلقًا في عموم المعاملات والعلاقات، وفيه تثبيت لمعيار أساس وهو أن المسلم لا يغش، وأن انتماءه لدينه وأمته يحول بينه وبين الغش. وفيه دلالة على إمكانية تقويم الجماعة من خلال تقويم حالة فردية، وفيه تقويم الغائب من خلال تقويم حالة حاضرة.

5. يظهر الشمول في التقويم التربوي في عموم الأماكن والأوقات التي يجري فيها دون تقييدها بوقت أو مكان معين. فكثير من التقويمات التربوية النبويّة كانت تجري أثناء المعايشة النبويّة، في الحلّ والترحال، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[3]. والشاهد ما جرى أثناء السفر من متابعة وتشخيص للموقف وحال الرجل الذي ظُلِّلَ عليه، وتقديم التقويم التربوي المناسب له ولكل أمثاله. وكذلك ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ...))[4]. والشاهد في الحديث ما جرى من تقويم تربوي - استشرافي

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب وجوب القراءة للإمام، (1/ 152 - ح: 757).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قول النبيّ ﷺ: ((من غشنا فليس منا))، (1/ 99 - ح: 102).

(3) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب قول النبيّ ﷺ لمن ظُلِّلَ عليه..، (3/ 34 - ح: 1946).

(4) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، (3/ 1472 - ح: 1844). (ومنا من ينتضل) هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب. (في جشره) هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها. (فيرقق بعضها بعضا) أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده.



– أثناء المعايشة في الأسفار، بالتحذير من أمور وقضايا وفتنٍ قد تواجه المرء أثناء حياته، فأوصى النبيّ ﷺ بتذكّر الآخرة -جنّتها ونارها-، والصبر والثبات والموت على الإيمان، وقد تضمن الحديث عبارة: ((وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ))، وهي من جوامع كلمه ﷺ وبديع حِكَمه، وهي قاعدة مهمة تسهم في تفعيل التقويم الذاتي عند المسلم لمراجعة تصرفاته أثناء تعاملاته وعلاقاته وأعماله.

6. ومن مظاهر عموم التقويم شموله الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والعبد والسيد، فقد قوّم النبيّ ﷺ عمر بن أَبِي سَلَمَة رضي الله عنه وكان غُلاَمًا فِي حجْرِهِ ﷺ، وكانت يداه تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ له رسول الله ﷺ: ((يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))[1].ونحوه ما روته عائشة: أن أختها أسماءَ رضي الله عنها دَخَلَت على رسول الله ﷺ وعليها ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فأَعْرَضَ عنها رسول الله ﷺ، وقال: ((يا أسماءُ! إن المرأةَ إذا بَلَغَتِ المَحِيضَ لم يصلُحْ أن يُرى مِنها إلا هذا وهذا))، وأشار إلى وجهه وكفَّيْه[2]. ومرّ النبيّ ﷺ في أَضْحًى أو فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا. فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رسول الله؟ قال: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ))[3]. والشاهد في الحديث: عموم التقويم التربوي لشرائح الناس في المجتمع المسلم.

وقد شمل التقويم التربوي النّبويّ فِئات العمال، وأصحاب المسؤوليات، كما في حديث أبي حميد الساعدي، أن رسول الله ﷺ استعمل عاملا، فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا لكم وهذا أهدي لي. فقال له: ((أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لاَ؟))[4]. والشاهد في الحديث: ما جرى من تقويم تربوي لهذا العامل الذي أُرسل لجمع الصدقات، فجاء وقد أهدي له بسبب موقعه ووظيفته، فقدَّم النبيّ ﷺ تقويمًا له ولكل أمثاله فصحح التصور حول هدايا العمال، وبيَّن أن الهدايا التي ينالها العامل بسبب الوظيفة العامة لا تحلُّ.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام..، (7/ 68 - ح: 5376).

(2) أبو داود، **سنن أبي داود**، أول كتاب اللباس، باب فيما تُبدي المرأةُ من زينَتِها، (6/ -198 ح: 4104). حديث حسن لغيره، كما قال الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، (2/ -120 ح: 1462).

(4) المرجع السابق، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي عليه الصلاة والسلام، (8/ 130 - ح: 6636).



المطلب الثاني

التنوع

تنوعت المجالات التي يعالجها التقويم التربوي ويستهدفها؛ كمجال العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق والسلوك. كما يظهر التنوع في تعدد استراتيجيات التقويم المستخدمة وطرقه؛ كتقويم الذات، وتقويم الأقران، والتقويم من خلال التواصل، والتقويم عقب الأداء، والتقويم عقب الملاحظة، كما تتنوع الأساليب، والوسائل، والفعاليات ضمن هذه الاستراتيجيات، ففي الملاحظة تستخدم أنواع الحواس لرصد أداء المتعلمين وتقويمهم، وفي التواصل يستخدم ما تيسر من وسائل الاتصال الشفوية والإشارية والكتابية والمتاح في كل عصر وبيئة.

ويظهر التنوع أيضًا في تعدد الجهات التي تمارس التقويم التربوي، فبالإضافة إلى تقويم الوحي وتقويم النبيّ ﷺ كان للصحابة دور كبير في تقويم الأقران.

ويلاحظ التنوع من خلال استخدام النبيّ المعلم ﷺ أساليب تقويم عديدة بما يناسب الموقف التربوي الذي يشرع في معالجته كالموعظة الحسنة، والترهيب والترغيب، والتحذير، وكذلك الحوار، والمجادلة، والإقناع[1].

ويمكن ملاحظة التنوع في توفير العديد من الخيارات لتصويب الأخطاء، والتكفير عن الذنب، وتعدد بدائل التقويم[2]. كما يظهر واضحًا في كفارات اليمين، والظهار، وكفارة جماع الزوجة في نهار رمضان. وكمثال على ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: ((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النبيّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا. قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النبيّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النبيّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ -وَالعَرَقُ : المِكْتَلُ- قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا -يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ

---

(1) أبو دف: محمود خليل، **الاتصال التربوي في السُنّة النبويّة دراسة تحليلية**، في أعمال مؤتمر: التواصل والحوار التربوي، نحو مجتمع فلسطيني أفضل، غزة، الجامعة الإسلامية- كلية التربية، 2011م، (ص:16).

(2) انظر: الشطي: **المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء**، (ص: 300).



بَيْتِي، فَضَحِكَ النبيّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ))(1). والشاهد في الحديث توفير خيارات أمام الرجل الذي وقع على زوجته في نهار رمضان؛ فعليه عتق رقبة بداية، فإن عجز عن ذلك أو لم تتوفر الرقبة يصوم شهرين متتابعين، فإن عجز عن الصيام فعليه إطعام ستين مسكينًا. وفي ذلك توسيع على الناس ورحمة بهم ومراعاة للفروق والظروف بينهم.

المطلب الثالث

الاستمرارية

من سمات التقويم في السُنّة النبويّة أنه يواكب عملية التعلم ومستمر معها ومندمج فيها، كما أنه ليس مؤقتًا ولا محددًا بموعد معين؛ فلا يشعر المتعلم أثناء تقويمه التربوي بأنه يدخل اختبارًا أو يخرج منه، بل كان يجري تقويمه من خلال ملاحظة أدائه وأثناء معايشته وتنفيذه لمهام معينة من واقع حياته، وأثناء مقابلته والتواصل معه أيضًا. وهذا ما يسميه التربويون المعاصرون بـ "التقويم المستمر"، ويعرَّف بأنه: "تقويم يُلازم العملية التعليمية من بدايتها حتى نهايتها في جميع خطواتها ومراحلها يُرشِّد خطاها ويُحدد مشكلاتها ويعمل على رفع مستواها"(2).

وكما هو معلوم فقد انطلقت عملية التقويم التربوي النبويّة مبكرًا مع نزول الوحي، تزامنًا مع قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [سورة المدثر: 2-1]، واستمر النبيّ معلمًا ومقوِّمًا حتى آخر أيام عمره ﷺ فنجده في حجة الوداع يوصي المؤمنين، فيقول: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا))(3).

ويمكن تصور ما جرى في خطبة الوداع في إطار تقويم ختامي من النبيّ المعلم ﷺ بعد أن استشعر قرب نهاية مهمته التربوية، فقام بالتأكيد على أمور منها حرمة الدماء والأموال والأعراض. كما نقلت السُنّة النبويّة اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ وكيف استمر يردد التوصية بالصلاة، والتحذير من الاعتداء على حق المرأة والضعيف؛ كما أخرج ذلك ابن ماجة عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رسول الله ﷺ

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان..، (3/ 32 - ح: 1936). والعَرَقُ أو المِكْتَل هو ما ينسج من الخوص ويحمل فيه التمر و العنب ونحو.

(2) دغمان: نجاة محمد، **تطوير أداء معلمات التربية الإسلامية بالمدارس العربية التكميلية في مرحلة التعليم الابتدائي ببريطانيا**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (ص: 86).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (2/ 176 - ح: 1739).



كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيه: ((الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)) فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى ما يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ(1).

وبالمقارنة مع حجم المطلوب في العملية التربوية النبوية فإن حياته ﷺ تعد قصيرة؛ لذا نجد حرصه ﷺ على استثمار كل ساعة من حياته في الدعوة والتربية والتعليم والتقويم، فكان عليه ﷺ يبدأ يومه بقيام الليل قبيل آذان الفجر، ثم يخرج ليصلي الفجر جماعة في المسجد، ومن ثم يتوجّه إلى الناس يتخولهم بالموعظة والتعليم ويتفقد غائبهم، ويسأل عن أحوالهم، ويزور مريضهم، ويأخذ بمشورتهم، ويقضي بينهم، ويخطب فيهم الجمعة، وأحيانًا يتجول في أسواقهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، وسِلمهم وحربهم، في مسار مستمر يجمع بين التربية والتعليم والتقويم.

ومن مظاهر استمرار التقويم التربوي استمراره في كل مكان متاح، فنجد أن النبيّ ﷺ بدأ بدعوته وتقويم أصحابه والناس في المسجد الحرام وأطراف مكة المكرمة وأسواقها ومواطن الحجيج فيها، وكان قد اختار دار الأرقم بن أبي الأرقم للتعليم والتزكية، ولم يقف النبيّ ﷺ عند حدود مكة فهو مبعوث للناس كافة، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة سبأ: 28]، ولذلك نجده قد تحرك بنفسه لدعوة أهل الطائف، وهاجر إلى يثرب، ووجَّه الرسائل والمبعوثين والمعلمين؛ كل ذلك على امتداد حياته ﷺ في مسعى منه لتقويم عقائد الناس وتصحيح تصوراتهم وتعديل سلوكهم والارتقاء بأخلاقهم.

ومن مظاهر التقويم التربوي النّبويّ أنه يستمر بتقويم الإنسان على امتداد مراحل عمره، ولا يمنع شرف المرء وفضله وعمره من دوام طلبه للعلم وقبوله للتقويم، وكان للناس في موسى ﷺ أسوة حسنة حين سافر يبحث عن الخضر ﷺ ليأخذ عنه العلم والتقويم، وكذا حال نبينا المعلم ﷺ فقد قوَّمه ربه ﷻ في مواقف عديدة، وأرشده لما فيه خيره وخير أمته، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [سورة طه: 114]. يقول الرازي: "المقصود منه التنبيه على أن العبد قط لا ينتهي إلى حالة يستغني عن التعلم، سواء كان نبيًّا أو لم يكن"(2). لذلك يعتبر التقويم المستمر من قواعد التربية والتعليم التي اعتمدها النبيّ ﷺ

---

(1) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ (519/1 - ح: 1625). وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين كما قال: البوصيري، أحمد بن أبي بكر، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، المحقق: محمد الكشناوي، دار العربية – بيروت، ط2، 1403هـ، (2/ 56 - ح: 596).

(2) الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1420 هـ، (6/ 517).



مع كل متعلم مهما بلغ من العمر والفضل، فكل من وقع منه خطأ أو ارتكب منكرًا يجب تنبيهه وتقويمه بما يناسبه؛ فقد قوَّم النبيّ ﷺ أبا ذَرّ رضي الله عنه على كبر سنهِ وفضله، فقال له: ((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. فقال أبو ذَرٍّ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قال: نَعَمْ))[1]. وقوَّم النبيّ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه وشدد عليه رغم حبه له، فقال له ﷺ: ((يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أو أَفَاتِنٌ، ثَلاَثَ مِرَارٍ، فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الحَاجَةِ))[2]. وكذا قوَّم النبيّ ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فضله ومكانته حين حلف بغير الله تعالى، كما ورد في رواية البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: ((أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أو لِيَصْمُتْ))[3].

المطلب الرابع

تقويم واقعي

يمكن ملاحظة أن التقويم التربوي حظي بمستوى كبير من الواقعية في السُنّة النبويّة، فقد كان يجري بسلاسة ودون تكلُّف في الأدوات والوسائل، وابتعد عن صناعة أجواء التوتر التي تفرضها الاختبارات المعروفة في عصرنا وتعامل بإيجابية مع ما توفره البيئة من إمكانات ذلك الزمان، فكان اقتصاديًّا ومناسبًا ومتدرجًا ومرنًا يقبل تعديل أدواته ويغيرها كلما دعت الحاجة أو يطوِّرها إن أمكن ذلك، ومن واقعيته تعدد طرقه وأساليبه وأدواته لتناسب ظروف المتعلمين والفروق بينهم.

ومما تذكره السُنّة النبويّة استخدام النبيّ ﷺ الأدوات المتاحة في بيئته حتى البسيط منها في عمليات التقويم التربوي، كما في حديث جَابِر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ ((مَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قال: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: ما نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قال: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الآداب، باب ما ينهى من السباب، (8/ 16 - ح: 6050).

(2) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، (142/1 -ح: 705). (بناضحين) مثنى ناضح ويستعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل. (فانطلق الرجل) فارقه ولم يتم صلاته معه.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (8/ 132 - ح: 6646).



مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ))(1). وهو بهذه المقارنة والتشبيه، يستثمر المحسوس من أبسط الأشياء وأقلها قيمة؛ ليدلل ويوضح معاني مجردة مهمة تدفع للزهد بالدنيا ومتاعها وتؤكد - بلا ريب- حقارة هذه الدنيا وقصرها بالمقارنة مع الآخرة؛ وهو بذلك يعرِّض بكل من تعلَّق قلبه بالدنيا تعلقًا يشغله عن الاستعداد للآخرة وما فيها من لقاء الله تعالى وحسابه.

إن الواقعية في التقويم التربوي النّبويّ تتجلى بالمرونة في تغيير الوسائل والطرق والأدوات كلما دعت إلى ذلك الحاجة، فالنبيّ ﷺ استخدم المتيسر من الأدوات والوسائل وأبدع فيها، فمثلًا رسم على الرمل؛ ليقوِّم تعلق الناس بالدنيا وطول أملهم فيها. وفي موقف آخر استثمر ما يجري في الدنيا من سنن وأحداث وموجودات لبناء قيم، وصياغة توجهات إيجابية عند المتعلمين؛ كما في حديثه عندما سأل عن الشجرة التي تشبه المؤمن من حيث كثرة نفعها واستمرار خيرها، كما روى عبدالله بن عُمَر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ))(2). وقد وافق على اقتراح أصحابه لصناعة منبر خشبي بسيط من ثلاث درجات؛ ليقف عليه عند الخطبة، فيسهل رؤية الناس له حين يخطب بهم معلمًا ومقوِّمًا، وتذكر السُنّة أنه ﷺ صعد عليه مرة فصلَّى عليه أمام الناس رجاء تقويم طريقتهم في أداء الصلاة، ثم قال لهم عقب ذلك: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي))(3).

ومن الجدير ذكره أن التقويم التربوي في السُنّة النبويّة كان مرتبطًا بواقع المتعلمين وحياتهم العملية وما يحتاجونه من خبرات ومهارات ذات قيمة ومعنى بالنسبة لهم، وتنفعهم في شؤون حياتهم الدنيا، وتحقق لهم رضا الله ﷻ ورسوله عليهم. فلم يكن اكتساب العلم والمعرفة ترفًا، ولم تكن إجراءات التقويم التربوي شكلية أو فقاعية، فهذا مما يرفضه منهج التقويم في السُنّة النبويّة الذي حرص جدًا

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، (4/ -2272 ح: 2957). {الأَسَكَّ} صغير الأذن، ويقال للذي لا أذن له.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب قول المحدِّث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، (1/ -22 ح: 61). (مَثَلُ المسلم) شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام. (فوقع الناس) ذهبت أفكارهم وجالت. (البوادي) جمع بادية وهي خلاف الحاضرة من المدن. انظر: النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (17/ 154).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، (1/ 386 - ح: 544).



على ربط العلم بالعمل والقول بالفعل، بل إن الإيمان في منظور التقويم التربوي النّبويّ لن يكون كاملًا إن لم يقترن بالعمل؛ لذا تعددت النصوص التي ترفع مكانة العمل، وتؤكد على ضرورة الإحسان فيه وتجويده، فقد وردت كلمة "عمل" بتصريفاتها ولواحقها اللغوية في القرآن الكريم (359) مرة، وذكر العمل الصالح فيها (90) مرة، وربط العمل الصالح بالإيمان في (62) مرة[1]، وفي ذلك تأكيد على مكانة العمل، وأهميته وأنه ثمرة الإيمان والعلم.

إن الواقعية في التقويم التربوي النّبويّ تفرض أن يترجم القول إلى عمل، وأن يترجم الإيمان والفهم والعلم إلى سلوك، وقد نبَّه الله ﷻ إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [سورة الصف: 3-2]. وعليه فواقعية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، تجعل اهتمام التقويم ينصب على توظيف المعارف والعلوم لبناء المهارات والاتجاهات؛ لتظهر في أداءات حقيقية في واقع الحياة ولتعبّر بصدق عن أهداف العملية التربوية النبويّة. وكذلك الأمر في نصوص السُنّة النبويّة، فقد تعددت الأحاديث التي كانت تدفع الناس إلى العمل دفعًا، فرفعت من شأن العمل الإنتاجي والمعاشي والمهني، وأمرت به، وشجَّعت عليه، وقدرت صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: ((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ))[2].

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (ص: 483).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المساقاة، باب بيع الحطب، (3/ 113 - ح: 2373).



المطلب الخامس

تقويم ممتد الأثر

رغم أن التقويم التربوي كان يحدث في إطار مكان وزمان محدودين عاش فيهما النبيّ ﷺ إلا أنه كان يتعدى خصوصية المكان والزمان ليعطي حكم الحالة وتقويمها لأي موقف مشابه، سواء أكان ذلك أثناء حياته ﷺ أو بعد مماته، وسواء كان قريبًا منه جغرافيًّا أو بعيدًا عنه، فهو - عمومًا- تقويم يمكن محاكاة مضمونه وأسلوبه. ونذكر فيما يأتي شواهد على ذلك:

يمكن ملاحظة معالجة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة لواقع المتعلم بما يخدم مستقبله من خلال توجيه الطاقات واستثمار الأوقات بالإعداد والحفاظ على المهارات وتنميتها، كما في حديث عقبة بن عامر[1] رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [سورة الأنفال: 60]، ((أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[2]. وفي رواية أخرى يقول عقبة رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))[3]، وفي رواية أنه رضي الله عنه شوهد يخْتَلِفُ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ وهو كَبِير السنِّ، فسئل عن ذلك، فقال: لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله ﷺ لَمْ أُعَانِيهِ، قال: ((مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا. أَوْ: قَدْ عَصَى))[4]. والشاهد في مجموع أحاديث عقبة رضي الله عنه أن التقويم النّبويّ تضمن توجيه سلوك المسلم وهمته لمتابعة الإعداد والتدريب واستثمار أوقات الفراغ وطاقة اللعب نحو أنواع الرياضة الأكثر تأثيرًا وأهمية كالرماية بأنواعها، مظنة دوام الجهوزية والحفاظ على اللياقة الجسدية، كما أن فيها تحذيرًا من الاسترخاء والدعة المفضية لضياع الخبرة أو نسيان المهارة.

ومن دلالة الحديث امتداد أثر التقويم التربوي إلى أفراد المجتمع المسلم وشرائحه وإلى مؤسسات الدولة بحكم مسؤوليتها عن توجيه الطاقات نحو الإعداد عمومًا في سائر مجالاته، وللرماية خصوصًا، وأن عليها تسهيل بيئة التدريب ووضع الحوافز لذلك في حالتي السلم والحرب. وقد بلغ هذا التقويم

---

(1) عقبة بن عامر الجهني: صحابي، ولي غزو البحر، مات بمصر عام (58 ه). انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق، محمد عوامة، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط 1، 1413هـ، (2/ 29).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، (3/ 1522- ح: 1917).

(3) المرجع السابق، (3/ 1522 - ح: 1918).

(4) المرجع السابق، (3/ 1522 - ح: 1919).



التربوي مداه في أثره ونتيجته الظاهرة على الصحابي عقبة بن عامر رضي الله عنه الذي ما فتِئ يمارس الرماية ويروح ويأتي بين الأغراض رغم كبر سنه وضعف جسده؛ كل ذلك امتثالًا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم وتقويمه الذي يمتد عبر الزمان، وليكون قدوة لغيره من شباب المسلمين في الأجيال اللاحقة.

يمكن ملاحظة أن كثيرًا من المواقف التقويمية التي نفذّها النبيّ صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من توجيهاته في حياته تندرج تحت القاعدة الأصولية المشهورة أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". بمعنى: إذا ورد اللفظ العام على سبب خاصٍّ فهو على عمومه حتى يدل دليل على إرادة القصر على السبب؛ أي أن الآية إذا نزلت جوابًا لسؤال أو فصلًا في واقعة، أو ورد الحديث على نحو ذلك، فلا تأثير لذلك السبب في إجراء الحكم على كل ما أفاده لفظ العموم[1]. ومن الشواهد من السُنّة النبويّة على هذه القاعدة حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [سورة هود: 114]. قال الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قال: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي))[2].

في موقف آخر، يحاكي فيه صحابي موقفًا تقويميًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ، فيقول: ((مَرَّ ابنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابن عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابن عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَن اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا))[3]. والشاهد محاكاة الصحابي للأداء التقويمي عندما تكرر الموقف أو دعت الحاجة له ولو بعد حين.

---

(1) انظر: العنزي، عبد الله بن يوسف، **تيسير علم أصول الفقه**، بيروت – لبنان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط 1، 1418 - 1997م، (ص: 276).

(2) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [سورة هود: 114]، (6/ 75 - ح: 4687).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصيد، باب النهي عن صبر البهائم، (3/ 1550 - ح: 1958).



ونحو ذلك ما روي عن عبد الله بن السعدي[1]، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁ في خلافته، فقال له عُمَرُ: ألم أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيتَ العمَالَةَ كَرِهْتَهَا؟ فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراسًا وأعبدًا وأنا بخير، وأريد أن تكون عُمَالَتِي صدقة على المسلمين. قال عمر: ((لا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فكان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالًا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال النبيّ ﷺ: خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ))[2]. ومعنى قوله (غير مُشْرِفٍ) أي غير طامع وناظر إليه. ومعنى (إلا) أي: وإن لم يجئ إليك فلا تتبعه نفسك في طلبه واتركه. يقول الكرماني: "فإن قُلتَ لِمَ مَنَعَهُ رسول الله ﷺ من الإيثار؟ قلتُ: إنما أراد الأفضل والأعلى من الأجر، لأن عمر ﵁ وإن كان مأجورًا بإيثاره على الأحوج، لكن أخْذهُ ومباشرته الصدقة بنفسه أعظم لأجره؛ وذلك لأن الصدقة بعد التموُّل تدفع الشُّح الذي هو مستول على النفوس، وفيه أن من اشتغل بشيء من عمل المسلمين له أخذ الرزق عليه"[3]. والشاهد: تكرار الموقف التقويمي عند تكرار سببه بعد سنوات من وفاته ﷺ، فصار المتعلم في الموقف التالي معلِّمًا ومقوِّمًا، وأفاد من تجربته التقويمية السابقة مع النبيّ ﷺ.

وفي العموم فإن التأسي الذي أمرنا به، والسُنّة النبويّة التي أمرنا باتباعها تجعل المسلم يَتوجَّه باستمرار لتكرار المواقف التقويمية الذي نفذها النبيّ ﷺ والتي تتميز بإمكانية محاكاتها.

---

(1) عبد الله بن عمرو السعدي ﵁: أسلم يوم فتح مكة، وصحب النبيّ ﷺ ثم تحول إلى الشام، فنزل دمشق ومات هناك سنة (57 هـ). انظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة، 1415هـ - 1995م، (31/ 312).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها، (9/ 67 - ح: 7163).

(3) الكرماني، محمد بن يوسف، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1401هـ - 1981م، (24/ 211).



المطلب السادس

تقويمٌ مَحَكِّي المرجع

عند تتبع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة فيمكن ملاحظة أنه تقويم مَحَكِّي المرجع، بمعنى أنه يركِّز على تتبع أداءات الصحابة وملاحظة سلوكهم رضي الله عنهم وتقويمها بطريقة بعيدة عن المقارنة بينهم.

وللتذكير فالتقويم التربوي يصنّف في نوعين بناءً على طريقة تفسير نتائجه[1]:

فالنوع الأول: تقويم يستند عند قراءة نتائجه إلى الأقران ومستوى المتعلم مقارنة بهم، كقولك: إن ترتيبَ فلان الأول في صفه الذي يتكون من عشرين طالبًا، بغض النظر عن مستوى إتقانه المعرفي أو المهاري.

وأما النوع الثاني – وهو محل البحث في هذا المطلب- فهو تقويم يقرأ النتائج ويصدر الأحكام استنادًا لمستوى أداء معرفي أو مهاري أو سلوكي معين مرتبط بهدف معلوم مسبقًا، ويوصف هذا النوع من التقويم ويسمى بالتقويم محكِّي المرجع؛ فهو يقارن أداء المتعلم وإنجازه بمدى تمثله للأهداف وتحقيقه لمؤشراتها؛ بغض النظر عن مستوى أقرانه.

ويبدو أن القراءات النبويّة لنتائج التقويم عند أصحابه غلب عليها التقويم من النوع الثاني - أي أنه محكِّي المرجع- فالنبيّ ﷺ كان يبين لأصحابه الأداءات المطلوبة - والتي يُعبَّر عنها بالمحكَّات المرجعية- وكان يضيف إليها أحيانًا معايير ترفع مستوى جودتها، كدعوته إلى الإتقان، والإحسان، وتحمُّل المسؤولية، والتثبت والدقة في النقل. ثم نجده ﷺ بعد ذلك يقوِّم أداء أصحابه، ويصدر أحكامًا بناء على ما بيَّن لهم من معايير.

يعتبر حديث جبريل عليه السلام الذي أخرجه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَة شاهدًا مناسبًا على جملة من المحكَّات الأدائية التي تم توضيحها للصحابة المتعلمين رضي الله عنهم فقد بينت الرواية أن النبيّ ﷺ كان بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاس وجالسا بينهم، فَأَتَاهُ جِبْرِيل فجلس بالقرب منه وبدأ بسؤاله على مرأى ومسمع من الصحابة، فقال: ((ما الإِيمَانُ؟ قال: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ

(1) انظر في هذا الكتاب: صفحة رقم 53 أنواع التقويم التربوي.



بِالْبَعْثِ. قال: ما الإِسْلاَمُ؟ قال: "الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قال: ما الإِحْسَانُ؟ قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))(1). والشاهد أن الحديث تضمن مجموعتين من المحكَّات المرجعية، الأولى كانت أركان الإيمان التي مكانها القلب، والثانية أركان الإسلام التي تظهر على الجوارح. ثم تضمن الحديث معيارًا يرفع مستوى الأداء وهو الإحسان؛ وهو بهذا المعيار يتجاوز شكلية الأداء إلى مستوى الإتقان وجودة المضمون.

من جانب آخر؛ فيذكر أن النبيّ ﷺ في تقويمه كان يحكم على الأداءات دون أن يتعرض لذِكْر اسم المتعلم المُقصِّر - المعنيّ بالتقويم- خاصة إن كان جاهلًا أو طالب علم أو سائلًا، فيقول عبارته المشهورة: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ"، أو عبارة " لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ ". كما في قوله ﷺ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً))(2)، وقوله ﷺ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ...))(3)، وقوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ))(4)، وقوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أو لا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ))(5)، وفي تركه ﷺ التصريح بأسماء الأشخاص، وتركيزه على الأداء والسلوك ما يؤكد أن التقويم في السُنّة النبويّة محكّي المرجع، وأنه ينظر إلى أثر انعكاس الأهداف على أداء المتعلمين، وليس معنيًّا بعقد المقارنات بينهم، أو ترتيب درجاتهم.

وكذلك كان الأمر في ثنائه ﷺ فكان كثيرًا ما يمتدح أداء المتعلمين، كما في تقديره للمجاهدين المشاركين في غزوة بدر بقوله: "لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"(6). والشاهد في الحديث أنه جعل المشاركة في الجهاد في غزوة بدر الكبرى شرفًا ومعيارًا للتقويم والتقديم.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل - عليه السلام-، (1/ 19 - ح: 50).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، (4/ 1829 - ح: 2356).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (8/ 26 - ح: 6101).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، (2/ 591 - ح: 865).

(5) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء، (1/ 321 - ح: 750).

(6) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (4/ 59 – ح: 3007).



وفي موقف آخر يقوّم فيه صنيع الأشعريين، ويثنى على تكافلهم، كما في حديث أَبِي مُوسَى، قال: قال النبيّ ﷺ: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))(1). والشاهد تقويمه ﷺ للأشعريين -عمومًا- بما أظهروه من صورة رائعة لتكافلهم الاجتماعي، فاستحقوا عليه التقدير والثناء، وهو بذلك يدفع الناس للتأسي بهم، والسير على نهجهم.

وحتى لو ذكر النبيّ ﷺ اسم الصحابي المتعلم - وقد يحصل ذلك أحيانًا- أثناء تقويمه؛ فيكون في معرض الثناء على أدائه وإنجازه ومهارته، كما في ثنائه على عثمان بن عفان رضي الله عنه من عظيم جوده وكرمه، كما روى ذلك عبد الرَّحْمَن بن سَمُرَة رضي الله عنه قال: ((جَاءَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِلَى النبيّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ. قال عبد الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النبيّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ، مَرَّتَيْنِ))(2).

وعليه فإن الأحاديث السابقة وشواهدها تبين أن قراءة النبيّ ﷺ لتقويمات أصحابه كانت تتجنب المقارنات بين الأقران عموما؛ ونجده ﷺ اعتمد مقارنة الموقف التربوي بما كان قد بينه للناس سابقًا من أداءات وتكليفات منبثقة عن الأهداف. والتي يعبّر عنها في الأدب التربوي المعاصر بالمحكَّات المرجعية.

ومن الجدير ذكره أن هذه الطريقة النبويّة في قراءة التقويمات التربوية مظنة أن تحدث أثرًا مباركًا على المتعلم بتعزيزه وتثبيته على حسن امتثاله وجودة عمله، وبالمقابل تجعل منه قدوة حسنة لأقرانه فيتأسون بفعله.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، (3/ 138 - ح: 2486).

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان، (5/ 626 - ح: 3701). وحسَّنه الترمذي.



المطلب السابع
تقويم تعاوني

بمعنى أن عملية التقويم التربوي التي تمت على جيل الصحابة الأول ما كانت لتتم وتؤتي أكلها لولا المستوى العالي من التعاون الذي أبداه الصحابة ﭫ وعظيم مؤازرتهم ومشاركتهم وتفاعلهم مع الإجراءات التقويمية التي كان يجريها النبيّ ﷺ ومحاكاتهم لها عند رجوعهم إلى أسرهم، وبين أقرانهم.

وحتى يكون التقويم مؤثرًا وناجحًا فإن على المعلم والمتعلم وولي الأمر والمشرفين والمدراء وحتى الأقران أن يؤدي كلٌّ منهم دوره في عملية التقويم، وأن يتعاون مع الفريق لتحقيق النواتج التعليمية المنشودة؛ وهذا يساعد كلًّا من المتعلم والمعلم على الانتقال من الوضع التعليمي الحالي إلى وضع آخر متقدم[1].

ومن خلال التعاون والتآزر - في تنفيذ إجراءات التقويم التربوي- تتوسع دائرة المشاركة في الأحكام التقويمية وتزداد صوابيتها ودقتها ويتقبلها المتعلمون بالمقارنة مع القرارات الفردية والتي هي أكثر عرضة للرفض بسبب احتمال خطأ الحواس أو الوقوع في التحيز. كما يزيد التعاون في التقويم التربوي من تفاعل الأطراف، ويتيح فرصة أكبر للمشاركة في إصدار الأحكام لكل المعنيين، فحجم التقويم بصورته الشاملة وارتباطه بجوانب متعددة من العملية التعليمية والحياتية يحتم أن يشترك فيه أشخاص بوجهات نظر متعددة[2].

ويمكن ملاحظة أن العملية التقويمية النبوية كان يتم مساندتها، ودعمها من عدة أطراف كالأسرة، والأقران والمجتمع، كما جرى في حادثتي الإفك، وحادثة مقاطعة المخلفين الثلاثة عن غزوة تبوك، فقد تضافرت جهود الصحابة ﭫ مع جهود النبيّ ﷺ التقويمية في التقصي والتشخيص وفي العلاج وإصدار الأحكام.

ومن مظاهر هذا التعاون في التقويم التربوي أنه وفي الوقت الذي كان فيه الكثير من الصحابة ﭫ يخرجون للجهاد لنشر الإسلام كان ثمة من يبقى منهم لسياسة الناس وإفتائهم وتربيتهم وتعليمهم

---

(1) انظر: الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 20).

(2) انظر: الربيعي وآخرون، **الإشراف والتقويم في التربية والتعليم**، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ط)، 2020م (ص: 128).



وتقويمهم، فكان أبو هريرة، وأنس، وعائشة، يحفظّون الحديث، ويروونه، وكان أبو ذَرٍّ، وأبو الدرداء، وغيرهم يعظون الناس، وينصحونهم، في تعاون مستمر وتوزيع للأدوار[1] رضي الله عنهم.

وإن السُنّة النبويّة مليئة بشواهد على تعاون الصحابة مع الرسول ﷺ ومع بعضهم في مجال تنفيذ التقويم التربوي، وثمة صور عديدة من المؤازرات طبّقها الصحابة رضي الله عنهم أو ندبت لها السُنّة النبويّة كالتعاون في نصرة المظلوم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الثّبات على الحقِّ والتمسُّك به، وعند أداء الواجبات وتلبية الاحتياجات. ومن ذلك تعاون كل صحابي بتعليم وتربية وتقويم أسرته وأقرانه وعشيرته وجيرانه وإرشادهم ونصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وعند الحديث عن تعاون الصحابة ودورهم التعليمي والتقويمي تبرز أسماء كمصعب بن عمير رضي الله عنه أول مبعوث حمل القرآن الكريم وعلّمه المؤمنين من أهل يثرب، كما روى ذلك البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ رضي الله عنهما، قال: "أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ"[2].

وقد مارس الصحابة رضي الله عنهم التقويم التربوي لبعضهم أمام النبيّ ﷺ وفي حضرته كما في موقف تقويم حَاطِب بنِ أَبِي بَلْتَعَة رضي الله عنه بعد انكشاف محاولته تسريب أخبار المسلمين إلى قريش، فحقق مع حاطب أمام الصحابة رضي الله عنهم وعندها أشار عمر بن الخطاب بعقابه بالقتل، لكن تاريخ حاطبٍ المشرف وصدقه ومشاركته في غزوة بدر شفعت له كما أخبر النبيّ ﷺ[3].

وكان من تعاون الصحابة رضي الله عنهم عرضهم أفكارهم التقويمية، وآراءهم العلاجية كلما قدَّروا حاجة النبيّ ﷺ لذلك، أو حين يطلب منهم الرأي والمشورة، كما حدث في قضية أسرى بدر، وفي حادثة الإفك، فقد كان يسأل ﷺ أصحابه عن تقديرهم للموقف وعن رأيهم، ثم يبنى قراره بناء على ذلك. وأحيانًا كان أفراد المجتمع يندفعون لتنفيذ مشهد تقويمي مبني على رصديهم الكبير من القيم والمبادئ، كما جرى مع العائدين من غزوة مؤتة ونعتهم بالفُرَّار، مما جعل المجاهدين -لاحقًا- يحسبون ألف حساب قبل أن يفكر أحدهم بالفرار من مواجهة مع الكفار. وتذكر الرواية أن بعض

(1) العرعور، عدنان بن محمد، **التيه والمخرج**، الجيزة – مصر، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر ، ط 2، 1416هـ - 1995م، (ص: 54).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبيّ ﷺ وأصحابه المدينة، (5/ 66 - ح: 3925).

(3) انظر: المرجع السابق، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (4/ 59 – ح: 3007).



الصحابة ﷺ حبس نفسه في بيته من كثرة ما كان يتعرض له من لوم أقرانه والناس بسبب ما جرى من انسحابهم يوم معركة مؤتة، وقد روى نحوًا من ذلك ابن إسحاق: أن أم سلمة ﵂ زوج النبيّ ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ((ما لي لا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رسول الله ﷺ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ؟ -فأجابَتْها- فقَالَتْ: وَاَللَّهِ ما يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ، كُلَّمَا خَرَجَ صَاحَ بِهِ النَّاسُ يَا فُرَّارُ، فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ))(1).

ومن شواهد تعاون الأمهات في تقويم الأبناء ما روته الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذٍ ﵂، قالتْ: ((أَرْسَلَ النبيّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَليَصُمْ، قالتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ))(2). والشاهد عظيم استجابة نساء الصحابة ﷺ لتوجيهات النبيّ ﷺ وتعاونهن في تقويم أسرهن وأبنائهن، وتحملهن مشقة تدريب الأبناء وتعويدهم العبادات والصيام، مع ملاحظة ما أجمع عليه العلماء -كما يقول ابن بطال- "أنه لا تلزم العبادات والفرائض إلا عند البلوغ، إلا أن كثيرًا من العلماء استحبوا أن يدرب الصبيان على الصيام والعبادات؛ رجاء بركتها لهم، وليعتادوها، وتسهل عليهم إذا لزمتهم"(3).

وقريب مما سبق ما رواه أَنَس بن مالك ﵁، قال: ((أَتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قال: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قالتْ: ما حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رسول الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالتْ: ما حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قالتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رسول الله ﷺ أَحَدًا))(4). وفي الحديث دلالة على دعم الأسرة وأمهات الصحابة ﷺ لجهود النبيّ ﷺ عمومًا وحث الأبناء على طاعته وحفظ سره. وهذه الشواهد من الأحاديث تؤكد على أن التعاون كان سمة أساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

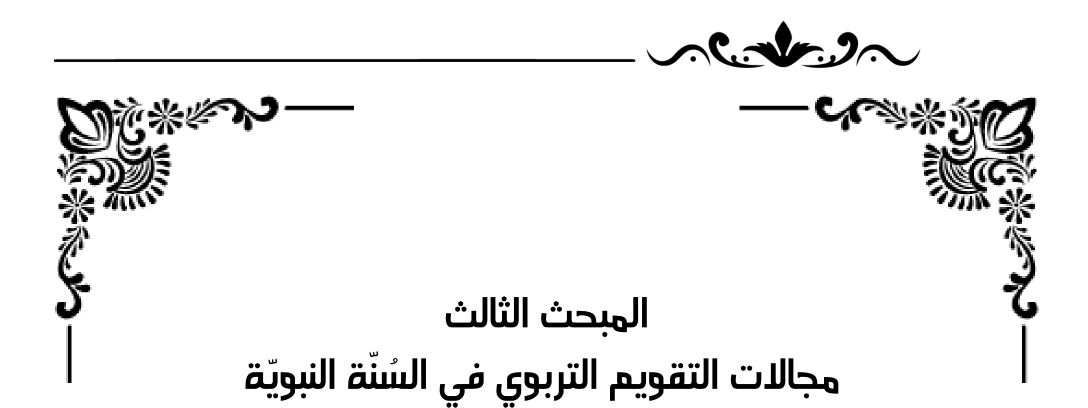
---

(1) ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبويّة**، تحقيق: طه عبد الرؤوف، (د. ط)، بيروت: دار الجيل، 1411 هـ، (2/ 383).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، (3/ 37 - ح: 1960).

(3) ابن بطال، علي بن خلف، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م، (4/ 107).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب من فضائل أنس بن مالك، (4/ 1929 - ح: 2482).



المبحث الثالث
مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

يتم التركيز في هذا المبحث على ثلاثة مجالات للتقويم التربوي في السُنّة وهي: التقويم التربوي في مجال أهداف العملية التربوية النبويّة، والتقويم التربوي في مجال التعامل مع محتوى الرسالة النبويّة، والتقويم التربوي في مجال طرائق التربية والتعليم.

المطلب الأول
التقويم في مجال أهداف العملية التربوية النبويّة

يرتبط التقويم التربوي بالأهداف ارتباطًا وثيقًا، فهي تشكل معايير الأداء ومؤشراته التي يقاس بها نجاح العملية التربوية. ويكون التقويم حاضرًا عند صياغة الأهداف التربوية فيعتني بتقويم مصادرها، وبتكاملها، وشمولها، وصياغتها، وتقديمها أو تأخيرها، أو تدرجها، كما يراقب التقويم أيضًا طريقة الإعلان عن الأهداف، وتكرار التذكير بها ومراجعتها أثناء تنفيذ العملية التربوية.

ويمكن ملاحظة أن أهداف الرسالة النبويّة الكبرى كانت تسير في ثلاث مسارات كبرى، الأول: تحقيق أركان الإيمان والتوحيد، والثاني: تتميم مكارم الأخلاق، والثالث: تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. وكلها تندرج تحت هدف كبير وهو السعي لتحقيق فلاح الإنسان في الدنيا والآخرة[1]. وبلا شك فقد عبّرت السُنّة النبويّة عن هذه الأهداف إجمالًا وتفصيلًا، وذكَّرت بها في أكثر من مناسبة.

وفيما يلي تتبع لطريقة تعامل السُنّة النبويّة مع أهداف المنهج التربوي النبوي:

---

(1) طارق سويدان، **أهداف الإسلام الكلية**، ملف فيديو على قناته على اليوتيوب.
https://www.youtube.com/watch?v=XRP1zC9sd1Y



1- القرآن الكريم والسُنّة مصدرا الأهداف التربوية

يمكن ملاحظة أن المنهج النبوي يستقي أهدافه التربوية - بشكل رئيس- من وحي القرآن الكريم والسُنّة، فهما كانا وما يزالان منبعًا للأهداف التربوية التي يتلقاها المعلمون والمتعلمون بالقبول؛ لإيمانهم بالله تعالى خالق البشر والعالم بما يصلح لهم.

وقد تضمن الوحي بشقيه الأهداف العامة للعملية التربوية النبوية وكثيرًا من مؤشراتها الإجرائية كصنوف العبادات وأشكال الأخلاق ونظم المعاملات والعلاقات.

ويلاحظ أن الآيات القرآنية نزلت متضمنة لهذه الأهداف ومعبرة عنها بكلام مبين، نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ [سورة الإخلاص: 2-1]، وقوله ﷻ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [سورة الأنبياء: 25]، في إشارة إلى هدفي التوحيد والعبودية له ﷻ وتلازمهما وأنهما حق له ﷻ وحده.

وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الجاثية: 18]، في إشارة لهدف كبير وأساسي في المنهج التربوي النبويّ يتمثل في تطبيق تفصيلي شامل لأحكام الشريعة الإسلامية ورفض لكل ما سواها من شرائع البشر الوضعية.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل: 90]، في إشارة إلى أهداف تفصيلية في منظومة الأخلاق الحميدة التي تضمنها وحي القرآن الكريم والسُنّة. يقول السعدي في تفسيره: "فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها؛ فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه"[1].

---

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ - 2000م، (ص: 447).



2- الصياغة الواضحة والمحددة للأهداف

عَرَضَ القرآن الكريم - وهو محتوى المنهج الرئيس- الأهداف الكبرى للعملية التربوية بصياغات واضحة محددة وموجزة، فعلى سبيل المثال تم التركيز على "توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة" بشكل كبير وواضح، وصيغ بجملة واحدة لم تتجاوز سبع كلمات، وتضمنت الإيمان بالله والإقرار بتوحيده وما يترتب عليه من عبادة وعمل صالح. وقد ورد التعبير عن هذا الهدف في قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم السلام: نحو قوله تعالى: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [سورة الأعراف: 59]، [سورة الأعراف: 65]، [سورة الأعراف: 73]، [سورة الأعراف: 85]، [سورة هود: 50]، [سورة هود: 61]، [سورة هود: 84]. كما ورد التعبير عن ذات الهدف والمضمون بصياغات قريبة مرات عديدة في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: 14]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾ [سورة يس: 61]. وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [سورة الأنبياء: 24].

وعمومًا فقد استندت السُنّة النبويّة لرصيد عظيم من الأهداف التي تضمنها القرآن الكريم، وعملت على تفصيلها والتركيز عليها وعرضها بعبارات جامعة الدلالات؛ فمما وهبه الله لنبيه محمد ﷺ وميَّزه به أن آتاه الحكمة وجوامع الكلم، فقال ﷺ ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[1]. بمعنى أنه: "كان يتكلم بالقول الموجز المتضمن للمعاني الكثيرة"[2]. ومن هنا فلا غَرْوَ أن يصوغ النبيّ ﷺ أهداف رسالته وعمليته التربوية بأدق العبارات وأجزلها، فيسهل على الناس حفظها وتداولها وإدراك مراميها. ومن ذلك قوله ﷺ معبِّرًا عن هدف الدين الأسمى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا))[3]. فكان خطابه في هذا الحديث للناس عمومًا على امتداد الزمان والمكان، جاعلًا فلاحهم في الدارين هدف رسالته ومبتغاه، وجاعلًا من قول لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها مؤشرًا ودليلًا على الإيمان بها.

وقد ذكر ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فقَالَ: ((مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النبيّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ. قال: وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابنَ أَخِي

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ ﷺ: نصرت بالرعب، (54/4 - ح: 2977).

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/ 99).

(3) المقدسي: **المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم**، (8/ 128 - ح: 143).



ما تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قال: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ. قال: كلمةٌ واحدةٌ؟ قال: كلمةٌ واحدةٌ، قال: يا عَمِّ يقولوا: لا إله إلا الله))[1]. وظاهر الحديث أن النبيّ ﷺ ومن بداية دعوته حدَّد هدفه الرئيس، وبطريقة موفقة، فصاغه بجملة قصيرة واضحة ومعبرة؛ يفهمها العربي، ويدرك ما يترتب عليها من نبذ للشرك ووضع للأوثان؛ وفي الموقف إشارة إلى أن النبيّ ﷺ قدّم تحفيزًا لسادة قريش؛ تشجيعًا لهم للتعامل بإيجابية مع هذا الهدف الكبير، وراح يبدِّد أي مخاوف قد تدور في أذهانهم نتيجة الإيمان بعقيدة التوحيد.

ومن الجدير بالذكر أن آيات الوحي العظيم تؤكد إدراك مشركي قريش لدلالة هذه العبارة الموجزة وأبعادها، حيث كان لسان مقالهم، قوله تعالى: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [سورة ص: 5]. ولم يتوقف الأمر عند سادة القوم أو المتعلمين بل إن عموم الناس في تلكم البيئة -وعلى تنوع شرائحهم- كانوا قادرين على إدراك دلالة عبارة: لا إله إلا الله؛ فهذا بلال بن رباح رضي الله عنه وكان يمثِّل شريحة من الضعفاء الذين أقبلوا على الدخول في الإسلام حينها، فقد ثبت أنه وبينما كان أمية بن خلف يعذِّبه بسبب إسلامه، كان رضي الله عنه يردِّد وهو تحت التعذيب عبارة، "أَحَدٌ [2] أحدٌ". في دلالة على إدراكه الهدف الأسمى للرسالة الإسلامية ومعنى لا إله إلا الله.

ومن جوامع الكلم النبوي ما رواه سُفْيَان بْنُ عَبْد اللَّه الثَّقَفِيّ رضي الله عنه قَالَ: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ))[3]. قال ابن دقيق العيد: "هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها، فإنه أمره أن يجدِّد إيمانه بلسانه متذكرًا بقلبه، وأمره أن يستقيم على أعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات: إذ لا تأتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده،

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، (5/ 365 - ح: 3232)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وانظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (1/ 417).

(2) انظر: ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، باب فضل سلمان، وأبي ذر والمقداد، (1/ 53 - ح: 150). هذا إسناد رجاله ثقات. انظر: البوصيري، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، (1/ 23 - ح: 55).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، (1/ 65 - ح: 38). (سفيان) له صحبة، عداده في أهل الطائف، وكان قد وليها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: معروف، بشار عواد، الأرنؤوط، شعيب، **تحرير تقريب التهذيب**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م، (2/ 50).



وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [سورة الأحقاف: 13][1].

وكان مما عبَّر عنه النبيّ ﷺ بجوامع الكلم أيضًا من الأهداف التربوية، وصاغه بشكل واضح ومحدد، قوله: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))[2] فهذا الحديث يشير إلى أن العملية التربوية النبويّة معنية بدرجة كبيرة بتتميم ما انتقص من مكارم الأخلاقِ وصالحها، وقد مثَّل تحقيق هذا الهدف أولوية كبرى وصار معيارًا سلوكيًّا يمنح صاحب الخُلق الحسن الأفضلية والخيرية، كما في قوله ﷺ ((إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا))[3]. وقوله ﷺ: ((فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً))[4]. وبلغ التحفيز النبوي حدًا جعل المرء يبلغ بحسن خلقه درجة المستمر بالصيام والصلاة، كما قال ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[5].

3- الإعلان عن الأهداف واستحداث طرق للتذكير بها

يُعتبر بيان أهداف العملية التربوية والإعلان عنها ضرورة أساسية ومؤثرة قبيل تنفيذ الأنشطة والإجراءات التعليمية والتربوية.

وقد ورد في السُنّة تطبيقات تؤكد مراعاة النبيّ ﷺ وحرصه على بيان أهدافه التربوية والإعلان عنها قبل المباشرة بعمليات الدعوة والتربية؛ فقد روى ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ وقف في بدايات دعوته على جبل الصفا قرب الكعبة فصدح مناديًا في الناس قائلًا: ((يَا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أو يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

---

(1) ابن دقيق العيد، **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبويّة**، مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ-2003م، (ص: 80).

(2) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند أبي هريرة، (14/ 512 - ح: 8952). وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، (2/ 670 - ح: 4221).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ((لم يكن النبيّ ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا))، (12/18 - ح: 6029).

(4) المرجع السابق، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون، (3/ 99 - ح: 2306).

(5) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، (4/ 252 - ح: 4798). حديث صحيح لغيره، كما قال الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.



﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [سورة المسد: 1]))[1]. والشاهد: ما جرى من الصدح بالدعوة والإعلان عن هدف التوحيد فيها. وقد اختار النبي ﷺ مكانًا مناسبًا لهذا الإعلان حيث المسجد الحرام أشرف مكان عند العرب، وعلى جبل الصفا قرب المسعى حيث يراه الناس ويسمعونه، ثم راح ينادي بطريقة ملفتة فاجتمع الناس حوله، ومن لم يحضر أرسل من يأتي له بالخبر، فعرّفهم ﷺ بنفسه وذكَّرهم بصدقه وإخلاصه لهم فشهدوا له بذلك، ثم قال معلنًا لهم أنه رسول الله إلى الناس وأنه يدعوهم إلى تصديقه والإيمان بـ "لا إله إلا الله"، وأنه ناصح ونذير لهم بين يدي عذاب أليم. ونتج عن هذا الإعلان وصول الخبر عن الدين الجديد والنبيّ الكريم وأهدافه الكبرى من توحيد وعدل ومساواة إلى زعماء قريش وإلى عموم الناس. وكان لطبيعة مكة المكرمة وتاريخها الديني ومكانتها وإقبال الحجيج عليها أثر كبير في إشاعة هذه الأهداف ونشرها في أنحاء الجزيرة بشكل كبير وسريع.

وفي الحديث إيحاء يبين أهمية تعريف المعلم والداعية بنفسه وبسيرته الذاتية قبل المباشرة في العملية الدعوية أو التربوية فهذا مفيد ويزيد من الاحترام والإقبال وحسن الاستماع والاستجابة.

ثم صار النبيّ ﷺ يتحرك متقصدًا الناس في بيوتهم، وأسواقهم يعرِّفهم بنفسه وبدعوته وبأهدافه؛ انسجامًا وامتثالًا للتوجيه الرباني بالجهر بالدعوة والصدع بأهدافها، قال تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة الحجر: 94].

وفي المدينة اعتمد النبيّ ﷺ الأذان وسيلة للمناداة للصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، وكان من توفيق الله بأن جعل الأذان متضمنًا الهدف الأسمى لهذا الدين، والمتمثل في تعظيم الله تعالى بقول "الله أكبر" وكلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، والشهادتين الركن الأول من أركان الإسلام العظيم. وجاء التوجيه النّبويّ للعناية باختيار أندى الأصوات لرفع الأذان وأمدِّها، فقال رسول الله ﷺ: ((فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَإِنَّهُ أَنْدَى وَأَمَدُّ صَوْتًا مِنْكَ))[2]. وحثَّ الناسَ ﷺ على تعظيم شعيرة الأذان، وسماع كلماته، وترديدها. فعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ قال حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ،

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ﴾ [سورة سبأ: 46]، (6/ 122 -ح: 4801).

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب أبواب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان، (1/ 359 - ح: 189). وصحّحه.



حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ))[1]. والشاهد: بقاء عبارة لا إله إلا الله التي تتضمن الهدف الأكبر في هذا الدين حاضرة ومسموعة من المآذن خمس مرات - في اليوم الليلة- تذّكر الناس بحق الله تعالى على عباده وتذكرهم بأن طريق الفلاح في الدارين يبدأ بالتوحيد وتعظيم الله تعالى وإقامة الصلاة.

ولم يترك النبيّ ﷺ وسيلة في زمانه للتواصل لتبليغ أهدافه التربوية إلا ونفَّذها، فأرسل الرسل والمبعوثين والمعلمين، وحرَّك السرايا، وقاد الغزوات، وتبادل الرسائل، واستقبل الوفود، وأجرى المقابلات، واتخذ شاعرًا، وسار بنفسه داعيًا ومربيًا ومجاهدًا إلى بعض المناطق والأطراف، وكانت المساجد والجمعة والجماعات ودروس العلم فيها، كل ذلك في سبيل الإعلان عن هذا الدين والتعريف بما تضمنه من أهداف عظيمة.

4- الثبات على الأهداف

يمكن ملاحظة ثبات النبيّ المعلم ﷺ وأصحابه على أهدافهم، وتحملهم وصبرهم على الأذى أثناء سعيهم لتبليغها وتطبيقها؛ فقد رفضت قريش ترك تقليد الآباء، وعزّ عليها الخروج عن نهج القبيلة والعشيرة وأرادت الحفاظ على مصالحها والتمسك بامتيازاتها، ودفعها الكبر إلى ملاحقة المؤمنين والتضييق عليهم وتعذيبهم؛ وقد ورد في السيرة أن قريشًا أرسلت إلى النبيّ ﷺ فقالت: "إن كنتَ إنَّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أَمْوَالِنَا حتَّى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سوَّدناك علينا حتَّى لا نَقْطَعَ أمرًا دونك، وإن كنت تُريد به ملكًا ملَّكناك علينا، وإن كانَ هذا الَّذي يأتيك رِئْيًا تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطِّبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتَّى نُبرئك منه"[2]. والشاهد سعي كفّار قريش الحثيث لحرف مسار الدعوة الإسلامية من خلال محاولة تغيير الأهداف النبويّة الأخروية واستبدالها بأهداف دنيوية زائلة، وقد قوبلت هذه المحاولات بالثبات والإصرار رغم أشكال الترهيب والترغيب الذي تعرض لها النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ومن الجدير بذكره أن مستوى الثبات على الأهداف كان ملفتًا وملهمًا، مما شكّل عند الكثيرين دافعًا لمراجعة ذاتية تقودهم للتقصي عن هذا الدين الإسلامي ثم الانضمام في نهاية المطاف إلى ركبه. ومن جهة أخرى فلا تذكر لنا السُنّة النبويّة أن أحد دخل في الإسلام في مكة ثم خرج منه ساخطًا

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، (1/ 126 - ح: 614).

(2) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/ 293)، وحسَّنه الألباني في تخريجه كتاب: الغزالي: **فقه السيرة**، (ص: 12). (إِيلِيَاء: بيت المقدس أو مدينة القدس في فلسطين).

رغم صنوف العذاب والتشريد والملاحقة. وقد وردت إشارة تعبّر عن ذلك في حديث أبي سفيان بن حرب ﷺ أثناء مقابلته هرقل عظيم الروم بإِيلِيَاءَ، حين سأله عن أتباع النبيّ ﷺ: ((فقَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ))(1).

5- تعدد مجالات الأهداف وترابطها

تعددت مجالات الأهداف في العملية التربوية النبويّة، فشملت نواحي الحياة وعلاقات المرء بربه، وبنفسه، وبالآخرين، وبالبيئة، مثل قوله ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ، فسأله الصحابة ﷺ عن تفصيلها فقال: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))(2). يقول النووي: "ومعنى الحديث أن عماد الدين وقوامه النصيحة"(3). ونحوه قول النبيّ ﷺ: ((كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))(4). وخطب النبيّ بهذا المعنى في خطبة حجّة الوداع، فقال: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قال ابن عَبَّاسٍ ﷺ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ))(5).

وفي سياق قريب يقول إسحاق بن راهويْه(6): [أحاديث أربعة هي مِنْ أُصولِ الدِّين: حديث: إنّما الأعمالُ بالنِّيَّات(7)، وحديث: الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بَيِّنٌ(8)، وحديث: إنَّ خَلْقَ أَحدِكُم يُجْمَعُ في

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (1/ 8 - ح:7).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/ 74 - ح: 55).

(3) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (2/ 37).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (4/ 1986 - ح: 2564).

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (2/ 176 -ح: 1739).

(6) إسحاقَ بن راهَوَيه (ت 238 هـ)، إمام كبير من علماء الدين في زمانه، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ، والصدق، والورع، والزهد، من خراسان، من أبرز شيوخه ابن المبارك. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (1/ 217).

(7) البخاري: **صحيح البخاري**، كيف كان بدء الوحي، (1/ 6 - ح: 1).

(8) المرجع السابق، كتاب البيوع، باب: الحلال بين والحرام بين، (3/ 53 - ح: 2051).



بطنِ أمّه[1]، وحديث: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا ما لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ[2]][3]. والشاهد تنوع مجالات الأهداف التربوية في السُنّة النبويّة التي تعالجها هذه الوصايا النبويّة، بدءًا من الجوانب النفسية المرتبطة بتوجيه النية وتصحيحها، إلى المعاملات وما فيها من حلال وحرام، إلى العلاقات البينية الممتدة والمتنوعة، وتنظيمها وحفظ الحقوق والموازنة بينها.

وأبرزت السُنّة النبويّة أهمية تحمُّل المسؤولية الفردية، وجعلت منه هدفًا ينبغي مراعاته من كل فرد في المجتمع مهما كانت مكانته أو عمله، كما بيَّن ذلك النبيّ ﷺ فقال: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[4]. وتتمثل المسؤولية بوجوب أداء الأمانة، وإعطاء الحقوق وتجنب الظلم، وتحقيق العدل. كما بيَّن ذلك النووي، فقال: "الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل مَن كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه"[5].

6- تنوع مستويات الأهداف وأنواعها وترتيب مؤشراتها

نجد أن السُنّة النبويّة رتبت الأهداف التربوية ورتبت مؤشراتها، فمثلًا نجد التوحيد بـ لا إله إلا الله على رأس الأهداف التربوية، ثم شرَّعت العديد من العبادات كمؤشر على تمثّلها، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: ((يَا رسولَ اللهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قال: الصَّلاَةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه. فَسَكَتُّ عَنْ رسول الله ﷺ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي))[6]. والشاهد تضمن الحديث ترتيبًا لمؤشرات الأهداف حسب أهميتها ومجالها؛ فالصلاة

---

(1) المرجع السابق، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: 171]، (135/9 - ح: 7454).

(2) المرجع السابق، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح، (184/3 - ح: 2697).

(3) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (58/1).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (2/ 5 - ح: 893).

(5) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (12/ 213).

(6) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبيّ ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، (1/ 112 - ح: 527).



كانت في المقدمة لارتباطها بتوحيد الله وعبادته، وجُعل الحفاظ عليها وأداؤها في وقتها معيارًا لها. ومن ثم بر الوالدين ومعياره الإحسان لهما، قال تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: 23]. ومن ثم الجهاد ومعياره أن يكون في سبيل الله تعالى لتحرير الإنسان من العبودية للأوثان ولرفع الظلم ومحو الفساد.

ونحو هذا الترتيب يظهر في قول جرير بن عبد الله ﵁: ((بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))(1). والشاهد: أن الرجل كان يأتي النبيّ ﷺ فيدخل في الإسلام، ثم يبايعه على شهادة التوحيد، ثم بعد ذلك يتدرج معه بالأعمال وأداء الحقوق: نحو الله تعالى ثم نحو أسرته ومجتمعه وأمته.

ويظهر واضحًا تكرار الترتيب ذاته في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﵁ قال: بَعَثَنِي رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))(2). والشاهد هذا التوجيه المتضمن دقة الترتيب، ومراعاة حال المستهدفين بالدعوة والتدرج معهم في التربية والتقويم، بداية من التوحيد ونبذ الشرك، ثم الصلوات الخمس، ثم التأكيد على الزكاة وأن أموالها المجموعة من أغنيائهم ترد على فقرائهم.

ولا يجد المرء صعوبة في تصنيف مجالات الأهداف التربوية في السُنّة النبويّة، فكثيرة هي الأهداف المعرفية، التي ترنو إلى تعريف الناس بربهم الواحد ﷻ وبرسولهم خاتم الأنبياء ﵊ وبيان أركان العقيدة ونحوه من توضيح للمبادئ والأحكام. ثم الأهداف الوجدانية التي تسعى لغرس قيم الإيمان والأخلاق وتنمية مشاعر الحب والانتماء وبناء التوجهات المنسجمة مع الإسلام عامة وقيمه السمحة. ثم الأهداف النفس حركية وهي التي تحيل المعارف إلى سلوكات وتطبيقات ومهارات عملية لتجعل من المسلم عنصرًا فاعلًا ومؤثرًا ومنتجًا في مجتمعه.

كما يمكن ملاحظة العلاقة بين طبيعة الأهداف التربوية وتدرجها المرحلي، وبين محتوى الوحي

---

(1) المرجع السابق، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، (3/72 - ح: 2157).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، (2/ 128 - ح: 1496).



المنزَّل، ففي الفترة المكية تميَّزت سور القرآن الكريم وآياته بتركيزها على غرس العقيدة وأركانها، والدعوة لبناء الذات وتقوية النفس بالصلاة وتلاوة القرآن وقيام الليل والصبر والثبات ونحوه؛ وهذه بمجموعها شكَّلت أساسًا متينًا وداعمًا لتقبل الأهداف السلوكية التي تم التركيز عليها لاحقًا، فقد تميز محتوى الوحي المدني بتفصيل أهداف سلوكية إجرائية تنظم علاقات المسلم بغيره ومعاملاته المالية، ونحوه مما يرتبط بيوميات الحياة ومستقبلها.

ونشير إلى أن طبيعة الأهداف المرحلية فرضت نفسها في تحديد الاستراتيجيات التربوية وطرقها وأساليبها وأدواتها المناسبة دون أن تسمح للعواطف أو الانفعالات بتجاوز المراحل أو تغيير مسار الأهداف المرحلية. ومن ذلك ما يرويه خَبَّاب بن الأَرَتِّ، قال: ((شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[1]. والشاهد في الحديث هذه الثقة الكبيرة التي تملكت النبيّ ﷺ وكيف كان يبثها في نفوس أصحابه مثبِّتًا لهم ومسددًا، دون أن يسمح لهم بتغيير ما يناسب المرحلة من استراتيجيات الدعوة والتربية والجهاد. ونجدها في المرحلة المكية تركز على بناء الإنسان المؤمن وغرس قيم الثبات على الحق، والصبر، والجهاد باللسان والحجة والبيان، وكانت الآيات القرآنية تتنزل وتؤكد هذا المسار وتدعم الموقف النّبويّ كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ [سورة النساء: 77].

7- جعل مؤشرات الأهداف معيارًا للتقويم التربوي

أكد النبيّ ﷺ أن سماع كلمة التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من جماعة أو من شخص ما يعتبر دليلًا على إسلامه، وسببًا كاف لعصم دمه، كما روى مضمون ذلك ابن عُمَر رضي الله عنهما فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ،

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب على الكفر، (20/9 -ح: 6943).



وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[1]. ونحوه في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ))[2].

ورفض النبيّ ﷺ فِعل أسامة بن زيد ﷺ حين قتل مشركًا بعد أن نطق بالشهادتين، فَقَالَ ﷺ له معاتبًا مستنكرًا: ((أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قال: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، إِنَّمَا قالهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قال: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ يقول أسامة: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ))[3]. والشاهد: تعظيم كلمة "لا إله إلا الله" وأن ما تتضمنه من توحيد يعصم دم صاحبها، ويدفع للتعامل معه بطريقة فيها تثبت ونظر. وفي الحديث إيحاء بأن الخروج للجهاد مقصده إعلاء كلمة لا إله إلا الله، ودعوة الناس إليها وإزالة العوائق التي تحول دون تعريف الناس بها.

ويوم القيامة أيضًا سوف تعصم "الشهادتان" صاحبهما من دخول النار - إن شهد بهما في الدنيا صدقًا من قلبه - كما روى ذلك معاذ بن جبل ﷺ عن النبيّ ﷺ وكان رديفه على الرحل، فقال: ((يَا مُعَاذ بن جَبَلٍ، قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: يَا مُعَاذُ، قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قال: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قال يَا رسول الله: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: إِذًا يَتَّكِلُوا. وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا))[4]. وفي تفاصيل القصة كما بينها ابن حجر، فقال: "إن النبيّ ﷺ أَذِنَ لِمُعَاذٍ فِي التَّبْشِيرِ، فَلَقِيَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: لا تَعْجَلْ، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنْتَ أَفْضَلُ رَأْيًا، إِنَّ النَّاسَ إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ اتَّكَلُوا عَلَيْهَا. قال: فَرَدَّهُ. وَهَذَا مَعْدُودٌ مِنْ مُوَافَقَاتِ عُمَرَ، وَفِيهِ جَوَازُ الِاجْتِهَادِ بِحَضْرَتِهِ ﷺ"[5].

وقد أدرك الصحابة عظيم أثر الشهادتين وأنهما أفضل ما يُدَّخر ليوم القيامة، كما يظهر من موقف عمرو بن العاص ﷺ حين حضرته الوفاة، فجعل يبكي طويلًا، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رسول الله ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رسول الله ﷺ بِكَذَا؟ قال: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ،

---

(1) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) [سورة التوبة: 5]، (1/14 - ح: 25).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة، (1/ 288 - ح: 382).

(3) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (1/96 - ح: 96).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب من خصّ العلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، (1/ 37 - ح: 128).

(5) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/ 227). وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.



فَقَالَ: ((إِنَّ أَفْضَلَ ما نُعِدُّ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله))[1]. والشاهد: إدراك الصحابة الكرام ﷺ أن توحيد الله تعالى الذي تتضمنه عبارة الشهادتين هو الأمر الأرجى قبولًا لهم عند الله تعالى، فعبّروا عن ذلك بالإيمان بها ونطقها في حياتهم والتوصية بالعمل بمقتضاها.

8- مراجعة الأهداف ومدارستها

تفيد مراجعة الأهداف في إعادة تصنيفها وترتيبها وتذكير المتعلمين بها، كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: ((بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبيّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وقال: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ،... الحديث))[2]. قال القاضي عياض رحمه الله معلقًا: "وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه"[3]. والظاهر من الحديث أن جبريل عليه السلام جاء على هيئة رجل، فعلَّم الناس أمورًا كانوا يعرفون بعضها، فجاءت مقابلته هذه في سياق المراجعة والتأكيد على أمور دون غيرها، واختار عليه السلام أن يسأل عن كبرى المفاهيم الإسلامية: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وختم بالسؤال عن الساعة وأماراتها؛ تأكيدًا على تحققها وأن لها أمارات يمكن ملاحظتها وضرورة أن تصبَّ كل أعمال المرء في إطار الاستعداد لها. وشكّل جواب تلك الأسئلة أهدافًا إجرائية ومؤشرات ينبغي أن يعتني المسلم بها؛ فجبريل عليه السلام لم يأت ليجلس هذا المجلس إلا لأمر عظيم، وإن حضوره اللافت بهيئة بشر، وتنفيذه لموقف تعليمي راقٍ، تميز بدقة السؤال والإجابة المختصرة والواضحة في جو من الإجلال والتقدير بين المعلم والمتعلم، شكَّل فرصة مهمة للنبي ﷺ وأصحابه لمراجعة أهدافهم التربوية من خلال وصف النبيّ ﷺ الموقف قائلا: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)). والحديث لخَّص أهداف الإسلام الكبرى في أهداف مرتبطة بأركان الإسلام، وأخرى مرتبطة بأركان الإيمان، وأخرى مرتبطة بالإحسان، وأخرى مرتبطة بالاستعداد ليوم القيامة.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، (112/1 - ح: 121).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، (36/1 - ح: 8).

(3) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (158/1).



ولنا أن ننوه إلى أن الأهداف التربوية كانت واضحة عند النبيّ ﷺ وكان يعبِّر عنها في كل مناسبة ويجلّيها لكل سائل مستفسر، كما وتؤكد السُنّة النبويّة اتضاح أهداف الرسالة الإسلامية عند الجيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم وثباتهم عليها أثناء حملهم لواء الدعوة والتربية والجهاد، حتى إنه كان بمقدورهم التعبير عنها دون لجلجة أو تكلف؛ بل بتلقائية وبكل شجاعة، كما يظهر من أداء رِبعي بن عامر[1] رضي الله عنه حين أجاب رستم قائد الفرس، فقال: ((الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام))[2].

المطلب الثاني

التقويم في مجال التعامل مع محتوى المنهج

يتم في هذا المطلب تتبع التوجيهات الربانية والنبويّة التقويمية، والتي سعت لتحقيق أفضل تعاطٍ ممكن مع القرآن الكريم والسُنّة النبويّة.

1- القرآن محتوى المنهج التربوي النظري

امتن الله سبحانه وتعالى على الناس أنه أنزل عليهم كتابًا يتلى عليهم ليكون نورًا وبشرى وهداية، قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [سورة المائدة: 16-15]. وسيظل هذا الكتاب معجزة خالدة يتلوه الناس وينهلون من معينه علمًا وتزكية وهداية إلى أن يشاء الله.

ويمثِّل القرآن الكريم العظيم محتوى المنهج النظري الأساس في العملية التربوية النبويّة، ومن أوصافه أنه: لفظ عربي معجز، متعبد بتلاوته، أنزله الله تعالى منجمًا حسب الحوادث والمناسبات بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 106]، قال البغوي: "لم يَنْزِل مرة واحدة؛ لتقرأه على الناس على تُؤَدَةٍ وَتَرَسُّلٍ في ثلاث وعشرين سنة"[3].

---

(1) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو التيمي، صحابي، أمدَّ عُمَرُ به المثنى بن حارثة، وكان من أشرف العرب، وولَّاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. انظر: ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، (2/ 378).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، (39/7).

(3) البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1420هـ، (5/ 135).

ومعلوم أن القرآن الكريم لم يجمع بين دفتي المصحف أثناء حياة النبيّ ﷺ بل تأخر ذلك إلى وقت خلافة أبي بكر رضي الله عنه[1]. ورغم ذلك فقد ظلَّ القرآن الكريم حاضرًا كمنهج تربوي، ومتاحًا ومتداولًا في أثناء حياته ﷺ ضمن سياقات عديدة ، نذكر منها:

أ. كان القرآن الكريم محفوظًا في صدر النبيّ ﷺ، وكان من شدة حرصه عليه يبذل جهدًا مضاعفًا في تلقيه ومراجعته، حتى جاءه التطمين والتوجيه الرَّباني بألا يقلق بشأن بيانه وتفسيره؛ فقد تكفَّل ﷻ له بذلك قائلًا: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [سورة القيامة: 16 17-]. قال ابن كثير في تفسيره: "هذا تعليم من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من المَلَك - فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق المَلَك في قراءته - فأمره الله ﷻ إذا جاءه المَلَك بالوحي أن يستمع له، وتكفَّل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبيِّنه له ويفسره ويوضحه؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [سورة طه: 114][2].

ب. كان القرآن الكريم محفوظًا في صدور الذين أوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم حيث أقبلوا على تلقّيه وسماعه مباشرة من النبيّ ﷺ ثم راحوا يعتنون بحفظه في صدورهم وتداوله وتدارسه بينهم وقيام الليل به، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ**﴾ [سورة المزمل: 20]. وقد أسهم ترغيب النبيّ ﷺ وتوجيهاته في زيادة إقبال الصحابة رضي الله عنهم على تعلّمه وتعليمه، نحو قوله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))[3]. قال النووي: "اعلم أن القرآن العزيز كان مؤلفًا في زمن النبيّ ﷺ على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعًا في مصحف، بل كان محفوظًا في صدور الرجال، فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كله وطوائف يحفظون أبعاضًا منه"[4].

---

(1) المقريزي، أحمد بن علي، **إمتاع الأسماع**، تحقيق: محمد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ - 1999م، (4/ 239).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ- 1999م، (8/ 286).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (6/192 - ح: 5027).

(4) النووي، يحيى بن شرف، **التبيان في آداب حملة القرآن**، تحقيق: محمد الحجار، بيروت – لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1414هـ - 1994م، (ص: 185).



ج. كانت تجري عملية كتابة ما يتنزل من القرآن الكريم أولًا بأول، على ما تيسر من أدوات الكتابة حينها؛ ["حيث اهتم النبيّ ﷺ منذ بداية الوحي بكتابة القرآن الكريم من خلال اتخاذه عددًا من كُتَّاب الوحي. كما أذن للمسلمين بكتابته لأنفسهم، حيث قال ﷺ لأصحابه: ((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[1]][2]. ومن ظاهر الأحاديث النبويّة فيبدو أن كتبة الوحي كانوا قريبين منه ﷺ حيث كان يُدْعى بعضهم فور تنزُّل الوحي؛ ليكتب ما نزل من آيات كريمات كما وضّح ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ عَدَدٍ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُهُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا))"[3].

ورَوى نحوًا من ذلك زَيْد بنُ ثَابِت رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرسول الله ﷺ وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ بُرَحَاءُ شَدِيدَةٌ، وَعَرِقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجُمانِ ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ أو كَسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَمَا أَفْرَغُ حَتَّى تَكَادَ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ الْقُرْآنِ حَتَّى أَقُولَ: لا أَمْشِي عَلَى رِجْلِي أَبَدًا، فَإِذَا فَرَغْتُ قال: "اقْرَأْ"، فَأَقْرَأَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ))[4].وروى البخاري نحو ذلك عن البراء رضي الله عنه قال: ((لما نزلت الآية: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة النساء: 95]، قال النبيّ ﷺ ادْعُوا فُلاَنًا. فَجَاءَهُ وَمَعَهُ الدَّوَاةُ وَاللَّوْحُ، أو الكَتِفُ، فَقَالَ: اكْتُبْ))[5].

وخلاصة القول فإن القرآن الكريم مثَّل أثناء حياة النبيّ ﷺ محتوى المنهج التربوي النّبويّ النظري، وكان محفوظًا في صدر النبيّ ﷺ، وفي صدور أصحابه رضي الله عنهم - على تفاوت بينهم - ومكتوبًا على متفرقات من رقاع الجلد ونحوه مما تيسر في تلك البيئة وعلى كل ما يجعله متاحًا وسهل التداول.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، (4/ 2298 - ح: 3004).

(2) الميمني، إسماعيل عبد الستار، **المدخل لعلوم القرآن الكريم**، على المكتبة الشاملة الذهبية، (ص: 45).

(3) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، (2/ 241 - ح: 2875). وقال حديث صحيح.

(4) الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، (د. ط)، 1414هـ، باب عرض الكتاب بعد إملائه، (1/ 152 - ح: 684). وقال رجاله موثوقون.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) [سورة النساء: 95]، (9/48 - ح: 4594).



2- التوجيهات الربانية في التعامل مع القرآن الكريم

اقتضت حكمة الله ﷻ ورحمته أن قدم لعباده في كتابه الخاتم مفاتيح تساعدهم، وترشدهم للتعامل الأمثل مع هذا الكتاب المنزل من السماء[1]. فهو كلامه ﷻ ومنزِّله للبشر وهو الأعلم بمحتواه وأثره وكيفية تحقق أعظم إفادة منه، ونذكر بعض هذه المفاتيح فيما يأتي:-

أ. الإيمان بالقرآن الكريم من أركان الإيمان؛ حيث دعا ﷻ الناس إلى الإيمان، والتصديق بكتابه المنزّل من عنده بلا ريب، فقال ﷻ: ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [سورة التغابن: 8]، فأول خطوة هي الإيمان بالقرآن الكريم كتابًا معجزًا، وأنه خاتم الكتب المنزلة من عند الله ﷻ على خاتم الأنبياء والرسل.

ب. الثناء المستمر على القرآن الكريم بأحسن الأوصاف؛ تعظيمًا له وتشريفًا وترغيبًا للناس في الإقبال عليه بالقراءة والتدبر والعمل، فقد وصفه الله ﷻ بأعظم الأوصاف، فذكر أنه أحسن الحديث: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**﴾ [سورة الزمر: 23]، وأنه: "نور" ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**﴾ [سورة النساء: 174]، وأنه "موعظة" و"شفاء" و"هدى" و"رحمة"، كما في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة يونس: 57]، وأنه "مبارك" و"مصدِّق"، قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ**﴾ [سورة الأنعام: 92]، وأنه "بشرى" ﴿**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة النمل: 2]، و"عزيز" ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ [سورة فصلت: 41]، و"مجيد" ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ**﴾ [سورة البروج: 21]، وغيرها من الأوصاف الجميلة والمحاسن.

ج. حذَّر الله تعالى عباده من الانتقائية في التعامل مع محتوى القرآن الكريم وأحكامه، فأكد ﷻ على وجوب الإيمان بجميع ما فيه، ووجوب الأخذ به كاملًا، وأثنى على الذين يؤمنون به كله، فقال: ﴿**هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ**﴾ [سورة آل عمران: 119]. وبالمقابل فقد توعد ﷻ بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة كل تعامل بمزاجية

(1) انظر ما كتبه شيخنا: صلاح عبد الفتاح الخالدي رحمه الله في كتابه: **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، دمشق، دار القلم، ط 2، 1415هـ - 1994م.



وانتقائية مع آيات الله المنزلة فأخذ ببعضها وترك أخرى، فقال الله ﷻ محذِّرًا: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ**﴾ [سورة البقرة: 85].

د. تعظيم القرآن الكريم وتحدِّي الناس أن يأتوا بمثله، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [سورة الإسراء: 88]. وقال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [سورة الحشر: 21].

ه. ملاحظة أن آيات القرآن الكريم قد فنّدت كل ادعاءات المنكرين وردّت على افتراءات المشككين حول إعجاز القرآن العظيم ومصدريته وطريقة تنزُّله، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [سورة النحل: 103]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [سورة الفرقان: 32]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**﴾ [سورة يس: 69].

و. التوجيه لأخذ تأويل القرآن من المخلصين والراسخين في العلم، والتحذير من اتباع الذين في قلوبهم زيغ والذين يفسرونه وفق مصالحهم وأهوائهم، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [سورة آل عمران: 7].

ز. الاستفهام من أهل العلم عن معاني الآيات القرآنية، كما كانت تفعل أم المؤمنين عَائِشَة رضي الله عنها حين ((سَأَلْتُ رسولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَة: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ [سورة المؤمنون: 60]، أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قال: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [سورة المؤمنون: 61]))[1]. ونحوه تقويم دلالة قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون، (5/ 328 - ح: 3175). وصحَّحه ابن العربي، محمد بن عبد الله، **عارضة الأحوذي في شرح الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، المحقق: جمال مرعشلي، 1418هـ– 1997م. كتاب التفسير، سورة المؤمنون، (12/ 39).



﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة: 187]، حين أَخَذَ عَدِيٌّ بن حاتم رضي الله عنه عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قال: يَا رسول الله! جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ، فقال: ((إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ. ثم بيَّن له ﷺ فقال: ((لاَ بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ))[1].

ح. الأمر بتلاوة القرآن الكريم وترتيله والصلاة فيه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [سورة المزمل: 4]، أي "اقرأه مرتلًا مبينًا حروفه ومُشْبعًا حركاته متثبتًا في تلاوته متفهمًا لمعانيه"[2]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾ [سورة فاطر: 29]، وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [سورة الإسراء: 79].

ط. الحثُّ على تعلُّم القرآن الكريم، وتعليمه، والعمل به، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 79].

ي. التأكيد على وجوب العمل به، دون الاكتفاء بقراءته وحفظه أو سماعه في المناسبات، بل يجمع المسلم بين ذلك كله مع العمل به؛ لأن العمل بالقرآن العظيم هو ذروة حقوق القرآن وسنامها وهو الغاية الأساس من تنزله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [سورة الأنعام: 155]. ولا يفوت المسلم أن يستذكر أن من أعظم أسباب شقاء اليهود أنهم اكتفوا بقراءة التوراة وسماعها دون العمل بمضمونها، فاستحقوا أن يضرب لهم مثل الحمير التي تحمل على ظهرها كتب العلم ولا تنتفع بها. قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [سورة الجمعة: 5][3].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)، (6/ 26 - ح: 4509 ، ح: 4509).

(2) مصطفى البغا، في تعليقه على الحديث في **صحيح البخاري**، باب قيام النبيّ ﷺ بالليل من نومه، (2/ 52).

(3) انظر: الدوسري، محمود أحمد، **وجوب العمل بالقرآن العظيم**، مقال على الإنترنت في موقع الألوكة، تاريخ إضافة المقال: 2018/10/16م، تاريخ التصفح: 13 /2022/10م.



ك. أمر الله تعالى عباده بتعظيم القرآن الكريم بالاعتصام به وبالاستماع والإنصات والتدبر في معاني آياته، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [سورة الأعراف: 204]. وقال ﷻ: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [سورة النساء: 82]. وحذّر ﷻ من هجره في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ [سورة الفرقان: 30]. وفي ذات السياق تأتي التوصية بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند تلاوته، فقال: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [سورة النحل: 98].

ل. ملاحظة أن الله تعالى أنزل كتابه العظيم مباركًا فيه شفاء ورحمة للناس، تخشع النفوس عند سماعه وتحلُّ السكينة والبركة في مجلس قراءته وتتنزل الرحمات، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [سورة الزمر: 23]، وقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة الإسراء: 82]. فالقرآن إذا سمعه المؤمن وأنصت تتحرك مشاعره، ويزداد إيمانه وتخشع نفسه، وهذا كان حال النبيّ ﷺ كما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لِي رسول الله ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ قال: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قال: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، قال: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [سورة النساء: 41]، رَفَعْتُ رَأْسِي، أو غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ))(1).

قال أبو حامد الغزالي: "البكاء مستحب مع القراءة، ووجه إحضار الحزن أَنْ يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره، وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية؛ فَلْيَبكِ على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب"(2).

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، (551/1 - ح: 800).

(2) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، (1/ 277).



3- التوجيهات النبويّة في التعامل مع القرآن الكريم

مثّل النبيّ ﷺ في نفسه أعظم أسوة في طريقة التعامل مع محتوى المنهج القرآن الكريم، ومزج ذلك بتوصيات وتوجيهات وتقويمات توصل المسلم لأفضل تعاط مع كتاب الله العظيم، نذكر منها ما يأتي:

أ. وجوب الإخلاص في تعلم القرآن وتعليمه، والتحذير من الرياء الذي يحبط العمل، كما بيَّن النبيّ ﷺ فقال: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ -وذكر منهم- وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قال: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[1]. والشاهد أن فساد نية حافظ القرآن كفيل بردّ عمله وضياع أجره ودخول النار قبل غيره.

ب. كان النبيّ ﷺ يتقصد الاستماع أحيانًا لتلاوة أصحابه للقرآن الكريم، وكان يثني على المحسن منهم ويعزره، كما في رواية أبي موسى، قال: قال لي النبيّ ﷺ: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[2]، والجدير ذكره أن هذه المراجعة الدورية كانت تحقق فوائد عديدة: كتجويد محفوظات الصحابة رضي الله عنهم وتقويمها، والحكم عليهم بما يناسب أداءهم، واكتشاف المتقنين والحفظة وأصحاب الأصوات الندية، وفيه تقديم الأسوة الحسنة في مدارسة القرآن الكريم والاستماع إليه.

ج. كان النبيّ ﷺ يعرض تلاوته على القراء من أصحابه رضي الله عنهم أثناء الصلوات وخارجها، ونجد عند مسلم في صحيحه بابًا بعنوان: "باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، والحذاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه"، فقد قال النبيّ ﷺ لِأُبَيٍّ: ((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ [سورة البينة: 1]، قال: وَسَمَّانِي؟ قال: نَعَمْ. فَبَكَى))[3].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (3/ 1513 -ح: 1905).

(2) المرجع السابق، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (1/546 - ح: 793).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبيّ بن كعب، (5/ 36 - ح: 3809).



د. توجيه النبيّ ﷺ الناس لأخذ القرآن الكريم مشافهة عن ثلة من قُرّاء الصحابة ﷺ ومن تميز منهم بالحفظ والإتقان لألفاظ القرآن الكريم، كما في قوله ﷺ: ((خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بن جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بن كَعْبٍ))(1). وفيه إيحاء لأهمية التوسيع على الناس في إبراز عدد من العلماء القُراء وتصديرهم وتكليفهم والإعلان عن أسمائهم ليأتي الناس إليهم ويأخذوا القرآن الكريم عنهم.

ه. حرص النبيّ ﷺ على جعل القرآن الكريم متاحًا لجميع المسلمين؛ يستمعونه ويتلونه وينقلونه ويجدون من يعلِّمهم آياته وأحكامه ومبادئه، وكان في عهد النبيّ ﷺ من شاء كتب لنفسه بعضًا من آيات القرآن الكريم، ومن شاء أخذه مشافهة، يقول عبد الله ابن مسعود ﷺ: ((وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِيِّ رسول الله ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً))(2). وقد كان لنقل القرآن الكريم مشافهة أثر مبارك في تداوله متواترًا صحيحًا ومجودًا كما نزل.

و. ندب النبيّ ﷺ أصحابه لترتيل القرآن وتجويده والتغني به وتجميله بالأصوات، فقال: ((زيِّنوا القُرآنَ بأصواتِكم))(3). ونقل النووي عن القاضي عياض: "أن العلماء أجمعوا على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها"(4). وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل: 4]. ومن فوائد الترتيل أنه مدعاة للتدبر، والتفكر، ومظنة تأثر القلب وخشوعه.

ز. قد حثَّ النبيّ ﷺ أصحابه على تحرّي المهارة في تلاوة وتجويد القرآن الكريم، فعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))(5). عن البراء ﷺ، قال: ((سَمِعْتُ النبيّ ﷺ "يَقْرَأُ: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي العِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أو قِرَاءَةً))(6).

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبيّ بن كعب ﷺ، (5/ 36 -ح: 3808).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبيّ ﷺ، (6/ 186 - ح: 5000).

(3) المرجع السابق، كتاب التوحيد، باب قول النبيّ ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»، (9/ 158).

(4) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (6/ 80).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر في القرآن، (1/ 549 - ح: 798).

(6) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب القراءة في العشاء، (1/ -153ح: 769).



ح. ربط النبيّ ﷺ الصلاة بالقرآن الكريم برباط وثيق، فلا تصح الصلاة بغير القرآن وتلاوته، وهذا يعزز من حضور القرآن ويدفع كل مسلم أيًّا كان عمره أو لغته لتعلمه وتدبره، فقال ﷺ: ((لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ))[1]، وقال وهو يعلِّم الصلاةَ لرجل من المسلمين: ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ))[2].

ط. حثّ النبيّ ﷺ أصحابه على تعلّم القرآن الكريم وتعليمه وتلاوته آناء الليل وآناء النهار؛ فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، فقال: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أو إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رسول الله نُحِبُّ ذَلِكَ، قال: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أو يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ))[3].

وقال النبيّ ﷺ: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ))[4].

وقال رسول الله ﷺ: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ))[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، (151/1 - ح: 756).

(2) المرجع السابق، كتاب الاستئذان، باب من ردَّ فقال: عليك السلام، (56/8 - ح: 6251).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة، (552/1 - ح: 803). (الصُّفَّة) موضع مظلل من المسجد الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه. (بطحان) اسم موضع بقرب المدينة (العقيق) واد بالمدينة. (كوماوين) الكوماء من الإبل العظيمة السنام.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، (553/1 -ح: 804).

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، (192/6 -ح: 5026).



ي. تجدر العناية بحفظ بعض الآيات والسور وتكرار تلاوتها في أوقات معينة من الليل والنهار، كما في حديث عائشة ﵂ قالت: ((كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. قالتْ عَائِشَة: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ))(1). وقد أفرد البخاري في صحيحه كتابًا سمَّاه" كتاب فضائل القرآن" أخرج فيه أحاديث عديدة في فضل سور من القرآن كفاتحة الكتاب والبقرة والكهف والإخلاص والمعوذتين.

ك. لفت انتباه الناس إلى فضل الرقية بالقرآن، والاستشفاء ببعض سوره وآياته، قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة الإسراء: 82]، وقد حدَّث أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: ((أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رسول الله ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أو مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وقال: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَى النبيّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رسول الله وَاللهِ ما رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَتَبَسَّمَ وقال: وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قال: خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ))(2).

ل. حث النبيّ ﷺ على حفظ القرآن الكريم في الصدور وتعاهده، ومراجعته واستذكاره، ومن ذلك قوله ﷺ: ((تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا))(3). وقال ﷺ: ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ))(4). وفي الحديث فإن حفظ القرآن الكريم يعصم صاحبه، كما في رواية أبي الدرداء، أن النبيّ ﷺ قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))(5).

---

(1) المرجع السابق، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، (7/-133ح: 5748).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، (1727/4 -ح: 2201).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (545/1 -ح: 791).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، (193/6 -ح: 5031).

(5) المرجع السابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، (155/1 -ح: 809).



م. التوصية بقراءة القرآن بالليل فهو مظنة صفاء الذهن، وقلة الانشغالات أو المُلْهِيات، ويكون أقرب لإجابة الدعاء وأبعد عن الرياء[1]، قال الله ﷻ: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [سورة المزمل: 4-2]، وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أو عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[2]. فقيام الليل مدعاة لاستذكار القرآن وعدم نسيانه، فقد قال ﷺ: ((وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ))[3].

ن. حثّ النبيّ ﷺ أصحابه على العمل بالقرآن، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ))[4]. وقال ﷺ: ((المُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالمُؤْمِنُ الَّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا))[5]. قال ابن القيم رحمه الله: "أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم"[6]. وعليه فينبغي اعتماد "منهج التعلم للعمل" في تلقي القرآن الكريم، كما بيَّن ذلك ابن مسعود، فقال: ((كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ))[7]، وفي رواية عَنْ التابعي أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن السُّلَمِيّ، قَالَ:((حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ))[8].

---

(1) انظر: النووي، **التبيان في آداب حملة القرآن**، (ص: 63).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، (515/1 - ح: 747).

(3) المرجع السابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (144/1 -ح: 789).

(4) المرجع السابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، (554/1 - ح: 805).

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، (198/6 - ح: 5059).

(6) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (1/ 327).

(7) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، (80/1). يقول أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى؛ لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من النبيّ ﷺ فهو يحكي ما كان في ذلك العهد.

(8) الشيباني: **مسند أحمد بن حنبل**، أحاديث رجال من أصحاب النبيّ عليه السلام، (466/38 - ح: 23482). وقال الأرنؤوط: إسناده جيد . والسلمي: هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، كوفي من كبار التابعين، ثقة ثبت، أقْرَأَ القرآن في المسجد أربعين سنة، توفي 72 هـ. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (5/ 161).



س. أخْذ التدابير التي تحفظ للقرآن مكانته، وتمنع من إهانته أو تحريفه، فقد ورد النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو بالإهانة ونحوه، فعن عبد الله بن عمر ﵄: ((أن رسول الله ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ))[1]. قال النووي ﵀: "فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهي خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة فلا كراهة ولا منع منه"[2].

ع. علَّم النبيّ الكريم ﷺ أصحابه كيفية التفاعل مع القرآن الكريم حال تلاوته أو الصلاة به، بأن يردُّوا على سؤال القرآن بجواب، وبالتسبيح والتمجيد عند المرور بآيات التنزيه، ونحو ذلك من الاستغفار، والتحميد، والتعوذ، والتأمين إذا كان في الآية ما يقتضي ذلك.

عن حذيفة ﵁، ((صَلَّيْتُ مَعَ النبيّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ... يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قال: سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ))[3].

وعن جابر قال: ((خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قَالُوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ))[4].

ف. بيَّن النبيّ ﷺ لأصحابه المدة التي يقرأ فيها القرآن الكريم كاملًا، عنْ عبد الله بن عَمْرٍو ﵄، قال: قال لِي رسول الله ﷺ: ((اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ. قال قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: فَاقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً. قال قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ))[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، (56/4 - ح: 2990).

(2) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (13/ 13).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، (536/1 - ح: 772).

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الرحمن، (399/5 - ح: 3291). وانظر: الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن، (2/ 515 - ح: 3766). وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصوم، النهي عن صوم، (814/2 - ح: 1159).



ص. إكرام أهل القرآن، وتقديمهم وإجلالهم في حياتهم وبعد مماتهم، فعن أبي مسعود ﵁ قال: قال النبيّ ﷺ: ((يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ))[1]. وروى أبو موسى الأشعري ﵁ قول النبيّ ﷺ: ((إنَّ مِن إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ))[2]. ((وكَانَ النبيّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ))[3]. وفي سياق الإكرام لحامل القرآن ومعلمه، فقد زوَّج النبيّ ﷺ رجلًا من أصحابه ببعض سور القرآن الكريم على أن يعلِّمها زوجته حين عدِم المهر من المال والمتاع، فقال له النبيّ ﷺ: ((مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ. قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، عَدَّدَهَا، فَقَالَ: تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ))[4].

ق. حثّ النبيّ ﷺ على الاجتماع لمدارسة القرآن الكريم، ومن صورها أن يقرأ الرجل ويستمع إليه معلمه والآخرون، قال رسول الله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[5].

ر. جاءت الوصية بقراءة القرآن في المنازل والبيوت، فقال رسول الله ﷺ: ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ))[6]. وشرع سجود التلاوة طاعة لله تعالى وتعظيمًا له وتفاعلًا مع آياته حال تلاوة سورة أو سماع آية تتضمن دعوة للسجود له ﷻ، لقول النبيّ ﷺ: ((إِذَا قَرَأَ ابنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي، أُمِرَ ابنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ))[7].

---

(1) المرجع السابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، (1/465 - ح: 673).

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، أول كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (7/ 212 - ح: 4843)، وحسَّن إسناده الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد، (2/91 - ح: 1347).

(4) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر، (7/ 6 - ح: 5087).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الذِكر..، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، (4/2074 - ح: 2699).

(6) المرجع السابق، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، (1/539 - ح: 780).

(7) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، (1/87 - ح: 81).



ش. الاعتدال في رفع الصوت عند قراءة القرآن الكريم تجنبًا للتشويش على المصلين أو القارئين الآخرين ونحوهم. فقد خرج رسول الله ﷺ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ: ((إِنَّ الْمُصَلِّيَ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ ما يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ[1].

4- التوجيهات الربانية في التعامل مع السُنّة النبويّة

تكررت التوجيهات الربانية التي تقوّم نظرة الناس إلى السُنّة النبوية باعتبارها أساسًا لا يُسْتَغْنى عنه في محتوى منهج الرسالة الإسلامية، ومنها:

أ. ورد التوجيه القرآني العام والمبين لعظيم مكانة السُنّة وأن ما ينطق به النبيّ ﷺ وحي يوحى إليه من ربه، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [سورة النجم: 4-3]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون**﴾ [سورة النحل: 44]. وورد التأكيد على وجوب طاعته ﷺ، وأن ذلك من طاعة الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول**﴾ [سورة التغابن: 12].

ب. ورد الأمر القرآني بوجوب الأخذ بالسُنّة والعمل بمقتضاها في قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [سورة الحشر: 7].

ت. ورد التأكيد من الله تعالى على وجوب التأسّي بالنبيّ ﷺ والأخذ بسنته وهديه وطريقته فهو النبيّ الموحى إليه والمبعوث من ربه تعالى رحمة للعالمين، وهو أعلم البشر بتفاصيل الرسالة وأهدافها. قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة**﴾ [سورة الأحزاب: 21].

5- توجيهات النبيّ في التعامل مع السُنّة النبويّة

يجدر التنويه أنه كان على المسلمين أثناء العهد النّبويّ ضرورة التمييز بين وحي القرآن الكريم ووحي السُنّة؛ فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد المتضمن كلامه ﷻ وخطابه لعباده المُوحَى به باللفظ

---

(1) الأصبحي، مالك بن أنس. **الموطأ**، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط 1، 1425هـ - 2004م، (345/2 -ح: 490). حديث صحيح، انظر: ابن حجر، **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، المحقق: حمدي عبد المجيد، دار ابن كثير، ط2، 1429هـ - 2008م. (2/ 17 - المجلس 14).

والمعنى وهو كلام معجز ومتعبَّد بتلاوته داخل الصلاة وخارجها، وهو كتاب منزّل تكفَّل ربنا ﷻ بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9].

وفي المقابل كان على جيل الصحابة ﭫ وعلى الناس عمومًا من بعدهم أن يدركوا أن السُنّة النبويّة المتضمنة أقوال النبيّ ﷺ وأفعاله وتقريراته؛ تتوحد في مصدريتها مع القرآن الكريم، وأن لها مكانتها العظيمة إلى جانب القرآن الكريم في الحُجية والتشريع والاستدلال، وأنه لا يستغنى بالقرآن الكريم عنها ولا بها عن القرآن؛ لما تضمنته السُنّة النبويّة من شروحات لازمة، وتفصيلات لكثير من المسائل والأحكام الشرعية كتفاصيل طريقة إقامة الصلاة وإتاء الزكاة والحج، ونحوه من باقي العبادات والمعاملات والعلاقات.

وقد جاء التأكيد من النبيّ ﷺ على أمته بوجوب طاعته والأخذ بسنته والعمل بها، فقال ﷺ: ((فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))(1). كما وَرَدَ التحذير من أي ممارسة، أو أي اجتهاد يسوق صاحبه لترك سنة النبيّ ﷺ أو الرغبة عنها؛ فالسُنّة تمثل المنهج والنموذج الذي أراده الله تعالى أن يُحْتَذى ويُلْتَزم، كما يُفْهَم هذا المعنى من تحذيره ﷺ للرهط الذين جاءوا بيوته يسألون عن عبادته، فقال لهم ﷺ مقوِّمًا: ((فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))(2). وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرة ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى))(3).

ومن الجدير بالذكر أننا لا نجد في السُنّة النبويّة عناية النبيّ ﷺ بكتابة أقواله أو إشرافه على تدوينها مقارنة بما كان يجري في طريقة تعامله مع وحي القرآن الكريم الذي كان يكتب فور تنزله. مما جعل مضمون السُنّة النبويّة ومحتواها القولي والفعلي يتداول وينقل مشافهة - في العموم- في فترة حياته ﷺ إلا من حالات فردية من بعض الصحابة ﭫ الذين استأذنوا في الكتابة. كما يجدر الإشارة إلى

---

(1) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديِّين، (1/ 16 - ح: 43). وصحَّح إسناده الشوكاني، محمد بن علي، في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، (5/ 2229).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/2 - ح: 5063).

(3) المرجع السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، (9/ 92 - ح: 7280).



وُرود النهي من النبيّ ﷺ عن كتابة أحاديثه وأقواله، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[1]. وما كان على السامع - من الصحابة رضي الله عنهم - إلا الامتثال، فهو نهي صريح، ينهى عن كتابة السُنّة، ويأمر من كتب بعضها أن يمحوه، وبالمقابل فقد ثبت عنه ﷺ أنه أذن بالكتابة وأمر بها في حالات، كما في حديث عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رسول الله ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرسولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرسول الله ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ))[2]. وقوله ﷺ: ((اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ))[3]، ويأتي هذا الأمر بالكتابة لأبي شاه بعضًا من خطبه وأحاديثه مراعاة لحال الغريب غير المقيم؛ وبناءً على طلبه رضي الله عنه ليأخذها معه حال عودته إلى قومه.

وقد ذكر النووي أقوال العلماء للتوفيق والجمع بين أحاديث النهي والإباحة، ومنها "أن النهي عن كتابة السُنّة كان في حق من يُوثَق بحفظه ويُخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، وبالمقابل تُحمَل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث "اكتبوا لأبي شاه". وقيل إن حديث النهي منسوخ، وأن النهي كان حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن بالكتابة. وقيل إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط؛ فيشتبه على القارئ" [4].

وقد ورد تحذير نبوي شديد يتجاوز مسألة الكتابة إلى وجوب تحري الدقة حال نقل السُنّة وروايتها للغير، والترهيب من الكذب عليه ﷺ فقال ﷺ: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[5]. يقول الحافظ ابن حجر: "إن تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية، سواء كان الإيجاب أو الندب، وكذا

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (4/ 2298 - ح: 3004).

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (3/ 318 - ح: 3646). وصحّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، (2/989 - ح: 1355). أبو شاه: رجل من أهل اليمن.

(4) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (18/ 130).

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، (2/ 80 - ح: 1291).



مقابلهما وهو الحرام والمكروه"[1]. وفي ظلال هذه الهيبة والخوف من الوقوع في الزلل أثناء رواية السُنّة النبويّة أحجم كثير من الصحابة ﭭ عن الرواية وترددوا في ذلك حتى ولو كان ذلك مشافهة، يقول أَنَس بن مالك ﭬ وهو يحدِّث أصحابه، فقال: "إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النبيّ ﷺ قال: ((مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[2].

وعلى الرغم مما سبق فقد قام ثلة مباركة من الصحابة ﭭ بما عليهم فنقلوا السُنّة إلى من بعدهم وكانوا خلال ذلك يستحضرون تأكيد النبيّ ﷺ على ضرورة تحرّي الدقة عند سماعه أو النقل عنه، كما في قوله ﷺ: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[3].

ويبدو أنه غلب الاعتماد على ملكة الحفظ في التعامل مع السُنّة النبويّة خلال الفترة التي عاشها النبيّ ﷺ كما يقول الحافظ ابن حجر في مقدمته: "اعلم علمني الله وإياك أن آثار النبيّ ﷺ لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة، لأمرين: أحدهما أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم، وثانيهما لِسَعة حفظهم، وسيلان أذهانهم؛ ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة"[4].

ومع كل ذلك فلم يخلُ الأمر – في أواخر العهد المدني- من اعتناء البعض بكتابة السُنّة كعبد الله بن عمرو بن العاص ﭫ وهذا ظاهر من رواية أبي هريرة ﭬ قال: ((مَا مِنْ أَصْحَابِ النبيّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا ما كَانَ مِنْ عبد الله بن عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ))[5]. وظاهر الحديث يشير إلى أن عدد الأحاديث المكتوبة عند عبد الله بن عمرو كان يضاهي الأحاديث المحفوظة عند أبي هريرة ﭫ.

---

(1) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/ 200).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبيّ ﷺ، (1/ 33 - ح: 108).

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (5/ 34 - ح: 2656). وقال حديث حسن.

(4) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/ 6).

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب كتابة العلم، (1/ 34 - ح: 113).



المطلب الثالث

التقويم في مجال طرائق التربية والتعليم

نتناول في هذا المطلب التقويم في مجال طرائق التعليم والتربية وأساليبها، وكيف أسهم الوحي في الإرشاد لبعضها وتقويمها، ثم نعرض لدور النبيّ ﷺ في مراجعة طرقه وأساليبه التربوية والدعوية، كما نورد ملاحظات النبيّ ﷺ ونقده لطرق وأساليب صحابته رضي الله عنهم على التفصيل الآتي:

أولًا: دور الوحي في تسديد العملية التربوية النبويّة

من المعلوم أن الرسول المعلم محمدًا ﷺ كان يتلقى الدعم والتوجيه والتسديد من الله تعالى أثناء مهمته في تبليغ الرسالة وتعليم الناس وهدايتهم وتزكيتهم، وكان ﷺ محتاجًا إلى ذلك ولا يستغني عنه أثناء تنفيذ مشروعه الرسالي التربوي. وكان جبريل الأمين عليه السلام رفيقه في هذه المسيرة والموكل بتنزيل الوحي وتقديم الدعم المتواصل، كما قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [سورة الشعراء: 194-193]، فكان الوحي يتنزل حسب الحوادث والمناسبات وعند الأسئلة وفي النوازل والمُلِمَّات. وربما كان يأتي جبريل عليه السلام على هيئة بشر ليسأل النبيّ ﷺ وهو جالس بين أصحابه، كما في حديثه ﷺ عندما قال: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))[1].

وكان جبريل عليه السلام يجالس النبيّ ﷺ ويعرض عليه القرآن الكريم ويراجعه معه في رمضان من كل عام، يقول ابن عباس رضي الله عنه: ((كَانَ رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ ما يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ))[2]. وربما حضر ميكائيل عليه السلام بعض هذه الجلسات القرآنية كما ذكر ذلك النبيّ ﷺ فقال: ((نَعَمْ، إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عليهما السلام أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلَ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيل عليه السلام: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، قال مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ))[3].

فكانت بحق عناية كبيرة ورعاية لا مثيل لها، تلقَّاها النبيّ الكريم محمد ﷺ من ربه سبحانه وتعالى أثناء تنفيذه لمهمته التربوية، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد أيده تأييدًا لا يؤيد به إلا الأنبياء، بل لم يؤيد أحدًا

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب معرفة الإيمان، (36/1 -ح: 8).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (8/1 - ح: 6).

(3) النسائي: **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**، كتاب الافتتاح، جامع ما جاء في القرآن، (154/2 - ح: 941)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (ح: 941).



من الأنبياء كما أيد به، كما أنه بعث بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع، وجعله سيد ولد آدم ﷺ" [1].

وبلا شك فإن هذه الصحبة القريبة من الملائكة عليهم السلام للنبي ﷺ كانت بأمر الله تعالى، وكانت عاملًا ضروريًّا وحاسمًا في تسديد إجراءات الدعوة والتربية، وكان للدعم الإلهي المستمر عبر الوحي أثر فعّال في دعم وإنجاح العملية التربوية النبويّة وتحقق أهدافها ضمن الفترة الزمنية القصيرة المتاحة.

وقد أظهر القرآن الكريم للناس حالة المتابعة الدائمة والمراقبة الربانية لأداء النبيّ ﷺ فهو على فضله وعظيم مكانته كغيره من الأنبياء عليهم السلام يبلغ الرسالة كما هي بلا زيادة عليها أو نقصان، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 79]، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ [سورة الحاقة: 44 - 47]. وهذا الخطاب الواضح فيه رسالة للناس عمومًا بأن الرسل وخاتمهم عليهم السلام كانوا تحت عناية ورعاية من الله ﷻ تقويمًا لهم وعونًا حتى يتم المطلوب وتؤدى الرسالة، وأن على الناس جميعا أن يدركوا أن ما وصلهم من وحي حق لا ريب فيه.

ويجدر التنويه أن الدعم الإلهي للنبي ﷺ لم ينحصر في ضبط المحتوى النظري للرسالة المتمثل في آي القرآن الكريم والسنّة، بل امتد إلى تقويم تطبيقاتها ومواقفها العملية، ويمتد التقويم إلى طرق البلاغ والدعوة والتربية، وهذا يمكن فهمه من قول النبيّ ﷺ: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ)) [2]. يقول ابن القيم معلقًا على عبارة (وَمِثْلَهُ مَعَهُ): "وهذا هو السُنّة بلا شك"[3].

ومن الجدير بالذكر أن فترة الوحي والرسالة للنبي محمد ﷺ كانت قصيرة فهي لم تتجاوز - بعد انتهائها- ثلاثةً وعشرين عامًا، وكان على النبيّ ﷺ أن ينهي مهمته التربوية والدعوية خلال ما تبقى من سني عُمُرِه؛ وعليه فلم يكن في الوقت سعة لأن تقع العملية التربوية في أخطاء كبيرة تعطل مسارها

---

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن، السعودية، دار العاصمة، ط 2، 1419هـ - 1999م، (1/ 410).

(2) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب السُنّة: باب في لزوم السُنّة، (4/ 200 - ح: 4604)، وإسناده صحيح، كما بيّن الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، (ص: 249).



أو تحرف اتجاهها؛ وهذا استدعى أن يتدخل الوحي خاصةً عند التحولات، ليضبط بدايات المراحل ونهاياتها؛ وليمنع أي انجرار في مسارات جانبية قد تؤخر تحقق الأهداف؛ فنجد التدخل الإلهي في التوجيه لسرّية الدعوة والتربية في بداية البعثة، ثم جاء الأمر الإلهي بالبدء بدعوة العشيرة والأقربين، قال تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [سورة الشعراء: 214]. ثم جاء التوجيه الإلهي لإنهاء المرحلة السرّية والتوجيه إلى الجهر والإعلان، قال تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة الحجر: 94]. ونحوه الإذن بالهجرة ونقل مركز الدعوة والتربية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

وتظهر تلك العناية الإلهية والضبط واضحة في الحديث الذي أخرجه البخاري أن أَبا بَكْرٍ تَجَهَّزَ مُهَاجِرًا، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، قال أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قال: نَعَمْ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رسول الله ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ))(1). والشاهد أنه ﷺ لم يكن ليهاجر دون إذن من الله ﷻ.

ونحوه ما ورد من الإذن بالقتال بعد الهجرة إلى المدينة المنورة في قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [سورة الحج: 39]. ومثله ما جاء من الإعلان عن البراءة من المشركين، بعد نزول قوله تعالى: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة التوبة: 1]. وروى أبو هريرة رضي الله عنه ذلك، فقال: ((بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى: أَنْ لا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ))(2).

وإن المتتبع للسُنّة النبويّة يلحظ أن النبيّ ﷺ إن حدث وساقه اجتهاد وشورى فاتخذ طريقًا كانت خلاف الأولى، فإن الوحي الكريم يسارع بالتدخل بالتقويم المناسب؛ كما في قصة أسرى بدر، وكذا ما حدث عقب غزوة الخندق، تروي عَائِشَة رضي الله عنها فتقول: ((لَمَّا رَجَعَ النبيّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ ما وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قال: فَإِلَى أَيْنَ؟ قال: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النبيّ ﷺ إِلَيْهِمْ))(3).

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (5/ 58 - ح: 3905).

(2) المرجع السابق، كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة، (1/ 83 - ح: 369).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب مرجع النبيّ ﷺ من الأحزاب، (5/111 - ح: 4117).



مما سبق يتبين عظيم العناية الإلهية بهذه العملية الإصلاحية التربوية الكبرى، والتي من مظاهرها تنزُّل الوحي في الوقت المناسب لدعم جهود النبيّ ﷺ وتقويم طرقه التربوية والتقويمية وتطوير آليات التعامل مع الشرائح المختلفة.

ويمكن تتبع بعض السياقات والأساليب التي ورد فيها التقويم الإلهي لأداء النبيّ الكريم ﷺ على النحو الآتي:

أ. كان يأتي على شكل توجيهات وخطابات مباشرة بصيغة الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [سورة المائدة: 67].

ب. أحيانًا كان يرد بصيغة النهي مثل، قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [سورة التوبة: 84].

ت. أحيانًا أخرى كان يرد في ثنايا آيات القصص القرآني وتعقيبًا عليها حيث تختم القصة القرآنية بالدروس والعبر والرسائل التربوية التقويمية الضمنية والموجهة، مثل قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ**﴾ [سورة الأحقاف: 35].

ث. أحيانًا كان يرد التوجيه الإلهي تعقيبًا على موقف أو أداء قام به النبيّ ﷺ وتحليلًا لأبعاده وآثاره، نحو قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ [سورة عبس: 1- 4].

ج. أحيانًا كان يرد التقويم الإلهي للنبي ﷺ في إطار الثناء عليه وتعزيزه بما فيه من أخلاق وصفات نحو قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [سورة آل عمران: 159].



ثانيًا: التقويم الإلهي لطرق النبيّ ﷺ وأساليبه التربوية

فيما يأتي شواهد لبعض مواقف التقويم الرباني للطرق والأساليب والمواقف النبويّة:

أ- ما ورد من تقويم إلهي يحمل في ثناياه تخفيفًا عن النبيّ ﷺ وتيسيرًا عليه، وأحيانًا تطمينًا، ومن ذلك، فقد نزل توجيه إلهي لطيف للنبي ﷺ لبيان للطريقة الأمثل في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام فقد روي عَنِ ابن عَبَّاس رضي الله عنهما، قَوْله: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ سبحانه وتعالى قولَه: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [سورة القيامة: 17-16]، قال: وَكَانَ -بعدها- إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ))(1). وفي هذا التوجيه تقدير من الله تعالى لنبيه الكريم؛ فهو يذكر لنا طرفًا من حرصه ومبادرته وقلقه بشأن سلامة الوحي وتلقيه، كما أن فيه تيسيرًا عليه وتخفيفًا، وفيه أيضًا تطمين له بأن الله تعالى تكفّل له بحفظه فليس عليه أن يقلق خوفًا من نسيانه، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [سورة طه: 114]. قال القشيري: "كان ﷺ يتعجل بالتلَقُّف من جبريل عليه السلام مخافة النسيان، فأمره بالتثبت في التلقين، وأمّنه من طوارق النسيان، وعرّفه أن الذي يحفظ عليه ذلك هو الله"(2).

وفي سياق آخر يتنزّل التوجيه الرباني يدعو النبيّ ﷺ للرفق بنفسه أثناء دعوته، مذكرًا بأن مهمة الرسول البلاغ، وأن الهداية منه سبحانه وتعالى فقال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [سورة الشورى: 48]. وقال تعالى ﴿**فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ [سورة فاطر: 8]، وقال تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [سورة الكهف: 6]، وروى السيوطي سبب نزول الآية فقال: "اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البحيري في نفر من قريش، وكان الرسول ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنًا شديدًا"(3).

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، (6/ 156 - ح: 5044).

(2) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000م، (2/ 480).

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبطه وصحَّحه: أحمد عبد الشافي، بيروت – لبنان، دار الكتب الثقافية، 1422هـ- 2002م، (ص: 101).



ب- ما كان يتنزل من تقويم إلهي للنبي ﷺ عقب المواقف الدعوية أو الاجتماعية، ومن ذلك: ما روته عائشة رضي الله عنها: ((أن النبيّ ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَة: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النبيّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فدخل على إحداهما، فقالتْ له ذلك، فقال: لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، فَلاَ تُخْبِرِي بِذَلِكِ أَحَدًا))[1]. فأنزل الله تعالى يعاتب نبيه ﷺ قائلًا ﷻ: ﴿**يَاأَيُّهَا النبيّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [سورة التحريم: 1]، يقول صاحب الظلال: "فجاء هذا العتاب يوحي بأن ما جعله اللَّه حلالًا، فلا يجوز حرمان النفس منه عمدًا وقصدًا إرضاءً لأحد. وفي التعقيب بقوله تعالى: (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، ما يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة، لكن تتداركه مغفرة اللّه ورحمته، وهو إيحاء لطيف"[2].

ونحوه أيضًا ما روته عَائِشَة رضي الله عنها قالت: ((أُنْزِلَ: عَبَسَ وَتَوَلَّى، فِي ابن أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رسولَ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رسولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رسولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رسول الله ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ))[3]. وحصلت هذه المعاتبة الربانية كما ذكر الرازي لأن: "ظاهر الواقعة يوهم بتقديم الأغنياء على الفقراء، وانكسار قلوب الفقراء، ونظيره قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ [سورة الأنعام: 52]"[4].

ج- ما يتنزل من تقويم إلهي عقب الغزوات والسرايا، ومن ذلك ما نزل من عتاب رباني عقب ما جرى في التعامل مع أسارى غزوة بدر الكبرى في العام الثاني للهجرة، حيث رأى النبيّ ﷺ بعد مشاورة أن يأخذ الفدية من الأسارى، فنزل قوله الله ﷻ: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾ [سورة الأنفال: 67]. يقول القرطبي "فأعلم الله ﷻ نبيَه أن قتل الأسرى الذين فُودُوا ببدر كان أولى من فدائهم"[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حرم طعامه، (8/141 - ح: 6691). و(المغافير): هو صمغ حلو له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط.

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، (9/ 459).

(3) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة عبس، (2/ 558 - ح: 3896). وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(4) الرازي: **مفاتيح الغيب**، (31/ 53).

(5) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (8/ 48).



ونحوه ما كان من العتاب على قبول النبيّ ﷺ أعذار المنافقين إبَّان غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، فنزل قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [سورة التوبة: 43]. يقول صاحب الظلال: "إنه لطف اللّه برسوله، فهو يعجِّل له بالعفو قبل العتاب؛ فلقد توارى المتخلفون خلف إذن الرسول ﷺ لهم بالقعود حين قدموا له المعاذير، وكانوا سيتخلفون عن الركب حتى ولو لم يأذن لهم؛ فعندئذ تتكشف حقيقتهم ويسقط عنهم ثوب النفاق"[1]. وفي طريقة العتاب الرباني إيحاء تربوي لكل مربٍّ أن يُعجِّل بالعفو قبل المحاسبة، فالعفو مقدمًا يبني جسور الوُدِّ ويجعل النقد أدعى للقبول.

ثالثا: ما كان من تقويم إلهي لبعض سلوكات الصحابة رضي الله عنهم

نورد - كمثال- ما تنزّل من تقويمات ربانية تعقيبًا على مواقف تضمنت سلوكات لم تكن لائقة في حقِّ النبيّ ﷺ كطريقة مخاطبته أو مناداته أو سؤاله ونحو ذلك من أدب التعامل والحديث بين يديه أو دخول الناس عليه أو إطالة المكوث عنده، وكذا طريقة مخاطبة نسائه أو أهل بيته عليهم السلام. وحيث إنها كانت آدابًا مرتبطة بشخصه الكريم ﷺ فيبدو أن النبيّ ﷺ كان يترك التعليق عليها حياءً منه؛ كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبيّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ [سورة الأحزاب: 53]، لذا نلاحظ أن الوحي الكريم كان يتدخل ويقدِّم التقويم المناسب للمؤمنين؛ ليضع الأمور في نصابها ويحفظ للنبي ﷺ هيبته ومكانته، ومن الشواهد على ذلك:

أ- ما نزل من آيات قرآنية تضمنت النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبيّ أو في حضرته ﷺ أو الجهر له بالقول كما يجهر الناس لبعضهم، كما أخرج نحو ذلك البخاري عن ابن أَبِي مُلَيْكَةَ، قال: ((كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النبيّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ... فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**﴾ [سورة الحجرات: 2]. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ))[2]. ونحوه حدث حين قدم وفد من أعراب بني تميم على النبيّ ﷺ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَنَادَوْا

---

(1) قطب: **في ظلال القرآن**، (222/5).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبيّ﴾ [سورة



النبيّ ﷺ مِنْ وَرَاءِ حُجْرَتِهِ أَن اخْرُجْ إِلَيْنَا، وكان النبيّ ﷺ نَامَ لِلْقَائِلَة[1]. فأنكر الله تعالى عليهم مناداتهم على النبيّ ﷺ بهذه الطريقة من وراء الحجرات، وبيَّن أنه كان الأجدر بهم الصبر وانتظار النبيّ ﷺ حتى يخرج من بيته، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾ [سورة الحجرات: 5-4].

ب- ما نزل من آيات قرآنية تعظيمًا لمقام النبيّ ﷺ واحترامًا لأهل بيته الكرام، كما حدث في قصة أضياف النبيّ ﷺ يوم زواجه بزينب ﵂ فقد وجّه الله ﷻ نقدًا لبعض السلوكات وأكد على آداب وأحكام ينبغي مراعاتها، يقول أنس بن مالك ﵁: ((لَمَّا تَزَوَّجَ رسول الله ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا النَّاسَ، طَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ. قال: فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ مَنْ قَامَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَبَقِيَ ثَلاثَةٌ. وَإِنَّ النبيّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ،.. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النبيّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا**﴾ [سورة الأحزاب: 53][2]. وقد فصَّل القرطبي[3] في تفسيره هذه الآية فذكر ست عشرة مسألة تضمنت آدابًا وأحكامًا ينبغي مراعاتها تعظيمًا لمقام النبيّ المعلم ﷺ.

ج- ما نزل من آيات قرآنية لتقويم ظاهرة كثرة سؤال الناس للنبيّ ﷺ وطول مناجاتهم له، وقد احتيج إلى ذلك بعد ازدياد أعداد المسلمين وكثرة حاجتهم للاستيضاح عن أحكام الدين، فجاء التقويم التربوي لضبط الأمر تكريمًا للنبي ﷺ وتخفيفًا على الناس، فجاء التحذير من تكلّف السؤال أو الإلحاح فيه أو التعنت في السؤال عما سُكت عنه لما قد يترتب من تشريع يوجب أمرًا لم يكن واجبًا، أو يُحرّم أمرًا كان مباحًا. كما في دلالة حديث سعد بن أبي وقاص ﵁، أن النبيّ ﷺ قال: ((إِنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ))[4]. ويمكن إدراك

الحجرات: 2]، (6/137 - ح: 4845). عبد الله بن أبي مليكة: تابعي، وهذا السياق صورته الإرسال لكن ظهر في آخره أن ابن أبي مليكة حمله عن عبد الله بن الزبير ﵁. انظر: ابن حجر: **فتح الباري**، (8/ 590).

(1) انظر: الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجرات، (5/ 387 - ح: 3267). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب من قام من مجلسه أو بيته، (8/ 61 - ح: 6271).

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (14/ 223).

(4) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، (9/ 95 -ح 7289). (جرمًا) ذنبًا وإثمًا. (من أجل مسألته) بسبب سؤاله.



ذات الدلالة من رواية زَيْد بن ثَابِت ﵁ قال: ((أَنَّ النبيّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي المَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا لَيَالِيَ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً، فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحْنَحُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا زَالَ بِكُمُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ بِهِ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلاَةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ))(1). وفي ذات السياق يروي أبو هُرَيْرَة ﵁ فيقول: ((خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ)). وفي الحديث: "دليل على أن الأشياء على استصحاب حال الإباحة فيما لم ينزل فيه حُكم"(2). وقال ابن رجب: "وأمَّا المسكوتُ عنه، فهو ما لم يُذكر حكمُه بتحليل ولا إيجاب ولا تحريم، فيكون معفوًّا عنه ولا يُسأل عنه ولا حرج على فاعله"(3).

ثم تَنَزَّل وحي كريم في إطار التخفيف عن النبيّ ﷺ وحفظًا لمقامه ومنعًا من إشغاله بالردّ على أسئلة لا ينبني عليها فائدة أو عمل، كما في رواية ابْنِ عَبَّاس ﵄، قَال: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ "فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [سورة المائدة: 101] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا"(4). قال ابن حجر: "والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل إما على سبيل الاستهزاء أو الامتحان، وإما على سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة"(5).

---

(1) المرجع السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، ((9/ 95 - ح: 7290). (يتنحنح) من النحيح وهو الصوت يردد في الجوف.

(2) القاضي عياض، عياض بن موسى، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق، يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1419هـ - 1998م، (4/ 443).

(3) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (2/ 163).

(4) البخاري، صحيح البخاري، **كتاب تفسير القرآن**، باب قوله تعالى: {لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [سورة المائدة: 101] (6/ 54-4622). (قوم) أناس من المنافقين واليهود.

(5) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (8/ 282).



ولمّا كثر الناس حول النبيّ المعلم ﷺ وازدادت مسائلهم وتنوعت؛ جاء التقويم الرباني ليرتقي بمستوى أسئلة الصحابة والمتعلمين رضي الله عنهم لتكون ذات مضمون وأهمية حقيقية تترتب عليها فائدة وعمل؛ لا مجرد أسئلة متكلفة، فشُرعت - في سبيل ذلك - الصدقة تُقدم بين يدي أي سؤال أو مناجاة مع النبيّ ﷺ، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [سورة المجادلة: 12]، وقد شقّ هذا التشريع على المسلمين، حيث استمر هذا الحكم مدة يسيرة - عَشْر لَيَال - ثم نُسِخ[1] في قوله تعالى: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة المجادلة: 13]. وقد كان تشريع الصدقة قبل سؤال النبيّ ﷺ ثم نسخه بعد فترة وجيزة كافيًا لتحقيق التقويم التربوي المطلوب عند الصحابة رضي الله عنهم فتوقفت فوضى السؤال، وعظُمت في قلوب الناس مهابة النبيّ ﷺ، وصار يتحرى الارتقاء بأسلوب ومضمون الأسئلة والحوارات عند مناجاته ﷺ واختيار أنسب الأوقات لها.

رابعًا: تقويم النبيّ ﷺ لطرق الصحابة وأساليبهم التربوية رضي الله عنهم

مارس النبيّ ﷺ عملية التقويم، والتعديل في الطرق والأساليب التي كان أصحابه يتبعونها أثناء الدعوة والتعليم والتربية. ونذكر فيما يلي شواهد على ذلك:

أ. التيسير بدل التعسير: حيث حرص النبيّ ﷺ على توجيه الصحابة لمراعاة حال المخطئ ومنطلق فعله، فأمرهم بتجنب الشدة أو التعسير وأمرهم بالتلطف والتيسير والرفق بالجاهل؛ ومن الشواهد على ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فثار الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[2]. ومن الجدير بالذكر أن التيسير كان وصية النبيّ ﷺ المتكررة لمبعوثيه من القادة والمعلمين والقضاة، كما في وصيته لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قبيل بعثهما إلى اليمن- فقال لهما: ((يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا))[3].

---

(1) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (17/ 303).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب قول النبيّ ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30 - ح: 6128).

(3) المرجع السابق، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع، (4/ 65- ح: 3038).



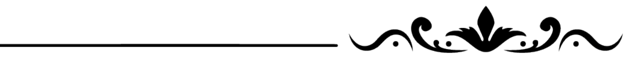
ب. المحاكمة العقلية والحوار بدل الإكراه والإلزام، وشاهده حديث الفتى الشَّاب الذي أتى النبيّ ﷺ يستأذنه بالزنا، فأقبل عليه القوم زاجرين ناهرين: مَهْ. مَهْ، فقال له ﷺ: ((ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قال: فَجَلَسَ قال: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قال: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ.. قال: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))(1)، فكان هذا الأسلوب التربوي الراقي من النبيّ ﷺ والمغاير لفعل الزاجرين والحاضرين؛ حيث قدَّر عدم نجاعة الزجر أو الموعظة أو سرد الأدلة النقلية في حالة هذا الشاب. فقد ظهر من سؤاله معرفته بتحريم الزنا؛ فاختار النبيّ ﷺ طريقة تربوية تتمثل بالحوار الهادئ، والمحاكمة العقلية، وختمها النبيّ بوضع يده المباركة على صدر الشاب والدعاء له؛ مما أسهم بتحقق التغيير الإيجابي فتبدلت القناعات وتغيرت الرغبات.

ج. الرفق بالجاهل وغير القاصد، ومن ذلك ما رواه مُعَاوِيَة بن الْحَكَم السُّلَمِيّ رضي الله عنه، قال: ((بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ - فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي- قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))(2). والشاهد أن الصحابي مُعَاوِيَة بن الْحَكَم السُّلَمِي رضي الله عنه كان ينتظر توبيخًا بعد انتهاء الصلاة، لكن النبيّ ﷺ عدل عن الزجر والتأنيب إلى أسلوب الرفق والتوجيه الحكيم بعد أن أدرك جهل الرجل بالحكم الشرعي، فقدّم له تقويمًا مناسبًا ومختصرًا ينفعه وينفع غيره من الناس دون أن يقلل من قدره أو يجعله سخرية لغيره.

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث أبي أمامة الباهلي، (36/ 545 - ح: 22211).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (381/1 - ح: 537).






الفصل الخامس: استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

1. استراتيجية التقويم المعتمِد على الأداء في السُنّة النبويّة.
2. استراتيجية التقويم المعتمِد على التواصل في السُنّة النبويّة.
3. استراتيجية التقويم المعتمِد على الملاحظة في السُنّة النبويّة.
4. استراتيجية التقويم المعتمِد على المراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة.
5. استراتيجية التقويم المعتمِد على الأقران في السُنّة النبويّة.
6. استراتيجية التقويم المعتمِد على الورقة والقلم في السُنّة النبويّة.






تمهيد

الإسْتراتيجيَّة: لفظ أعجمي مقتبس من اللغة الفرنسية والإنجليزية، وكانت دلالتها في هاتين اللغتين على: "فن قيادة الحرب والجيش". ثم اتسعت دائرة استعمال المصطلح في العصر الحديث ليصبح دالًا على "فنّ التخطيط" أو "فنّ التدبير في جميع مجالات الحياة المعاصرة"(1).

ونجد تعريف "الاسْتراتيجيَّة" في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنها: "فن وعلم وضع خُطط الحرب وإدارة العمليَّات الحربيَّة. أو هي خُطَّة شاملة في أي مجال من المجالات. كما أنها تعبير عن براعة التَّخطيط (2).

وعُرِّفت بأنها: "فن استخدام الإمكانات والوسائل المتاحة بطريقة مُثلى لتحقيق الأهداف المرجوة على أفضل وجه ممكن"(3).

وهي أيضًا: "خطة منظمة ومتكاملة من الإجراءات تضمن تحقيق الأهداف الموضوعة لمدة زمنية محددة"(4).

وعرّفها قاموس المصطلحات الاقتصادية بأنها: "خطة للتعامل مع الظروف المستقبلية غير المؤكدة"(5).

وعرّف "بريش" الاستراتيجية، فقال: بأنها تعبئة الموارد والطاقات البشرية والمادية وتوجيهها لتحقيقٍ أشمل وأوسع وأمثل للأهداف المسطرة والموضوعة(6).

---

(1) انظر: بريش، محمد، **تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي مدخل إلى التغيير الثقافي**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1418هـ - 1997م، (ص: 81).

(2) أحمد مختار وفريق عمل: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (1/ 90).

(3) شحاتة، حسن، والنجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2003م، (ص: 9).

(4) عمادة ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي، **استراتيجيات التعلم والتعليم والتقويم**، (ص: 17). على شبكة الإنترنت. https: //2u. pw/f8YE1

(5) يوسف، محمد حسن، **معجم المصطلحات الاقتصادية**، على المكتبة الشاملة الذهبية، (1/ 40).

(6) انظر: بريش، محمد، **تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي مدخل إلى التغيير الثقافي**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1418هـ - 1997م، (ص: 81).



ومن خلال التعريفات السابقة يمكن بنقاط أن نبرز المعاني التي يتضمنها مفهوم الاستراتيجية، على النحو الآتي:

1. أنها جزء من خطة شاملة منظمة ومتكاملة تبين كيفية تحقيق الأهداف.
2. تتسم بالبراعة في التخطيط والتنفيذ والتنسيق.
3. تستحضر المخاطر والتحديات وتخطط للتعامل مع البدائل والمتغيرات.
4. تستثمر الموارد والطاقات البشرية والمادية بشكل أشمل وأمثل.
5. تتخير حزمة من الطرق والأساليب والإجراءات والمبادئ تتماشى مع المسار الإستراتيجي.
6. كلمة إستراتيجي تعطي دلالة على أن هذا الأمر بالغ الأهمية[1].
7. تتميز بالتركيز على عنصري الإقدام والمخاطرة من جهة، وعنصري استشراف المستقبل وتوقع ردود الفعل من الأطراف الأخرى[2].

وبناء عليه فتصوغ الدراسة تعريفًا اصطلاحيًا للإستراتيجية بأنها: إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات المنهجية المتكاملة والمتناسقة والتي تستثمر الطاقات البشرية وموارد وإمكانات البيئة وظروفها بشكلٍ أشمل وأمثل لتحقيق أهداف خطة معينة.

الاستراتيجية التربوية

عرَّفَت "الحريري" الاستراتيجية التربوية بأنها: "الطريقة المثلى لاتخاذ القرار حول الاستخدام الفاعل للإمكانات المتوفرة، بتحديد الإجراءات التي تكفل الوصول إلى الأهداف المنشودة بدقة ومهارة؛ أي إنها الخطة المنتقاة التي يتم بموجبها تحديد إجراءات التنفيذ بشكل محكم ودقيق بما يضمن تطبيق عملية التعليم والتعلم، وبطريقة مرنة تضمن تحقيق الأهداف المرسومة، وذلك باستغلال كافة الإمكانات المتاحة أقصى استغلال"[3].

---

(1) مسعود، جبران، **معجم الرائد**، المصدر: الشاملة الذهبية (ص: 85).

(2) المرجع السابق

(3) الحريري، **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، (ص: 161).



وعرّف كل من "جيدوري والنجم" الاستراتيجية التربوية بأنها: "مجموعة من الأفكار والمبادئ التي تأخذ في الاعتبار ميادين النشاط التربوي بصورة شاملة متكاملة، وتوجيه أساليب العمل الدائرة فيها، بقصد إحداث تغييرات من أجل الوصول إلى أهداف محددة"(1).

ويمكننا أن نصوغ تعريف الاستراتيجية التربوية، على النحو الآتي:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات المنهجية المتكاملة والمتناسقة والتي تستثمر الطاقات البشرية وموارد وإمكانات البيئة وظروفها بشكل أشمل وأمثل لتسيير عملية التربية والتعليم وتحقيق أهدافها المخطط لها.

استراتيجية التقويم التربوي

بناء على ما سبق من تفصيل فيمكننا أن نعرّف – اجرائيًا- استراتيجية التقويم التربوي بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة والمتناسقة والتي تستثمر الطاقات البشرية وموارد وإمكانات البيئة وظروفها بشكلٍ أشمل وأمثل وتوجيهها للموقف التربوي لوزنه وتقديره أو تتميم نقصه أو تعديل اعوجاجه أو تعزيزه وتطويره في إطار تحقيق أهداف خطة تربوية.

وكما في التعريف فإن استراتيجية التقويم التربوي ليست مجرد طريقة مجردة، أو مهارة منعزلة؛ أو وسيلة مستقلة؛ بل هي إطار واسع جامع ومرن، يتخير فيها التربويون أنسب التقنيات والأساليب والأدوات وتستغل بفاعلية الموارد والإمكانات البشرية والمادية، ضمن حزمة من الإجراءات التفصيلية والفعاليات المترابطة والمبادئ التربوية الداعمة التي تراعي استشراف المستقبل وتستحضر المخاطر والتحديات وتخطط للتعامل مع البدائل والمتغيرات من الأطراف الأخرى، في مسار إستراتيجي منسجم لتحقيق أغراض تقويم خطة تربوية.

---

(1) جيدوري، بشار عوض، والنجم، زياد عبد الكريم، **التطور الدلالي لمفهوم فلسفة التربية**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019م، (ص: 130).





المبحث الأول
استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الأداء

تُعرَّفُ هذه الاستراتيجية في الأدب التربويِّ المعاصر بأنها: قيامُ المتعلم بتوضيح تعلُّمه؛ من خلال توظيف مهاراته في مواقف حياتية حقيقية، أو مواقف تحاكي المواقف الحقيقية، أو قيامه بعروضٍ عملية يُظهِر من خلالها مدى إتقانه لما اكتسب من مهارات، في ضوء النتاجات التعليميَّة المراد إنجازها (1).

ويظهر البعد الاستراتيجي بأن تقويم المتعلم والحكم النهائي عليه يكون ضمن خطة تقويمية مبينة على أساس توجيه متعلم أو أكثر للقيام بأداءات تشكّل بمجموعها مؤشرات على تحقق الهدف التربوي المنشود في مجال ما، ثم رصد هذه الأداءات وتشخيص مستوى جودتها والحكم عليها وتصحيحها وتطويرها وتعزيزها خلال الفترة الزمنية المحددة للتربية والتعليم.

وتصلح هذه الاستراتيجية لتقويم أداء العناصر البشرية المشاركة والمؤثرة في الموقف التربوية، كالمتعلم بالدرجة الأولى والأقران وكذلك المعلم والمشرف والمدير والوالدين ونحوهم.

وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الأداء، بأنها: **إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة والمتناسقة، المبنية على توجيه المتعلم وتحفيزه للقيام بأداءات توضح تعلّمه في مواقف حياتية حقيقية أو تحاكي الحقيقية، يُظهِر من خلال تنفيذها مدى إتقانه لما اكتسبه من معارف ومهارات وقيم، في إطار تحقيق أهداف خطة تربوية.**

وتزداد فعالية التقويم المعتمد على الأداء إذا أُعلِمَ المتعلمون مقدمًا بالعزم على تنفيذ هذا المسار من التقويم وشرحت لهم أبعاده وأثره في الحُكم على تحصيلهم المعرفي أو المهاري؛ مما يتيح فرصة

(1) الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 43).



لفهم أكبر لمعايير التقويم واقتراح تعديلات تطويرية عليها كما ويحسن من جودة الأداء من ناحية وينمّي الدافعية للتعلم.

ومما يميز التقويم المعتمد على الأداء؛ أنه يساعدُ على الربط بين أجزاء المعرفة المختلفة لدى المتعلم، وينمِّي مبادئ التواصل، والاعتماد على الذات، والثقة بالنفس، والقدرة على الإنتاج؛ في محيط الأسرة والمؤسسة التعليمية والمجتمع، كما أنه يحسِّن من مهارات التفكير، ويزيد من القدرة على حلِّ المشكلات(1). وقد أضاف الفريق الوطنيّ الأردنيّ للتقويم(2) ميزات أخرى لاستراتيجية التقويم المعتمد على الأداء، كما في النقاط الآتية:

- يرافق التقويم المعتمد على الأداء تقويم مباشر للأدوار كما هي في واقع الحياة أو يحاكيها بدرجة كبيرة مما يدعم مصداقيته وصدقه.
- يؤدي إلى تقويم متكامل حين يركز على تقويم العمليات البينية والنواتج.
- يتيح للمتعلم دورًا إيجابيًّا وفعالًا في البحث عن المعلومات من عدة مصادر ومعالجتها.
- يمكِّن المتعلم من القيام بعملية التقويم الذاتي في أثناء تنفيذ المهمة أو العمل أو المشروع.
- يمكن أن يشترك المتعلم مع المعلم أو الأقران في وضع وتطوير معايير تقويم الأداء ومستوياتها ويعطي المتعلم فرصة للدِّفاع عن أدائه بالحجج والبراهين لتبريرها.
- يعطي المتعلم والمعلم فرصة أكبر لتعديل إجراءات ومهام التقويم بناء على التغذية الراجعة المتبادلة، مما يساعد في الوصول إلى مستوى عال من جودة الأداء.

وتتعدد أشكال الأداءات التي يمكن أن يوجّه إليها المتعلم والتي تندرج تحت هذه الاستراتيجية والتي تعبر عن إيمان المتعلم وفهمه وتمثّله للقيم وإتقانه للمهارات. ولا شك أن تنوع هذه الأداءات يتأثر بعوامل كالمجال والتخصص ومستوى المتعلم والفروق الفردية ونحوه. وتتطور الأداءات وتتغير حسب ما تسمح به ظروف البيئة وما توفره من إمكانات وأدوات في كل عصر.

---

(1) انظر: إبراهيم، هنادي عيسى، **أساليب وخصائص التقويم المعتمد على الأداء في القرآن الكريم**، مجلة كلية التربية- جامعة أسيوط، مجلد (31)، ع (5)، الجزء (2) 2015م، الصفحات (595-642)، (ص: 606).

(2) الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 43).



فمن هذه الأداءات المستخدمة في عصرنا والتي تندرج تحت هذه الاستراتيجية: العروض التوضيحية التي يقدِّمها المتعلم أمام معلمه وزملائه باستخدام أدوات وبرامج مساعدة، أو تقديم المتعلم حديثًا يحكي فيه تفاصيل تجربة خاضها، أو تنفيذه المحاكاة (لعب الأدوار)، وكذلك أداؤه في المناقشة والمناظرة، وتنفيذه المعارض والمشروعات والمهام الخاصة أو اختراع الحلول وصناعة المعدات(1).

وفي المطالب الآتية نعرض لجملة من الأداءات والتي تندرج تحت تطبيق استراتيجية التقويم المعتمد على الأداء في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

المطلب الأول

الأداء العملي في العبادات

يُعرَّف الأداء العملي - في التربية المعاصرة- بأنه: "مجموعة الإجراءات التي تظهر المعرفة والمهارات والاتجاهات من خلال أداء المتعلم لمهمات محددة ينفذها عمليًّا، كأن يُطلب منه إنتاج مجسم، أو خريطة، أو نموذج، أو استخدام جهاز، أو تصميم برنامج محوسب، أو صيانة محرك سيارة"(2).. ونحوه.

ويمكن تصوره في إطار السُنّة النبويّة بأنه: مجموعة الأداءات التي تعبِّر عن تقبُّل المتعلم – الصحابي- للمعرفة الإيمانية، واستيعابها وتمثُّل القيم الإسلامية والاتجاهات؛ كأن يطلب منه تنفيذ جملة من الشعائر الدينية المناطة بالمسلم والتحلِّي بالأخلاق الإسلامية أوإظهار مؤشرات تدل على انتمائه وتقديمه حبَّ الله تعالى ورسوله ﷺ.

وفي هذا الإطار نجد أن النبيّ ﷺ أكد وبيَّن أن أداء الفرائض التي أمر الله ﷻ بها هو أهم ما على المسلم أن يعتني به، فقال ﷺ في الحديث القدسي: قال الله ﷻ: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ

(1) انظر: دعمس، **استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته**، (ص: 43).

(2) انظر: الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 37).



أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))[1]. ويؤكد ذلك ما رواه طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ ما يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسلامِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فقال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: وَصِيَامُ رَمَضَانَ. قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قال: وَذَكَرَ له رسولُ اللهِ ﷺ الزكاة، قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قال: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ))[2].

والشاهد تحديد النبيّ ﷺ للمتعلمين من أصحابه ﷺ أبرز الأداءات العملية الدينية المطلوبة التي تراعي حق الله تعالى والتي على أساسها يكون التقويم في الدنيا والفلاح في الآخرة. وفي الحديث دليل على أن الفرائض أفضل ما يتقرب به المرء إلى ربه وأنها مقدمة على غيرها من نوافل الأعمال حال التزاحم، يقول ابن دقيق العيد: "فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة"[3].

ومعلوم أن أداء الصلاة كان وما يزال في مقدمة الأداءات وفرائض الإسلام المطلوبة بعد الشهادتين، وكانت حاضرة منذ بداية الدعوة في الفترة المكية، حيث كان المسلم يستخفي بصلاته من المشركين؛ فيصلي في بيته، أو يذهب إلى شِعاب مكة إن رغب في الصلاة مع أخيه. وصف ذلك سعد بن أبي وقاص ﷺ حين كان في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون في شِعب من شعاب مكة؛ إذ ظهر عليه نفر من المشركين، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم[4].

وقد نقل ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب ﷺ مستخفيًا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (8/ 105 - ح: 6502).

(2) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، (1/ 18 - ح: 46).

(3) ابن دقيق العيد: **شرح الأربعين النووية**، (ص: 128).

(4) الحلبي، علي بن إبراهيم، **السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1427 هـ، (1/ 402).

(5) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/ 246).



وبعد استقرار الحال في المدينة المنورة صلَّى النبيّ ﷺ بالناس إمامًا في المسجد النبوي، وكان من تقويمه لأداء الصحابة أن يتفقد الغائب منهم عن صلاة الجماعة، وينكر على المتخلفين عنها، ومن ذلك ما أخرجه مسلم أن رسول الله ﷺ فَقَدَ ناسًا في بعض الصلوات،فقال عن قوم يتخلفون عن الجمعة: ((لَقَدْ هَمَمْتُ أَنَّ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ، بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا، يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ))(1).

ويبدو من ظاهر الحديث أن النبيّ ﷺ لاحظ تخلفًا عن صلاتي العشاء والفجر، فراح يرغِّب أحيانًا، ويحذِّر أحيانًا أخرى، ويهدد بعقاب المتقاعسين، فكان مما قاله ﷺ: ((لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))(2). وعليه فقد كان أداء الصلاة في وقتها ومع الجماعة مؤشرًا على سلامة الإيمان وقوة الإقْبَال، أما التقصير فيها فهو مؤشرٌ على ركاكة الإيمان، ومظنةُ النفاق.

ونحو هذا التقويم كان في بقية العبادات كالصوم والقيام وقراءة القرآن والصدقة الحج والسمع والطاعة والخروج للجهاد والرباط، فقد كان النبيّ ﷺ يتابع أصحابه رضي الله عنهم ويقوّم الأداءات، ويرشد إلى القدر المطلوب، وينهى عن التشدد والغلو، كما جرى في حديث الرهط الثلاثة الذين جاءوا بيوت النبيّ ﷺ يسألون عن عبادته فكأنَّهم تَقالُّوها، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، يصوِّب منهجهم في التفكير والمقارنة والاستنتاج والعبادة، ويؤكد على وجوب التزام سنته والاقتداء به، فقال لهم: ((أَنْتُمُ الذين قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))(3).

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، (1/ 451 - ح: 651).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، (1/ 132 - ح: 657).

(3) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/2 - ح: 5063).



المطلب الثاني

المشروع

يُعرَّف المشروع، بأنه: عمل استقصائي قد يجريه المتعلم بمفرده، أو بالاشتراك مع غيره بهدف حلِّ مشكلة ما أو الإجابة عن سؤال، أو تصميم عمل، أو القيام بتجربة، أو إنجاز مهمة ما، بما يكفل اكتشاف قدرة المتعلم أو إبداعه(1).

وفي دراسة إدارية عرّفت المشروع بأنه: مجموعة أنشطة أو عمليات متسلسلة ومترابطة هدفها الوصول إلى منتج وحيد وفريد في خصائصه، له بداية ونهاية محددتان، كما أنه ذو صفة مؤقتة ويتم تنفيذه بشكل تدريجي، وقد يضم فريق العمل فردًا واحدًا أو فريق عمل(2).

ومن خلال استقراء السُنّة النبويّة أمكن الوقوف على جملة مشروعات نفَّذها الصحابة ﭫ كان غالبها بتوجيه من النبيّ ﷺ وتحت إشرافه، وبعضها كان إبداعًا من الصحابي ﭬ والتي عبَّرت عن الأداء في إطار دعم جهود النبيّ الدعوية والتربوية، وكانت تحقق في ذات الوقت فرصة تقويمية حيث أنها أداءات تكشف عن إيمان المتعلم وتمثّله للقيم وتُعبّر عن المعارف والمهارات المكتسبة.

ونورد فيما يأتي شواهد على مشروعات فردية وأخرى جماعية ذكرت في السُنّة النبويّة:

أولا: المشاريع الفردية:

أ. مشروع عتق الرقاب: بتحريرها وتخليصها من الأسر أو الرق، ولأنه مشروع كبير يعالج قضية مجتمعية ممتدة قديمة؛ فقد شارك في تحمّل مسؤوليته عموم المقتدرين من الصحابة ﭫ وكان ينفذ بشكل فردي حسب الطاقة والإمكانات المتاحة؛ استجابة لتوجيه الله ﷻ في قوله: ﴿**فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾ [سورة البلد: 13]، وامتثالا لتوجيه النبيّ ﷺ في حديث أبي هريرة ﭬ، قال: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ))(3).

---

(1) انظر: هياجنة، أحمد ذيب، **مدى استخدام معلمي اللغة العربية استراتيجيات التقويم البديل**، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، إربد، 2007م، (ص: 61).

(2) انظر: العامري: صالح مهدي، **الخطر في المشاريع مفاهيم أساسية واستراتيجيات الاستجابة**، الأردن، جامعة البتراء، 2007م، (ص: 3).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب العتق، باب فضل العتق، (2/ 1147 - ح: 1509).



وقد اشتهر - من الرعيل الأول - أبو بكر الصديق ﵁ بعتق الرقاب، في إطار التخفيف عن المستضعفين من المسلمين أثناء المرحلة المكية الحرجة، حيث أعتق العديد من الرقاب التي كانت تُعذّب على أيدي كفار قريش، وكان ممن أعتقهم: بلال بن رباح، وحمامة أم بلال، وعامر بن فهيرة، وأبو فكيهة، وزنيرة وابنتها، والنهدية وابنتها، كذا امرأة يقال لها لطيفة، وكذا أخت عامر بن فهيرة ﵃[1]. وعند ابن إسحاق أن أبا قحافة لامَ ابنه لعتقه من أعتق، فقال: "يا بني، إني أراك تُعْتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلتَ أعتقتَ رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونَك؟ فقال أبو بكر ﵁: يَا أَبَتِ، إنِّي إنَّمَا أُرِيدُ ما أُرِيدُ للَّه ﷻ قال: فيتحدَّثُ ما نزلَ هؤلاء الآياتُ إلَّا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾ [سورة الليل: 5]، إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى**﴾ [سورة الليل: 20]"[2].

ب. **مشروع دعوة القبيلة إلى الإسلام**، بمعنى بأن يتحمل الصحابي مسؤولية دعوة قومه إلى الإسلام، وأن يعتبر ذلك مشروعه الذي يأتي به إلى رسول الله ﷺ معبرًا بذلك عن وفائه لدينه، وحبّه لله ولرسوله، وكان منها:

1. مشروع أبي ذَرٍّ الغفاري ﵁:

يعتبر ما فعله هذا الصحابي شاهدًا على هذا النوع من المشروعات، فقد نجح في دعوة قبيلة غفار وإدخالها إلى الإسلام، وكان إنجازه بذلك عظيمًا؛ فقبيلته قبيلة شديدة اشتهرت بالعَدْوِ على الحجيج وسرقتهم[3].

قال النبيّ ﷺ لأبي ذَرٍّ الغفاري ﵁ وقد أسلم مبكرًا في مكة: ((إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ- فتحرك أبو ذَرّ ﵁ مستجيبًا للتوصية النبويّة؛ فأتى أخاه أُنَيْسًا وأمه فأَسْلَما وصدَّقا... ثم ساروا إلى قومهم غِفَار- فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وقال نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رسول الله ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رسول الله ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي، وتبعًا لهم جَاءَتْ قبيلة "أَسْلَم" فقالوا: يا رسول الله إِخْوَتُنَا – يَقْصدون

(1) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (1/ 318).

(2) المرجع السابق، (1/ 319).

(3) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (6/ 545).



غِفَار- نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ))[1]. قال ابن إسحاق: وأبو ذَرٍّ حين أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر، وأُحُد، والخندق، ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد ذلك[2]. وعند الخطابي: أنه كان مع رسول الله ﷺ يوم حنين من قبيلة أَسْلَمَ أربع مائة ومن قبيلة غِفار مثلُ ذلك[3].

2. مشروع الطُّفَيْل بن عَمْرٍو الدَّوْسِيّ رضي الله عنه:

كان الطفيل رجلًا من أشراف اليمن شاعرًا لبيبًا، وسيِّدًا مُطاعًا في قومه، عندما قدم مكة حاولت قريش عزله عن النبيّ ﷺ وتحذيره من شأن الإسلام، لكن الله ﷻ قدَّر له الهداية، فالتقى بالنبيّ ﷺ وسمع منه القرآن ودخل الإســـــلام. ثُمَّ رجع الطفيل فدعا دَوْسًا إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فجاء رسولَ الله ﷺ بمكة شاكيًا، فقال: يا رسول الله، إن دَوْسًا قد عصتْ وأَبَتْ فادْعُ اللَّهَ عليها، فظنَّ الناسُ أنّه يدعُو عليهم، لكن النبيّ ﷺ حثَّه على دوام دعوة قومه والرفق بهم، ودعا لهم بالخير ﷺ فقال: ((اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ))[4]. يقول الطفيل: فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر، وأحد، والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر- في العام السابع للهجرة- حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين[5].

ومن الجدير بالذكر أن أبا هريرة رضي الله عنه كان ممن جاء مسلمًا مع الطفيل رضي الله عنهما، وكان أبو هريرة رضي الله عنه حينها شابًّا نحيلًا لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره تبدو عليه ملامح الفقر الشديد، لكنه بَعْدَ قليل سنوات صار عَلَمًا يفيض عِلْمًا، فكان أكثر مَن نَقل حديث رسول الله ﷺ على وجه البرية[6].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، (4/1919 - ح: 2473).

(2) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (4/ 170).

(3) الخطابي: حمد بن محمد، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دمشق، دار الفكر، 1402هـ- 1982م، (1/ 184).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، (8/ 84 - ح: 6397).

(5) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (1/ 384).

(6) انظر: التُّرباني، جهاد، **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، القاهرة، دار التقوى للطبع والنشر، ط1، 1431هـ- 2010م، (ص: 335).



3. مشروع أَبِي بَصير رضي الله عنه:

تذكر السُنّة النبويّة أن النبيّ ﷺ عقد صلح الحديبية مع قريش ثم رجع إلى المدينة، فجاءه أبو بصير، وكان رجلًا من قريش جاء المدينة مسلمًا، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا "ذا الحليفة"[1]، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، ثم إن أبا بصير استطاع أن يتخلص منهما، فرجع إلى النبيّ ﷺ في المدينة، فقال: يا نبيَّ الله، قد والله أوفى الله ذِمَّتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبيّ ﷺ: ((وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَر حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ. فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ ما يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النبيّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ..))[2].

ويعتبر ما قام به أبو بصير رضي الله عنه بمثابة مشروع إبداعي ناجح، كان له بداية ونهاية، فقد التقط أبو بصير رسالة النبيّ ﷺ ومقالته فيه، وأدرك أنّه سيردُّه إليهم إن بقي في المدينة، فخرج صوب ساحل البحر وأخذ مكانه بين الجبال على طريق قوافل قريش، وصار يتعرض لها فيقطع طريقها مع أصحابه ويستولي عليها. وقد بدأ أبو بصير مشروعه وهو رجل واحد، ثم نَما تدريجيًّا وكبر حتى صار حالة مقلقة لقريش عجزت عن التعامل معها، مما اضطرها لمناشدة النبيّ ﷺ بالله والرَّحم أن يقبل التنازل عن شرطها؛ تخلصًا وفكاكًا من مشروع أبي بصير وأصحابه رضي الله عنهم.

4. مشروع زيد بن ثابت رضي الله عنه لتعلم لغة اليهود:

يأتي تَعلُّم زيد بن ثابت رضي الله عنه لغة اليهود في إطار التوجيه النّبويّ له لإنجاز مشروع فردي يساعد في التعامل مع رسائل اليهود التي كانت ترد النبيّ ﷺ بلغتهم، فتصدى رضي الله عنه لهذا الأمر وأنجزه خلال فترة وجيزة. يقول زيد بن ثابت، قال: ((أَمَرَنِي رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قال: إِنِّي وَاللَّهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ. قال: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ. قال: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ))[3].

---

(1) ذو الحليفة: ويقال لها "أبيار علي"، ميقات أهل المدينة للحج والعمرة، وتبعد عن المسجد النبوي (14)كم.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (3/ 193 - ح: 2731).

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في تعليم السريانية، (5/ 67 - ح: 2715)، وقال حديث حسن صحيح.



ثانيا: المشاريع الجماعية :

ونذكر من المشاريع الجماعية النماذج الآتية:

أ. مشروع الأشعريين التكافلي: وقد امتدحهم النبيّ ﷺ بما يقومون به من مشروع تكافلي يسدُّ حاجة الفقير منهم، وقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: قال: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[1].

ب. بناء المسجد النبوي ويعتبر من أبرز المشاريع التي نفذها الصحابة رضي الله عنهم بتوجيهات من النبيّ ﷺ وشاركهم بنفسه في الحمل والتوجيه[2].

ج. مشروع حفر الخندق حول المدينة استعدادًا للتصدي لجيش الأحزاب القادم إلى المدينة لمحاربة المسلمين، وقد أشار بفكرته سلمان الفارسي رضي الله عنه وأنجزه المسلمون في فترة وجيزة بعد أن قسموا أنفسهم إلى مجموعات عمل منظمة تحفر كل مجموعة مسافة معينة، وشارك النبيّ ﷺ في الحفر بإزالة العقبات المعترضة وبالتوجيه والمتابعة[3].

د. وثمة مشروعات أخرى سجلتها السيرة النبويّة مثل: تعاون المسلمين في تجهيز وتنفيذ العديد من السرايا والغزوات، ومشروع بناء سوق المسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة، والعديد من البعثات الدعوية والتربوي وكتابة الرسائل وإرسال المعلمين والقضاء إلى أنحاء الجزيرة وخارجها.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، (3/ 138 - ح: 2486). (أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام (في إناء واحد) أي: اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض. (بالسوية) متساوين. (فهم مني وأنا منهم) طريقتي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله عز وجل.

(2) المرجع السابق، كتاب الصلاة، باب نبش قبور المشركين، (1/ 94 - ح: 428).

(3) أبو شهبة: **السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسُنّة**، (2/ 277).



المطلب الثالث

إدارة المواقف وحلّ المشكلات

وهو نمط متقدم من أداء المتعلم، يمكن تصوره من خلال ما يظهره من حكمة في إدارة المواقف الحياتية المعترضة وقدرته على الصمود وحلَّ المشكلات التي تواجهه، أو إسهامه في صناعة حلول إبداعية، ومن شواهدها في السُنّة النبويّة نذكر ما يلي:

أبدع سيف الله خالد بن الوليد ﵁ في معركة مؤتة بعد استشهاد القادة الثلاثة؛ فاستطاع بجيش قليل العدد أن يُثْخِنَ في صفوف جيش الروم الكبير، ثم ينسحب محافظًا على من تبقى من جنوده، ويعيدهم إلى المدينة، فاستحق بهذه الإدارة الحكيمة والقيادة الراشدة أن يوصف بأنه سيف من سيوف الله ، كما روى ذلك أنس ﵁ ((أنَّ النبيّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ للناسِ قَبْلَ أنْ يَأْتِيَهُم خَبَرُهُمْ، فقال: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فأصيب، ثم أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثم أَخَذَ ابن رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ من سيوف الله، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِم))(1). ويصف خالد ﵁ ما تكسر من أسياف في يده يوم مؤتة فيقول: ((لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ))(2). وهو بذلك يؤكد شدة تلك المعركة، ويشير إلى بسالته فيها وثباته وعظيم صبره وحسن تدبيره ﵁.

ونحوه ما كان من اقتراح أم سلمة ﵂ يوم صلح الحديبية، حين أشارت على النبيّ ﷺ أن يبدأ بنفسه؛ فيتحلل من إحرامه ويحلق أمام الناس ويذبح هديه؛ وهي بهذه المشورة فكّت عقدة وحلّت مشكلة فرفعت بذلك الحرج عن المسلمين في ذلك الموقف(3) .

وحدّثت أسماء بنت أبي بكر ﵄ عن موقف لها أثناء ترتيب سفرة الطعام وتجهيزه لحمله في الهجرة النبوية، فقالت: ((صنعتُ سُفْرَةَ رسولِ اللهِ ﷺ في بَيتِ أَبي بكرٍ، حينَ أرادَ أن يُهاجِرَ إلى المدينةِ، قالتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ، وَلَا لِسِقَائِهِ ما نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ ما أَجِدُ شَيْئًا

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، (5/ 143 - ح: 4262).

(2) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، (5/ 144 - ح: 4265).

(3) المرجع السابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (193/3 - ح: 2731). أم سَلَمَة هي: هند بنت أبي أمية المخزومية، إحدى زوجات النبيّ محمد ﷺ، ومن السابقين إلى الإسلام.



أَرْبطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي، قال: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ: بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ، فَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ))[1].

ومن الشواهد أيضا أن النبيّ ﷺ أراد ذات ليلة العون في إكرام ضيف نزل به، فاستعان برجل من الأنصار استعد فأخذ الضيف إلى منزله وقام بواجبه وآثره على نفسه وأهل بيته، وفي الصباح قوّم النبيّ ﷺ صنيع الرجل بالثناء عليه وتقديره، كما روى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، ما عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ... فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رسولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قالتْ: لا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قال: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النبيّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ))[2].

المطلب الرابع
المحاكاة ولعب الأدوار

وهو نمط من أداء المتعلم يمارس فيه حركات أو إيماءات أو أدوارًا من خلال الحوار أو المناقشة أو التمثيل، ضمن مواقف تحاكي الواقع، أو تحلُّ مشاكله، وتكشف عن مهارات معرفية، وأدائية متقدمة. وتعرف أيضًا بأنها: طريقة تمثيلية لأدوار شخصيات يختارها المتعلمون، فيبدعون خلالها في التعبير والحوار[3].

ونجد في السيرة النبويّة مواقف عديدة كان يطلب فيها من بعض الصحابة أداءات في إطار المحاكاة ولعب الأدوار؛ كما حدث مع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين طلب منه أن يلعب دورًا يمثّل فيه كأنه فرد من أفراد جيش الأحزاب؛ ليأتي بخبرهم، وقد احتاج النبيّ ﷺ إلى ذلك أثناء غزوة الخندق،

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو، (4/ 54 - ح: 2979).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، (3/ 1624 - ح: 2054).

(3) انظر: سالي وآخرون، **فعالية استخدام استراتيجية المحاكاة في تنمية بعض المفاهيم، المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة**، مجلد (1)، العدد (2)، 2014م، (ص: 293).



وكان ذلك في ليلة شديدة اجتمع فيها على الناس البرد والتعب والخوف، فسأل النبيّ ﷺ أصحابه من يأتيني بخبر القوم؟ فلم يخرج أحد، فأَمرَ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن يقوم فيخترق صفوف العدو، ويجلس بينهم، ويسمع أخبارهم، ويعود دون أن يثير العدو، فذهب حذيفة رضي الله عنه وتجاوز التحديات، وأتقن الدور على أحسن ما يكون، يروي حذيفة رضي الله عنه تفاصيل ذلك، فيقول: ((لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ،فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فأَخْبَرْتُهُ بخَبَرِ القَوْمِ وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: قُمْ يَا نَوْمَانُ))[1]. وعاد حذيفة رضي الله عنه بالأخبار سالمًا في أداء مميز فاستحق ثقة رسول الله ﷺ ونال تقديره، فألبسه عباءته التي كان يصلي بها، وجعله صاحب سرّه[2].

ولعب نعيم بن مسعود رضي الله عنه دور الصديق الناصح أثناء معركة الخندق، مع عطفان وقريش ويهود قريظة، وكان نعيم حديث عهد بالإسلام وكان يخفي أمره، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي- غطفان- لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ له موجّها: ((إِنَّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْت، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ)). فخرج نعيم بن مسعود رضي الله عنه فأوقع بينهم وثبّط من عزيمتهم[3]. وكان لأدائه أثر كبير في التخفيف على المسلمين في يوم الأحزاب.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (3/ 1414 - ح: 1788). (كأنما أَمْشِي فِي حَمَّامٍ) يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس. (قُرِرْتُ) أي بردت وهو جواب فلما أتيته.

(2) ابن كثير: **السيرة النبويّة**، (4/ 35).

(3) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (2/ 229). انظر: ابن كثير: **السيرة النبويّة**، (3/ 214).



ومما يذكر في ذات السياق: الدور التمثيلي الكبير الذي لعبه محمد بن مسلمة مع ثلاثة من الأنصار ﷺ حتى قتلوا كعب بن الأشرف - من سادة يهود بني النضير- وكان قد اظهر العداوة لله ورسوله، حدث ذلك بعد أن سأل رسول الله ﷺ: ((مَنْ لِكَعْبِ بن الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بن مَسْلَمَةَ: يَا رسولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قال: نَعَمْ، قال: ائْذَنْ لِي، فَلْأَقُلْ، قال: قُلْ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ ما بَيْنَهُمَا، وقال: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قال: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ، قال: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قال: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قال: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قال: ما تُرِيدُ؟ قال: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قال: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قال لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قال: يُسَبُّ ابن أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ -يَعْنِي السِّلَاحَ- قال: فَنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بن جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بن بِشْرٍ، قال: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ... فَقَتَلُوهُ))[1].

وفي شاهد آخر أتقن فيه أبو بكر الصديق ﷺ أثناء الهجرة تمثيل الدور وإتقان التورية؛ حماية للنبي ﷺ وتغطية عليه، كما أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ، قال: ((أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لا يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ، فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ))[2]. والشاهد ما قام به أبو بكر الصديق ﷺ من أداء يحاكي فيه دور السيد مع دليله في طريق السفر، وبذلك نجح في كفِّ الطلب عن النبيّ ﷺ أثناء الهجرة.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، (3/ 1425 - ح: 1801).

(2) المرجع السابق، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (5/ 62 - ح: 3911).



المطلب الخامس
التقديم (العرض والإلقاء)

ويُعرَّف "التقديم" في التربية المعاصرة بأنه "أي نشاط يقوم به الطالب في مواجهة المعلم، وبقية الطلبة في صفِّه؛ بغية إظهار قدرته على أداء مهارة ما بشكل طبيعي دون أن يبدو الموقف وكأنه اختبار"[1]. ومن الأمثلة على ذلك إلقاء الشعر، والتمثيل، والمناظرة، والتعبير، وتلاوة القرآن، والتعبير عن موقف مَرَّ به، أو تجربة شخصية ونحو ذلك.

ومن أشهر التجارب الشخصية التي عرضت على النبيّ ﷺ فجمع الناس لأجلها، تلك الرواية التي عرضها عليه تميم الداري رضي الله عنه فيما يعرف بحديث الجسَّاسة، قال النبيّ ﷺ: ((إِنِّي وَاللهِ ما جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا.. الحديث))[2]. ثم ساق النبيّ ﷺ ما أخبره به تميم الداري، وما عرضه من تفاصيل تجربته الشخصية. وفي هذا العرض والتقديم من تميم رضي الله عنه نتيجتان: الأولى: أنه أسهم في تثبيت تميم الداري على إيمانه فهو حديث عهد بالإسلام. والثانية: أسهم في تثبيت المستمعين من الصحابة على إيمانهم، بسبب ما جرى من توافق بين ما أخبر به تميم مع ما أخبرهم به النبيّ ﷺ.

ومن التجارب التي عرضت بين يدي النبيّ ﷺ وأثنى على صنيع أصحابها؛ ما رواه أبو سعيد رضي الله عنه عن نفر من الصحابة عادوا من سفرة سافروها ومعهم قطيع غنم، فذكروا للنبي ﷺ ما حصل معهم من رقية الملدوغ بسورة الفاتحة، وأنهم أعطوا قطيع الغنم مقابل ذلك، فقال ﷺ للراقي: ((وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قال: خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ))[3]. فهو ﷺ استمع لروايتهم، وأقرَّ صنيعهم، وأكَّد جواز الرقية بالفاتحة، وأحلَّ لهم ما أخذوه من أجرة على تلك الرقية.

ومثلها ما عرضه الصحابة رضي الله عنهم من تجربة فريدة أثناء سرية قادها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قرب ساحل البحر، فلما عادوا عرضوا تفاصيل تجربتهم لرسول الله ﷺ وما مرُّوا به من معاناة وصبر، وكيف أكرمهم الله تعالى في تلك السرية، فرزقهم حوتًا عظيمًا على ساحل البحر أكلوا منه شهرًا حتى سمنوا،

---

(1) هياجنة: **مدى استخدام معلمي اللغة العربية استراتيجيات التقويم البديل**، (ص: 61).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجسَّاسة، (4/2261 - ح: 2942).

(3) المرجع السابق، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، (4/1727 -ح: 2201).



وحملوا إلى المدينة من لحمه وشائق. فقال لهم النبيّ ﷺ: ((هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟))[1]. وقد عبَّر النبيّ ﷺ عن تقديره لمعاناة أصحابه في هذه السرية التي سميت بسرية "سِيف البحر" وثمَّنَ صبرهم، وطاعتهم أميرهم، وأن ذلك الحوت رزق من الله تعالى لهم، ومن تفاعله ﷺ مع الموقف سألهم من هذا الرزق المبارك فأرسلوا له فأكل منه.

ومما كان يعرض بين يدي النبيّ ﷺ الشعر، والذي كان آلة نقل الأخبار وتوثيق الأحداث في ذلك العصر، وقد أدرك النبيّ ﷺ ذلك، فاستمع لما يتناقله الناس من شعر مدحًا وهجاءً ونحوه، ثم إن النبيّ ﷺ رأى حاجته لانتخاب شاعر من المسلمين؛ لينافح عنه ويهجو عدوه ويشيع أخباره، كما روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ فَأَرْسَلَ إلى ابن رَوَاحَةَ فقال: اهْجُهُمْ، فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كعْبِ بن مالِك، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بن ثَابِتٍ، فَلَمَّا دخل عليه، قال حَسَّانُ... وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قالت عائشةُ: فَسَمِعْتُ النبيّ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، ما نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى))[2]. والشاهد التشجيع على نظم الشعر القوي المُوَجَّه للذبِّ عن حياض الإسلام والمسلمين.

وكان النبيّ ﷺ يسمح للشعراء بعرض قصائدهم عليه فيستمع لها ويقوِّمها أحيانًا. فارتضى شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه وأثنى عليه، وأتاح الفرصة لغيره من الشعراء ليعرضوا أمامه قصائدهم، فيثني على المجيد ويكرمه كما حدث مع كعب بن زهير بن أبي سُلمى بعد إسلامه حين أنشد أمام النبيّ ﷺ قصيدة "بانت سعاد"[3] امتدح فيها رسول الله ﷺ وأثنى على الصحابة الكرام رضي الله عنهم[4].

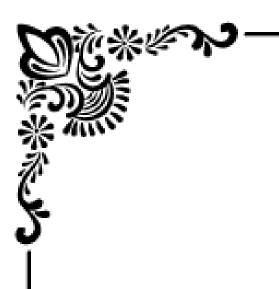
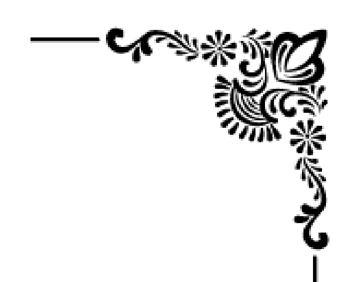
---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة ميتات البحر، (1935).
الوشائق جمع وشيقة، وهي القديد، أو هي اللحم يؤخذ فيغلى ولا ينضج ويحمل في الأسفار.

(2) المرجع السابق، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان، (4/1935 - ح: 2490).

(3) ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (2/ 503).

(4) قصيدة "بانت سعاد"، عُرِضَت بين يدي الرسول ﷺ ورويت من عدة طرق، كلها ضعيف استقلالًا، إلا أن مجموع طرقها يدل على أن لها أصلًا، وشهرتها معروفة في كتب السير والتواريخ، وقد استدل بها كثير من أهل العلم. انظر: موقع الإسلام سؤال وجواب، على شبكة الإنترنت، منشور بتاريخ 2018/3/19م.

المبحث الثاني

استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على التواصل

التواصل لغة من: الفعل وصل، فيقال: وَصَلَ الشيءَ بالشيءِ؛ أي: يَصِلُهُ وَصْلًا وَصِلَةً. وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِع. وَوَصَّلَهُ تَوْصِيْلًا: لَأَمَهُ. وَفِي التنزيل العزيز: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة القصص: 51]؛ أَي: وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبِياءِ وَأَقاصِيْصَ مَنْ مَضَى بَعْضَها بِبَعْضٍ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ. ووَصَلَ بمعنى اتَّصَلَ، والوَصْلُ: ضدُّ الهِجران. والتَواصُلُ: ضد التصارُم والقطيعة. وكل شيء اتَّصلَ بشيء؛ فما بينهما وُصْلَة أي اتِّصالٌ وذريعةٌ [1].

ويُعرَّف الاتصال بأنه: "وسيلة يمكن بواسطتها نقل البيانات، أو المعلومات، أو الحقائق، أو الأفكار بين اثنين أو أكثر؛ عن طريق رسائل شفوية أو مكتوبة أو اعتمادًا على إشارات رمزية لها دلالات معينة يفهمها المستقبِل، من أجل تحقيق فهم جيد بين الأفراد"[2]. ويُعرَّف أيضًا بأنه تفاعلات أو تفاعل بين طرفين أو أكثر في موقف معين لتبادل المعلومات بهدف تحقيق تأثير معين لدى أيّ - أو كل- من الطرفين، أو تبادل رسائل بين طرفين مختلفين باستخدام وسائل - قنوات- للاتصال[3].

ويُعرَّف التقويم بالتواصل في إطاره التربوي: بأنه نشاط تفاعلي بين المعلم وطلبته يقوم على إرسال المعلومات واستقبالها بينهم[4]. وفرّق "القميزي" بين الاتصال والتواصل في إطاره التربوي فقال: الاتصال التربوي: هو عملية موجّهة في البيئة التعليمية لنقل معلومات أو توجيهات أو أفكار من طرف

---

(1) انظر: الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (31/ 79 - 86).

(2) المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب، **مبادئ إدارة الأعمال**، 161 دار، السعودية، (د. ط)، (د. ت)، (ص31).

(3) الصرايرة، إسماعيل محمد، **التحليل الإستراتيجي في إعادة هندسة العمليات الإدارية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع**، (ط1)، عمّان – الأردن، 2012م، (ص: 40).

(4) الظفيري والبشير، **درجة توظيف استراتيجيات التقويم وأدواته**، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، مجلد (15)، عدد (1)، 2021م. (ص: 31).

الآخر، ولكن دون وجود تفاعل في العملية؛ أي بدون انتظار ردة الفعل من الطرف الآخر، بهدف إحداث تأثير في النمط السلوكي للمستقبِل، وبما يخدم تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية. أما التواصل التربوي: فهو عملية تفاعلية مشتركة في البيئة التعليمية لتناقل المعلومات والتوجيهات والأفكار من طرف لآخر، مع انتظار ردود الفعل، بهدف إحداث تأثير في النمط السلوكي للمستقبل... وبما يخدم تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية"(1).

وعُرِّفت استراتيجية التقويم التربوي بالتواصل بأنها: "جمع المعلومات من خلال فعاليات التواصل عن مدى التقدم الذي حقَّقه المتعلم، وكذلك معرفة طبيعة تفكيره، وأسلوبه في حلِّ المشكلات"(2). وهذا التعريف ركَّز جهد التواصل على جمع البيانات عن المتعلم والكشف عن المعلومات المرتبطة بأفكاره وأسلوبه ومستوى تقدُّمِه دون أن يشير إلى جهود المعلم التقويمية للتأثير في المتعلم بالتوجيه والتعزيز والعلاج، والتي هي غرض التواصل الأساسي.

وتُعرِّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم المعتمِد على التواصل بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة المبنية على الاتصال والتواصل الموجّه للموقف التربوي أيًّا كان فاعله، واستثماره في الوزن والتقدير، أو تتميم النقص، أو تعديل الاعوجاج؛ أو التثبيت والتعزيز؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

فهي استراتيجية تعتمد على الاتصال أو التواصل وتشكل منه مسارًا تربويًا هادفًا مشتملًا على النشاطات والوسائل والطرق والمهارات والفعاليات المحقِقة لأشكال التواصل المباشر وغير المباشر؛ والذي تُستثمر في جمع المعلومات عن المتعلمين؛ لمعرفة طبيعة تفكيرهم وميولهم واتجاهاتهم وخلفية مواقفهم وأسلوبهم في مواجهة المشكلات، بقصد وزن وتقدير حالهم والتأثير الإيجابي عليهم في سياق تقويمي يحقق أهداف العملية التربوية.

وتظهر أهمية هذه الاستراتيجية التقويمية في كون التواصل أساسًا في أي علاقة اجتماعية، وهذا ينسحب على أيِّ عملية تعليمية أو تربوية أو دعوية. كما وتبرز أهمية التواصل - أيضًا- في كونه مفيدًا

---

(1) القميزي، حمد عبدالله، **تقنيات التعليم ومهارات الاتصال**، القاهرة – مصر، دار روابط وتقنية المعلومات للنشر، ط2، 2016م، (ص: 123).

(2) انظر: الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 75).



لأطراف العملية التربوية؛ فيكشف المعلم من خلاله طريقةَ تفكير المتعلم وحاجاته وأسلوبه في حلِّ المشكلات، ويحصل على تغذية راجعة تعين على التخطيط الأمثل للتدريس. ومن جانب آخر: فهو مفيدٌ للمتعلم ليطور من قدراته على التعلم ويعينه على مراجعة الذات(1).

ويكون التواصل التربوي فعَّالًا ومحققًا لأهدافه كلما تنوعت أشكاله وأدواته، وكلما كان متاحًا على امتداد الزمان والمكان، وواضحًا بعيدًا عن التشويش، وفي وقته دون تأخير.

ويتميز التقويم التربوي المعتمد على التواصل عمومًا بأنه:

- عملية تعاونية(2) بين أطراف العملية التربوية، فكلما رافق التواصل تفاعل وحرص ومشاركة للمعلومات، وإجابة عن الاستفسارات؛ حقَّقَ التقويم التربوي أغراضه بشكل أفضل.
- الشمول للموضوع أو الشيء المقصود بالتقويم، فإذا أردنا أن نقوِّم أثر المنهج في التلميذ، فعلينا أن نُفعِّل التواصل لرصد مدى التقدم في جميع الجوانب العقلية والمهارية ونحوها(3).
- الاستمرار بالتواصل الفعّال ودون تأخير أو انقطاع، من بداية عملية التعلم حتى نهايتها، مما يسهل الوقوف على مواطن الضعف وعلاجها، ومواطن القوة وتعزيزها(4).
- المرونة: حيث تتعدد أدوات التواصل، وتتنوع أشكاله وفعالياته مراعاة للفروق بين أحوال المستهدفين ومستوياتهم.
- استيعاب وسائل العصر: باستثمار وسائل التواصل المتاحة ضمن البيئة والعصر، وتوظيفها في عمليات التشخيص والتوجيه والوقاية والعلاج.

وفي المطالب الآتية نعرض لجملة من الشواهد على تطبيق استراتيجية التقويم المعتمِد على التواصل وأدواته في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

---

(1) انظر: المرجع السابق، (ص: 75).

(2) العدوان: زيد سليمان، وداود، أحمد عيسى، **استراتيجيات التدريس الحديثة**، عمان - الأردن، مركز ديبونو لتعليم التفكير، ط 1، 2016م، (ص: 210).

(3) انظر: خليفة، عبد السلام الشيباني، **الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي ودورها في تطوير العملية التعليمية**، مصر، مجلة فكر وإبداع، مجلد (86)، 2014م، الصفحات (485-506)، (ص: 490). https://2u.pw/403rVE

(4) المرجع السابق.



المطلب الأول

المقابلة

تعرف المقابلة بأنها "لقاء بين المعلم والمتعلم، يمنح المعلم فرصة الحصول على معلومات تتعلق بأفكار المتعلم واتجاهاته نحو موضوع معين، ويتضمن سلسلة من الأسئلة المعدة مسبقًا، وقد تكون المقابلة فردية أو جماعية"[1]. وتفيد المقابلة في عمليات التشخيص، والاستيضاح، وجمع المعلومات والتوثق منها. وفي السُنّة النبويّة شواهد عليها، نذكر منها ما يلي:

1. مقابلات النبيّ ﷺ في الطائف

ذهب النبيّ ﷺ إلى الطائف فأقام فيها عشرة أيام لا يَدَعُ أحدًا من أشرافها إلا جاءه وكلَّمه، ومما ذكرته السيرة مقابلته مع الإخوة الثلاثة من أشراف ثقيف، وهم: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، أبناء عمرو بن عمير بن عوف[2]. وفي هذه المقابلة دعاهم النبيّ ﷺ إلى الله تعالى، وكلَّمهم طالبًا نصرتهم في نشر الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فرفضوا دعوته وأبوا نصرته[3]. والشاهد: أن النبيّ ﷺ أمضى أيامًا في الطائف يتواصل مع أهلها ويقابل أشرافها قاصدًا الحماية والنصرة إلى جانب الدعوة إلى الله تعالى.

ويُعَدُّ تحرك النبيّ ﷺ ومبادرته للتواصل مع الناس خارج مكة مهمًّا، فمن خلاله استطاع النبيّ ﷺ فحص مدى صلاحية الطائف لتكون حاضنة بديلة للدعوة، وحصل على معلومات واضحة تعبر عن موقف أهل الطائف، وطريقة تفكيرهم، ورَدَّة فعلهم تجاه الدعوة وطلبِ النصرة. ومع أن أهل الطائف رفضوا دعوة النبيّ ﷺ وأساءوا معاملته، فإنهم أخذوا حقهم من التواصل المباشر معه ﷺ والتعرف على شخصه والسماع منه دون واسطة، فأدركوا أنهم مستهدفون بهذه الدعوة كقريش وسائر العرب.

---

(1) المغذوي، **أساليب التقويم في ضوء استراتيجيات التدريس الحديثة**، على شبكة الإنترنت، (ص: 52). https: //2u. pw/q4zycJ

(2) انظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (165/1).

(3) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (419/1).



2. مقابلاته ﷺ الوفود القادمة إلى المدينة.

اشتهر في السيرة أن يُسَمَّى العام التاسع عام الوفود؛ لكثرة ما جاء من وفود قبائل الجزيرة العربية لتعلن إسلامها وولاءها، وقد حدث ذلك بعد دخول قريش وثقيف في الإسلام؛ حيث كانت العرب عمومًا ترقب موقف قريش من أمر الإسلام باعتبارهم غمام الناس وأهل بيت الله، فلما دانوا وفُتِحت مكة وأسلمت ثقيف عرفت باقي القبائل أنه لا طاقة لهم بهم، فوفدت الوفود من كل وجه يدخلون في دين الله أفواجًا(1).

ومما اشتهر من مقابلاته ﷺ والتي جرت في إطار التواصل لتقويم الأفكار وتصحيح العقائد، ما جرى من مقابلات عديدة مع وفد نصارى نجران، وقد كان النبيّ ﷺ قد بعث لهم كتابًا يدعوهم فيه إلى الإسلام، فقَدِموا المدينة(2)، وأجريت معهم حوارات ومقابلات عديدة هدفت إلى تشخيص موقفهم العقدي ودحضه بالحجة. وقد استطاع النبيّ ﷺ خلال المقابلات أن يهزَّ ما استقر في قلوب القوم من معتقدات باطلة في عيسى عليه السلام حتى إنهم خشوا من المباهلة تحسبًا من وقوع أثرها عليهم. ورتَّب النبيّ ﷺ قبل نهاية مقابلاته مع نصارى نجران تواصلًا فعَّالًا بينه وبينهم، وكان بموافقتهم، سواء على الصعيد الاقتصادي بدفع الجزية السنوية، أو على الصعيد الديني حين أرسل معهم أمينَ هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه داعيًا وقاضيًا. روى البخاري عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَال: ((جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ. فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ)) (3).

---

(1) انظر: الفَتَّنِي، محمد طاهر، **مجمع بحار الأنوار**. حيدر أباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387هـ- 1967م، (ج5/ 272).

(2) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (1/ 575).

(3) انظر: البخاري: **صحيح البخاري**، باب المغازي، باب قصة نجران، (5/ 172 - ح: 4380). [(العاقب) صاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح. (السيد) رئيسهم واسمه الأيهم. (صاحبا نجران) من أكابر النصارى فيها. (يلاعناه) يباهلاه بأن يدعو كل فريق بالعذاب على المبطل. (ما سألتنا) الذي طلبته منا من الجزية] .



المطلب الثاني
الأسئلة والأجوبة

يعتبر تبادل الأسئلة وإجاباتها أساسًا في عمليات التربية والتعليم، ومفهومها في إطار التقويم: "أنها أسئلة مباشرة من المعلم إلى المتعلم لرصد مدى تقدمه وجمع معلومات عن طبيعة تفكيره وأسلوبه في حل المشكلات"[1]. ويمكن ملاحظة كثرة الأسئلة التي كان يوجهها النبيّ ﷺ لأصحابه في السُنّة النبويّة في إطار التقويم التربوي، وقد وقفنا على رسالة علمية جمعت أسئلة الرسول في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية[2].

ويمكن ملاحظ تنويع النبيّ ﷺ في أسلوب سؤاله، فأحيانًا كان يستثمر حدثًا فيسأل بشأنه كما في موقفه عند رؤية الشِهاب النازل من السماء[3] وكذا حين سأل عقب مروره بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّت[4]. وأحيانًا أخرى كان يستخدم وسيلة محسوسة ينطلق منها بسؤاله لتوضيح السؤال وأبعاده، فينغرس الموقف التقويمي في الذاكرة العميقة ويكون أدعى لتحقق الغرض التربوي.

ويمكن ملاحظة أنه كان من عادة النبيّ المعلم ﷺ طرح السؤال على المتعلمين وانتظار جوابهم برهة من الزمن ليتيح لهم وقتًا للتفكر وربط التعلمات ببعضها، ويؤثر هذا الأسلوب في شدّ انتباه الحاضرين وتحقيق التشويق قبل تقديم التعليق بالإجابة الشافية.

كما يجدر التنويه أن النبيّ ﷺ كان يُعدّ بعض الوسائل التوضيحية وينفذها بنفسه أمام المتعلمين من أصحابه عند سؤالهم. كالرسم على الرمل، أو الغرز فيه[5]. ومما يميز الوسائل النبويّة أنها سهلة الإعداد والتنفيذ ومستوحاة من البيئة ولا تكلّفَ فيها، مما ييسّر على المتعلم التفاعل معها وفهمها ومن ناحية أخرى يعين على محاكاة الموقف التقويمي ونقله.

---

(1) الثوابتة وفريق عمل: **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 77).

(2) انظر: الجعفري: نعمات محمد، **أسئلة الرسول في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية دراسة حديثية موضوعية**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1427هـ.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (4/1750 - ح: 2229).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، (4/2272 - ح: 2957).

(5) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَرَزَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَرْزًا، ثُمَّ غَرَزَ إِلَى جَنْبِهِ آخَرَ، ثُمَّ غَرَزَ الثَّالِثَ فَأَبْعَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، وَهَذَا أَمَلُهُ يَتَعَاطَى الْأَمَلَ وَالْأَجَلُ، يَخْتَلِجُهُ دُونَ ذَلِكَ)). انظر مسند أحمد، (17/ 212 - ح: 11132). وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.



وفي هذا المقام نذكر نموذجين من هذه الأسئلة النبوية فيما يأتي:

1. سؤال النبيّ ﷺ عن شهب السماء.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبيّ ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: فَإِنَّهَا لا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ..))[1]. والشاهد أن النبيّ ﷺ كان على قرب وتواصل مباشر مع أصحابه الكرام، يستثمر ما يجري من أحداث، ويطرح الأسئلة بشأنها ويستمع للإجابات حولها، ليكون السؤال والجواب مدخلًا لتقويم المفاهيم وتصحيح التصورات وتثبيت الاعتقاد السليم المرتبط بالموقف.

2. سؤال النبيّ ﷺ عن الأمل والحياة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه ((خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وقال: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ- وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا))[2]. وفي رواية عند ابن ماجة: ((فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هذا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ - أَوْ تَنْهَسُهُ - مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ الْأَجَلُ الْمُحِيطُ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْأَمَلُ))[3]. والشاهد في الحديث أنه يُظهر شكلًا من التواصل بين النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فهو يرسم لهم على الرمل أشكالًا وخطوطًا، ويدعوهم لتوجيه

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (4/1750 - ح: 2229).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب الأمل وطوله، (8/ 89 - ح: 6417).

(3) ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، (2/ 1414 - ح:4231).



بصرهم إليها وتأملها، ويسألهم عن دلالتها، وينتظر منهم إجابة، لكنهم يعتذرون بقولهم: الله ورسوله أعلم، ثم تأتي الإجابة في سياق التذكير بقصر الدنيا وفنائها، وأهمية الاستعداد لما بعدها، والتنبُّه من الغفلة، أو الاغترار بطول الأمل. يقول ابن بطال: "في الحديث تنبيه من النبيّ ﷺ لأمته على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف بغتته، فمن غيّب عنه أجله، فهو حريٌّ بتوقعه وانتظاره؛ خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة.. فإن ابن آدم مجبول على الأمل، كما قال ﷺ: ((لَا يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: في حب الدنيا وطول الأمل))[1][2]".

المطلب الثالث

الرسل والمراسلات

يمكن أن يطلق على العام السابع للهجرة عام الرسل والرسائل لكثرة ما كان منها في ذلك العام، الذي تلا صلح الحديبية والذي اعتبر فتحًا أتاح للمسلمين التفرغ لنشر الدعوة بوسائل ذلك العصر ومنها بعث الرسل وتبادل المراسلات. ويظهر جليًا أن النبيّ ﷺ اعتمد استراتيجية التواصل بمراسلة الملوك والأمراء وشيوخ العشائر، وإرسال المبعوثين والدعاة والمعلمين والقضاة إلى أنحاء الجزيرة والدول المجاورة، وتحميلهم في الأثناء رسائل شفوية ومكتوبة تتضمن تعريفًا بالنبيّ ﷺ ودعوته ونحو ذلك من التوصيات والتوجيهات، ومن الأمثلة عليها ما يأتي:

1. المراسلات مع ملك الحبشة

ذكرت كتب السيرة هجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين، وخلالها أوصلوا للنجاشي حاكمها مقالة النبيّ ﷺ في حقِّه والثناء عليه، حين قال: ((لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا))[3]. ثم كتب النبيّ ﷺ للنجاشي كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم وقال: "لو قدرت أن آتيه، لأتيته". وكتب إليه رسول الله ﷺ أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، ثم كتب إليه النبيّ ﷺ أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه رضي الله عنهم

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، (8/ 89 - ح: 6420).

(2) ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**، (150/10).

(3) انظر: ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (321/1).



ويحملهم، ففعل"[1]. والشاهد أن التواصل مع ملك الحبشة بدأ مبكرًا من خلال اللقاء المباشر مع المهاجرين المسلمين القادمين إلى الحبشة، ثم تلا ذلك تبادل المراسلات المكتوبة مع النبيّ ﷺ والتي أثمرت دخول النجاشي في الإسلام، كما أسهمت بتحسين ظروف حياة المهاجرين المسلمين المقيمن في الحبشة؛ فقد مكثوا مدة زادت على عشر سنوات مارسوا خلالها الشعائر الدينية بِحُرّيّة دون خوف وعاشوا حياتهم مكرّمين في بلاد الحبشة. وقد قدَّر النبيّ ﷺ صنيع النجاشي حين وكَّله تزويجه أم حبيبة رضي الله عنها كما أنه صلَّى عليه لمَّا تُوفِّي وأمر الصحابة رضي الله عنهم بالاستغفار له[2]؛ وقد مثّل ذلك رسالة معنوية إلى أهل الحبشة عبَّرت عن عظيم التقدير لما قامت به الحبشة ممثلة بحاكمها وأهلها الكرام في نصرة الإسلام والمسلمين، ويجدر التنويه أن البخاري أورد أحاديث النجاشي في كتاب مناقب الأنصار، ولعل ذلك لاعتبار سبقه غيره بإيواء المسلمين وحمايتهم ونصرتهم.

2. إرسال مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى يثرب قبل الهجرة.

قال ابن سعد في الطبقات: "لما انصرف أهل العقبة الأولى الاثنا عشر، وفشا الإسلام في دور الأنصار أرسلت الأنصار إلى رسول الله ﷺ وكتبت إليه كتابًا: ابعث إلينا رجلًا يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه.. فكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم، فيدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فيُسلِم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام. ثم كتب مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى النبيّ ﷺ يستأذنه في أن يقيم صلاة الجمعة فيهم، فأذن له، وكتب إليه بذلك[3].

والشاهد أن ما جرى من التواصل مع أهل يثرب حقق خيرًا كثيرًا ومباركًا وتقدمًا مطردًا لصالح الدعوة الإسلامية وانتشارها، فقد بدأ ذلك الخير مع ستة رهط خَزْرَجِيِّين، ثم صاروا بعد عام اثني عشر، ثم في العام التالي حضر سبعون منهم في بيعة العقبة الثانية، وتكلل النجاح بدخول الإسلام كل بيوت يثرب، ومن جهة أخرى فقد أحال هذا التواصل الأوس والخزرج من قبيلتين متناحرتين على الكفر إلى كيان مؤمن موحَّد، سُمِّي بعد ذلك بـ "الأنصار" فاستحقوا ثناء الله عليهم وتقديره رضي الله عنهم، قال تعال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

---

(1) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (162/1).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، (51/5 - ح: 3877).

(3) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (87/3).



3. إرسال المعلمين والدعاة

كان من عادة النبيّ ﷺ ومنهجه إذا أسلم أحد من قبيلة بعيدة أن يمكثه بالقرب منه فترة؛ ليصلي هذا الغريب مع أقرانه ويمارس المعايشة مع السابقين من المؤمنين، فيتعلم ما تيسر من أحكام الدين ومبادئ القرآن العظيم، ثم يأمره النبيّ ﷺ بالرجوع إلى قبيلته ليعمل على هدايتها ودعوة أهلها. ومن ذلك ما جرى مع الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسِيّ ومع أبي ذَرٍّ الغفاري رضي الله عنهما حين أُرسل كل منهما إلى قومه داعيًا ومعلمًا. قال النبيّ ﷺ لأبي ذرّ الغفاري: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ))[1].

وبعد الهجرة عمد النبيّ ﷺ إلى إيفاد المعلمين إلى المدن والأنحاء؛ ومما تذكره السيرة النبويّة أن المسلمين أصيبوا أثناء بعض تلك البعثات، فمرةً فقدوا عشرة من المعلمين دفعة واحدة، كانوا أرسلوا إلى عَضَلٍ وَالْقَارَّةِ، بعد أن جاء نفر من هذه القبائل - بعد غزوة أُحُد- فسألوا النبيّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفرًا من أصحابه، حتى إذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز- غدر القوم بهم، فاستشهدوا جميعهم رضي الله عنهم[2].

وفي حادثة أخرى كانت أشد ألمًا، حدثت في صَفَر سنة أربع للهجرة، أصيب فيها المسلمون بسبعين من القُراء، كانوا أرسلوا إلى نجد دعاة ومعلمين، فغُدِر بهم هناك واستشهدوا قرب بئر معونة[3]، وقد حزن المسلمون عليهم حزنًا كبيرًا، كما وصف أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: ((دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ثَلاَثِينَ غَدَاةً، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) [4].

وكان ممن بعثهم إلى اليمن وما حولها معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري[5] وعلي بن أبي

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب قصة زمزم، (4/184 - ح: 3528).

(2) انظر: **المرجع السابق**، (2/ 169).

(3) انظر: **المرجع السابق**، (2/ 183).

(4) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل قول الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا} [سورة آل عمران: 170]، (4/ 21 - ح: 2814).

(5) المرجع السابق، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع، (4/ 65 - ح: 3038).

طالب وخالد بن الوليد ﷺ[1]. وأرسل إلى نجران أبا عبيدة عامر بن الجراح ﷺ[2]، وبعث كتابًا إلى عمرو بن حزم الأنصاري[3] ﷺ واليه على نجران، أمره أن يُفقِّه الناس بالدين ويُعلِّمهم القرآن[4].

4- مراسلات النبيّ ﷺ المكتوبة إلى الملوك وزعماء القبائل.

روى أنس بن مالك ﷺ فقال: ((إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى كِسْرَى، وَقَيْصَرَ، وَالنَّجَاشِيِّ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا بِخَاتَم، فَصَاغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمًا حَلْقَتُهُ فِضَّةً، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله))[5]. والشاهد: تعامل النبيّ ﷺ مع عُرف الأمراء والملوك في شأن توثيق الكتب والرسائل فاتخذ خاتمًا ونقشه باسمه: "محمد رسول الله". وهو شاهد على تطوير الشكل النهائي للرسالة النبويّة المكتوبة واستحداث خاتم مناسب يؤكد موثوقيتها وسلامة مصدرها.

وأرسل النبيّ ﷺ الرسائل إلى القبائل العربية في الجزيرة، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته تفصيلًا وتوثيقًا مطولًا [6] لعشرات الرسائل بلغ نحوًا من (110) رسالة، أشرف رسول الله ﷺ على صياغتها وإملائها وإرسالها إلى القبائل والزعماء والأمراء في الأنحاء والأطراف. ولم يختلف مضمون المراسلات كثيرًا؛ فقد دار محتواها حول نبذ الشِرك، والدعوة للدخول في دين الإسلام العظيم، ويجدر التنويه إلى جملة ملاحظات حول المراسلات النبويّة المكتوبة:

1. أولى النبيّ ﷺ عناية بالمراسلات المكتوبة، والتي بدأت بعد صلح الحديبية، في إطار دعوة الناس، وتقويم عقائدهم، وتثبيت بعض القبائل على الإسلام.
2. اعتنى النبيّ ﷺ بالإشراف المباشر على صياغة الرسائل بلغة سليمة رصينة وبأسلوب ومضمون يراعي ما عليه الأقوام من معتقد.

---

(1) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، (5/ 163 - ح: 4349).

(2) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، (5/ 172 - ح: 4380).

(3) يكنى أبا الضحاك، وأول مشاهده الخندق، واستعمله رَسُول اللَّه ﷺ عَلَى أهل نجران وهو ابْنُ سبع عشرة سنة، بعد أن أسلموا، وكتب لهم كتابًا فِيهِ الفرائض، والسنن، والصدقات، والديات. انظر: الجزري، علي بن أبي مكرم، **أسد الغابة**، تحقيق علي محمد وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م، (4/ 202).

(4) انظر: ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 595).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبيّ ﷺ خاتمًا، (3/ 1656 - ح: 2092).

(6) انظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (1/204 - 222).



3. كان حامل الرسالة من اللباقة بمكان، وكان قادرًا على الحديث بلغة القوم المرسل إليهم، والتعبير عن محتوى الرسالة والأخذ والردّ مما حقَّق مزيدًا من التفاعل مع الرسائل المكتوبة وكان أدعى لتقدير مرسلها وحاملها. يقول ابن سعد في الطبقات: "وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم"[1].

4. كثرة الرسائل النبويّة المكتوبة الموجهة تشير إلى معرفة تفصيلية دقيقة بالجغرافيا البشرية والمكانية عند النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

5. كانت الرسائل النبويّة المكتوبة خطوة مهمة على طريق تقويم معتقد القبائل والأقوام من خلال بناء العلاقة معهم ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام.

6. تفاوتت ردود أفعال الزعماء والقادة عند وصول رسالة النبيّ ﷺ إليهم، فكسرى مزّق الرسالة[2]. والمقوقس اكتفى بإرسال هدية، أما النجاشي فكان الأحسن استجابة حين أسلم، وهكذا.

7. كانت معايير الاستجابة لرسائل النبيّ ﷺ تتمثل في إشهار الإسلام ورفع الأذان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وقد وردت أحاديث تؤكد جعل الأذان علامة الإيمان، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((كَانَ رسول الله ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ))[3].

8. أثمرت هذه المراسلات والرسل والتحركات إلى دخول الناس في دين الله أفواجًا، وتوافد ممثلو الأقوام والقبائل على المدينة المنورة ينالون شرف اللقاء والسماع من النبيّ المعلم ﷺ مباشرة، ويحتكون بمن سبقهم من الصحابة الكرام، ثم يعلنون ويبايعون على إسلامهم وإسلام قبائلهم، ويبدءون بعد ذلك مشوار التلقي والتربية والتعليم، فينهلون من العلم والتزكية.

---

(1) المرجع السابق، (198/1).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى كسرى وقيصر، (8/6 - ح: 4424).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة..، (1/ 288 - ح: 382).



المطلب الرابع
الزيارة

تشمل الزيارة الرحم والأخ في الله والصديق، وكذا زيارات التهنئة بالأفراح والتعزية بالأتراح، وإجابة الدعوة وعيادة المريض ونحوها، وهي مما رغّبت به السُنة النبويّة وطبّقه النبيّ ﷺ وأصحابه الكرام في سياق التواصل التربوي المفضي إلى التناصر والتكافل والتناصح وتوثيق عرى المحبة بين أبناء المجتمع المسلم.

وفيما يأتي شواهد من السُنّة النبويّة على أنماط بعض هذه الزيارات:

أ. الزيارات الأخوية:

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)) (1). والشاهد: ترغيب النبيّ ﷺ في التواصل بالزيارة بين الإخوة والأصحاب، وربط ذلك بمحبة الله ورضاه.

وتذكر السُنّة النبويّة أن النبيّ ﷺ كان يخرج من بيته ليزور أصحابه رضي الله عنهم فيجالسهم في بيوتهم، ويأكل من طعامهم. ومما يروى في ذلك أنه زار ذات يوم - أو ليلة ومعه أبو بكر وعمر- رجلًا من الأنصار، فانطلق فجاءهم بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: ((إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ، فذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قال رسول الله ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(2).

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، (1988/4 - ح: 2567).

(2) المرجع السابق، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، (1609/3 - ح: 2038). (العِذْق) غصن النخل ذو الفروع الحاملة للثمرة، و(البسر) ثمر النخل قبل أن يرطب.



ب. عيادة المريض

عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ عَادَ مريضًا لم يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ. قيل يا رسول الله وما خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قال: جَنَاهَا))[1]. يقول الحافظ ابن حجر: "شبَّه ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر"[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ))[3].

وكان النبيّ ﷺ يعود المرضى ويدعو لهم بالشفاء ويجيب عن أسئلتهم، فقد عاد سعدَ بن مالك ﷺ من مرضٍ أصابه عام حَجَّةِ الوَدَاعِ[4]، وعاد غيره من أصحابه ﷺ، كما روى جابر فقال: ((مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَاشِيَيْنِ، فَأُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَأَفَقْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾ [سورة النساء: 176]))[5].

وكان النبيّ ﷺ يتفقد أحوال المرضى بالسؤال عنهم، وكان يعودهم أحيانًا في ثلة من أصحابه كما روى ذلك عَبْد الله بْنِ عُمَر ﷺ فقال: ((كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟ فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ))[6].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (4/1989 - ح: 2568).

(2) ابن حجر: فتح الباري شرح **صحيح البخاري**، (10/113).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، الأمر باتباع الجنائز، (2/71 - ح: 1240).

(4) المرجع السابق، كتاب مناقب الأنصار، قول النبيّ ﷺ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، (5/69 - ح: 3936).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، (3/1234 - ح: 1616). (الكلالة) قالوا هي اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فإن وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وإن وقع على الموروث فهو على من مات ولا يرثه أحد الأبوين ولا أحد الأولاد.

(6) المرجع السابق، كتاب الجنائز، باب في عيادة المرضى، (2/ 637 - ح: 925). (السباخ) هي جمع سبخة وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.



ج. زيارات الأفراح والأتراح.

حرص النبيّ ﷺ على مشاركة أصحابه والناس أفراحهم وأحزانهم، ومما ورد في ذلك أنه جاء يعود آل جعفر بعد شهادته في مؤتة رضي الله عنه فأتاهم بعد ثلاثة أيام، فقال: ((لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قال: ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي)). يقول عبدِ الله بنِ جعفر رضي الله عنه: ((فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَال ﷺ: ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رؤوسَنَا))[1]. والشاهد أنه ﷺ كان يذهب للتعزية بنفسه ويقدم الدعم اللازم والتوجيه، ويرعى أبناء الشهداء، ويجعل من نفسه قدوة في ذلك.

وفي المقابل كان النبيّ ﷺ يلبِّي دعوة الفرح والعرس، فيحضرها ويأكل من طعامها، ويدعو بالخير لأهلها، فقد أخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: ((لما عَرَّسَ أبو أُسَيْدٍ السَّاعديُّ، دَعَا النبيّ ﷺ وأصحابَه رضي الله عنهم فما صَنَع لهم طعامًا ولا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي تَوْرٍ من حجارة من الليل، فلما فَرَغَ النبيّ ﷺ من الطعام أَمَاثَتْهُ لَهُ فَسَقَتْهُ، تُتْحِفُهُ بذلك))[2].

د. زيارات صلة الرحم.

تضافرت الأحاديث النبويّة في التأكيد على صلة الرحم والقيام بحقِّها، والتحذير من قطعها، ومنها: ما رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قالتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قال: فَهُوَ لَكِ))[3]. وتتحقق صلة الرحم بتكرار الزيارة وإرسال الهدية، وبالمواساة بالمال، وبتقديم المعونة عمومًا، ودوام السؤال والتواصل بما هو متاح من وسائل.

إن مجموع الأحاديث السابقة يؤكد أهمية التواصل بالزيارة بين المسلمين؛ أرحامًا كانوا أو أصدقاءَ وجيرانًا؛ حيث أمر النبيّ ﷺ بذلك وقام بها بنفسه، فهذه الزيارات تحقق أهدافًا تربوية تقويمية عديدة على رأسها تعزيز المحبة والتناصح والتكافل.

---

(1) أبو داود: سنن أبي داود، **كتاب الترجُّل**، باب حلق الرأس، (259/6 - ح: 4192). وصحَّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم، (26/7 - ح: 5182). (تور) إناء من نحاس أو غيره. (أماثته) مرسته وأذابته. (تتحفه) تزيد في سروره وإكرامه.(أبو أُسَيْدٍ السَّاعديّ) هو مالك بن ربيعة، من الخزرج من بني ساعدة، شهد بدرًا والمشاهد كلها، مات سنة ستين، وهو آخر من مات من البدريين. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (10/ 16).

(3) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، (6/8 - ح: 5987).



المطلب الخامس
المؤْتَمر

وهو لقاء مبرمج يعقد بين المعلِّم والمتعلم؛ لتقويم مدى تقدم المتعلم في مشروع معين ضمن فترة معينة، ثم يباشر المعلم بتوجيه أسئلة للمتعلم يدير من خلالها نقاشًا لتحديد الخطوات اللاحقة واللازمة لتحسين تعلّمه[1]. ومما يميّز لقاء المؤتمر أنه يناقش تقرير مهمة سابقة كُلِّف بها المتعلم لتقويمها والبناء عليها ثم الانتقال إلى غيرها. ونجد للمؤْتَمَر بهذا المفهوم والتعريف شواهد في السُنّة النبويّة، نذكر أمثلة منها:

مؤتمرات العقبة

تذكر كتب السيرة أن النبيّ ﷺ بعد عودته من الطائف - قبل الهجرة- صار يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم حَجِّهم، يعرِّفهم بنفسه، ويدعوهم إلى تصديقه والدخول في الإسلام، ويسألهم المنعة. ثم إنه قُدِّر له أن يلتقي بستة رهط خزرجيين، فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا، وواعدهم اللقاء في الموسم التالي[2]. ثم تلا ذلك ثلاثة مؤتمرات في مواسم الحج المتتابعة، على النحو الآتي:

أ. المؤتمر الأول: حضره عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، في إشارة إلى أن الرهط الستة نجحوا في رأب الصدع بين الأوس والخزرج، وتوجيه همة أهل يثرب صوب الدخول في الإسلام[3]. وفي هذا المؤتمر تمت بيعة العقبة الأولى، وعاد العشرة رجال لمتابعة مهمتهم في نشر الدين، وتهيئة يثرب لاستقبال النبيّ ﷺ.

ب. المؤتمر الثاني: وكان مع مصعب بن عمير حين خرج رضي الله عنه من المدينة مع السبعين صوب مكة المكرمة، فوافَوْا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية في موسم الحج قبل الهجرة، فجاء مصعبُ منزلَ النبيّ ﷺ بداية وراح يخبره عن جماعة الأنصار وسرعة إقبالهم على الإسلام؛ فسُرَّ رسول الله ﷺ بكل ما أخبره[4]. وكان تقرير الإنجاز الذي قدَّمه مصعب والاستفسار حوله بمثابة مؤتمر ثنائي بينه وبين النبيّ ﷺ جرى فيه عرض ما تم والترتيب للقادم.

---

(1) انظر: الثوابتة وفريق عمل: **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 80).

(2) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (425/1).

(3) الغضبان، محمد، **المنهج الحركي للسيرة النبويّة**، الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار، ط6، 1411هـ، (157/1).

(4) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (88/3).

ج. المؤتمر الثالث: وتظهر تفاصيله من خلال رواية ابن إسحاق عن كعب بن مالك ﷺ قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: ((فلمَّا فَرَغْنا مِنَ الحجِّ، وكانتِ الليلةُ التي واعدنا رسول الله ﷺ بها.. نِمْنَا تَلِكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رسول الله ﷺ نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا))(1). والرواية تتحدث عن تفاصيل بيعة العقبة الثانية، وفيها تَكَلَّمَ رسول الله ﷺ فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قال: ((أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُم... فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ أبو الهيثم بن التيهان ﷺ فقال: يَا رسول الله، إنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا- يَعْنِي الْيَهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ قال: فَتَبَسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قال: بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ))(2) فبايعوه. ثم قام النبيّ ﷺ بتقسيم المجموعة الكبيرة إلى مجموعات أصغر، فطلب أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبًا، ثم عقدت بيعة إضافية مع هؤلاء النقباء فقال لهم ﷺ: ((أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابن مَرْيَم، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي- يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ- قَالُوا: نَعَمْ))(3)، ثم انفض المؤتمر.

أشكال أخرى للمؤتمرات في السُنّة النبويّة

وثمة أشكال أخرى للمؤتمرات في السُنّة النبويّة تتعدى اللقاء لمناقشة تقرير مهمة سابقة بين معلم ومتعلم إلى مؤتمرات ذات أهداف أخرى، نذكر منها الآتي:

أ. مؤتمر الحج: ويمكن تعريفه بأنه: مؤتمر سنوي ختامي لفعاليات المسلمين في نهاية كل عام، يتميز بكثرة الحاضرين، يترقب فيه المسلمون اللقاء بقادتهم وإخوانهم، فينظِّمون مؤتمرات عديدة مصغرة على هامش فريضة الحج تناقش أوضاع المسلمين، وتحاول تقويم أحوالهم، ثم يختمون حجَّهم بمؤتمر عظيم في ساحة عرفة يعلنون فيه عزة دينهم ويؤكدون على مبادئهم، ويفصحون فيه عن قرارات وتعميمات ويختمونه ببعض التوصيات للحجيج والأمة. يقول ابن باز ﵀: "إن الله - جل وعلا- جعل

---

(1) انظر: ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (441/1).

(2) المرجع السابق، (442/1).

(3) المرجع السابق، (446/1).



موسم الحج مؤتمرًا لعباده، يتوبون إليه من تقصيرهم وذنوبهم، ويتعارفون فيه، ويتشاورون ويتناصحون، ويأتمرون بالمعروف، ويتناهون عن المنكر"[1]. ويقول محمود خطاب ﷺ: "وكان عمر بن الخطاب في خلافته يَعُدُّ مواسم الحج مؤتمرات إسلامية عامة لمحاسبة الولاة والأمراء، والاتصال المباشر بالرعية القادمين من أقطار الإسلام البعيدة والقريبة"[2].

ب. مؤتمر العفو العام، يقول ابن إسحاق: "إن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأن الناس، وقف على باب الكعبة، فخطب في الناس، ومما قاله: ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحجرات: 13]، ثُمَّ قال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، ما تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قال: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ))"[3]. والشاهد: أن ما جرى في هذا الموقف الجامع في مكة المكرمة بعد فتحها كان بمثابة مؤتمر كبير تحقق فيه تقويم بالتواصل المباشر بين النبيّ ﷺ والطلقاء من قريش زال فيه ما بقي من صلف الجاهلية أو التعصب للآباء.

ومن الجدير بالذكر أن الخطاب النّبويّ يوم الفتح لم يأتِ على تذكير قريش بعداوتهم وحروبهم الطويلة مع المسلمين، بل تجاوز كل ذلك وركز النظر تجاه المستقبل والقادم، فأكد على جملة مبادئ عظيمة في هذا الدين الإسلامي كالتوحيد والتقوى والتعارف والتعاون والمساواة. ثم ختم النبيّ ﷺ مؤتمره بسؤال لجموع الحاضرين من قريش أتبعه بعفو عام، فقابلت قريش عفوه وكرمه بالتخلي عن نخوة الجاهلية ولبست ثوب الإسلام طائعة.

ج. مؤتمر النبيّ ﷺ مع أنصار يثرب بعد غزوة حنين: أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((قالَ ناسٌ مِنَ الأنصارِ حِينَ أَفاءَ اللهُ على رسولِه ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ ما أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرسول الله ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدَعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قال أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رسول الله ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ

---

(1) ابن باز، **مجموع فتاوى ابن باز**، أشرَفَ على جَمْعِه وطَبْعِه: محمد بن سعد الشويعر، على المكتبة الشاملة الذهبية، (277/16).

(2) خطاب، محمود شيت، **قادة النبيّ ﷺ دمشق**، دار القلم، ط 2، 1420 هـ- 1999م، (ص: 470).

(3) ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (412/2).



أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ،..الحديث))[1]. والشاهد أن النبيّ ﷺ دعا الأنصار إلى مؤتمر خاص، وأدار معهم حديثًا مزاجه المصارحة والعتاب، فقال لهم ﷺ سائلًا: ما كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟ فقَالَ لَهُ فُقَهَاءِ الأنصار: أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رسول الله فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا..))، فأدرك النبيّ ﷺ حقيقة الأمر وحدوده، ثم هو لم يوبِّخ القوم ولم يزجرهم؛ بل عمد مباشرة إلى شرح دوافعه وتفسير ما فعل، فقال لهم: ((فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ))، ثم طيّب النبيّ ﷺ نفوس الأنصار رضي الله عنهم بموازنة لطيفة عرضها عليهم، فقال: ((أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنبيّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ. قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ قَدْ رَضِينَا))، وختَم النبيّ ﷺ مؤتمره معهم بالتوصية والتحذير، فقال لهم: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا))[2].

المطلب السادس
المعايشة

تندرج المعايشة تحت استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على التواصل، وتُعرّف المعايشة التربوية بأنها: علاقة موجّهة بين المُربِّي والمتربي تقوم على القُرب والاحتكاك المباشر، والاتصال القوي الذي يهدف إلى توجيه المتربِّي وفق المنهج الإسلامي الصحيح، يُظهر المربِّي من خلالها استعداده لمعايشة المتربِّين واستقبالهم والجلوس معهم ويشعرهم بتوفر الوقت والمكان لديه لمعالجة قضاياهم وحلّ مشكلاتهم والعناية بحاجاتهم[3].

ويصف جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه مشهدًا رائعًا من هذه المعايشة النبويّة بين النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وضحكهم حوله وتبسمه معهم ﷺ بعد صلاة الفجر من كل يوم، فيقول: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَيَتَحَدَّثُ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ حَدِيثَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُنْشِدُونَ الشِّعْرَ وَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ ﷺ))[4].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبيّ ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (4/ 94 - ح: 3147).

(2) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (5/158 - ح: 4331).

(3) البطاطي، **سالم أحمد، المعايشة التربوية**، (د. ط). الرياض: دار الوطن للنشر، 2016م، (ص: 8).

(4) النسائي: **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**، كتاب السهو، باب قعود الإمام في مصلاه بعد التسليم،



وفي السُنّة النبويّة ورد التأكيد على فضل الخلطة والمعايشة وأنها استراتيجية نبوية مفيدة ومؤثرة في التربية والتعليم والتقويم، انطلاقًا من قول ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ))[1].

ومن الجدير بالذكر أن المعايشة عملية تشاركية تفاعلية، تتطلب إيجابية وإقبالًا متبادلًا وانفتاحًا، أما العزلة بسبب الخجل أو الكِبْر ونحوه، فتحرم صاحبها من خير كثير، فقد ورد في السُنّة النبويّة ((أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رسول الله ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقفَا عَلَى رسول الله ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رسول الله ﷺ قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ))[2]. والشاهد أن الرجل الأول الذي أقبل فجلس بين أقرانه في حضرة النبيّ المعلمﷺ نال ثناء وتعزيزًا وخيرًا كثيرًا وتوفيقًا من الله تعالى.

ويمكن تتبع العديد من التطبيقات المندرجة تحت التواصل بالمعايشة في السُنّة النبوية على النحو الآتي:

أ. تبادل السؤال عن الإنجازات والأحوال، وسماع الرؤيا وتأويلها

كان النبيّ ﷺ يستعلم عن أحوال أصحابه رضي الله عنهم ويسألهم مباشرة عن برامجهم الاجتماعية والدينية، ثم يقدم التوجيه المناسب، ومن ذلك أنه ﷺ سأل ذات صباح، فقال: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً، قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قال أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ما اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[3].

وكان من عادته ﷺ أن يسأل إن كان ثمة من رأى رؤيا، فيسمعها منه، ثم يبسط في تأويلها

(3/ 80 - ح: 1358). وصحَّحه الألباني في **صحيح وضعيف سنن النسائي** (ح: 1358).

(1) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (2/ 1338 - ح: 4032). وصحَّحه الألباني في **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه** (ح: 4032).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، (1/ 24 - ح: 6).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، (2/ 713 - ح: 1028).



وبالتوجيه والنصح بعدها. وقد روى نحوًا من ذلك ابن عباس ﵄ فقال: إن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه ﵃ : ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا أَعْبُرْهَا لَهُ))[1]. وأحيانًا كان يقصّ عليهم رؤيا له ﷺ[2]. وأحيانًا أخرى كانت تنقل له الرؤيا - على لسان أحد الناس- فيفسرها ويقدّم التوجيه والتقويم التربوي لصاحبها، كما في رواية أم المؤمنين حفصة ﵂ حين قصَّت على النبيّ ﷺ رؤيا لأخيها عبد الله بن عمر ﵄ فقال ﷺ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا))[3]. والشاهد أن التوجيهات النبويّة عقب سؤال النبيّ ﷺ عن الأحوال وسماع الرؤيا وتأويلها كانت تأتي في سياق الدعم النفسي، والتقويم السلوكي للرائي، كما حدث مع ابن عمر ﵄ فقد أحدث تأويل الرؤيا له دافعًا ليقبل على قيام الليل فكان لا ينام من الليل إلا قليلًا.

ب. تفقد الغائبين

كان النبيّ ﷺ يتفقد الغائب من أصحابه - عمومًا-، ويبدي اهتمامه به ويسأل عنه، ومن ذلك أنه لاحظ غياب مسلمٍ كان يعتني بنظافة المسجد النبوي، فسأل عنه، ثم سار إلى قبره فصلّى عليه، كما في رواية أَبِي هُرَيْرَة ﵁: ((أَنَّ أَسْوَدَ رَجُلًا - أَوِ امْرَأَةً - كَانَ يَكُونُ فِي المَسْجِدِ يَقُمُّ المَسْجِدَ، فَمَاتَ وَلَمْ يَعْلَمُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الإِنْسَانُ؟ قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلاَ آذَنْتُمُونِي؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا - قِصَّتُهُ - قَالَ: فَحَقَرُوا شَأْنَهُ، قَالَ: «فَدُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ))[4].

وكان من منهجه ﷺ أن يتفقد المجاهدين ويسأل عن جرحاهم وشهدائهم، ومن ذلك ما فعله حين افتقد جليبيبًا ﵁ فِي مَغْزًى لَهُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا

---

(1) المرجع السابق، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، (4/ 1777 - ح: 2269).

(2) المرجع السابق، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، (4/ 1779 - ح: 2270).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، (2/ 49 - ح: 1121).

(4) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن، (2/ 89 - ح: 1337). يَقُمُّ المَسْجِدَ: يكنسه وينظّفه. (فحقروا شأنه) لم يهتموا به كثيرًا فلم يخبروا النبي ﷺ بشأن وفاته.



مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا [1]. وكذا عندما افتقد غياب كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك فَقَال: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوك: ((مَا فَعَلَ كَعْبٌ))[2]. والشاهد في الأحاديث السابقة أن هذا التفقد للغائبين كان ينطلق من الخلطة والمعايشة. وكان يترك أثرًا إيجابيًا عظيمًا في نفس المتعلمين فيزيد من إقبالهم على طلب العلم وحضور مجالسه، ويعزز من الانتماء للجماعة والاخلاص لها. وفي الأحاديث دلالة على تواضعه عليه السلام ورعايته الناس عمومًا والضعفاء خصوصًا والسؤال عنهم وتفقد أحوالهم.

ج. عمارة المسجد

لقد ربطت العديد من التشريعات التعبدية بالمسجد، وكان لذلك بُعدٌ تربوي تقويمي عظيم يسهم في تعزيز روح الجماعة، وتزكية نفس المسلم. ففي المسجد يقف المتعلم مع إخوانه وشيوخه ومعلميه بين يدي الله في صفوف الصلاة يذكرون الله ويسبحونه، ويحدث - في الأثناء - تبادل السلام والتعارف والتَوَادُّ والتعاون والسؤال عن الأحوال، ويبثُّ الجليس الصالح عِلْمَه إلى أقرانه، وتحمي الجماعةُ بسياجها أبناءَها، وتصونهم من الانحراف أو الضياع.

ونجد أن النبيّ ﷺ حرص على بناء المساجد فور هجرته إلى يثرب، وكان يشارك في عمارتها المادية والمعنوية بنفسه، ويوصي أصحابه رضي الله عنهم بالصلاة والاعتكاف فيها والذكر وحضور دروس العلم.

وقد رغَّب النبيّ ﷺ في المشي إلى المساجد وتلبية أذانها، فقال ﷺ: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ما يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قال: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَى إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[3]. وإن هذا التردد اليومي للمسلم على المساجد مظنة تفعيل المعايشة التربوية والتي لها أثرها التقويمي المبارك في صلاح نفس الفرد واستقامتها وتقوية بناء الجماعة المسلمة وتوحيدها.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب، (4/ 1918 - ح: 2472).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، (3/6 - ح: 4418).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (1/ 219 - ح: 251).
أي: الرباط المرغب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة، قيل: ويحتمل أنه (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) أي أفضل الرباط كما قيل الجهاد جهاد النفس، ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن؛ أي: إنه من أنواع الرباط. انظر: النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (3/ 141).



د. مجالس القضاء والفتيا والتفسير

من المعلوم أن من مهام الأنبياء "الحكم بين الناس" فيما شجر بينهم، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ [سورة النساء: 105]، وقد كُتب في الصحيفة بين أهل يثرب بعد الهجرة النبويّة مباشرة: ((وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ))[1]. وكان يتم الاستثمار التربوي التقويمي لما يرِد من مواقف قضائية، فتزداد فرصة اكتشاف الأخطاء وتعديل السلوكات وتصحيح المفاهيم؛ فعلى سبيل المثال: يمكن ملاحظة تأكيد النبيّ ﷺ على أهمية الوازع الديني الداخلي والخوف من عذاب الله في الآخرة، وتعويله عليه ليكون مانعًا من حرف مسار العدالة، فكان يحذّر قائلًا: ((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ ما أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))[2].

ومن أمثلة قضائه ﷺ ما حكم فيه بشأن المخزومية التي سَرقت، فبعد أن قضى النبيّ ﷺ في حكم قطع يدها؛ جرت تدخلات ومحاولات لتعطيل تنفيذ الحكم لشرف المرأة وعائلتها، فاستثمر ذاك الموقف للتحذير على داء كان يصيب الأفراد والجماعات ويعجّل في هلاكها، فقال ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))[3]. وقد جمع الطلاعي (ت: 497 هـ) في كتابه "أقضية النبيّ ﷺ" نحوًا من ثمانين موقفًا قضى فيها النبي ﷺ.

ولم تذكر السُنّة النبويّة تخصيص مجالس للفتيا[4] أو لتفسير القرآن الكريم؛ فقد كانت المعايشة كفيلة بإتاحة الفرصة للسؤال والاستفسار وسماع الفتيا في شؤون الدين وأحكامه، وتفسير بعض آي القرآن الكريم. ومن الطبيعي أن تكون للمتعلمين أسئلة كثيرة ويومية حول العقيدة، والعبادات، وتفصيلات أحكام الشريعة والأخلاق. ومن ذلك ما ورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

---

(1) انظر: ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (ج504/1).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، (69/9 - ح: 7168).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، (1315/3 - ح: 1688).

(4) انظر على الإنترنت كتاب جمعت فيه فتاوى النبيّ ﷺ:عليوي، ابن خليفة، **المنتقى في بيان فتاوى المصطفى** ﷺ، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ- 1992م. https: //ebook. univeyes. com/48520#.



قال: ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النبيّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾ [سورة الجمعة: 3]، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ- مِنْ هَؤُلاَءِ))[1].

ونحوه ما نقل عن استفسار الصحابة رضي الله عنهم عن أكبر الذنوب. يقول عَبْد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: ((سَأَلْتُ - أَوْ سُئِلَ- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ، قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ. قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ**﴾ [سورة الفرقان: 68]))[2].

ومنه أيضًا سؤال أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[3].

هـ - مجالس الشورى

تُعَد الشورى ومجالسها واحدة من التطبيقات العملية التي اعتمد عليها النبيّ ﷺ أثناء معايشته أصحابه، فمن خلالها كان يُري الناس- فِعلًا- أنهم شركاء حقيقيون في حمل الدعوة، فيبادرون لتحمل المسؤولية ويقدمون أحسن ما لديهم من أفكار داعمة.

وفي مواقف كثيرة كان النبيّ ﷺ وأثناء معايشته يتواصل مع أصحابه رضي الله عنهم فيتبادل معهم الرأي والمشورة فيما لم ينزل به وحي، انطلاقًا من التوجيه الرباني له ﷺ يأمره بالشورى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [سورة آل عمران: 159].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [سورة الجمعة: 3]، (6/ 151 - 4897).

(2) المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة الفرقان: 68]، (6/ 109 - ح: 4761).

(3) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل؟، (1/ 11 - ح: 11)



ومما ذكرته السُنّة النبويّة أنه ﷺ شاور أصحابه ﭫ قبيل المضي لملاقاة المشركين في بدر[1] وعند تحديد موقع معركتها، وحين التصرف بأسرى المشركين بعدها، وقبيل غزوة الأحزاب فحفروا الخندق على إثرها، وكان ﷺ قد طلب مشورة الناس حين رُمي أهله بالإفك[2]. وفي وقت آخر أخذ بمشورة أم سلمة يوم الحديبية[3].

و. الملتقيات التربوية

وهي برامج تربوية تواصلية تفاعلية تعايشية هادفة ومنظمة، تستمر أيامًا، يجتمع المعلم فيها بالمتعلمين، في بيئة تربوية معدّة، تتيح فرصة لتواصل أكبر وتعلم أسرع وتدريب وتربية وتقويم مباشر.

ومن صورة الملتقيات التربوية في السُنّة النبويّة أن يأتي الرجل وحده أو معه جماعة آخرون من مكان بعيد عن المدينة، فيدخلون الإسلام أو يأتون يطلبون العلم الشرعي وشرف الصحبة والمعايشة النبويّة، فيمكثون في بيئة المسجد وما حوله مدة، قريبين من النبيّ ﷺ يتعلمون منه ويتزكون ويختلطون بإخوانهم المسلمين، ويتعايشون معهم، ومن ثم يرجعون إلى قومهم معلمين.

ونجد من الشواهد على هذه الملتقيات ما أخرجه البخاري عن مَالِك بن الحُوَيْرِث ﭬ قال: ((أَتَيْنَا النبيّ ﷺ ونَحْنُ شببَةٌ مُتقاربونَ، فأقَمْنا عنده عِشرينَ يومًا وليلة، وكانَ رسولُ الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلَمَّا ظنَّ أنَّا قد اشتَهَيْنا أهلَنَا أوْ قَدِ اشْتَقْنَا، سألَنَا عَمَّنْ ترَكْنَا بعدَنَا، فأخبَرْنَاه، قال: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وصلّوا كما رأيتموني أصلّي، فإذا حضرت الصلاة فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أكبركم))[4]. والشاهد في الحديث: ما تضمنه من بقاء ثلة من شباب الصحابة ﭫ عشرين يومًا بالقرب من النبي ﷺ حتى إذا أخذوا حظهم من العلم والتربية والتقويم أثناء المعايشة عادوا إلى أهليهم معلمين.

وفي الحديث إيحاء لفضل الخروج في سبيل الله والرحلة في طلب العلم والصبر على ما يلقاه في أثناء ذلك.

---

(1) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (10/2).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب قوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} (113/9 - ح: 7369).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (193/3 - ح: 2731).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، (129/1 - ح: 631).

ومن الجدير بالذكر أن الملتقيات التربوية يمكن أن تنعقد في ظل أجواء النفير، مما سيجعلها أكثر عمقًا وتأثيرًا بسبب تميز بيئة النفير وطبيعة المهام فيها واختلاف التحديات، وكذلك المشاركة النوعية من الدعاة والمجاهدين، وهذا مؤثر في توفير فرص تربوية أكبر للتقويم عمومًا في ظل المعايشة بعيدًا عن التأثيرات الجانبية والتزامات الأسرة.

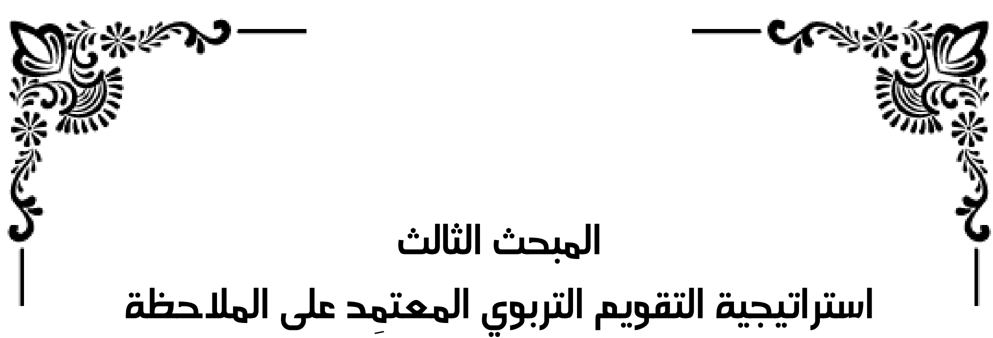
قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [سورة التوبة: 122]، يقول سيد: "والذي يستقيم عندنا في تفسير الآية أن المؤمنين لا ينفرون كافة؛ ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة، على التناوب بين من ينفرون ومن يبقون؛ لتتفقه هذه الطائفة في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة، وتنذر الباقين من قومها إذا رجعت إليهم بما رأته وما فقهته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة"(1).

ويرى البغدادي رحمه الله في كتابه **"الرحلة في طلب الحديث" أن** الآية تبقى مظلة لكل من رحل في طلب العلم والفقه ورجع به إلى مَنْ وراءَه فعلّمهم إياه(2).

(1) قطب: **في ظلال القرآن**، (5/ 311).

(2) انظر: البغدادي، أحمد بن علي، **الرحلة في طلب الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ.، (ص: 87).





المبحث الثالث
استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الملاحظة

المُلاحَظَة لغةً: المراقبة والتوجيه، ومنه مُلاحِظ العُمّال، أي: مراقبهم والمشرف عليهم[1]. وفي معجم اللغة العربية، الملاحظة هي: "مشاهدة يقظة للظواهر كما هي بدون تغيير أو تبديل، وتسجيل ما يبدو عليها لغرض علمي أو عملي"[2]. كما وتُعرَّف الملاحظة بأنها: عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظاهرات والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية، ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها، بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات، والتنبؤ بسلوك الظاهرة أو توجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته[3].

وتُعرَّف الملاحظة تربويًّا بأنها: مراقبةُ استجابات المتعلم لمثيرات معينة، عند قيامه بواجبات وأنشطة محددة. ويمكن استخدامها في مراقبة التفاعل اللفظي في أثناء عملية التعلم، وفي معرفة طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المعلم والمتعلمين، وبين المتعلمين بعضهم ببعض، وفي معرفة التغير في السلوك وطريقة التفكير ومستوياته[4].

ويُعرَّف "التقويم التربوي بالملاحظة"، بأنه: "عملية يتوجّه فيها المعلم أو الملاحظ بحواسه المختلفة نحو المتعلم بقصد مراقبته في موقف نشط، وذلك من أجل الحصول على معلومات تفيد في الحكم عليه وفي تقويم مهاراته وقيمه وسلوكه وأخلاقياته وطريقة تفكيره"[5].

---

(1) قلعجي، محمد. وقنيبي، حامد، **معجم لغة الفقهاء**، بيروت- لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1408هـ- 1988م، (ص: 457).

(2) أحمد مختار وفريق عمل: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (3/ 1998).

(3) دويدري، رجاء وحيد، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ط 1، 2000، (ص: 317).

(4) عيد، يحيى إسماعيل، **التقويم التربوي الجامعي في علوم الشريعة**، ضمن بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، تحرير فتحي ملكاوي ومحمد أبو سلّ، ص (111-152)، ط 1، 1416هـ - 1995م، (2/ 129).

(5) خوالدة، **التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي**، (ص: 66).



وتُعرّف الدراسة الحالية "استراتيجية التقويم المعتمد على الملاحظة" بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المعلم أو المربّي من توجيه واستثمارٍ أشمل وأمثل للحواس وتفعيل أدواتها لرصد ومراقبة الموقف التربوي أيًّا كان فاعله، واستثمارها في وزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

وللتقويم التربوي بالملاحظة ميزات عديدة أهمها:

- يحدث من خلال الملاحظة تقويم سلوكي عملي مباشر يتقدم على وسائل التقويم الأخرى التي تحتاج عادة مزيدًا من الوقت في الإعداد والتنفيذ.
- تمكِّن الملاحظة المعلم من إصدار الأحكام على الميول والاتجاهات، ومدى الالتزام بالقيم والمبادئ، وسرعة تطبيق الأداءات ومستوى الجودة فيها، ونحوه مما يظهر من خلال السلوك ولحن القول، كما في دلالة قوله تعالى: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ [سورة محمد: 30].
- يتسع هامش التقويم بالملاحظة فيتجاوز الحيز المكاني للحجرة الصفية أو المؤسسة التعليمية؛ حيث يمكن تفعيلها بالتنسيق مع الوالدين والأقران ومن كان في حكمهم للتعاون في مراحل التقويم وتبادل التغذية الراجعة التي تصبّ في صالح المتعلم والعملية التربوية.
- توفر الملاحظة فرصة أكبر للرصد من خلال المراقبة الدائمة أو المراقبة المتقطعة، والتي من خلالها يمكن تتبع أي تقدم أو تراجع أو تغير في سلوك المتعلم أو أدائه، وتوفر فرصة للتشخيص والمعالجة الفورية.
- تتقدم الملاحظة على غيرها من استراتيجيات التقويم بتجاوزها ما يحدث عادة من الإحساس بالرهبة التي تحدثها أجواء الاختبارات والمقابلات، وبالتالي فهي تزيد فرصة حصول المقوِّمين على معلومات أكثر واقعية وأعظم مصداقية قد يصعب جمعها بطرق التقويم الأخرى.



المطلب الأول
الأدلة الشرعية على الملاحظة التقويمية

يمكن تتبع بعض نصوص السُنّة النبويّة الدالة على الملاحظة التقويمية، نذكر منها قول النبيّ ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))[1]. والحديث يميّز بين نوعين من الملاحظة:

- النوع الأول: ملاحظة إيجابية يعقبها اتخاذ موقف يُعبَّر عنه بالتغيير باليد أو اللسان أو القلب.

- النوع الآخر: ملاحظة سلبية مذمومة يكتفي صاحبها بالمشاهدة ولا يكترث، بل يترك ما عليه من واجب في تحمل المسؤولية لإزالة المنكر الحاصل وتقويم مرتكبه، كما بيَّن ﷻ فقال: ﴿**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [سورة المائدة: 79]، وإن خطورة هذا المسلك المتمثل بترك التناهي عما يراه المسلم من منكرات أنه يؤدي إلى اعتيادها وتقبلها مع مرور الوقت وتسهيل انتشارها دون مقاومة أو إنكار، وهذا مؤثر في ظهور الفساد وانتشاره في البر والبحر.

وقد جاءت التوصية النبويّة بضرورة أداء كل مسلم لمسؤولية التقويم والمراقبة من خلال القيام بواجب الرعاية، كما في قوله ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[2]. والشاهد: أن الرعاية تتطلب دوام تفعيل أدوات الملاحظة والمراقبة وتحمّل المسؤولية في الإرشاد وإسداء النصح والإصلاح.

ويعد حديث "السفينة" من أبرز الأدلة الداعية لتفعيل الملاحظة وما يتبعها من إجراءات تقويمية لازمة تحفظ الفرد والمجتمع وتصونهما، يقول النبيّ ﷺ: ((مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا،

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (1/ 69 - ح: 49).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (2/ 5 - ح: 893).



فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"[1]. والشاهد أنه يجدر بأصحاب أي مجتمع - صغر أو كبر- الانتباه والحذر من الفساد والمفسدين، وتفعيل أدوات الملاحظة والمراقبة لما يدور من حولهم وما قد يهدد أمنهم أو سلامة دينهم ودنياهم، وتحمل المسؤولية تجاه ذلك.

ويجدر التنويه إلى أن نتائج التقويم بالملاحظة ستكون أكثر دقة كلما تكررت الملاحظة أو تنوعت مصادرها؛ فهذا يدعم مصداقيتها ويقيها من خطأ الحواس أو التحيز أو التسرع؛ ويمكن فهم هذا المعنى من التوجيه الإلهي الداعي لتكرار الملاحظة بالنظر مرة بعد مرة، في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ [سورة الملك: 4-3]، قال ابن جزي: "أي: انظر نظرًا بعد نظر للتثبت والتحقق"[2].

المطلب الثاني
أنواع الملاحظة التقويمية

يمكن تقسيم أنواع الملاحظة بأكثر من طريقة:

أ. فيمكن أن تكون فردية ينفذها ملاحظ واحد كالمعلم مثلًا، وقد يشترك فيها مع المعلم معلم آخر أو بعض الأقران أو الوالدان ونحوهم.

ب. ويمكن أن تكون الملاحظة خارجية بحيث يبقى الملاحظ على مسافة من المتعلمين غير مختلط بهم فيرصد ويلاحظ عن بُعد دون أن يؤثر أو يتدخل. وبالمقابل فثمة ملاحظة داخلية وفيها ينخرط فيها الملاحظ مع فريق المتعلمين المستهدفين؛ فيكون قادرًا على إحداث مثيرات ورصد الاستجابات عن قرب ثم إجراء التقويم المناسب بشكل مباشر.

ج. وكذلك يمكن أن تكون الملاحظة بسيطة غير مخطط لها تتم ضمن المعايشة المجتمعية أو المدرسية أو الأسرية، وهي وإن كانت عفوية إلا أنه لا يتغافل عن متابعة نتائجها بالتقويم

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ (3/ 139 - ح: 2493).

(2) ابن جزي، محمد بن أحمد، **تفسير ابن جُزَي= التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1416 هـ، (2/ 395).

المناسب، وتُعرَّف الملاحظة البسيطة بأنها: "صورة مبسطة من المشاهدة والاستماع بحيث تلاحظ فيها السلوكات وتحدث تلقائيًا في المواقف الحقيقية"(1).

د. وثمة ملاحظة منظمة مُخطَّط لها تستهدف حالة فردية أو جماعية، وتركز انتباه الحواس صوب جانب معين أو أكثر، وقد تتطلب زيادة في مصادر الملاحظة وقنواتها. فتعرّف بأنها: "ملاحظة مخطط لها مسبقًا ومضبوطة ضبطًا دقيقًا، وتحدَّد فيها ظروف الملاحظة كالزمان والمكان والمعايير الخاصة للملاحظة"(2).

المطلب الثالث

تهيئة البيئة في الملاحظة

تهيئة البيئة للملاحظة بمعنى صناعة المشهد - المرئي أو المسموع أو المحسوس - الذي نرغب أن يلاحظه المتعلم المستهدف مظنة أن يحدث تأثيرًا وتغييرًا معينًا عنده.

ونجد في السُنّة أن النبيّ ﷺ استثمر هذا النوع من الملاحظة في تقويم بعض المستجدين من الصحابة رضي الله عنهم من خلال تهيئة ظروف معينة خاصة أو صناعة مواقف مرتبطة بزمان ومكان؛ رجاء أن تُعطِي الملاحظة المقصودة المستهدَف مساحة ليرى أو يسمع ما يكون سببًا في تغيير مواقفه وتوجهاته. ونذكر موقفين من السُنّة النبويّة شواهد على ذلك:

الموقف الأول: حصل لتقويم موقف أبي سفيان رضي الله عنه وتثبيته على الإسلام ودفعه إلى كفِّ يد قريش عن القتال؛ حين أمر النبيّ ﷺ بحبسه قرب مضيق وادٍ حيث تمرُّ منه كتائب الجيش المسلم المُتوجِّه لفتح مكة. يقول العباس رضي الله عنه: ((فَخَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ. قال: وَمَرَّتْ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قال: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سليم، فَيَقُول: ما لي وَلِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُول: ما لي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّى نَفِدَتْ الْقَبَائِلُ، ما تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بهم، قال: ما لي وَلِبَنِي فُلَانٍ، حَتَّى مَرَّ رسول الله ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ؛ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَار رضي الله عنهم لا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنْ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قال: قُلْتُ: هَذَا رسولُ الله ﷺ

(1) الثوابتة وفريق عمل: **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 64).

(2) انظر: المرجع السابق.



فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قال: ما لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ وَلَا طَاقَةٌ، وَاَللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قال: قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إنَّهَا النُّبُوَّةُ. قال: فَنَعَمْ إذَنْ. قال: قُلْتُ: النَّجَاءَ إلَى قَوْمِكَ، حَتَّى إذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ))[1]. والشاهد أن ما أمر به النبيّ ﷺ من تهيئة ظروف مناسبة واستعراض لجيش المسلمين وكتائبه، أعطى فرصة لأبي سفيان ليلاحظ ويدرك ما آل إليه حال المسلمين من قوة، فيثبت على إسلامه من جهة ويحول بين قريش وقتال هذا الجيش الفاتح من ناحية أخرى، وقد أثمرت هذه الملاحظة المقصودة خيرًا وساعدت في دخول المسلمين مكة وفتحها سِلمًا.

- الموقف الثاني: حصل بقصد تقويم موقف ثُمَامَة بن أُثَال سيد أهل اليمامة رضي الله عنه حين أحضرته خيّالة للمسلمين، فأمر به النبيّ ﷺ فحبس أيامًا مربوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فتعرف ثمامة أثناء حبسه على جانب من أحوال المسلمين، فسمع أذانهم، ورأى صلاتهم، ولاحظ حسن تعاملهم فيما بينهم، وكان يخرج إليه النبيّ ﷺ فيسأله كل يوم مستعلمًا عن حاله، فيقول ﷺ: ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ ما شِئْتَ. ثم إنه أمر به النبيّ ﷺ فقال: أطلقوا ثمامة))[2]. ثم ينطلق ثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ إلى نَخْلٍ قريب من المسجد، فيغتسل ثم يعود للمسجد مسلمًا، ويقول: ((يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ ما كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ ما كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ ما كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ))[3]. والشاهد كيف أثمرت هذه الملاحظة المقصودة التي أتيحت لثمامة رضي الله عنه فحظي بفرصة للتعرف على الدين الإسلامي وعلى النبيّ الكريم ﷺ وعلى سلوكات المؤمنين، فكانت ملاحظة عن قرب وبواقعية ودونما تمثيل أو تكلّف، مما أثّر به فهزَّ كيانه وقلب قناعاته وتحوّل رضي الله عنه من مبغض إلى محبّ ومن عدو إلى نصير.

---

(1) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 404)، قال الهيثمي في **مجمع الزوائد**، (6/ 167) رجاله رجال الصحيح.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، (5/ 170 - ح: 4372).

(3) انظر المرجع السابق. (نجل) أي ماء.



المطلب الرابع

وسائل الملاحظة التقويمية وشواهدها في السُنّة النبويّة

بلا ريب فإن الحواس هي أدوات الملاحظة، وأقواها السمع والبصر، وقد وردت أحاديث تبين استخدام غالب الحواس في الملاحظة النبويّة أثناء عمليات التربية والتعليم والتقويم. ونبين بعضًا من شواهدها على النحو الآتي:

أولا: الملاحظة التقويمية بحاسة اللمس

وتكون الملاحظة باللمس حين يتعذر البصر؛ فَيُدْرَى بحاسة اللمس اللين من الخشن، والحجم الصغير من الكبير، والساخن من البارد، والجاف من الرطب. وقد روى أبو هريرة ﵁ ((أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قال أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قال: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[1]. والشاهد أن ملاحظة النبيّ ﷺ العيب في الطعام جاءت من خلال اللمس، فسأل تاجر الطعام متبينًا السبب، ثم حكم بناء على جواب الرجل: بأن هذا غِش، وقال: مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي.

- وفي شاهد آخر عن الْبَرَاء بن عَازِب ﵁ قال: ((أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا، قُلْنَا: نَعَمْ، قال: مَنَادِيلُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا))[2]، والشاهد تضافر حاستي اللمس والبصر لإدراك عظيم جمال مناديل الحرير، ودقة صنعها، ولين ملمسها، ثم استثمر النبيّ ﷺ تعجب أصحابه ﵃ في بيان ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنان من نعيم مقيم.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قول النبيّ ﷺ:«من غشنا فليس منا» (1/ 99 - ح: 102). (الصبرة) الكومة المجموعة من الطعام. (أصابته السماء) أي المطر.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب مس الحرير من غير لبس، (7/150 - ح: 5836).



ثانيا: الملاحظة التقويمية بحاسة الشمّ

نجد شواهد في السُنّة النبويّة على الملاحظة بالشمّ في إطارها التقويمي، ومن ذلك ما ندب إليه المسلم من التطيب تزينًا عند التهيؤ للمساجد، وقبيل حضور اجتماعات الناس، حيث قال تعالى موّجها: ﴿**يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [سورة الأعراف: 31]، وفي هذا السياق كان النبيّ ﷺ يوجِّه أصحابه رضي الله عنهم والمرتادين لصلاة الجمعة والجماعات للاغتسال والتطيب؛ لإذهاب ما قد يصدر عنهم من روائح بسبب العرق، أو المهن التي يمارسونها، كما روت ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: ((كَانَ أَصْحَابُ رسول الله ﷺ عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ))[1]. ثم ندبهم النبيّ ﷺ للتطيب قبيل الحضور إلى صلاة الجمعة، فقال ((مَنِ اغتَسَلَ يومَ الجُمُعةِ، ومَس مِن طِيبِ امرأتِه إن كانَ لها، ولَبِسَ مِن صالح ثيابِه، ثمَّ لم يَتَخَط رِقابَ الناسِ، ولم يَلْغُ عندَ المَوعِظَةِ، كانت كفَّارةَ لِمَا بينهما))[2]. وفي ذات السياق يأتي ترغيبه بقبول الريحان والتهادي به، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ))[3]. وقد روت عائشة رضي الله عنها اعتناءها بتطيب النبيّ ﷺ قبيل إحرامه وبعد حلّه، فقالت: ((كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ))[4].

وجاء تحذير المرأة من خروجها متطيبة من بيتها، فتأتي الرجال في المسجد أو في الأسواق، وعدَّ ذلك من التبرج المنهي عنه، لقول النبيّ ﷺ: ((كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا)) يعني زانية[5]. ولعل الحكمة من النهي عن خروج المرأة معطرة؛ أنها قد تمرُّ بالرجال فتحملهم رائحة عطرها على الالتفات إليها والنظر، فيكون ذلك مدخلًا للشيطان.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (57/3 - ح: 2071)، (عمال أنفسهم) يعملون بأيديهم ويكسبون لأنفسهم. (أرواح) جمع ريح بسبب تعرقهم. (لو اغتسلتم) لحضور الجمعة.

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب الطهارة، باب في الغسل للجمعة، (26/1 - ح: 347)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب استعمال المسك..، (4/ 1766 - ح: 2253).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب الطيب عند الإحرام وما يلبس، (2/ 136 - ح: 1539).

(5) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب الأدب، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، (5/ 106 - ح: 2786). وقال حسن صحيح.



ومن جهة أخرى مرتبطة بأكل الطعام الذي ربما يترك ريحًا في الفم فيؤذي الجلساء، فقد كان النبيّ ﷺ إذا وجد من أصحابه ريح الكراث ونحوه، يذّكرهم، فيقول: ((أَلَمْ أَكُنْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَكْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسَانُ))(1). وفي حادثة رواها أبو سعيد الخدري: رضي الله عنه ((أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى زَرَّاعَةِ بَصَلٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَنَزَلَ نَاسٌ مِنْهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ آخَرُونَ، فَرُحْنَا إِلَيْهِ فَدَعَا الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا الْبَصَلَ وَأَخَّرَ الْآخَرِينَ، حَتَّى ذَهَبَ رِيحُهَا))(2). والشاهد في الحديث الأول تكرار التقويم منه ﷺ والإنكار على من حمل رائحة الثوم ثم جاء بها إلى المسجد، وفي الحديث الثاني تقديم وتأخير ومنع من حضور مجلس النبيّ ﷺ لحين زوال رائحة الفم من أثر البصل ونحوه.

أما خلوف الصائم، فكان التوجيه إن لاحظه المرء على نفسه أو على أخيه ألا ينزعج المرء منه، فهو أثر عبادة الصوم ويحدث نتيجة ترك الطعام أثناء النهار، ولصاحبه العذر والأجر والمكافأة من الله تعالى، كما قال ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تعالى مِنْ رِيحِ المِسْكِ))(3).

ثم يأتي تشريع النبيّ ﷺ لاستعمال السواك عند الوضوء وقبيل الصلاة، وعند قراءة القرآن؛ ليكون مرضاة للرب، ومطهرة للفم، فيذهب ما علق فيه من طعام ويزيل ما بقي فيه من ريح، وعند البخاري عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: ((رأيت النبيّ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أُحْصِي أَوْ أَعُدُّ))، وقال النبيّ ﷺ: ((لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)). وقال أيضًا ﷺ: ((السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ))](4). يقول ابن عابدين: "فإنه يستحب - السواك - في حالات منها: تغير الفم، والقيام من النوم وإلى الصلاة، ودخول البيت، والاجتماع بالناس، وقراءة القرآن"(5).

---

(1) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، كتاب الأطعمة، باب أكل الثوم، (2/ 1116 - ح: 3365). وصحّحه الألباني في **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه** (ح: 3365).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثومًا، (1/ 395 - ح: 566). (زَرَّاعَةِ) الأرض المزروعة.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (3/ 24 - ح: 1894). (لخلوف) رائحة الفم.

(4) انظر الأحاديث: البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، (3/ 31).

(5) ابن عابدين، **محمد أمين**، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1412هـ - 1992م، (1/ 114).



وقد استثمرت حاسة الشم في الجهاد لقتل كعب بن أشرف الذي آذى الله ورسوله، فتولّى تلك المهمة محمد بن مسلمة ﷺ ومعه ثلاث رجال، فأتوا كعبَ بن الأشرفِ وقد نزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقالوا له بدهشة: ما رأينا كاليوم ريحًا أطيب، فقال واحدهم أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قال: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوه [1].

وفي سياق آخر يوجِّه النبيّ ﷺ السائل لتفعيل الملاحظة بسمعه وشمِّه؛ قطعًا للشك الذي قد يحدث أحيانًا مع البعض أثناء الصلاة، حين يخيل للمصلي أن ريحًا خرجت منه، كما في رواية أَبِي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا، فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا))[2].

ثالثا: الملاحظة التقويمية بحاسة السمع

تُعدّ ملاحظات النبيّ ﷺ التقويمية التي كان يدركها بسمعه كثيرة: ومن الشواهد ما روي عن ابن عمر ﷺ، قال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مَنِ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ))[3]. فهو ﷺ في هذا الموقف أعجبه جدًا ما سمعه، فحرص على معرفة القائل تقديرًا له، فراح يثني على صنيعه ويقدم له التعزيز المناسب على مرأى ومسمع من الحاضرين.

ونذكر أيضًا ما راوه أبو موسى الأشعري ﷺ قال: ((لَمَّا غَزَا رسولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أو قالَ: لَمَّا تَوجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ أشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ، قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، (5/ 90 - ح: 4037).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الوضوء، باب من لا يتوضأ من الشك، (1/ 39 -ح: 137).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساجد..، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، (1/ 420 - ح: 601).



قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))[1]. وفي الحديث شاهدان: الأول: تقويمه لفعل الصحابة الذين كانوا يجهرون بأصواتهم مهللين ومكبرين يأمرهم أن يرفقوا بأنفسهم وأن يخفضوا أصواتهم، ويذكرهم أن الله قريب منهم يسمع نجواهم. والثاني تعزيزه لأبي موسى الأشعري ﷺ وتشجعيه حين سمعه يردد عبارة "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فبين له عظم الأجر المدخر لقائلها يوم القيامة.

وروت عائشة ﷺ قالت: ((دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَة: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَة، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"))[2]. وفي رواية قال لها: ((مَهْلًا يَا عَائِشَة، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ))[3]. والشاهد: الملاحظة المبنية على السماع وما عقبها من تقويم نبوي لمقالة عائشة ﷺ في ردِّها على اليهود؛ فأمرها بالتزام الرفق في الأمر كله وتجنب العنف أو الفحش في القول. يقول الحافظ ابن حجر: "والذي يظهر أن النبيّ ﷺ أراد ألا يتعود لسانها الفحش أو أنكر عليها الإفراط في السبِّ، وفي هذا الحديث جواز انخداع الكبير للمكايد ومعارضته من حيث لا يشعر إذا رجي رجوعه"[4].

وحذَّر النبيّ ﷺ من سماع الغيبة أو قول الكذب والبهتان، عندما سأل أصحابه معلمًا لهم ومبينًا: فقال ﷺ: ((أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: إِنْ كَانَ فِيهِ ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ))[5]. وهو كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [سورة الحجرات: 12]. وفي التوجيه القرآني والنّبويّ دعوة لرفض سماع الغيبة والنميمة والبهتان، وفيه إيحاء لاستثمار المجالس بالحديث النافع بعيدًا عن القيل والقال التي قد ينتج عنها ضغينة وقطيعة أرحام.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (4/ 2076 - ح: 2704). (اربعوا) معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، (8/ 12 - ح: 6024).

(3) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب لم يكن النبيّ ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، (8/ 12 - ح: 6030). (السام) الموت، وقيل: الموت العاجل. (وعليك) ما تستحقه وما أردت لنا.

(4) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (11/ 43).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، (4/ 2001 - ح: 2589).



وفي السياق ذاته يأتي التوجيه من الله تعالى للتثبت من المسموعات، والتدقيق في مصدر الأخبار، والحذر من ترويج الشائعات، فقال تعالى موجهًا عباده المؤمنين: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ [سورة النور: 12]. وقد نزلت هذه الآية عقب ما تناقله الناس على ألسنتهم وسمعته آذانهم إفكًا في حق عائشة زوج النبيّ ﷺ الطاهرة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها، وحينها كثر لغط الناس وزلَّ من زلَّ وعصم من عصم. وتضرر النبيّ ﷺ واستاء أيما استياء مما تناقله الناس في شأن أهل بيته؛ فوقف خطيبًا على المنبر، فتشهد وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: ((أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أبنُوا أَهْلِي، وَأَيْمُ اللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبَنُوهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي))[1]. ومن شدة الموقف تدخلت عناية الله ﷻ للذَّوْدِ عن عرض النبيّ ﷺ فأنزل آيات كريمات من سورة النور تتضمن تبرئة لعائشة رضي الله عنها مما نسب إليها من إفك وبهتان.

وكان في حادثة الإفك تربية للمؤمنين لما ينبغي عليهم حال سماع الأخبار والشائعات وأن عليهم كفّ اللسان عن الخوض مع الخائضين، وكما أن الأجدر بهم إحسان الظن والتثبت. فقال تعالى: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ [سورة النور: 15]، يقول صاحب الأساس في التفسير: "الأصل أن يتلقى الإنسان الكلام بإذنه ثم يستوعبه بعقله وقلبه ثم يتكلم به بعد ذلك أو لا يتكلم، ولكن في هذه الحادثة كان التلقي باللسان بدل الأذن والقلب، فهو إشارة إلى سرعة الأخذ وسرعة النطق دون التعقل والتدبر"[2]. ويقول ابن عاشور: "وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر، فهم حين يتلقّونه يبادرون بالإخبار به بلا تروٍ ولا تريثٍ. وهذا تعريض بالتوبيخ"[3].

ومن التوجيهات التربوية النبويّة ما ارتبط بسماع بالأذان، فقد جاء الحضُّ والندب لترديد ما يقوله المؤذن ثم الصلاة على النبيّ ﷺ، كما في الحديث: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ

(1) انظر الحديث بطوله: البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا)، (6/ 107 - ح: 4757). (أَبَنُوا) بتخفيف الباء أي اتهموهم وذكروهم بالسوء.

(2) حوّى، سعيد محمد، **الأساس في التفسير**، دار السلام – القاهرة، ط 6، 1424هـ، (7/ 3726).

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، (د. ط)،1984هـ، (18/ 178).



الشَّفَاعَةُ))[1]. وفي هذا الحديث دعوة للإنتباه وملاحظة صوت الأذان المتكرر خمس مرات في اليوم والليلة، وما ينبغي على المسلم من تعظيم لشعيرة الأذان بحسن السماع والترديد والنهوض لصلاة الجماعة، مما يعمّق مع الوقت واستمرار التذكير والترديد معاني التوحيد في النفوس ويوثق رباط المسلم بعقيدته. كما أن فيه توطيد لمشاعر التقدير والحب من المسلم لنبيه الكريم بالإيمان به والصلاة عليه والدعاء له بنيل الوسيلة. وفيه أيضًا استحضار ليوم الحساب وما يكون فيه من حاجة المسلم يومئذ لشفاعة المصطفى ﷺ.

وفي غزوة الأحزاب، ينتهي إلى رسول الله ﷺ خبر نقض قريظة لعهدهم معه، فيبعث سعد بن معاذ، مع ثلاثة رضي الله عنهم فقال لهم: ((انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا، أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ. وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ. قَالَ: فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ ... ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَه، إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَضَلٌ وَالْقَارَّةُ، أَيْ كَغَدْرِ عَضَلٍ وَالْقَارَّةِ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ))[2]. والشاهد أن النبيّ ﷺ أسمع المسلمين عبارة فيها التكبير والتبشير؛ لأنه قدَّر الظرف الصعب الذي يمرُّ به المسلمون أثناء حصار الأحزاب لهم حيث اجتمع عليهم الخوف والجوع والتعب، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾ [سورة الأحزاب: 10]. فهو عليه السلام لم يرد أن يصل إلى مسامع المسلمين أيُّ خبر يُضعِف عزائمهم، فأوصى أصحابه القادمين من قريظة إن هم تأكدوا من غدرهم أنْ يَلْحَنُوا له لحنًا يعرف به خيانة القوم، وحذَّرهم من التصريح خشية أن يفتّ ذلك في عزيمة المسلمين.

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، (1/ 288 - ح: 384).

(2) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 221).



رابعا: الملاحظة التقويمية بحاسة البصر

تكثر الملاحظة التقويمية المعتمدة على النظر، ذلك بأن العين مداها واسع فهي ترى المَظاهر، والسلوك والحركات والمهارات وملامح الوجوه والإيماءات ونحوه، وهي تشمل ملاحظة النبيّ ﷺ التي كان يراها بنفسه مباشرة، أو تلك التي تُرى له أو غيرها من ملاحظات الناس، وما كان يتبعها من أحكامهم وتعليقاتهم، فكانت تصل إلى النبيّ ﷺ وتنقل له فيقوم بالتعليق عليها وتقويمها.

فمن الملاحظات التي عاينها النبيّ ﷺ بنفسه ما أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: ((خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ. قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ: مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟ قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقُلْنَا يَا رسول الله، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ))(1). وفي الحديث يقوِّم النبيّ ﷺ ثلاثة مشاهد لاحظها في المسجد: فأمر بالسكون في الصلاة ونفّر من كثرة الحركة في الصلاة وشبهها بحركة أذناب الخيل الشُّمْس التي لا تستقر، ثم لم يعجبه ما لاحظه من تفرقهم في الجلوس في المسجد فأمرهم بالاجتماع، وكذا أمرهم بإتمام الصفوف الأُوَل والتراصّ فيها مرغبًا بالاقتداء بالملائكة عليهم السلام حين يقفون بين يدي الله تبارك وتعالى.

ورأى النبيّ ﷺ يومًا أولاد ابن عمه جعفر رضي الله عنه فأنكر نحالة أجسادهم، فاستعلم من حاضنتهم عن سبب ذلك، فأكدت بأن ليس ثمة حاجة مادية أو نقص، وعلّلت نحالة أجسادهم بالعين، فأوصى بالعناية بهم ورقيتهم، روى ذلك جابر بن عبد الله قال، قال النبيّ ﷺ لأسماء بنت عميس رضي الله عنها: ((مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً؟ تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟ قالتْ: لَا، وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قال: ارْقِيهِمْ))(2). وفي الحديث تأكيد على أهمية رعاية أبناء الشهداء، والعناية بهم وتفقدهم. وفيه تقويم جاء بعد الملاحظة بالنظر.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، (1/ 322 - ح: 430). (شُمْس) هي التي لا تستقر، بل تستمر بالضرب وتحريك أذنابها وأرجلها، (حَلَقًا) بفتح الحاء وكسرها واللام مفتوحة على كل حال، جمع حلقة بإسكان اللام وفتحها أيضا، (عزين) أي: جماعات في تفرقة جمع عزة، وأصلها عزوة فحُذِفَت الواو، وجُمِعَت جمع السلامة على غير قياس.

(2) المرجع السابق، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة، (4/ 1726 - ح: 2198). (ضارعة) أي: نحيفة، والمراد أولاد جعفر رضي الله عنه.



وعَنِ الصَّعْب بْنِ جَثَّامَة اللَّيْثِيّ رضي الله عنه ((أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ الله ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: فَلَمَّا أَنْ رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فِي وَجْهِي، قَالَ: إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ، إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ))[1]. والشاهد في الحديث ملاحظة النبيّ ﷺ تغير ملامح وجه الرجل بعد أن ردَّ عليه هديته - من لحم حمار الوحش المذبوح-، وقد علَّل النبيّ ﷺ رده الهدية بأنه مُحْرِم، فكان ذلك تعليمًا وبيانًا لحكم الاصطياد على المُحْرِم، وأفاد التوضيح بتثبيت الرجل على كرمه وجوده، وفيه تطييب للخاطر الذي يحفظ الودّ، والموقف يعرض صورة من الاحترام المتبادل والتقدير بين المعلم والمتعلم.

وعن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: ((رَأَى رَسُولُ الله ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الْوَجْهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ))[2]. والشاهد ما تم من إنكار وتقويم عقب الملاحظة البصرية.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كُنَّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في سَفَرٍ، فانطَلَقَ لحاجتِه، فَرَأَيْنَا حُمَّرةً معَهَا فَرْخَانِ، فأخذْنا فرخَيها، فجاءتِ الحُمَّرة فجعلتْ تفرُشُ، فجاء النبيّ ﷺ فقال: من فَجَعَ هذهِ بولَدها؟ رُدُّوا ولدَها إليها. ورأى قريةَ نملٍ قد حَرَقْناها، فقال: من حَرَق هذه؟ قلنا: نحنُ، قال: إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رَبُّ النار))[3]. والشاهد ما جرى من تقويم لسلوكات الناس في تعاملهم مع الطير أو النمل مراعاة للرحمة بهذه المخلوقات وتحذيرًا من أثر الحرق في الإهلاك العام والإبادة؛ وقد حصل ذلك التقويم عقب الملاحظة البصرية منه ﷺ.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، (2/ 850 - ح: 1193) (بالأبواء أو بِوَدَّان) هما مكانان بين مكة والمدينة (إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم) حُرُم: أي مُحْرِمُونَ. (الصَّعْب بن جثامة)، حليف قريش، أمه أخت أبي سفيان بن حرب، وكان ينزل ودَّان. مات في خلافة عثمان، وشهد فتح فارس، وله أحاديث في الصَّحيح من رواية ابن عبّاس عنه. انظر: ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، (3/ 344).

(2) المرجع السابق، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه وَوَسْمِهِ فِيهِ (3/ 1673 - ح: 2118).

(3) أبو داود: سنن أبي داود، أو **كتاب الجهاد**، باب في كراهية حرق العدو بالنار، (4/ 309 - ح: 2675). وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.



خامسًا: الملاحظة من خلال الحوار والاستفسار

هذا النوع من الملاحظة مفيد جدًّا في الكشف عن الأفكار والتصورات وعن الأعذار والرغبات والدوافع والتحديات والاستعدادات النفسية وغيرها، ومن شواهده في السُنّة النبويّة: ما رواه كعب بن مالك ﷺ وهو يُحدِّث عن غزوة تبوك، حيث تخلّف عنها مع بضعة وثمانين رجلًا. يقول كعب: ((فجئته؛ أي النبيّ ﷺ فلما سلَّمت عليه تَبسَّم تبسُّمَ المُغْضَبِ، ثم قال: (تَعَالَ) فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقال لي: مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ. فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ))[1]. والشاهد أن المتخلفين جاءوا إلى النبيّ ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك، فكان يسألهم مستفسرًا معاتِبًا ومحاسبًا عن سبب تخلُّفهم، ويستمع لكل منهم ويلاحظ ردودهم.

وقد سار النبيّ ﷺ في تقويمه المتخلفين مسارين بناء على ملاحظته أجوبتهم وأقوالهم: الأول: مع هؤلاء الذين أتوه يحلفون ويعتذرون، فما كان منه ﷺ إلا أن قبِل منهم وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَل سرائرهم إلى الله تعالى. وأما المسار الثاني: فكان مع ثلاثة من الكرام حضروا فجلسوا بين يدي النبيّ ﷺ صادقين نادمين، ولم يختلقوا لأنفسهم أعذارًا؛ بل جاءُوا مُقرِّين بتقصيرهم، يرجون عفو الله تعالى واستغفار رسوله ﷺ؛ وهؤلاء الثلاثة جرى تقويمهم بطريقة شديدة، حيث أمر الناس بترك مخالطتهم أو تكليمهم أو حتى إلقاء السلام عليهم، وبقي حالهم كذلك حتى نزلت توبة الله تعالى عليهم بعد خمسين ليلة في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**﴾ [سورة التوبة: 118].

سادسًا: تصويب ملاحظات الصحابة ﷺ

يجدر التنويه إلى أنه لا يكفي أن ترد المعلومات دقيقة من خلال الملاحظة، بل لا بد من سلامة توجيهها وعلاجها ضمن أهداف المنهج وغاياته. وعليه فإنه ينبغي مراعاة ثلاثة أمور مرتبطة

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [سورة التوبة: 118]، (6/ 3 - ح: 4418).



ومرتبة عند مباشرة التقويم التربوي المعتمد على الملاحظة: الأول: جمع المعلومات والتثبت منها. والثاني: التفسير الصحيح للمشهد الملاحظ وفَهْمها وربطها ببعضها ووضعها في إطارها. والثالث هو الحكم والتوجيه بالعلاج أو التعزيز. وهذا منهج سار عليه النبيّ ﷺ فقد كان إن لاحظ أمرًا استفسرَ مِن صاحبه عن خلفيته وأبعاده، ثم بعد ذلك يقدم حكمه وتوجيهه المناسب.

وقد ذكرت السُنّة النبويّة ورود ملاحظات من طرف الصحابة رضي الله عنهم كان يتم تصويب بعضها، كما في حديث الرهط الثلاثة الذين جاءوا فاستَعْلَمُوا عن عبادته ﷺ فكأنهم بملاحظتهم تقالُّوها، فراحوا بتفكيرهم بعيدًا فشدَّدوا على أنفسهم. فلما أخبر النبيّ ﷺ بصنيعهم وقولهم؛ جاءهم مقوِّمًا منهجهم ومحذرًا من طريقتهم، فقال: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[1]. والشاهد: أن الصحابة السائلين رضي الله عنهم قادتهم ملاحظتهم إلى مسار خطأ فجانبوا الصواب في منهج تفكيرهم واستنتاجهم.ونجد الحكمة النبويّة تتجلى في المبادرة إلى التقويم بالتوجيه والإرشاد، فذهب إليهم مقوِّمًا بنفسه ﷺ وتأكد أنهم قالوا ما قالوا، ثم سار في تقويمه معهم مسارهم الذي بدءوه وهو المقارنة والموازنة، فذَّكرهم بما لا يجادلون فيه، أنه أخشاهم لله وأتْقَاهم له بحكم معرفته بالله تعالى ونبوته، وأكد لهم أنه مع كل ذلك لَمْ يكن ليمنعه مقامُ النبوة من الزواج كباقي الناس، أو النوم في الليل، أو ترك الصيام أحيانًا، وبيَّن لهم أن هذا المستوى من عبادته ﷺ هو الدين وهو المنهج الذي دعا الناس إليه، وكان في عبارته ﷺ: "ليس مني" تحذير من التشدد والغلو، وترغيب للمؤمن للتأسي بطريقة النبيّ ﷺ السهلة السمحة التي فيها الموازنة والاعتدال والتي لا تتعارض مع حاجات الجسد والفطرة.

وفي موقف جهادي لاحظ الناس ومعهم النبيّ ﷺ تبختر أبي دجانة رضي الله عنه قبيل غزوة أحد حين أعطاه رسول الله ﷺ سيفًا، فأخرج عصابته الحمراء فاعتصب بها، ثم جعل يتبختر بين الصفين. فاستغرب الناس وهم الذين قرءوا قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [سورة لقمان: 18]. فتدَخَّل النبيّ ﷺ معلِّقًا ومقوِّمًا صنيع أبي دجانة رضي الله عنه مجيزًا له ما فعل من التبختر في ذلك الموطن، وهو موطن الجهاد والتقاء الصفين، والذي يحتاج فيه لكل ما يرغب الناس بالشجاعة ويدفعهم إلى الإقدام، وكذا كل ما يَبُثُّ الخوف في قلوب العدو ويبعث الرعب

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/ 2 - ح: 5063).



بين صفوفه، فقال ﷺ: ((إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ))[1]. قال الخطابي: "واختيال الحرب أن يتقدم فيها بنشاط نفس، وقوة جنان ولا يكبع ولا يجبن"[2].

وفي موقف آخر يزيل النبيّ ﷺ أي بقايا من المعتقدات الجاهلية التي تقول بتأثير الكواكب والنجوم في حياة الناس وموتهم. حدث ذلك عندما قُدِّر أن يحدث كسوف للشمس متزامنًا مع وفاة ابن لرسول الله ﷺ، فقال بعض الناس إنما كسف لموت إبراهيم. فقوَّم النبيّ ﷺ الموقف بقوله: ((هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ))[3]. والشاهد ما حصل عقب ملاحظة الصحابة رضي الله عنهم وتعليقهم الذي وصل إلى مسامع النبيّ ﷺ وهو بذلك يصحّح ما علق في أفهام الناس من تصور خطأ، ثم يوجَّه إلى ما ينبغي من ضرورة الفزع إلى الصلاة والاستغفار. ونقل النووي: أنه كان بعض الضُّلال من المنجمين وغيرهم يقول: "لا ينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك، فبين أن هذا باطل لا يغتر بأقوالهم، لا سيما وقد صادف موت إبراهيم"[4].

وفي سياق آخر يرشد النبيّ ﷺ إلى "توجيه الملاحظة" في مسار يؤدي لصلاح النفوس، فأمر بتفعيل الملاحظة التي تركّز على حال من هو أقل منا في النعمة عمومًا، وذلك مظنة تعزيز القناعة والرضا ويزيد من الاحساس بالنعمة وشكرها، فقال ﷺ: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ))[5].

وأما في حال حصلت المقارنة بين تنعم الكافرين وحال المؤمنين في الحياة الدنيا، فيأتي التوجيه النّبويّ لاستحضار قصر الدنيا وفنائها وعظم الآخرة ونعيمها المقيم، كما في التوجيه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخل على النبيّ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فبكى عمر، فسأله النبيّ ﷺ: ((يَا ابن الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: بَلَى))[6].

---

(1) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (2/ 67). من الكُبوع، **وهو الذل والخضوع**.

(2) الخطابي، حمد بن محمد، **معالم السنن= شرح سنن أبي داود**، حلب، المطبعة العلمية، ط1، 1351هـ - 1932م، (2/ 276).

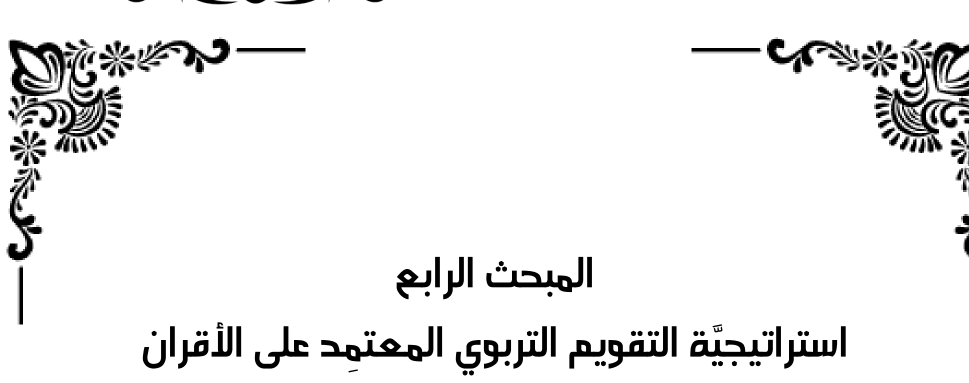
(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الذكر في الكسوف، أبواب الكسوف، (2/ 39 - ح: 1059).

(4) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (6/ 201).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، (4/ 2275 - ح: 2963).

(6) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، (2/ 1108 - ح: 1479).





المبحث الرابع
استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمِد على الأقران

ورد في كتب اللغة أن: قِرْن الإنسان هو ما كان مِثْلُه في الشجاعة والشدَّةِ والعِلم والقتال ونحوه، ويقال: هو قِرْن صديقه في الوفاء، ويقال: تنافس مع أقرانه في المسابقة العلميِّة، واشتهر المَثَلُ القائل: يُعرف المرءُ بأقرانه(1).

ويعرَّف التقويم التربوي المعتمد على الأقران بأنه: قيام المتعلم بتقويم أعمال أقرانه. ويطلق عليه تسميات: تقويم الأنداد، وتقويم الزملاء، وتقويم الرفاق، وتقويم الآخرين، وتقويم النظراء(2).

وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم المعتمد على الأقران بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المتعلم من استثمارٍ أشمل وأمثل لرصيده المعرفي والمهاري وخبراته السابقة وعلاقاته بأقرانه ومحيطه البشري لوزن وتقدير الموقف التربوي وتتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

فهي مسار تربوي هادف مشتمل على النشاطات والوسائل والطرق والمهارات ينفذها الأقران المتعلمون تجاه بعضهم البعض، فيستثمرون ما لديهم من خبرات ومعارف للحكم على أداء بعضهم المهاري أو السلوكي أو المعرفي وتقويمه بناء على معايير متعارف عليها أو نماذج محددة مسبقًا.

ومن ميزات هذا النوع من التقويم: أنه يعزز دور المتعلم في العملية التربوية؛ فيصير أكثر إيجابية

---

(1) أحمد مختار وآخرون: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (3/ 1806).

(2) انظر: عبد السميع وآخرون، **نظام تقويم الأقران في بيئة نظام مودل**. "تكنولوجيا التربية - دراسات وبحوث"، 2014م، الصفحات (147 – 166)، (ص: 151).



وفاعلية وتواصلًا وتأثيرًا من خلال مشاركته في دعم زملائه وتقويم أدائهم تشخيصًا وتعزيزًا وعلاجًا، مما يطور قدرتهم على ملاحظة أخطاء غيرهم والتمييز بين مستويات الأداء ومدى انسجامها مع المعايير المتعارف عليها.

ويتيح هذا النوع من التقويم فرصةً أكبر للمحاورة وتبادل التغذية الراجعة بين المتعلمين أنفسهم في وقتها دون تأخير. ومن ميزاته أيضًا: أنه يسهم في تنمية القدرة على النقد البَنَّاء، والدفاع عن الرأي وتقدير الرأي الآخر. ومتوقع من خلاله الوصول لمستوى أفضل في فهم المحتوى التعليمي وتحقيق أهدافه. كما أنه يوثق العلاقة بين الأقران، ويختصر الوقت في عمليات التقويم التربوي ويخفف من أعباء المعلم، ويوسع من دائرة التشاركية والمسؤولية الفردية والجماعية في التعليم والتقويم(1).

ويوجِّه المعلم طلابه، لتنفيذ التقويم بالأقران من خلال إفساح الفرصة لهم للمشاركة في تشخيص أداءات بعضهم وتصويبها، وتعديل بعض السلوكات والمهارات أو تطويرها. ويمكن أن يتم ذلك من خلال نظام مجموعات مكونة من اثنين أو أكثر؛ يوزعها المعلم ضمن البرنامج التربوي، حيث يجري في هذه المجموعات فعاليات تقويمية تعاونية متبادلة بين الأقران، تتضمن مناقشات ومراجعات وعصف ذهني واستدعاء للتجارب المرتبطة في سياق توجيهات المعلم، كما يحدث التسميع المتبادل للمحفوظات، والعرض للأفكار وتلخيصها ونحوه، ثم تقديم التغذية الراجعة للطالب والنتائج للمعلم المشرف.

في المطالب الآتية نتناول التقويم بالأقران، ببيان مفهومه ومكانته في السُنّة النبويّة، وأنماطه ومجالاته، ثم نعرض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيق هذه الاستراتيجية، على النحو الآتي:

---

(1) بتصرف من: خيرى وآخرون، **أثر تقويم الأقران ببيئة تعلم إلكترونية في تنمية التفكير الكمبيوتري لدى طلاب تكنولوجيا التعليم**. "مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، العدد (40)، (2022)، الصفحات (455 – 494)، (ص: 467).



المطلب الأول

مفهوم التقويم بالأقران ومكانته في السُنّة النبويّة

عند تناول دور الأقران في العملية التربوبة النبويّة فهذا يعني أننا نتتبع مجموع أداءات الصحابة ﭫ في إطار تقويمهم بعضهم أو أبنائهم أو زوجاتهم أو عشيرتهم ونحوهم من إخوانهم المسلمين الذين كانوا يختلطون بهم ويعيشون معهم، والذين كانت تعاضد جهودهم التقويمية في مختلف مجالاتها المعرفية والسلوكية والوجدانية وتتكامل مع جهود النبي المعلم ﷺ ضمن استراتيجية تقويم لا مركزية واسعة المدى.

وإن هذه التقويمات الصادرة عن أفراد الصحابة ﭫ لبعضهم تضمنت عملياتٍ عديدة كالتشخيص والوصف وإصدار الأحكام في إطارها التربوي، وما يتخللها من النقد والتوجيه والتعزيز والتي تستند لجملة من المبادئ والمعايير التي تضمنها وحي القرآن والسُنّة.

ويمكن إدراكُ أهمية استراتيجية التقويم بالأقران عند تصور الأهداف الكبرى للعملية التربوية النبويّة، والتي كانت تستهدف كل من تصله الدعوة ويدخل في الإسلام حيثما وجد، كما كان على هذه العملية التربوية المباركة أن تبدأ وتنتهي فيما تبقى من حياته ﷺ ضمن فترة الوحي والرسالة والتي لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عامًا.

كما يمكن تصور أهميَّةِ ودور الأقران في الدعوة والتعليم والتقويم عند الإجابة عن السؤال: كيف استطاع النبيّ ﷺ ضمنَ وسائل التواصل في عصره أن يصل بجهده الدعوي والتعليمي والتقويمي إلى كل هؤلاء الناس في مناطقهم البعيدة، وفي بواديهم وداخل أنديتهم وبيوتهم؟ فهو ﷺ ورغم تحركه الجغرافي المحدود على صعيده الشخصي فقد كان مضطرًا للبقاء في مركز الدعوة؛ ليأتيه الناس من كل مكان.

ولأجل ما ذكر ولغيره فقد أخذت استراتيجية التقويم بالأقران مداها الواسع في العملية التربوية النبويّة مما استدعى مساندةً كبيرة من جيل الصحابة الأول؛ ليكونوا دعاة ومعلمين إلى جانب النبيّ ﷺ في تعليم الناس وتزكيتهم، كلٌّ في أسرته وفي مجتمعه وبين أقرانه. وعلى سبيل المثال: لقد انتقل أبو بكر الصديق ﭬ بعد إسلامه مباشرة من دوره كمدعو إلى دور الداعية، ومن دوره كمتعلم إلى دور المعلم



المؤثر في أقرانه وفي محيطه، فدخل الإسلامَ بسببه مجموعةٌ من كبار الصحابة الأوائل، منهم: عثمان بن عفان والزُّبير بن العوام وعبد الرَّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله[1] وهم بدورهم صنعوا ما صنع صاحبهم أبو بكر، على تفاوت بينهم في الأداء ﷺ.

فالعملية التربوية النبويّة كانت "لا مركزية" في شأن حمل الدعوة وتبليغها وما يتبع ذلك من مهامَّ تقويمية وتربوية وإصلاحية، فكل معتنق لهذا الدين كان عليه أن يحملَهُ إلى غيره؛ كما قال ﷺ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[2]. وقال أيضًا: ((فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))[3]. وحثًّا منه ﷺ على توسيع دائرة المشاركة في الدعوة والتربية والتعليم فقد خصَّ بالدعاء سامع السُنّة النبويّة وحافظها وناقلها، كما روى زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[4].

وبناءً على جملة هذه التوجيهات النبويّة الداعية لحمل هذه الرسالة ونقلها ودعوة الناس إليها؛ انطلقَ الصحابة ﷺ يأخذون العلم عن الرسول ﷺ ثم ينطلقون ينقلونه ويُعلِّمونه أهليهم وأقرانهم ومن لقيهم من الناس، ويقوِّمون التصورات ويصححون المفاهيم وفق معايير كانت تؤكد على سلامة النقل وتحذّر من أدنى كذب أو تحريف بالمحتوى بالزيادة أو النقصان، كما في رواية أم المؤمنين عائشة ﷺ، قالت: قال النبيّ ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))[5]. وكذا ما رواه الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة ﷺ قوله ﷺ: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[6]. ونحوه حديث العِرْبَاض بْنِ سَارِيَة ﷺ الذي أوله: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً... وفيه وصيته ﷺ: ((وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ..))[7].

(1) ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (1/ 250).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (4/ 170 - ح: 3461).

(3) المرجع السابق، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، (4/ 60 - ح: 3009).

(4) الترمذي: **سنن الترمذي، أبواب العلم**، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (34/5 - ح: 2656). وقال حديث حسن.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور..، (3/ 184 - ح: 2697).

(6) المرجع السابق، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، (2/ 80 - ح: 1291).

(7) الترمذي: **سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع**، (44/5 - ح: 2676). وقال حديث حسن.



المطلب الثاني

أنماط التقويم التربوي بالأقران في السُنّة النبويّة

تنوعت أنماط التَّقويم بالأقران عند الصحابة ﵃، فكان منها تقويم الصحابيِ لصحابي آخر، أو تقويم الصحابي الواحد لجماعة من المؤمنين، وفي بعض الأحيان كانت تتكاتف الجماعة المؤمنة لتقويم فرد منها، وأحيانًا تتصدى الجماعة المسلمة لتقويم ثلة منها حتى تفيء إلى أمر الله تعالى.

ونذكر شواهدَ على هذه الأنماط التقويمية، على النحو الآتي:

أوَّلًا: تقويم الصحابي لصحابي آخر:

ومن شواهدها تقويم أبي بكر الصديق موقف عمر بن الخطاب ﵄ في صلح الحديبية، وقد كان تقويمه مؤثرًا وداعمًا لجهود النبيّ ﷺ الدعوية والإدارية، يقول عمر بن الخطاب ﵁: ((فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قال: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرسول الله ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ به))[(1)].
والشاهد: حاجة النبيّ ﷺ عقب صلح الحديبية إلى مساندة ودعم ممن حوله للتخفيف من احتقان المسلمين بعد منعهم من دخول مكة المكرمة في ذلك العام، وكان لأبي بكر الصديق ﵁ دور كبير مؤثر في تقويم المتحفظين من الصحابة ﵃ على صلح الحديبية وبنوده، وكان تأثيره الأهم حين قوَّم اندفاع عمر بن الخطاب ﵁ فذكَّره بمقام النبوة الذي فيه رسول الله محمد ﷺ وأنَّ الله ناصره ومسدده، وفنَّدَ أسباب اعتراضه وأذهب مخاوفه ودعاه للالتزام بغرز النبيّ ﷺ.

ومن دلالة الموقف هذا الهامش الكبير الممنوح للصحابة ﵃ لتقديم النقد البناء والمراجعة والاستفهام عن الأسباب، وإتاحة الفرصة لأي أحد منهم لعرض الملاحظات صراحة دون غمغمة أو حديث ينتشر في الخفاء؛ فهذا الدين العظيم وهذا النبيّ الكريم أسَّسَا دعائم حرية التعبير وحفظا للمتعلم حقه في الاعتراض أو الاستفهام ما دام ذلك ضمن مسار طلب العلم ومعيار الأدب المتعارف عليه في ديننا الحنيف.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (3/ 193 - ح: 2731).



وفي موقف آخر يقوّم أبو بكر الصديق موقف صاحبه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويبيّن له ضرورة الامتثال وطاعة القائد والأمير، حدث ذلك حين: ((بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عَمْرَو بنَ الْعَاصِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ رضي الله عنهم، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَكَانِ الْحَرْبِ أَمَرَهُمْ عَمْرٌو أَنْ لا يُنَوِّرُوا نَارًا، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهَمَّ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ أَبو بَكْر رضي الله عنه وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَيْكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ بِالْحَرْبِ، فَهَدَأَ عَنْهُ عُمَرُ رضي الله عنه))[1].

ثانيًا: تقويم الفرد لجماعة من الصحابة:

حدث نحوًا من ذلك مع عبد اللَّه بن جُبَيْر رضي الله عنه يوم غزوة أُحُد؛ يقول البراء بن عازِب رضي الله عنهما: "جَعَلَ النبيّ ﷺ على الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عبد اللَّهِ بن جُبَيْر"[2]. قال أنس: "لَقِينَا المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النبيّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عبد اللَّهِ"، وقال: ((لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا. فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا، فَقَالَ عبد اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النبيّ ﷺ أَنْ لا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا))[3]. والشاهد: أن قائد الرماة حاول تقويم موقف أصحابه الذين ظنوا أن المعركة انتهت وأنه يسعهم النزول لتفقد الأصحاب وجمع الغنائم، فحذَّرهم أميرهم ونهاهم عن العجلة في ترك مواقعهم وذكَّرهم بوصية الرسول ﷺ ألا يبرحوا أماكنهم. ولكنهم لم يستجيبوا لنداءاته؛ ولم تنجح محاولاته. وتكبد المسلمون جراء ذلك ثمنًا باهظًا حيث استشهد منهم سبعون رضي الله عنهم.

ومما يذكر في تقويم الفرد الواحد للجماعة ذلك الموقف الشهير لأبي بكر الصديق رضي الله عنه حين قوَّم المؤمنين عمومًا يوم وفاة النبيّ ﷺ فوقف أمام الناس وأيقظهم من هول المصيبة، وردَّهم إلى كتاب الله تعالى، أخرج ذلك البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ - وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ - يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللَّه تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**

---

(1) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب المغازي والسرايا، (3/ 45 - ح: 4357). وقال: صحيح الإسناد.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، (5/ 78 - ح: 3986).

(3) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (5/ 94 - ح: 4043).



﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: 144]، وقَال: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا"(1).

ثالثا: تقويم الجماعة المسلمة للفرد فيها:

يُعتبر ما قام به مجموع الصحابة ﭫ من امتثالهم لأمر النبيّ ﷺ في مقاطعة الثلاثة المخلَّفين عن غزوة تبوك، وتركِ مخالطتهم أمرٌ عظيم، وهو يعبِّر عن تكاتف للجماعة لتقويم أفراد منها أو تقويم ظاهرة معينة كالتخلف عن رسول الله ﷺ حال نفيره للجهاد في سبيل الله. وإن هذا المستوى من الامتثال أسهمَ جدًّا في نجاح عملية التقويم النّبويّ للثلاثة المخلَّفين خصوصًا، ولظاهرة اختلاق الأعذار والقعود عن الجهاد عمومًا، فمثَّل ذلك أنموذجًا لحالة تقويمية شارك فيها كل الأقران والمجتمع المحيط. يقول: أبو شهبة: "وهذا يدل على مبلغ ما وصل إليه الخلق الإسلامي آنئذ من حبِّ البطولة وإيثار الشهادة في سبيل الله على الفرار، والاستحياء من المثالب والمساوئ، وتقدير للقيم الخلقية، والمعاني الأدبية"(2).

وقد حدَّث كعب ﭬ عن محاولته اختراق هذا التضافر المجتمعي المحيط به عندما ألحَّ على ابن عمٍّ له أن يقول رأيه فيه أو حتى السلام عليه؛ لكنَّ ابن عمه أبدى التزامًا عاليًا بالتعليمات النبويّة وبما عليه جماعة المسلمين من الغضب على الثلاثة ومقاطعتهم. يقول كعب: "مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابن عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ".. وتضمنت تتمة هذا الحديث (3) - كما عند البخاري - تفاصيل قصَّة المخلَّفين الثلاثة عن غزوة تبوك، وفيها شواهد عدة على تقويم الأقران نورد بعضها فيما يلي:

---

(1) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، (6/ 14 - ح: 4454).

(2) أبو شهبة، محمد بن محمد، **السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسُنّة**، دمشق، دار القلم، ط 8، 1427هـ، (2/ 430).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، حديث كعب بن مالك، (6/ 3 - ح: 4418). (أسماء المخلَّفين الثلاثة عن غزوة تبوك: كعب بن مالك و مرارة بن ربيع و هلال ابن أبي أمية ﭫ).



أ. حين افتقد النبيّ ﷺ كعب بن مالك رضي الله عنه أثناء غزوة تبوك: راح رجل من بني سلمة يفسّر غياب كعب عن الغزوة تفسيرًا سلبيًّا يوحي بأن تخلُّفَهُ كان نفاقًا، فتصدَّى له معاذ بن جبل رضي الله عنه مقوِّمًا معترضًا وراح يذكر كعبًا بخير ويدفع عنه. يقول كعب رضي الله عنه: ((وَلَمْ يَذْكُرْنِي رسول الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رسول الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ[1]، فَقَالَ مُعَاذُ بن جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رسول الله ما عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رسول الله ﷺ.

ب. قدَّم كعب بن مالك رضي الله عنه تقويمًا يصف فيه ويشخِّصُ حالَ المتخلفين في المدينة بعد خروج جيش المسلمين إلى تبوك، بأنهم إما محتقَر مطعون في دينه وإما متهم بالنفاق وإما مريض عاجز. يقول كعب: "فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رسول الله ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا[2] عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أو رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ".

ج. بعد أن صدق كعب بن مالك رضي الله عنه مع النبيّ ﷺ فلم يعتذر كما اعتذر المنافقون؛ ثار خلفه رجال من بني سلمة وتبعوه، فهؤلاء النفر من بني سلمة قوَّموا الموقف على معيارهم، فلم يعجبهم ما كان من صراحة كعب وصدقه وما حدث من توقف النبيّ ﷺ في شأنه ومقاطعته، وقدَّروا أنه كان يسعه ما وسع غيره من المتخلفين بالتعذر بأي عذر، وذكَّروه بأنه رجل اشتهر بصلاحه ولا يُعلم له سابقة معصية، وألَّحوا عليه وأكثروا حتى كاد يرجعُ فيكذِّب نفسه. يقول كعب: "وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ ما عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رسول الله ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رسول الله ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي". وهذا يؤكد دور بطانة المرء وأهميتها في توجيه مساراته وكيف أن لها أثرًا كبيرًا في القرارات والتصرفات والتبريرات.

د. تكرر في المشهد تقويم كعب بن مالك رضي الله عنه لحال صاحبيه الاثنين اللذين تخلفا مثله، وأنهما قالا مثل ما قال وصَدَقَا مع النبيّ ﷺ مثلما صدق؛ فشهد لهما بدايةً بالصلاح وأنهما أسوة وأنهما ممن شهد بدرًا. وكان لذلك أثره الكبير في تثبيته. يقول كعب: "فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ". ثم قوَّمَ أداء صاحبيه في محنة مقاطعتهم خمسين يومًا، وكيف أنهما حبسا أنفسهما وظلا يبكيان، وأنه اعتبر نفسه أجلد منهما لشبابه وقوته.

---

(1) (حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ): أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه.

(2) (مغموصًا): محتقرًا مطعونًا في دينه أو متهمًا بنفاق.



هـ. قدَّمت امرأة هلال ابن أمية تقويمًا يصفُ حال زوجها ﷺ بأنه شيخ كبير محزون يحتاج إلى من يخدمه، فقالت: "إِنَّ هِلاَلَ بن أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ[1]، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ". وقَالَتْ: "إِنَّهُ وَاللَّهِ ما بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، ما كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا".

رابعًا: تقويم الجماعة لجماعة أخرى:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [سورة الحجرات: 9]، قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ، "فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النبيّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ"، فَلَمَّا أَتَاهُ النبيّ ﷺ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رسول الله ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [سورة الحجرات: 9][2]. والشاهد أن الله ﷻ أمر في هذه الآية بالإصلاح بين جماعات المسلمين حال تنازعها واقتتالها، ووجَّهَ بتقويم الطائفة الباغية بالأدوات المتاحة والتي قد تصل حد مقاتلتها حتى تعود إلى الحق.

ومن ظاهر الرواية فإن الموقف بدأ بتقويمٍ صادر عن الصحابيِّ المؤمن تُجاه ذلك السفيه الذي أساء الكلام وأظهر قلة الأدب مع مقام النبوة؛ بالرغم من أن النبيّ ﷺ جاءه ضيفًا وداعيًا إلى الإسلام، فكان التقويم من الصحابة حاضرًا وسريعًا ومناسبًا لمقولة ذلك المنافق. ومن دلالة الحديث كما قال الشيباني: "استحسان حضور الجواب من المؤمن إذا كان صاحب الحق فيه كرم وحياء يمنعه من إجابة السفيه؛ فإن المؤمن يجيب عنه، كما قال الأنصاري ﷺ لابن أُبيّ: "وَاللَّهِ لَحِمَارُ رسول الله ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ"، ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك ولا أحدٌ ممن سمعه"[3].

---

(1) (شَيْخٌ ضَائِعٌ): قاصر عن القيام بشؤون نفسه. "مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ" لا طاقة له بالجماع.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، (3/ 183 -ح: 2691). (سبخة): أرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت. (بالجريد) أغصان النخل المجردة من ورقه. (طائفتان) جماعتان. وانظر **صحيح مسلم**، (3/ 1424 - ح: 1799) في باب "دعاء النبيّ ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين".

(3) الشيباني، يحيى بن هُبَيْرَة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، تحقيق: فؤاد أحمد، السعودية، دار الوطن، (د.ط)، 1417 هـ، (5/ 218).



وبلا شكٍّ فقد تحملت الجماعة المؤمنة من الصحابة ﷺ على عاتقها مقاومة ظواهر وسلوكات كانت منتشرة في مجتمع الجيل الأول؛ كظاهرة النفاق والرق والجهل والأمية والفقر، وقد تظافرت نصوص القرآن والسُنّة لتوصيف هذه الظواهر وتحفيز المؤمنين عمومًا؛ ليكون لهم سهم وتحمل للمسؤولية في تقويمها وعلاجها؛ وقد أبدع الأشعريون وتميزوا بتحملهم المسؤولية وتصديهم لمعالجة حالة الفقر، حتى ضرب بجماعتهم المثل في ذلك؛ كما روى أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبيّ ﷺ: قال: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[1].

المطلب الثالث

انطلاق تقويم الأقران من التوجيه النبوي

كثيرة هي التوجيهات النبويّة التي تدعو إلى قيام المسلم بمسؤوليته الإصلاحية والتقويمية في أسرته ومجتمعه، وأنه راعٍ وكفيلٌ على أهله وقومه والعاملين معه، وقد ورد تأكيده ﷺ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الدين النصيحة، وأن على المسلم أن ينصر أخاه فيمنعه من التمادي في ظلمه.

ونختار شاهدًا على التوجيه النّبويّ وتفعيلِهِ تقويمَ الأقران في أثناء بيعة العقبة الثانية؛ حين طلب النبيّ ﷺ من أصحابه أن يُخرجوا نقباء منهم يتحملون مسؤولية تقويم أقرانهم، فقال النبيّ ﷺ للحاضرين: "أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا. فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنْ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنْ الْأَوْسِ. ثم قال ﷺ لِلنُّقَبَاءِ: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابن مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي -يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ- قَالُوا: نَعَمْ[2]. ويقول عُبَادَة بن الصَّامِت ﷺ: "إِنِّي لَمِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رسول الله ﷺ وقال: "بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا نَنْتَهِبَ، وَلَا نَعْصِيَ"[3]. والشاهد: قيام

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، (3/ 138 - ح: 2486). (أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام، (في إناء واحد) أي اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض. (بالسوية) متساوين. (فهم مني وأنا منهم) طريقتي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله ﷻ.

(2) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/443 - 446)، وانظر: ابن حجر: **فتح الباري**، (7/ 221).

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، (3/ 1333 - ح: 1709).



النبيّ ﷺ بتقسيم المجموعة الكبيرة من الحاضرين في بيعة العقبة الثانية، والذين تجاوزوا السبعين إلى مجموعات أصغر من خلال انتخابٍ داخلي أجروه بينهم، ليكون كلُّ نقيب منهم كفيلًا على من معه من قومه، فيتحمل مسؤولية متابعتهم وتقويمهم وضمان أدائهم، يقول الغضبان: "ولقد حدَّد رسول الله ﷺ المسؤولية لهؤلاء النقباء الاثني عشر بعد أن اعتبرهم القادة المسؤولين، وواجبهم أن يكونوا كفلاء على قومهم من المسلمين، الذين بايعوا في العقبة، والذين أقاموا في يثرب، هم مسؤولون عن تصرفاتهم وانضباطهم وطاعتهم، والتزامهم بأوامر هذا الدين الجديد، وبعدم الإخلال في أحكامه"(1).

المطلب الرابع

تقويمات الصحابة في حضرة النبيّ ﷺ.

ثمة تقويمات أجراها الصحابة لبعضهم في حضرة النبيّ ﷺ كان يراها ويسمعها فيقرُّ بعضها ويردُّ بعضها الآخر، كما في الشواهد الآتية:

أ. أخرج البخاريُّ أن عُمَر بن الخَطَّاب رضي الله عنه اسْتَأْذَنَ عَلَى رسول الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رسول الله ﷺ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرسول الله ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رسول الله، فَقَالَ النبيّ ﷺ: ((عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ)). فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رسول الله، ثُمَّ قال عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رسول الله ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رسول الله ﷺ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إِيهًا يَا ابن الخَطَّاب، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ))(2). والشاهد في الحديث ما تم من نقد متبادل بين عمر بن الخطاب ونساء من قريش رضي الله عنهن كن جلوسًا عند النبيّ ﷺ يكلمنه. فوبَّخ "عمر" النساءَ لكونهن أظهرن الهيبة منه حين قمن فابتدرن الحجاب حال سماعهن صوته واستئذانه، مؤكدًا لهن ومقوِّمًا بأن النبيّ ﷺ أولى بهذه الهيبة منه، ومن جهة أخرى فقد علَّلت نساء قريش تصرفهن ذلك بأنه لا ينطلق من التقليل من هيبة النبيّ ﷺ ولا ينتقص من تعظيمه، وقدمن تقويمًا يصفن فيه ما كان عليه حال عمر من الشدة الذي غلبت على طبعه رضي الله عنه.

---

(1) الغضبان: **المنهج الحركي للسيرة النبويّة**، (1/ 174).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب، (5/ 11 - ح: 3683).



ب- روى أَبو هُرَيْرَة ﵁ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رسول الله ﷺ: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[1]. ويمثل هذا الحديث مثالًا على ما كان يحدث أحيانًا في الجيل الأول من مواقف تتضمن سلوكات تخالف العرف والدين، فكان الصحابة يبادرون لتقويمها على طريقتهم وسجيتهم، ولم يكن النبيّ ﷺ يختلف معهم في استحقاق كثير من هذه المواقف للتقويم، ولكنه ﷺ كان يقوِّم أسلوبهم أو طريقتهم، فينهاهم عن العجلة أو الغلظة أو التعسير، ويدعوهم إلى التروي والرحمة والتيسير.

ج- أخرج البخاري عن عائشة أم المؤمنين ﵂[2] تفاصيل ما كان من حديث الإفك الذي نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة يشهد ببراءتها وعفتها، وفيه شواهد عديدة على تقويم الأقران لبعضهم، نذكر منها:

1. التقويم الذي قامت به أم مسطح بن أثاثة ﵂ عندما سبَّت ولدها مسطحًا، وكانت من أشد الناس عليه حين زلَّ فخاض مع الخائضين[3]. فقالت: "تَعِسَ مِسْطَحٌ"، في إشارة تقويمية لإنكارها ورفضها ما صنع. قالت عائشة ﵂: "فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا". والشاهد أن تقويم الأقران يظهر في إنكار عائشة ﵂ على أم مسطح سبَّ ولدها، وهي الغافلة عما يتحدث به الناس في حقها.

2. التقويم الذي قامت به أُمُّ السيدةِ عائشة ﵂ للموقف عمومًا، عندما سألتها عائشة عما يتناقله الناس، فهوَّنت عليها مؤكدة طهارتها وعفتها، وأن ما يقوله الناس - حسب تقديرها - يأتي في سياق كيد النساء لبعضهن والحسد. قالت عائشة ﵂: "فَقُلْتُ لِأُمِّي: ما يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا".

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب قول النبيّ ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»، (8/ 30 - ح: 6128).

(2) المرجع السابق، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، (3/ 173 - ح:2661).

(3) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (8/ 182).



3. التقويم الذي قام به كلٌّ من أسامة بن زيد وعَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ ﵄ عندما استشارهما النبيّ ﷺ وسألهما الرأي. "فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رسول الله، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ؛ فَقَالَ: يَا رسول الله، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ". وقد أخذ النبيّ ﷺ بتوصية علي بن أبي طالب ﵁ فاستدعى بريرة الجارية المرافقة للسيدة عائشة ﵂ وسألها، واستمع لتقويمها ورأيها، قال النبيّ ﷺ: ((يا بريرة هل رأيت فيها شيئًا يريبك؟))، فقالت بريرة: "لا والَّذي بعثك بالحقِّ، إن رأيت منها أمرًا أغمصه عليها قطُّ، أكثر من أنَّها جاريةٌ حديثة السِّنِّ، تنام عن العجين، فتأتي الدَّاجن فتأكله". والشاهد أن الجارية، وفي تقويمها لحالِ عائشة قالت كلامًا بينت فيه ما تعرفه من طهر عائشة ﵂ وغفلتها وسلامة دينها؛ مما دفع النبيّ الكريم للوقوف على منبره للذبِّ عن أهل بيته الطاهرين وعن ذلك الصحابي الكريم الذي اتهم في هذه الحادثة أيضًا.

4. قوَّمَ أبو بكر الصديق ﵁ موقف "مسطح" بعدما ردَّدَ ما قاله المنافقون في حادثة الإفك، رغم أنه قريبها ويعلم سيرتها وطهرها، فكان الأجدر به الذبُّ عنها. وكان من عادة أبي بكر الصديق أن يحسن إليه بالعطاء، فرأى أنَّ في خوض "مسطح" مع الخائضين نكران للجميل وإساءة تستدعي قطع الإحسان عنه، فحلف على ذلك حتى نزلت في حقه آية قرآنية تدعوه إلى العفو والصفح، ففعل. قال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة النور: 22].



المطلب الخامس

إقرار النبيّ ﷺ لتقويمات أصحابه

كان الصحابة رضي الله عنهم يختلفون -أحيانًا- في تقديراتهم أو حكمهم على المواقف والأحداث، لذا كانوا يرجعون إلى النبيّ ﷺ فيحكم بينهم، ويقدم لهم التوجيهَ المناسب، ونذكر شواهد على ذلك:

أ. أبو بكر الصديق يقوّم أقرانه رضي الله عنهم: روى ذلك عَائِذ بن عَمْرٍو رضي الله عنه : ((أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ ما أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قال فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النبيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ. فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي))[1]. وفي الحديث يقوِّمُ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأسلوب استنكاري مقولةَ أقرانه من الصحابة رضي الله عنهم في حقِّ أبي سفيان - وكان مشركًا حينها -، ولعلَّهُ فعل ذلك يتألف الرجل، فلم يرد أن يضايقه أحدٌ بكلمة تؤذيه فينفره عن دين الله ﷻ أو لأنه كان يرى أن على أصحابه رضي الله عنهم أن يتمنوا لأبي سفيان الهداية للإسلام لا القتل[2]. ولمَّا أخبر النبيّ ﷺ بذلك كان تقويمه للموقف أن أصحابه رضي الله عنهم قالوا كلمة حق وصدق فيها تحمسٌ للإسلام وعزٌّ لأهله وكبتٌ لأعدائه. وأنه لا ينبغي إغضابهم لأجل ما قالوا[3]، فعاد إليهم أبو بكر معتذرًا منهم جميعًا.

ب. عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحاول تقويم رجال من الحبشة بمنعهم من اللعب بحرابهم في المسجد: يروي ذلك أبو هريرة رضي الله عنه، قال: ((بَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النبيّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ، دَخَلَ عُمَرُ فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ ﷺ: دَعْهُمْ يَا عُمَرُ))[4]. قال ابن الجوزي: وَإِنَّمَا حصبهم عمر؛ لِأَنَّهُ رأى ذَلِك عَبَثًا. وَإِنَّمَا نَهَاهُ رسول الله ﷺ لِأَن كلَ شَيْء يحْتَاج إِلَى المناضلة بِهِ فِي الْحَرْب يجوز اللَّعب بِهِ فِي غير الْحَرْب؛ ليتمرن عَلَيْهِ ويتدرج إِلَى تعلمه لأجل الْحَرْب، كالرمي بِالسِّهَامِ والحراب والمسابقة بِالْخَيْلِ[5].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب من فضائل سلمان، وصهيب، وبلال، (4/ 1947 - ح: 2504).

(2) انظر: حطيبة، أحمد، **شرح الترغيب والترهيب للمنذري**، دروس صوتية مفرغة، على الإنترنت، (50/5).

(3) انظر: لاشين، موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، مصر، دار الشروق، ط 1، 1423 هـ- 2002م، (9/ 540).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو في الحراب، (4/ 38 - ح: 2901).

(5) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، ط 1، دار الوطن، 1418 هـ- 1997م، (3/ 346).



ج. سلمان الفارسي يتفقد أخاه ويقوّم حاله ﷺ:

أخرج البخاري ((أن النبيّ ﷺ آخى بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: ما شَأْنُكِ؟ قالتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قال: ما أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قال سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قال: فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ))(1). ويناسب هذا الحديث ليكون من أحسن الشواهد على تقويم الأقران واعتماده وإقراره من النبيّ ﷺ من خلال النقاط الآتية:

1. زيارة سلمان لبيت أخيه أبي الدرداء وملاحظته حال أم الدرداء وكيف أنها مبتذلة، فاستغرب من حالها ﷺ فسألها مستفسرًا: مَا شَأْنُكِ؟، فكان جوابها وصفًا تقويميًّا مختصرًا معبرًا عن حال زوجها وانشغاله بالعبادة، فقالت: إنه لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا.

2. أدرك سلمان ﷺ أن ثمة ما يستدعي المتابعة، فقام بعدة إجراءات تمثلت بما يلي:

- قرر أن يزور أخاه ويبيت عنده ليلة؛ وفي هذه الأثناء وقف بنفسه على حال أخيه ورأى طريقته في العبادة وسبب انشغاله عن أهله.
- بات عنده ليلة، ومن خلال المعايشة في بيت أبي الدرداء لاحظ طريقته في صيام النهار وقيام الليل؛ فعمل على تصويبها عمليًّا.
- ظهرت حكمة سلمان ﷺ حين رفع الحرج عن زوجة صاحبه حيث بدا الموقف أن تقويمه لم يبن على قولها أو شكايتها، بل ظهر أن تقومه كان بِناءً على معايشته وملاحظته المباشرة.
- قدَّمَ سلمان ﷺ تفسيرًا لأخيه حول ما فعله وقاله، وبيَّنَ له ضرورة التوازن بين تلبية حاجات الجسد والروح وبين حقوق الزوجة والآخرين.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/ 38 - ح: 1968).



المطلب السادس

مجالات التقويم بالأقران في السُنّة النبويّة

أدرك أفراد الصحابة ﷺ دورهم في التقويم التربوي لأقرانهم في بيوتهم ومساجدهم وأسواقهم وفي أماكن أعمالهم وفي أثناء أسفارهم وجهادهم، وصاروا ينطلقون يمارسون نشر الدعوة وممارسة التربية والتقويم حتى لو كانوا على مسافة بعيدة من النبيّ ﷺ، وفيما يلي شواهد على ذلك:

أولًا: تقويم الأقران في المجال التعليمي:

كان يحدث أن الصحابة المعلمين كانوا يمارسون التقويم لأداء بعضهم واختبار مستوى الطلبة في حلقات العلم، وقد وردت إشارة إلى ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري عَنْ عَلْقَمَةَ، قال: ((كُنَّا جُلُوسًا مَعَ ابن مَسْعُود ﷺ، فَجَاءَ خَبَّاب بن الأَرَتِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا أَبَا عبد الرَّحْمَنِ، أَيَسْتَطِيعُ هَؤُلاَءِ الشَّبَابُ أَنْ يَقْرءوا كَمَا تَقْرَأُ؟ قال: أَمَا إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ قال: أَجَلْ، قَال: اقْرَأْ يَا عَلْقَمَةُ، فَقَالَ زَيْدُ بن حُدَيْرٍ، أَخُو زِيَادِ بن حُدَيْرٍ: أَتَأْمُرُ عَلْقَمَةَ أَنْ يَقْرَأَ وَلَيْسَ بِأَقْرَئِنَا؟ قال: أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَا قال النبيّ ﷺ فِي قَوْمِكَ وَقَوْمِهِ؟ فَقَرَأْتُ خَمْسِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، فَقَالَ عبد اللَّهِ: كَيْفَ تَرَى؟ قال: قَدْ أَحْسَنَ، قال عبد اللَّهِ: ما أَقْرَأُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ يَقْرَؤُهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى خَبَّابٍ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِهَذَا الخَاتَمِ أَنْ يُلْقَى، قال: أَمَا إِنَّكَ لن تَرَاهُ عَلَيَّ بَعْدَ اليَوْمِ، فَأَلْقَاهُ))[1]. والشاهد تضمن الحديث تقويم خباب ﷺ لمستوى الطلبة في حلقة صاحبه وأخيه المعلم عبد الله بن مسعود ﷺ، ثم إصدار الحكم بالثناء على الطالب المُحسن والمُجيد - وفي تقدير الطالب تقدير لمعلمه - كما أظهر الحديث الاحترام الكبير المتبادل بين الصحابة المعلمين، وأسلوب التقويم الراقي وتقبله بين الطرفين. وفيه شاهد على تقويم سلوكي بدأ من إنكار عبد الله بن مسعود على خباب ارتداءه خاتمًا من ذهب. يقول الحافظ بن حجر ﷺ: "وفي الحديث مَنْقَبَةٌ لابن مسعود وحسن تَأَنِّيهِ في الموعظة والتعليم، وأن بعض الصحابة كان يخفى عليه بعض الأحكام فإذا نُبِّهَ عليها رجع. ولعل خبابًا كان يعتقد أن النهي عن لِبْسِ الرجال خاتم الذهب للتنزيه فنبهه بن مسعود على تحريمه فرجع إليه مسرعًا"[2].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين، (5/ 174 - ح: 4391).

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (8/ 101).



ثانيًا: تقويم الأقران في مجال أداء شعائر العبادات:

يظهر ذلك في رواية أُبَيّ بن كعب ﵁ فقد حاول تقويم حال الرجل الذي كان بيته بعيدًا عن المسجد النبوي؛ يقول أُبَيٌّ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتُهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَتَوَجَّعْنَا لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، قَالَ: أَمَ وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ، فَقَالَ لَهُ النبيّ ﷺ: ((إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ)) [(1)]. الشاهد: تعاطف الصحابي أُبَيّ ﵁ مع حال الرجل، فقصد التخفيف عنه وتقويم حاله، فأظهر تأثره بحاله، واقترح عليه شراء ركوبة تعينه وتخفف من مشقة بعد بيته عن المسجد. لكن الرجل ردَّ ردًا استبشعه أُبَيّ ﵁ حتى ذهب للنبيِّ ﷺ وأخبره بمقولة الرجل، فاستحق الأمر أن يستفهم النبيّ ﷺ من الرجل، فجاء وأوضح مقصده وأنه يرجو أن يكتب الله تعالى له أثر ذهابه ومجيئه إلى المسجد.

ثالثًا: تقويم الأقران في المجال الاجتماعي:

أ. أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أَنَس بن مَالِك ﵁ قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله ﷺ فَقَال: ((يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قال النبيّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قال النبيّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النبيّ ﷺ تَبِعَهُ عبد اللهِ بن عَمْرٍو... الحديث))[(2)]. والشاهد: ما قام به عبد الله بن عمرو ﵄ من متابعة لتقويم حال الرجل - الذي وصف بأنه من أهل الجنة - ليكشف عن سبب شهادة النبيّ ﷺ له بذلك، وليتعلم منه ويفيد من طريقته. فجاء بيتَ الرجل وزاره وبات

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، (461/1 - ح: 663). (فَتَوَجَّعْنَا لَهُ) أي أظهرنا أنه يصيبنا الألم مما يلحقه من المشقة ببعد الدار. (الرَّمْضَاء) شدة الحر، (أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ) مشدود بالحبال (فحملتُ به حملًا) أي عظم عليَّ وثقل واستعظمته لبشاعة لفظه وهمني ذلك.

(2) الشيباني: **مسند أحمد بن حنبل**، مسند أنس بن مالك، (20/ 124 -ح: 12697)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر مسند أحمد بتحقيق الأرنؤوط.



عند ثلاث ليال مراقبًا مستكشفًا حاله؛ فَلَمْ يَرَهُ مكثرًا من صلاة الليل أو صيام النهار، غير أَنَّهُ إذا تعارَّ من الليل ذكر الله وكبَّر، وكان لا يقول إلا خيرًا، وكان من نتيجة ما دار من الحوار والمصارحة بينهما أن أدرك عبد الله بن عمرو ﵄ ما خفي من حال ذلك الرجل، وما الأعمال والأخلاق التي رفعت من قدره فبلغت به ما بلغ حتى صار من أهل الجنة، وهي أنه:

- لا يجد في نفسه على أحدٍ من المسلمين غِشًا.
- ولا يحسد أحدًا على خير أعطاه الله إيَّاه.
- وأنه لا يقول إلا خيرًا.

ب. كان الصحابة يعودون إلى النبيّ ﷺ طالبين عونه لتقويم بوادر الاعوجاج أو الخطأ عند أقرانهم أو أبنائهم، كما جرى مع عبد الله بن عمرو ﵄ حين حدَّث فقال: ((أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: القَنِي بِهِ... الحديث)) [(1)]. والشاهد أن الصحابي كان يتفقد أحوال كنته، ويحاول تقويم سلوك ابنه، ولما طال به الأمر ولم يستطع تقويم ابنه لجأ إلى النبيّ ﷺ فأعانه على تقويم حاله. وفي الحديث شاهد على جهود الآباء في تزويج أبنائهم وتقويمهم، وتعهد الأب أهل بيت ولده، والاطمئنان على سلامة أحوالهم، وتصديه لتقويم أي اعوجاج يراه في سلوك ولده في أثناء تعامله مع كنَّته، وجواز الاستعانة بالصالحين والمختصين إن طال الأمر ليعينوه على تقويمه.

ج. وفي محاولة مراجعة الأبناء لمسار والديهم؛ أخرج ابن إسحاق عن والده عنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: ((أَنَّ عَمْرَو بن الْجَمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رسول الله ﷺ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إنَّ اللَّهَ ﷻ: قَدْ عَذَرَكَ. فَأَتَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ: إنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فوالله إنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ رسول الله ﷺ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ. وَقَالَ لِبَنِيهِ: ما عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَخَرَجَ

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب كم يقرأ من القرآن، (6/ 196 - ح: 5052). (ذات حسب) أي: شرف. (كَنَّتَهُ) أي: زوجة ابنه. (ولم يفتش لنا كنفًا) أي: كناية عن تركه الجماع.



مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ))[1]. والشاهد أن الأبناء الأربعة قوّموا حال والدهم ضمن معيارهم، فهو رجل كبير وعرجه شديد، وقد عذره الله تعالى فعرضوا عليه القعود عن النفير للقتال مع رسول الله ﷺ فأبى، فعزموا على حبسه عن ذلك، وما قصدوا سوى برٍّ والدهم والتخفيف عنه؛ لكنه شكاهم إلى النبيّ ﷺ مؤكدًا عزمه على الخروج للجهاد طمعًا بالشهادة. فعند ذلك أذن النبيّ ﷺ للرجل بالخروج للجهاد، وطلب من أبنائه ألا يمنعوه.

رابعًا: تقويم الأقران في مجال الأسرة والمرأة:

من المعلوم أن النبيّ ﷺ تزوج عددًا من النساء، صرن أمهات للمؤمنين ومعلمات للمؤمنات، فكانت النساء يأتين النبيّ ﷺ يسألنه فيما يخصُّ شؤونهن فيجيب ﷺ مختصرًا حياءً؛ لتتولى الحاضرة من أمهات المؤمنين تفصيلَ الإجابة، كما في رواية عائشة رضي الله عنها ((أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النبيّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قال: خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا، قالتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قال: تَطَهَّرِي بِهَا، قالتْ: كَيْفَ؟ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي، فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ))[2]. والشاهد أن عائشة رضي الله عنها تولت شرح التفاصيل لهذه المرأة السائلة عن غسلها من الحيض.

وذكرت السُنّة النبويّة أن الناس كانوا يأتون بيوت النبيّ ﷺ في حياته ولا يجدونه أحيانًا، فيقصدون أزواجه بالسؤال، وقد ذكرت السُنّة شواهدَ على ذلك؛ كحديث الرهط الثلاثة الذين أتوا إلى بيوت أزواجه ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ [3]. وثمة شاهد آخر أن رجلًا جاءَ يسأل عائشة رضي الله عنها: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رسول الله ﷺ في رَمَضَانَ؟ [4].

وأحيانًا كان يجد الصحابة رضي الله عنهم حلًا ومخرجًا عند أمهات المؤمنين حال تنازعهم في مسألة شرعية ما، نقل لنا نحوًا من ذلك أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى

---

(1) ابن هشام: **السيرة النبويّة**، (2/ 90)، سنده صحيح، فوالد ابن إسحاق تابعي ثقة.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت، (1/70 - ح: 314). (فرصة) قطعة من صوف أو قطن. (من مسك) مطيبة بالمسك. (فاجتبذتها) جررتها بشدة.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/2 - ح: 5063).

(4) المرجع السابق، كتاب المناقب، باب أنَّ النبيّ ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، (4/191 - ح: 3569).



عَائِشَة فَأَذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ -أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ))(1).

يقول الصابوني: لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمن الأحكام الشرعية، فكثيرات كن يستحيين من سؤال النبيّ ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن، كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام... فكانت نساء الرسول ﷺ خيرَ معلِّمات وموجهات لهن، وعن طريقهن تفقَّهَ النساء في دين الله وتعرَّف الرجال على تفاصيل أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية ﷺ(2).

وقد أدركت أمهات المؤمنين هذه المهمة المستقبلية لهن فكن يسألن ويستفهمن، ومما روي في ذلك أن عائشة رضي الله عنها كَانَتْ لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ النبيّ ﷺ حَتَّى تَعْرِفَهُ(3). وبناء على ذلك مارست المرأة المسلمة دورها التقويمي التربوي، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقوِّمُ أداء نساء المهاجرات، فتقول: ((يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ [سورة النور: 31]، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا))(4). وفي موقف آخر لها تثني فيه على نساء الأنصار فتقول: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ))(5). والشاهد: متابعة عائشة رضي الله عنها لأداء نساء الصحابة، وحكمها على كل فئة منهن بما تميزت به.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل، (1/ 271 - ح: 349).

(2) الصابوني، محمد الصابوني، **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، ط 3، 1400هـ - 1980م، (2/ 318).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه، (32/1 - ح: 103).

(4) المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن، باب {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [سورة النور: 31]، (6/ 109 - ح: 4758). والمعنى عمدن إلى ازرهن فشققتها ثم اتخذن منها خُمُرًا. والخُمُر جمع خِمار وهو ثوب تغطى به المرأة رأسها وعنقها وصدرها.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة، (1/ 261 - 332).



وأخرج الحاكم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ أَنَّهَا قالتْ لِامْرَأَةِ سَلَمَةَ بن هِشَامِ بن الْمُغِيرَةِ: مَا لِي لا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رسول الله ﷺ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ؟ قالتْ: وَاللَّهِ ما يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ، كُلَّمَا خَرَجَ صَاحَ بِهِ النَّاسُ: يَا فُرَّارُ، أَفَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷿ حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ، وَكَانَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مَعَ خَالِدِ بن الْوَلِيد ﵁[(1)]. والشاهد ما تم من تقويم بالنقد والإنكار على المتخلف عن صلاة الجماعة مع النبيّ ﷺ، حيث تظهر الرواية دور المرأة المسلمة في تقويم غيرها من الرجال والنساء من الصحابة ﵃ فهي أنكرت قعود سلمة عن صلاة الجماعة، فسألت تستوضح عن السبب وترغِّبُ بالصلاة مع النبيّ ﷺ وأصحابه في المسجد.

خامسًا: تقويم الأقران أثناء الأداء الجهادي:

كانت الأنشطة والأداءات المرتبطة بالجهاد ونشر الدعوة وحمايتها على مستوى كبير من الحضور والأهمية في فترة حياة النبيّ ﷺ وقد برزت بشكل واضح في الفترة المدنية وأخذت حيزًا كبيرًا في حياة الجيل الأول من الصحابة ﵃، كيف لا والنبيّ ﷺ غزا بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وبلغت سراياه التي بعث بها سبعًا وأربعين سرية[(2)].

وبيّنت السُنّة النبويّة شدة حرص النبيّ ﷺ على الخروج للجهاد مع المؤمنين لأثره العظيم في صقل المهارات وبناء القيادات وكشف معادن الرجال وإظهار الطاقات والمواهب، وهذا دلالة الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ))[(3)].

لذا وفي إطار المعايشة الجهادية نجد أن التقويم التربوي يأخذ مداه الواسع بين أقران الصحابة أثناء خروجهم في الغزوات والسرايا، فتبرز القدوة الصالحة في الثبات والإقدام والتضحية، ويكون الوعظ بينهم والتحريض على الثبات، وكذا التحذير من محاولات التخذيل أو الغلول ومن خطورة التولِّي يوم الزحف.

---

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، **كتاب المغازي والسرايا**، (3/ 45 - ح: 4355). وصحَّحه.

(2) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (2/ 3).

(3) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، (3/ 1497 - ح: 1876).



وفي السُنّة النبويّة شواهد عديدة على تقويم الصحابة بعضهم في إطار تقويم الأداء الجهادي، ونذكر بعضها على النحو الآتي:

أ. فعن أنَس بن مالك ﷺ، أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: ((غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رسول الله ﷺ المُشْرِكِينَ لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لَلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ- ثُمَّ تَقَدَّمَ فَلَقِيَهُ سَعْدٌ فَقَالَ: يَا أَخِي، ما فَعَلْتَ أَنَا مَعَكَ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ ما صَنَعَ، فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَكُنَّا نَقُولُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ [سورة الأحزاب: 23]))[1]. والشاهد في الحديث أن أنس بن النضر ﷺ مارس التقويم مرتين: الأولى: حين تخلّف عن غزوة بدر، فعزَّ عليه ذلك، فقال معتذرًا متعهدًا على مسمع من أقرانه أنه سيعوض ذلك في أول قتال يشهده مع المشركين. وتحمل عبارته التي قالها الكثير من التحريض على الجهاد، فقال: "لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لَلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ". والمرة الثانية: حين صدق بما وعد فحضر غزوة أُحد وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وخلالها أنكر على المسلمين فرارهم من ساحة القتال؛ فاعتذر إلى الله تعالى من صنيعهم، وحاول تثبيت من بقي منهم، وقاتل حتى نال الشهادة في سبيله مقبلًا غير مدبر صابرًا محتسبًا ﷺ.

ب. في موقف تقويمي آخر في أثناء معركة مؤتة يرويه عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ))؟ قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ادْفَعْهُ إِلَيْهِ، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: ((لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ))[2]. والشاهد تقويم الجندي لقائده في أثناء الأداء الجهادي. ومن دلالة الموقف أيضًا ما نبَّه إليه النبيّ ﷺ من وجوب إكرام الأمراء

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، (5/ 349 - ح: 3201). وقال: الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، (3/ 1373 - ح: 1753).



واحترامهم وكفِّ اللسان عنهم ونحوهم مما يقلل من هيبتهم، فهو ﷺ حكم بداية أن يرد خالد ما أخذه من الحميري، ولكن لمَّا لاحظ إطلاق عوف بن مالك وصاحبه الحميري ألسنتهما في حق خالد وأنهما انتهكا حرمة الوالي ومن ولَّاه أخرَّهُ تعزيرًا لهما -كما قال ذلك النووي-[1].

ج. وفي موقف آخر وفي أثناء جولات القتال في خيبر، يصفُ النبيّ ﷺ رجلًا من المسلمين بأنه من أهل النار، وقد قال ذلك تعليقًا على تقويم سابق للصحابة رضي الله عنهم في حقِّ رجل كان معهم في غزوة خيبر أظهر بلاءً حسنًا في قتاله، فشهدوا له مقوِّمين وحاكمين، فقالوا: "مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ"، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). فتعجب الناس من ذلك، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قال: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قال: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ))[2]. وفي هذا الحديث أكثر من شاهد على تقويم الأقران المجاهدين لبعضهم:

الأول: يظهر من تقويم الصحابة المجاهدين رضي الله عنهم لأداء الرجل والثناء على بسالته وبطولته في حضرة النبيّ ﷺ فقالوا ما قالوا عن كثرة إقدامه وحسن قتاله، وبدت شهادتهم كأنها قاطعة بفضل الرجل وكرامته عند الله تعالى فكان من النبيّ ﷺ تعليق على تقويمهم وتصويب لمقولتهم: ((أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ))، ولعل ما قاله النبيّ ﷺ من مقولة تقويمية هي مما أوحى إليه من ربه سبحانه وتعالى أو لعلم سابق عند النبيّ بحال ذلك الرجل. والثاني: عندما بادر أحد أقرانه لملازمته مستكشفًا حاله عن قرب في محاولة لفهم سبب مقولة النبيّ ﷺ في حقه، فرأى بعد تتبع ما حدث من استعجال الرجل موت نفسه حين نالت منه الجراح.

ومن دلالة الحديث أن الأعمال بالخواتيم، وأنه لا يعلم بالخواتيم إلا الله سبحانه وتعالى وأن على المسلم في حال تقويمه غيره ألا يشهد لحيٍّ ولا لميت بشهادة قاطعة عند الله تعالى[3]. وهذا مصداق قول النبيّ ﷺ: ((مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ))[4].

---

(1) انظر: النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (12/ 64).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، (4/ 37 - ح: 2898). (وذبابه بين ثدييه): ذُباب السيف: طرَفُه الأسفل حين يتدلى. أما النصل فهو طرف المقبض.

(3) انظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (5/ 92).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلًا كفاه، (3/ 177 - ح: 2662).



ونختم بموقفين يظهر فيهما تقويم الأقران في غزوتي مؤتة واليرموك:

الموقف الأول نقله الواقدي في مغازيه عَنْ أَبِي هَرِيرَة ﷺ قَالَ: "شَهِدْت مُؤْتَةَ، فَلَمَّا رَأَيْنَا الْمُشْرِكِينَ رَأَيْنَا مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ مِنْ الْعَدَدِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ وَالدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، فَبَرِقَ بَصَرِي، فَقَالَ لِي ثابت بن أقرم ﷺ: يَا أَبَا هَرِيرَةَ، مَا لَك؟ كَأَنَّك تَرَى جَمُوعًا كَثِيرَةً. قُلْت: نَعَمْ، قَالَ: لم تَشْهَدُنَا بِبَدْرٍ؟ إنَّا لم ننصر بالكثرة"![1]. والشاهد: ما فعله ثابت بن أقرم ﷺ في تثبيت وتقوية عزائم أصحابه ممن حضر معركة مؤتة، فأكد لهم ولأخيه أبي هريرة ﷺ بأن النصر من عند الله، وأنه ليس بكثرة عدد ولا عدة كما يظن كثير من الناس، واستحضر معه مستدلًا تجربته في غزوة بدر الكبرى وكيف كانوا يومها قليلًا فنصرهم الله على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

والموقف الثاني كان متأخرًا بعد وفاة النبيّ ﷺ: وقد نقله الطبري في تاريخه أن خالدًا ﷺ أقبل من العراق ليلحق بجموع المسلمين في معركة اليرموك في السنة الـ 15هـ، فلما وصل، قال له رجل من بين صفوف المجاهدين: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد، وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق[2]. والشاهد هذا التقويم الفوري من خالد بن الوليد ﷺ لذلك الرجل بين صفوف المسلمين قبيل معركة اليرموك؛ فقد أنكر عليه وحذّره من مقولات التخذيل، وذكّره بأن النصر من عند الله لا بعدد الرجال؛ وهو بذلك يصدق عليه قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: 249].

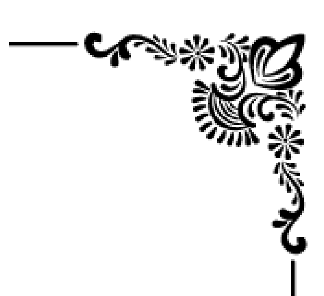
وفي المواقف الجهادية السابقة دلالة على أهمية دور القائد وأصحاب العلم والخبرة في التوجيه والتقويم، وأهمية مشاركتهم وتواجدهم بين صفوف المجاهدين والمرابطين يثبتونهم ويحملون الراية معهم جاعلين من أنفسهم أسوة حسنة في حبّ الجهاد وشدة الإيمان والثقة بوعد الله تعالى ونصره.

(1) الواقدي،محمد بن عمر، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي، ط3، 1409هـ - 1989م، (2/ 760).

(2) الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1407هـ، (2/ 337).







المبحث الخامس

استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على مراجعة الذات

يُعَبَّرُ عن هذه الاستراتيجية بمصطلح "التقويم الذاتي"، والذي يُعرَّف بأنه: "إصدارُ الشخصية حُكمًا قِيميًّا على ذاتها، أو حكمًا قِيميًّا على النشاط الذي تقوم به، والمتعلق بأفعالها وأفكارها ومشاعرها وتصرفاتها وفق معايير التربية الإسلامية؛ لتعزيز السلوك أو تعديله أو تحقيق غاية أخرى منشودة من وراء هذا التقويم"(1).

ويُهتَّمُ في المجال التربوي بتنمية وتعزيز هذا النوع من التقويم عند المتعلمين، فمن خلاله يتولى الفرد تقويم نفسه، وتصحيح سلوكه؛ باعتبار أن الوازع الداخلي أبلغ أثرًا في ردع الإنسان وأصدق نتيجة. كما أن التقويمَ بهذه الطريقة يبقى متواصلًا مستمرًا ما دام للإيمان وجود في نفْس الإنسان، منفردًا كان الشخص أم مع الآخرين، وتحت كل الظروف والأحوال(2).

وقد عَرَّف الفريق الوطني الأردني "استراتيجية التقويم المعتمد على مراجعة الذات" بأنها: مبادرةُ المتعلم إلى تحويل خبرة سابقة إلى تعلُّم، من خلال التمعن الجاد في الآراء، والمعتقدات، والمعارف، والسلوك من حيث أسسها ونواتجها. وفي هذه الاستراتيجية يتكامل دورُ التقويم مع التعلم؛ فتستخلص العبر من الخبرات السابقة بهدف الإفادة منها في بناء الخبرات اللاحقة(3). وعرّفت أيضًا بأنها: "عملية يتم فيها تقويم الفرد نفسَه بنفسِه، فيصدر أحكامًا على أعماله المختلفة، ومختلف تصرفاته وجوانب شخصيته وحياته، ثم المباشرة باستخدام الوسائل والطرق لتطوير الذات ومعالجة الخلل (4).

---

(1) أبو إسماعيل، أكرم عبد القادر، **التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1414هـ- 1993م، (ص: ت).

(2) انظر: الحسن: **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة**، (ص: 64).

(3) انظر: الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، (ص: 83).

(4) انظر: حمود، رفيقة سليم، **التقويم والقياس التربوي**، (ص: 223).



وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم المعتمد على مراجعة الذات بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المتعلم من استثمارٍ أشمل وأمثل لرصيده المعرفي والمهاري وخبراته السابقة في مراقبة ذاته والتمعن في نفسه لوزنها في جانب معين وتقدير حالها، وتتميم نقصها، أو تعديل اعوجاجها، أو تثبيتها أو وقايتها بناء على نماذج سابقة أو معايير محددة بغية تحقيق أهداف تربوية.

في المطالب الآتية بيان لأشكال المراجعة الذاتية ومستوياتها، وأدواتها، وخطواتها وعوامل نجاحها، وتفصيل في بعض المصطلحات والتشريعات القرآنية الداعمة لها، ثم استعراض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيقها، على النحو الآتي:

المطلب الأول
مستويات المراجعة الذاتية وأدواتها وخطواتها

عادة ما تكون المراجعة الذاتية فردية، لكنها قد تأخذ شكلًا ثنائيًّا أحيانًا ينطلق من شعور المرء أو المتعلم بحاجته للحديث مع غيره والإسرار له وللتشارك في تحليل الموقف وتشخيصه أو للتباحث والتداول في الحكم على خبرة أو موقف معين يتطلب الإمعان والتحليل في إطار الاستشارة والاسترشاد وطلب النصح.

ويحدث تداخل بين استراتيجية التقويم الذاتي مع استراتيجية التقويم بالأقران بسبب وجود مستويات للمراجعة الذاتية تعتمد على الاستعانة بصديق أو أكثر لتشخيص الحالة ومناقشة الخيارات المتاحة وتبادل التوصيات.

ويختلف التقويم بالأقران عن التقويم الذاتي؛ في أنَّ الأول يُشعِر المتعلم الذي يُقَوَّمُ بواسطة زميل له بسلطة هذا الزميل - خاصة إن كان تقويمه بناءً على تكليف المعلم له بهذه المهمة - مما قد يجعل القرين المستهدف يتخذ موقفًا رافضًا للإجراء أو النتيجة، وهذا تسلم منه المراجعة ذات المنطلق الذاتي. كما أنَّ العلاقات القائمة بين المتعلمين سواء كانت علاقات صداقة أو تفضيل أو تحيز؛ فهي تؤثر في صدق تقديرات الأقران وتقويماتهم[1].

---

(1) انظر: القرزعي، عبد الله علي، **التقويم الذاتي وتقويم الأقران**، في مدونة على الإنترنت، تاريخ الناشر 2012/3/19م. https://child-trng.blogspot.com/2012/03/blog-post_4550.html



مستويات المراجعة الذاتية التربوية:

للمراجعة الذاتية التربوية مستويات نذكرها على النحو الآتي:

1. مراجعة فردية: يجريها المتعلم أو المتربي وحده مستقلًّا عن مُعلِّمه في أيِّ وقت يشاء، معتمدًا على ملكاته وما يكون لديه من تراكم خبرات سابقة حول الموقف، أو معرفة تسمح له بالتأمل والتفكر في حاله ومدى قربه من المعايير الصحيحة أو بعده عنها. وقد يبدأ بها بعد توجيهٍ من معلم أو قرين أو عقب موقف أو مشكلة أو سؤال.

2. مراجعة ثنائية: وتتم بتشارك المراجعة مع أحد المعلمين أو أحد الأقران، ومن خلالها يرى المرء طريقة غيره في قراءة المشهد وتفسيره، فيفيد من تشخيصه بعد تطارح الأفكار والنظر للأمور من أبعاد مختلفة.

3. مراجعة جماعية: وتتم بتوسيع دائرة المشاركة في المراجعة والتحليل؛ لتقويم حالة معينة في الجماعة وتشخيصها جيدًا، والوصول إلى حكم أو حل مناسب يتفق عليه المشاركون. ويمكن أن نذكر شاهدًا على مراجعة جماعيَّةٍ أجراها كبار الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار ﷺ وقد دفع إلى هذه المراجعة الفراغ الذي أحدثه موت النبيّ ﷺ، فاحتاج الناس بعده إلى خليفة يكون رأسًا لهم ومرجعية في الحكم بينهم. فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وجرت بينهم مناقشات استُرجع فيها ماضي الشخصيات وسجلاتهم التاريخية، واستُذكرت المواقف، وشخصت القدرات والمواهب والمميزات، وبعد أخذٍ وردٍّ اجتمعت الآراء على أبي بكر ﷺ بعد أن أنعموا النظر؛ فقاسوا واستدلوا باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة، فقالوا: ارتضاه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا [1].

4. مراجعة الشخصية الاعتبارية: وتعرف في عصرنا بالدراسة الذاتية للمؤسسة أو المدرسة أو الجامعة ونحوه، حيث تجد المؤسسة نفسها محتاجة أو مطالبة بإجراء وقفة مع نفسها، لتنفيذ مراجعة ذاتية يشارك فيها الأعضاء والعاملون والمشرفون والطلاب وأولياء الأمور، وقد تشرف عليها جهة خارجية؛ وهذه تجمع الأدلة لتشخيص حالة المؤسسة أو العاملين فيها أو لتقويم الفعاليات والإجراءات، وكل ذلك بهدف صياغة مسارٍ مناسب للمؤسسة على الصعيد التربوي أو الفكري أو

---

(1) انظر: الكرمي، حافظ أحمد، **الإدارة في عصر الرسول** ﷺ، القاهرة، دار السلام، ط1، 1427 هـ، (ص: 112).



الإداري، معتمدين على أهداف المؤسسة ومعايير الجودة المعتمدة. وغالبًا ما تُنَفَّذُ هذه الدراسة الذاتية ضمن ترتيبات المؤسسة التربوية للحصول على الاعتماد لشهادتها أو لبرنامج أكاديمي أو تربوي فيها، وتعتبر من أهم وسائل التطوير والتحسين والتقويم؛ حيث يسهم السير في طريق تحصيل الاعتماد المؤسسي في إحداث التطوير والتغيير والمراجعة بمجالات عديدة عند الأفراد على اختلاف مستوياتهم الإدارية(1). وبلا شك فإنَّ البعدَ التربوي والتقويمي أساسٌ في أي دراسة ذاتية تجريها المؤسسات التعليمية لنفسها، لكن يجدر التذكير بأن هذا إجراء معاصر، وله أدواته وتنظيماته المحددة في إطار تحقيق جودة المؤسسات والبرامج. ولم يقف الباحث على نحوه في السُنّة النبويّة.

أدوات المراجعة الذاتية:

تُعدُّ "يوميات الطالب وملفه الخاص" من أبرز أدوات المراجعة الذاتية المعاصرة، ففيها يُدوِّن المتعلمُ مراجعاته وخواطره وانطباعاته وإنجازاته وتلخيصاته حول ما شاهده أو سمعه أو شارك فيه من مناشط وفعاليات تربوية. ويمكن أن يعرض هذا الملف أو هذه اليوميات على المعلم أو المربي بين الحين والآخر لتقويمه وتقديم الملاحظات والتوصيات.

ولم نقفْ على عنايةِ الصحابة ﷺ بكتابة يوميات لهم أو مراجعات. باستثناء حالات بعض الصحابة ﷺ وبجهود فردية منهم، حيث كانوا يكتبون لأنفسهم سورًا من القرآن الكريم أو بعضًا من خطب النبيّ ﷺ ودروسه وأحاديثه، وقد روى نحوًا من ذلك عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: ((اسْتَأْذَنْتُ النبيّ ﷺ فِي كتاب مَا سَمِعْتُ مِنْهُ، قَالَ: فَأَذِنَ لِي فَكَتَبْتُهُ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُسَمِّي صَحِيفَتَهُ تِلْكَ الصَّادِقَةَ))(2).

ونخلص إلى القول بأن ما يميز المراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة اعتمادُها على المشافهة وحديث المرء مع نفسه أو حديثه مع غيره، وأن الكتابة لم تكن إحدى أدواتها.

---

(1) انظر: مايكل ج. دوريس، جون م. كيلي، جيمس ف. ترينر، **التخطيط الاستراتيجي الناجح**، ترجمة: سمة عبد ربه، الرياض - السعودية، مكتبة العبيكان، ط 1، 1427 هـ، (ص: 49).

(2) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (2/ 285).



خطوات المراجعة الذاتية وعوامل نجاحها:

وحتى تكون المراجعة الذاتية ناجحةً ومثمرةً، فنوصي بمراعاة الخطوات الخمس الآتية:

1. تحديد العنوان أو الموضوع أو المجال المستهدف بالمراجعة الذاتية.
2. استحضار جملة من المعايير أو النماذج أو الأهداف المرتبطة لتستند إليها المراجعة الذاتية.
3. جمع الأدلة، وعقد المقارنات في إطار توضيح ما هو الوضع الحالي وما يجب أن يكون عليه، اعتمادًا على المعايير والأهداف.
4. كتابة النتائج والملاحظات وإصدار الحكم والتوصيات، واقتراح التحسينات والخطوات المستقبلية.
5. الاستئناس برأي خبير مخلص مطلع على الظروف والأحوال.

ولتحقيق نجاح أكبر للمراجعة الذاتية، تكون التوصية بمراعاة العوامل المؤثرة الآتية:

أولًا: ترتيب جلسات الخلوة الفردية والتفكر في معزل عن صخب الحياة وضجيجها، فقد قيل: إن الازدحام يشوِّشُ الخاطر، والخلوة بالنفس مظنة صفائها ومراجعة أحوالها وتوبتها وتزكيتها. يقول ابن تيمية رحمه الله: "ولا بد للعبد من أوقات ينفردُ بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور"[(1)]. ويقول صاحب الظلال: "ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية؛ من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض وضجة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة، لا بد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة"[(2)]. ويقول الغزالي: "الخلوة أصل والخلطة عارض، فيلزم الأصل ولا يخالط إلا بقدر الحاجة، وإذا خالط يلازم الصمت فإنه أصل"[(3)].

ولا جدال في فضل مخالطة الناس والصبر عليهم في أثناء معايشتهم وتعليمهم، ولكنّ المراد في هذا المقام التذكير بأن يكون للمرء فرصة متكررة للوقوف مع نفسه فيراجعها ويحاسبها - فيثبتها على الحق ويأخذها بعيدًا عن الظلم والباطل-.

---

(1) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، (10/ 426).

(2) قطب: **في ظلال القرآن**، (10/ 103).

(3) الغزالي: **مجموعة رسائل الإمام الغزالي**، (ص: 102).



ثانيًا: حضور جلسات العلم ومعايشة العلماء وتخيُّرُ البيئة التربوية والاجتماعية الأصلح، فقد قيل للرجل الباحث عن التوبة: "ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا"[1]. قال: "فَخَرَجَ مِنْ قَرْيَتِهِ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ"[2].

ثالثًا: بذل النصيحة والتذكير؛ تنبيهًا للغافل وزجرًا للعاصي، لقوله ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[3].

رابعًا: الهجر التربوي الجميل للعاصي أو المقصر، ومقاطعته فترة محدودة تأديبًا وتربية، كما قال تعالى، ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾ [سورة المزمل: 10]. قال القشيري: الهجر الجميل "ما يكون لحقِّ ربِّكَ لا لحظِّ نفسك"[4]، كما أنه هجرٌ لا عتاب فيه، ولا مشادة، ولا غضب[5]. وهذا الهجرُ الهادف مظنة أن يدفع المرء لبدء مراجعة ذاتية ومحاسبة تقويمية تُعيد صاحبها إلى الحق. مع ملاحظة أن النبيّ ﷺ حدَّدَ سقفًا لمدة الهجر التربوي بين الأخوة والأقران، وهو ثلاثة أيام؛ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ))[6]. أما هجر الزوجة الناشز تقويمًا لحالها، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾ [سورة النساء: 34]، بمعنى: هجرها في المضجع، بأن يوليها في المبيت ظهره، ولا يعاشرها المعاشرة الحسنة التي كانت تلقاها منه، وهذه المرتبة يثقل على المرأة تحملها، ولا بد أن تحثها على التفكير في عواقب عصيانها، وتجعلها تثوب إلى رشدها، وتفيء إلى أمر الله في طاعة زوجها[7]. وقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن عمر، قال: اعتزل النبيّ ﷺ نساءه - من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة رضي الله عنهما - تسعًا وعشرين ليلة، وكان قال: ((مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ))[8].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (4/ 174 - ح: 3470).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (4/ 2119 - ح: 2766).

(3) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/ 74 - ح: 55).

(4) القشيري: **لطائف الإشارات**، (3/ 644).

(5) قطب: **في ظلال القرآن**، (10/ 111).

(6) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث، (4/ 1984 - ح: 2561).

(7) الأهدل: عبد الله قادري، **أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي**، على المكتبة الشاملة الذهبية، (د. ط)، (د. ت)، (ص: 141).

(8) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، (5191).



خامسًا: استثمار الحوادث الكونية كالكسوف والخسوف ونحوها للتفكر في أسبابها وما وراءها، فهذه الحوادث الكونية المهولة تبعث الخوف في نفوس الناس، وينبغي أن يوجَّه هذا الخوف فيها لتعظيم الله تعالى خالقها ومجريها، واستذكار نعمه بالسلامة والعافية وفضله ﷻ وحقّه في التوحيد والعبادة والذكر، لقول النبيّ ﷺ: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا))[1].

سادسًا: السير في الأرض بقصد النظر والاعتبار من مصير الماضين وتجارب الحاضرين، والتدبر في أحوالهم؛ قال تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾ [سورة الحشر: 2]، يقول ابن منظور: "أي تدبَّرُوا وانظُروا فيما نزل... فقايسوا فِعالَهم واتّعِظُوا بالعذاب الذي نزل بهم. ويَعتبِر ليستدل به على غيره، والعِبْرة: الاعتبارُ بما مضى"[2]. ويجدر لفت الانتباه إلى ما ورد في علم النفس التربوي المعاصر بما يطلق عليه بـ "العمليات الإبدالية" والتي تعني: "أن الخبرات التي يتم تَعلُمها من خلال الممارسة والتجربة المباشرة، يمكن تَعلُمها على نحو بديلي، يتمثل في ملاحظة سلوك الآخرين والنتائج المترتبة على هذا السلوك، الأمر الذي قد يثير لدى الفرد الدافعية لتعلُّم أو تجنُّب هذا السلوك"[3]. فمن المفيد في إطار التمهيد للتقويم الذاتي استحضار تجارب الغير؛ بقراءتها أو سماع تفاصيلها، أو رؤيتها حقيقة أو ممثلة في أفلام وصور ونحوه، فهذا الاستحضار كفيل بدفع الإنسان لفعل أشياء أو ترك أخرى دون أن يكون مضطرًا لخوض التجربة عينها بنفسه، فالعاقل من اتعظ بغيره.

ويمكن ملاحظة تكرار التوجيه الرباني للناس للسير في الأرض لأخذ العبر، فقد ورد (14) مرة في القرآن الكريم[4]، نحو قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى**﴾ [سورة طه: 128].

---

(1) المرجع السابق، كتاب أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، (2/ 34 - ح: 1042). (يخسفان) يغلب أن يقال: الخسوف للقمر. وأن يقال: الكسوف للشمس. وهو بمعنى تلك الظاهرة الكونية التي تنتج ذهاب ضوئهما كله أو بعضه.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، (4/531).

(3) الزغول، عماد عبد الرحيم. **علم النفس التربوية**، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ط2، 2012م، (ص:118).

(4) عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (مادة: س ي ر/ 374).



سابعًا: استثمار مواسم العبادة كالحج ورمضان وليلة القدر للخلوة والتفكُّر والتأمل ومراجعة النفس ومحاسبتها، يقول عطاء[1]: "إن استطعت أن تخلو بنفسك عشيَّة عرفة فافعل"[2].

ثامنًا: تهيئة البيئة وصناعة المشهد المناسب المفضي لحصول المراجعة الذاتية، وتقويم النفس وتغيير مواقفها وقناعاتها، كما حدث مع أبي سفيان زعيم مكة حين طلب النبيّ ﷺ حبسَهُ في مضيق الوادي؛ ليرى كتائب المسلمين المتوجهة صوب مكة؛ فلما رأى ذلك المشهد المعدَّ تيقن من عجز قريش، مما سهَّل في دخول مكة سلمًا[3]. ونحو تلك المشاهد أرغم ثمامة بن أثال رضي الله عنه على رؤيتها في أثناء ربطه في سارية المسجد النّبويّ بأمر النبيّ ﷺ فرأى في أثناء حبسه بهذا الشكل حالَ المسلمين عند سماع أذانهم وإقامة صلاتهم ولاحظ حسن تعاملهم مع بعضهم ومع نبيهم ﷺ[4]. مما أحدث في نفسه مراجعة ذاتية غيَّرت موقفه وقناعاته فدخل في الإسلام.

المطلب الثاني
المراجعة الذاتية في المنهج التربوي النبوي

ينبغي التنويه إلى أن المراجعة الذاتية مطلب ديني، عُبِّرَ عنه بالدعوة إلى النظر والفكر والمحاسبة الذاتية والتوبة. ويمكن ملاحظة تعزيز القرآن والسُنة لهذه المسارات، على التفصيل الآتي:

التفكر

يلاحَظُ بأن القرآن الكريم قد وجّه لتوظيف النظر والفكر، والتي هي مظنة استخلاص العبر والدروس سواءً من التاريخ أو من الواقع أو من البيئة أو من تجارب النفس وخبراتها السابقة؛ وبالتالي تعين على الوصول لحكم تقويمي أكثر دقة، فالمرء طبيب نَفْسِه، وهو يدرك من طباعها ما لا يدركه غيره، حتى وإن أفْتَاه الناسُ وأَفْتَوْه. ولعل هذا يُفهم من دلالة الحديث المشهور الذي رواه وَابِصَة بْنِ مَعْبَد رضي الله عنه،

---

(1) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، تابعي فقيه مفسر ومجاهد، (ت 135 هـ). انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ - 1985م ، (6/ 140).

(2) الحسني، محمد بن أحمد، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م، (5/ 209).

(3) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية، دار الفكر**، (د. ط)، 1407هـ- 1986م، (4/ 290).

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة، (5/ 170 - ح:4372).



قَالَ: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ لَا أَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّى فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ، فَقُلْتُ: دَعُونِي أَدْنُو مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ، فَقَالَ: ادْنُ يَا وَابِصَةُ. فَدَنَوْتُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ فَقَالَ: يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ عَنْ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ؟ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي وَيَقُولُ: ((يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ))[1].

والشاهد في الحديث دعوة للمرء لأن يستفتي نفسه ويسألها، ويكون ذلك بالتفكر في حالها ومواقفها وأدائها. وقد وضع النبي ﷺ في الحديث معيارًا لا يتعارض مع النصوص والأدلة بل هو داعم لها، ويمكن تفعيله بعد سؤال أهل العلم، أو مشاورة الصالحين وعند فقد الدليل، كما يقول ابن رجب الحنبلي: "فما ورد النصُّ به، فليس للمؤمن إلا طاعةُ الله ورسوله، وينبغي أنْ يتلقى ذلك بانشراح الصَّدر والرِّضا.. والتَّسليمُ له. وأما ما ليس فيه نصٌّ من الله ورسوله، ولا عمَّن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئنِّ قلبه بالإيمان، .. فهنا يرجعُ المؤمن إلى ما حكَّ في صدره، وإنْ أفتاه هؤلاء المفتون[2].

وننوه إلى أن مفردة "فكر" مع لواحقها قد وردت في القرآن الكريم (18) مرة، وكانت تتضمن الدعوة للتفكر في آيات الله تعالى والوحي والنبيّ المبعوث وفي آيات الكون والنفس وفي أخذ العبرة من قصص السابقين، وفي نعم الله تعالى[3].

وبلا شك فإن التفكر والتدبر والنظر طريق الوصول إلى الهداية والحقيقة، كما أنها المخرج من الغفلة والتيه والتقليد، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ [سورة سبأ: 46]. يقول النسفي في معرض تفسيره للآية الكريمة: "والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي أن تقوموا ﴿لِلَّهِ﴾ أي لوجه الله خالصًا لا لحمية ولا عصبية،

---

(1) النووي، يحيى بن شرف، **الأربعون النووية**، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1430هـ - 2009م، (88/1 - ح: 27). قال النووي: حديثٌ حسنٌ رويناه في " مسنَدَي "الإمامين أحمد والدَّارميِّ بإسنادٍ حسنٍ. (وابصة بن معبد بن عتبة بن الحارث)، أبو سالم ويقال أبو الشعثاء ويقال أبو سعيد الاسدي. وفد على النبيّ ﷺ سنة تسع ثم رجع إلى بلاد قومه ثم نزل إلى الجزيرة. انظر: ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، (11/ 89).

(2) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (2/ 741).

(3) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (ص: 525).



بل لطلب الحق. ﴿مثنى﴾ اثنين اثنين ﴿وفرادى﴾ فردًا فردًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾. أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف؛ حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق. وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونَصَفة ويعرض فكره على عقله، ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع - بالكثير من الناس- مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الرؤية، ويقل الإنصاف فيه، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب [1].

ويمكننا أن نستوحي من الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ دلالات مرتبطة بالمراجعة الذاتية، على النحو الآتي:

1. يستفاد من أسلوب الحصر في الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾، الإشارة لعِظَم هذا المنهج وأهميته وأثره في تحقيق الفلاح في الدارين، فلا أحسن مما يعظنا به ربنا ويوصينا به.
2. دلَّتْ عبارة الآية: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، على ضرورة أن يكون الدافع من وراء هذا القيام والمراجعة هو طاعة الله تعالى والإخلاص له[2] بما يتضمنه ذلك من صدق في النقد وحرص على الإحسان، بعيدًا عن العصبية والهوى.
3. تدل عبارة: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ على الدعوة للتفكر، والذي هو مظنة التمعن وملاحظة الأخطاء والوقوف عند جوانب التقصير، من ثم التخطيط للمعالجة والعزم على التحسين.
4. تدل عبارة: ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أن عملية المراجعة قد تكون فردية أو ثنائية.

النفس اللوامة ومحاسبة الذات

يمكن اعتبار مصطلح "النفس اللوامة" أساسًا في استراتيجية المراجعة الذاتية ومحاسبة النفس وتقويمها. وهو مصطلح قرآني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ [سورة القيامة: 2]، ففي هذه الآية يقسم ربنا ﷻ بالنفس اللوامة، ومن دلالة ذلك لفت الانتباه لشرفها ودورها في تقويم الذات ومراجعتها. يقول الحسن البصري في وصفه النفس اللوامة: "إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه

---

(1) النسفي: **تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (3/ 70).

(2) انظر: ابن العثيمين: **شرح رياض الصالحين**، (1/ 576).



دائمًا، يقول ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى، أو نحو هذا من الكلام"[1]. فالنفس بهذا الحال من اللوم المستمر مظنة نجاتها من الغفلة، وتبقى دائمة المراقبة لحالها تلوم على التقصير في الطاعة أو فواتها، وتلوم على الوقوع في المعصية أو السير في خطواتها. وهي بهذه الحال سريعةٌ أوبتها ومرجو صلاحها. ويصف سيد قطب النفس اللوامة فيقول هي: "النفس المتيقظة التقية الخائفة المتوجسة التي تحاسب نفسها، وتتلفت حولها، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها -هذه- هي النفس الكريمة على اللّه"[2]. وهذا اللوم المتكرر ضربٌ من ضروب المراجعة الذاتية التقويمية، وهو سبيل للوقوف على الأعمال والأقوال وحتى النيات لتصحيحها.

ويبين ابن القيم بأن: "محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده"[3]. فيحاسب المرء نفسه قبل الشروع بالعمل، فإن ترجَّح له صحة ما هو مقبل عليه باشر فيه وإلا تركه. ثم يحاسب المرء نفسه بعد العمل؛ هل صلحت نيته وأخلص لربه وهل تحرى الإتقان والإحسان؟ ليستدرك في القادمات ويعتاد استحضار النيات.

التوبة

تُعرَّف التوبة اصطلاحًا بأنها: "ترك الذنب لقبحه والندم على فعله والعزم على عدم العود، وردّ المظلمة -إن ثمة- أو طلب البراءة من صاحبها"[4].

وتعدّ التوبة واحدةً من أهم التوجيهات من الله تعالى لعباده، فقد تعددت الآيات القرآنية التي تدعو لها، وتؤكد فضلها وأنها سبب للفلاح والنجاة، نحو قوله تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [سورة النور: 31]، وقد سُميت سورة في القرآن بسورة التوبة.

ومن الأحاديث التي تحثّ على التوبة، قوله ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِئَةَ، مَرَّةٍ))[5]. وبهذا جعل النبيّ ﷺ من نفسه أسوةً بتكرار التوبة والاستغفار. ويقول ﷺ:

---

(1) ابن قيم الجوزية، **الروح**، (ص: 312).

(2) قطب: **في ظلال القرآن**، (10/ 134).

(3) ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، المحقق: محمد حامد الفقي، لبنان- بيروت، دار المعرفة، ط 2، 1395 هـ1975-، (1/ 81).

(4) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (11/ 103).

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، (4/ 2075 - ح: 2702).



في حديث آخر: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ))[1]. يقول النووي: والمراد في الحديث هنا ما قد يتغشى القلب من الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه ﷺ الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل؛ عَدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه، وقيل: هو همُّهُ بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم[2]. والاستغفار إقرار بعبودية المرء لربه ومعبّر عن التوحيد وشكل من أشكال الإنابة إليه ﷻ وتعظيمه، كما يظهر في دعاء سيد الاستغفار الذي أخرجه البخاري عن شَدَّاد بْن أَوْس رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: ((سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ))[3].

ويكفي لتصور فضل التوبة وعظيم شأنها أن نستذكر انشغال حملة العرش عليهم السلام بالاستغفار للتائبين، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ [سورة غافر: 7]. فاستشعار المؤمن بأن الملائكة الكرام -حملة العرش- يستغفرون للتائب؛ يشكِّلُ حافزًا عظيمًا يدفع المؤمن للتوبة ولا يملُّ من تكرارها. وفيه إيحاء بفضيلة استغفار المؤمن لغيره من والديه وزوجه وأبنائه وإخوانه المؤمنين، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [سورة الحشر: 10]

ومن المناسب أن نشير إلى أسماء الله تعالى المعينة على التوبة، كالغَفور والغفَّار والتواب والرحمن الرحيم، وهي أسماء حسنى ارتبطت بدعوته ﷻ عباده إلى تكرار التوبة والاستغفار؛ فضعف الإنسان ونسيانه وتكرار خطئه يناسبها سؤال الله التوبة بهذه الأسماء، كما يناسبها أيضًا أن تبقى أبواب التوبةِ مشرعة، فلا تغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، قال النبيّ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[4]. وفي الحديث تحفيزٌ للمؤمنين على دوام الرجوع إليه ﷻ فهو باسط يديه بالرحمة ينتظر توبة التائب

(1) المرجع السابق، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، (4/ 2075 - ح: 2702).

(2) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (17/ 23).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، (8/ 67 - ح: 6306).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، (4/ 2113 - ح: 2759).



ويفرح بها، قال ﷺ: ((اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ))[1]. قال الله تبارك وتعالى في الحديث القُدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ))[2]. وفي الحديث تقويم تربوي يبين طبيعة النفس البشرية وكثرة وقوعها في الزلل والنسيان، وتأكيد بأن الاستغفار يجبر ضعفها.

ومن الجدير التأكيد على المؤمن ليتحرى طاعة الله تعالى ورضاه، وأن يجتنب معصيته، ويحذر من خطوات الشيطان، ويحيط نفسه بمن يذكره إن نسي، ويشجِّعه إن أصاب، ويرشده إن ضل، ثم إن زلَّت قدمه في المعصية بادر إلى الاستغفار والتوبة النصوح التي يكون فيها إخلاص وندم وإقلاع عن الذنب وعزم على عدم الرجوع إليه، وردُّ الحقوق لأصحابها، كما ينصح بتعجيل التوبة خشية فوات أوانها [3].

نسيان النفس

تكرر التحذير في القرآن الكريم من "نسيان النفس"[4]، وهو بمعنى غفلتها عن أداء حق الله تعالى حين تغرق في المعصية أو تترك الطاعة، كما في قوله: ﴿**نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [سورة التوبة: 67]، أي "جازاهم جزاء النسيان، وقد فُسِّر: تركوه فتركهم"[5]. فالنسيان بهذا المعنى يصير نقمة على صاحبه؛ لأنه نسي ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ونسي واجباته تجاه خالقه، ونسي ما يقرِّبه لمرضاة المنعم عليه، ونسي وضَيَّع ما يقوم به أمر دينه ودنياه[6].

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: ((يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب التوبة، (8/ 68 - ح: 6309).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1994 - ح: 2577).

(3) انظر: أبو محمود: **المضامين التربوية في آيات الأرض المباركة**، (سورة ص:126).

(4) [سورة الأعراف: 51]، [سورة ص: 26].

(5) الدينوري، عبد الله بن مسلم، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط 1، 1397 هـ، (1/ 288).

(6) انظر: الحواس، حصة حمد، **النسيان في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية وآثاره التربوية**، مجلد (32)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الصفحات (431-496)، (ص:489).



رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي))[1].

ولخطورة أمر نسيان الله تعالى فقد تضافرت الوسائل والأدوات والتشريعات لتذكير المرء المسلم وإيقاظه من الغفلة؛ ففي سبيل ذلك كان رفع الأذان خمس مرات في اليوم والليلة صادحًا بكلمة التوحيد ومذكِّرًا بحق الله تعالى والشهادتين، وكانت صلاة الجمعة فرصة متكررة للتذكير والوعظ واللقاء بالصالحين، ويأتي صيام شهر رمضان وموسم حج البيت فرصة متكررة للمراجعة السنوي. ويأتي الموت وصلاة الجنازة وكذا زيارة القبور بين فترة وأخرى فتحصل اليقظة وتصحو النفس حين ترى مآلها في الكفن والحفرة والتراب ونحوه، قال رسول الله ﷺ: ((نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا))[2]. وعليه فإن تكرار المراجعة الذاتية مظنة اليقظة واستدراك ما فات من الطاعات، وفي ذات الوقت فرصة للتخلص من العيوب والذنوب، وتكون سببًا في ردّ الحقوق لأصحابها.

المطلب الثالث

تطبيقات عملية للمراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة

ونستعرض فيما يأتي جملةً من الأحاديث والتي تضمنت مواقف لمراجعات ذاتية، على النحو الآتي:

التوجيه النّبويّ لإجراء المراجعة الذاتية

عن جَرِير بن عبد الله[3] رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قال: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ[4] أو الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ،

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، (4/ 2279 - ح: 2968).

(2) المرجع السابق، كتاب الجنائز، باب استئذان النبيّ ﷺ ربه في زيارة قبر أمه، (2/672 - ح: 977).

(3) جرير بن عبد الله البجلي: أسلم وبايع سنة (10 هـ)، أرسله النبيّ ﷺ ليهدم "ذي الخلصة" بيت أصنام كانت تعبدها قبائل دوس وخثعم وبجيلة، توفي جرير سنة (54 هـ). انظر: ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، (1/ 582).

(4) مجتابو النمار: جمع نمرة، وهي كساء من صوف مخطط. ومعنى مجتابيها: لابسوها.



فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسول الله ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [سورة النساء: 1]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [سورة النساء: 1]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [سورة الحشر: 18]، ثم قال: ((تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حَتَّى قال- وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). قال: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قال: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسول الله ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))(1).

يتضمن هذا الحديث مشهدًا تقويميًّا نبويًّا، وُجّه من خلاله الصحابة الكرام ﭫ لإجراء مراجعات ذاتية مع أنفسهم بهدف حلّ مشكلة الفئة الفقيرة المحتاجة القادمة من الأطراف. ومن ظاهر الحديث؛ فإن التقويم التربوي العمليّ بدأ حين تغير وجه الرسول الكريم، عندما لاحظت عيناه الكريمتان شدَّةَ فقر وحاجة النفر القادمين إليه من مُضَر، فأبدى اهتمامه ولم يهمل الأمر، فدخل وخرج؛ "لعله يلقى شيئًا من زيادة النفقة أو لتجديد الطهارة والتهيئة للموعظة"(2). ثم خصَّصَ النبيّ الكريم ﷺ خطبة لمعالجة هذه الحالة، فصعد المنبر ومهَّد بتلاوة آيات مناسبة للموقف، الأولى: كانت فاتحة سورة النساء التي تذكِّرُ بالتراحم بين البشر عمومًا، فهم خُلقوا من نفس واحدة، مما يستلزم تضامنهم وأداء حقهم. والثانية: من سورة الحشر والتي حضَّت على مراجعة النفس والتفكر والتأمل فيما ادَّخره المرء ليوم القيامة من أعمال صالحة.

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (2/ 704 - ح: 1017).

(2) الهَرَري، محمد الأمين، **الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، مراجعة: هاشم مهدي، مكة المكرمة، دار طوق النجاة، ط 1، 1430هـ - 2009م، (12/ 67).



ثم أقام النبيّ ﷺ للسامعين معيارًا للأداء المطلوب، وراعى ما بينهم من فروق في الإمكانات، فقال مسهّلًا غير مشترط نوع الصدقة أو حجمها: ((تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حَتَّى قال- وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))، وبذلك يكون قد حثَّهم على مراجعة يقوِّمون فيها إمكاناتهم وما يستطيعونه من الصدقة ضمن معيار يسعهم جميعًا. وقد كانت أول استجابة هي الأهم في هذا الموقف –كعادة الناس فهم يسيرون خلف المبادر الذي يقرع الجرس- حيث جاء رجل كريم مفضال من الأنصار؛ يحمل صرة من مال كادت كفُّهُ تعجز عنها، بل قد عجزت، فلمَّا رأى الناس ذلك تشجعوا وتتابعوا يأتون بما تيسر؛ فتهلَّلَ وجه النبيّ ﷺ حين اجتمع أمامه كَوْمان من طعام وثياب. وفي معرض تقويمه ﷺ لما جرى وثنائه على أصحابه رضي الله عنهم خصَّ المبادر الأول وبشَّرَه بقوله: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ)). يقول الساعاتي معقبًا: والسُنّة هي كل عمل صالح فعله الإنسان واقتدى به غيره ففعل مثل فعله، فيكون للفاعل الأول مثل أجور من اقتدوا به في هذا العمل الصالح مهما كثر عددهم ما دام العمل مستمرًا، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. وفيه حثٌّ على الابتداء بالخيرات وسنِّ السنن الحسنة والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات[1].

المراجعة مع أبي حذيفة بن عتبة[2] رضي الله عنه:

أخرج أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: ((مَنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْسِرُوا مِنْ بَنِي عبد المُطَّلِبِ، فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا كُرْهًا))[3]. والمعنى أنه أراد أسرهم تجنبًا لقتلهم. وفي رواية أكثر تفصيلًا -عند الحاكم وابن هشام وابن سعد- عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال يَوْمَ بَدْرٍ: ((مَنْ لَقِيَ مِنْكُمُ الْعَبَّاسَ فَلْيَكْفُفْ عَنْهُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا))، فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ: أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَعَشَائِرَنَا وَنَدَعُ الْعَبَّاسَ، وَاللَّهِ لَأَضْرِبَنَّهُ بِالسَّيْفِ، فَبَلَغَتْ -مقولته- رسول الله ﷺ فَقَالَ

---

(1) الساعاتي: **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، (9/ 154).

(2) أبو حذيفة: صحابي من السابقين الأولين البدريين، اسمه: "هشيم"، والده عُتبة بن ربيعة من سادات قريش قتل مشركًا يوم بدر، أما أبو حذيفة فقد استُشهد يوم اليمامة عام (12 هـ) وهو ابن ست وخمسين عامًا. انظر: ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، (7/ 74).

(3) الشيباني: **مسند أحمد بن حنبل**، مسند علي بن أبي طالب، (1/ 462 - ح: 676)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر **مسند أحمد** بتحقيق الأرنؤوط.



لعمر بن الخطاب: ((يَا أَبَا حَفْصٍ)). - قال عُمَر ﷺ: إِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَّانِي فِيهِ بِأَبِي حَفْصٍ- ((يُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسول الله بِالسَّيْفِ))؟ "فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ. وَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ: ((ما أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ، وَلَا أَزَالُ خَائِفًا حَتَّى يُكَفِّرَهَا اللَّهُ عَنِّي بِالشَّهَادَةِ، قال: فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا))[1].

أقول: وهذه الحادثة تناسب لأن تكون تطبيقًا عمليًّا على خطوات المراجعة في إطارها التقويمي التربوي؛ فقد حدد رسول الله ﷺ المهمة وهي: قتال المشركين في بدر، ومن ثم وضع معيارًا إضافيًّا يضبط التنفيذ وهو: التنحي عن رجال معينين من بني هاشم وغيرهم ممن أخرجوا كُرْهًا، فلا يُقتلون بل يُؤسرون. وعُمِّمَت هذه المهمة على الصحابة ﷺ ممن حضر بدرًا.

ويبدو من ظاهر الحديث أن تغذية راجعة وصلت النبيّ ﷺ حول مقولة أبي حذيفة واعتراضه على المعيار المحدد، والذي يتضمن تجنب قتل العباس وبعض الرجال من قريش حُدِّدَتْ أسماؤهم. فما كان من النبيّ ﷺ إلا أن راجع الأمر مع عمر بن الخطاب ﷺ لتقدير الموقف والتصرف.

ويبدو من ظاهر الحديث أن أبا حذيفة ﷺ قد وصلته مقالة النبيّ ﷺ في حقِّهِ من خلال أقرانه، فراجع نفسه ولامها، بل ظلَّ بعدها نادمًا على مقولته ويعمل لها أعمالًا صالحة رجاء أن يغفرها الله له.

وقد أخرج الحاكم تتمة الموقف في رواية عن عائشة ﷺ، قالت: "ولَمَّا أَمَر - بقتلى المشركين- فَسُحِبُوا عُرِفَ فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ الْكَرَاهِيَةُ وَأَبُوهُ يُسْحَبُ إِلَى الْقَلِيبِ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((يَا أَبَا حُذَيْفَةَ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ سَاءَكَ ما كَانَ فِي أَبِيكَ)). فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رسول الله، ما شَكَكْتُ فِي اللَّهِ وَفِي رسول الله، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ حَلِيمًا سَدِيدًا ذَا رَأْيٍ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ لا يَمُوتَ حَتَّى يَهْدِيَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْ قَدْ فَاتَ ذَلِكَ وَوَقَعَ حَيْثُ وَقَعَ أَحْزَنَنِي ذَلِكَ، قال: فَدَعَا لَهُ رسول الله ﷺ بِخَيْرٍ[2].

---

(1) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتابة معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي حذيفة، (3/ 247 - ح: 4988). وقال صحيح على شرط مسلم. وانظر: ابن هشام، السيرة النبويّة، (1/ 629). وانظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (4/ 7).

(2) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتابة معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي حذيفة، (5/495 - ح: 4995). وقال: صحيح على شرط مسلم. (القَلِيب): بئر قديم أقيت فيه جثث قتلى المشركين يوم بدر.



يقول منير الغضبان: لقد ربى رسول الله ﷺ أبا حذيفة حين أبرز له خطأه عن طريق عمر ودفعه إلى الندم عليه. وتابعه في أشدِّ لحظات انفعاله حيث برز أثر التربية فيه خلال الغزوة نفسها. وانتقل من هيئة من كان يريد قتل عمِّ النبيّ محمد ﷺ بسيفه إلى هيئة من يرى مصرع أبيه وعمِّهِ وأخيه فلا يغضبه، بل يحزنه موتهم على الكفر، وهي نقلة هائلة ولا شك لا يمكن أن تتم إلا في مصنع العقيدة، وعند مربِّيها عليه الصلاة والسلام[1].

المراجعات مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

يجدر التنويه إلى أنه ليس بالضرورة أن تقود المراجعة الذاتية التي يجريها المتعلم مع نفسه إلى نتيجة صحيحة دائمًا، فالعقول تتفاوت في القدرات وتجتهد فترى أمرًا ويخفى عليها آخر، وقد تنحو الأفهام منحى بدافع الحرص ونحوه، وقد يؤثر في القرار عوامل كالعاطفة والتحيز وخطأ الحواس، فينحرف مسار المراجعة والتحليل؛ لذا يكون من المفيد جدًّا أن ينتقل المرءُ من حديثه مع نفسِهِ إلى مراجعة ثنائية مع معلم أو زميل، فهذا مظنة مراجعة البيانات وتثبيت الحقائق وتصحيح الأفهام وإزالة الأوهام. ونذكر في السُنّة النبويّة شاهدًا على ذلك حصل خلال توقيع صلح الحديبية، فقد شقَّ على المسلمين - وهم على أبواب مكة - أن لا يدخلوها، ومن جانب آخر فقد كان لبعضهم رأيٌ وتحفظ على بعض بنود الصلح؛ ولم يدركوا الحِكم التي قصدها النبيّ ﷺ من وراء الصلح.

فيبدو من ظاهر الحديث الوارد أن مراجعات للموقف قام بها الصحابة رضي الله عنهم فقدَّروا وأمعنوا النظر في حالهم وقربهم من مكة وما حصل من بيعتهم حينها تحت الشجرة على الجهاد والمنابذة، فشمروا لذلك ولم يتصوروا أن تسير الأمور صوب تمام الصلح وتنفيذ بنوده ثم عودتهم بلا عمرة ذلك العام؛ ويؤيد ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: (بَلَى)، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قال: (بَلَى)، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قال: ((إِنِّي رسول الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي)). قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟ قال: قُلْتُ: لاَ، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قال:

---

(1) الغضبان، منير محمد، **المنهج الحركي للسيرة النبويّة**، الزرقاء - الأردن: مكتبة المنار، ط 6، 1411هـ، (ص: 707).



أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرسول الله ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ به[1]. ثم نزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتحٌ هو؟ قال: نعم[2].

وتشير الرواية إلى مستوياتٍ من المراجعة نفذها عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

المراجعة الأولى: كانت مراجعة فردية من عمر رضي الله عنه مع نفسه، حاله كحال كثير من الصحابة رضي الله عنهم. قال الحافظ ابن حجر يصف هذه المراجعة ويفسر ما أصاب الصحابة من توقف عند توقيع الصلح، فقال: "ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نُسُكهم بالقهر والغلبة"[3]. فقد عزَّ عليهم أن يتراجعوا وهم الذين بايعوا تحت شجرة السمرة على الموت، كما صعب عليهم الرجوع عن مكة وهم يستذكرون أن النبيّ ﷺ كان حدثهم بأنهم يأتونها ويطوفون بالبيت الحرام.

المراجعة الثانية: كانت من عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع النبيّ ﷺ، حيث كان يتوقع عمر مناجزة قريش وقتالهم، لكن النبيّ ﷺ بحكمته وبتأييد الوحي له؛ عدل عن المقاتلة إلى الصلح تعظيمًا لحرمات الله والبيت الحرام ولحِكمٍ يعلمها الله تعالى؛ فنتج عن الصلح مدة بينه وبين قريش يخلُّون بينه وبين الناس. ومع ذلك فقد استمع النبيّ المعلم ﷺ لمراجعة عمر رضي الله عنه وأجابه عن أسئلته، ولفت انتباهه لأمرين، الأول: أنه رسول الله ولن يعصيه وأنه ناصره، والأمر الثاني: أن ما بشَّرهم به - من دخولهم المسجد الحرام والطواف فيه - واقعٌ لا محالة، وإن لم يكن في ذلك العام ففي غيره.

المراجعة الثالثة: نفذها عمر مع أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فاستعرضا سويًّا الحقائق المرتبطة بالموقف، وأُجِيبَ عن استفسارات عمر رضي الله عنه، وأكّد أبو بكر رضي الله عنه على لزوم اتباع النبيّ ﷺ، فهو رسول الله مسدّد بالوحي ولن يعصي ربه، كما أكّد على ضرورة الثقة بوعد الله تعالى وتأييده.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (3/ 193 - ح: 2731).
(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، (3/ 1411 - ح: 1785).
(3) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (5/ 347).



المراجعة الرابعة: كانت مراجعة فردية من عمر ﷺ مع نفسه، حين أدرك أنه أخطأ بتحفظه على مبدأ الصلح وبنوده، كما أخطأ بأسلوب مراجعته للنبيّ ﷺ وما أبداه حينها من امتعاض. ويظهر الموقف المستوى العالي من حكمة النبيّ ﷺ حين فتح باب المراجعة معه في شأن بنود الصلح، وهو ﷺ كان يعذر أصحابه لما يعرفه من سلامة قصدهم وحرصهم، وأن الحكمة الإلهية من هذا الصلح لم تكن حاضرة في أذهانهم. كما وتظهر الرواية الانسجام الكامل لموقف أبي بكر الصديق ﷺ مع الإجراءات النبويّة في موضوع اتفاقية الصلح، وقيامه ﷺ بدور فعَّال في تثبيت أقرانه من الصحابة ودعوتهم لامتثال غرزِ النبيّ ﷺ وطاعته.

وتبين الرواية أيضًا تراجع عمر بن الخطاب ﷺ وانقياده سريعًا لأمر النبيّ ﷺ، وندمه لاحقًا على هذه المراجعة، حتى إنه عمل لها أعمالًا صالحة تكفيرًا عما صدر منه في ذلك الموقف، خاصَّةً بعد أن نزل الوحي الكريم ليؤكد أن ما حدث من صلح كان فتحًا وعزًّا، وقد ظهرت بوادره حين تفرغ رسول الله ﷺ للدعوة ومراسلة الأمراء والحكام ودعوة القبائل، فكان ما جرى من صلح مقدمة لانتشار الدعوة في أنحاء الجزيرة وخارجها، وتكلل بفتح عظيم لخيبر ومكة المكرمة خلال عامين.

مراجعة أخرى مع عمر بن الخطاب ﷺ:

جرت مراجعة تضبط معيار العلاقة ومستوى الحب بين المسلم والنبيّ المعلم ﷺ.

يقول عُمَر بن الخَطَّاب ﷺ للنَّبيِّ ﷺ وهو آخذٌ بيده يومًا: يَا رسول الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النبيّ ﷺ: ((لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النبيّ ﷺ: الآنَ يَا عُمَرُ))[1]. والشاهد في الحديث ما حصل من مراجعة ثنائية وتشارك في تصحيح معيار العلاقة والحب بين النبيّ ﷺ أصحابه، فقد رفض النبيّ المعلم ﷺ معيارَ عمر بن الخطاب ﷺ وبيَّنَ له ولغيره وبوضوح مؤكدًا بالقسم "المعيار الأدق"، من خلال قوله: ((لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)). عندها أجرى عمر بن الخطاب ﷺ مراجعة ذاتية سريعة مع نفسه، وأدرك بفطنته مغزى النبيّ ﷺ ومقامه الكريم وفضله العظيم عليه وعلى أمته؛ فلم يتأخر بالردِّ، بل سريعًا عَدَّلَ عن موقفه وغيَّرَ مقولته مؤكدًا بالقسم التزامه بالمعيار النبوي؛ ليصبح الرسول ﷺ عنده أحبَّ إليه من كل

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: كيف كانت يمين النبيّ؟، (8/ 129 - ح: 6632).



شيء ومن نفسه أيضًا. يقول الخطابي: "حُبُّ الإنسان نفسَه طَبْعٌ، وحبُّهُ غيره اختيار بتوسُّط الأسباب، وإنما أرادَ ﷺ بقوله لعُمر حُبُّ الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطِّباع وتغْييرها عمَّا جُبلت عليه. يقول له: لا تصْدق في حُبي حتى تَفْدي في طاعتي، وتُؤْثِرُ رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك[1]، يقول الحافظ ابن حجر: وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر، فإنَّ الْأَحَبِّيَّةَ المذكورة تُعرف به، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فاستحق لذلك أن يكون حظّه من محبته أوفر من غيره؛ ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك أو الغفلة عنه[2].

المراجعة مع حنظلة رضي الله عنه:

يعتبرُ موقف حَنْظَلَة الْأُسَيِّدِيِّ[3] رضي الله عنه - وهو مِنْ كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ - شاهدًا على المراجعة الذاتية في إطار التقويم التربوي.

قال حنظلة رضي الله عنه : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قال: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قال: سُبْحَانَ اللهِ ما تَقُولُ؟ قال: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رسول الله ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رسول الله ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قال أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رسول الله ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رسول الله، فَقَالَ رسول الله ﷺ: (وَمَا ذَاكَ؟) قُلْتُ: يَا رسول الله، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى ما تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً)). ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[4].

---

(1) الخطابي، حمد بن محمد، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد بن سعد، السعودية، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط 1، 1409هـ - 1988م، (4/ 2282).

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (1/ 59).

(3) هذا حنظلة بن الرُّبيع الْأُسَيْدِيِّ: المعروف بحنظلة الكاتب، لأنه كاتبُ الوحي لرسول ﷺ وهو غير حنظلةُ بن عامرٍ غسيلُ الملائكةِ رضي الله عنه. انظر: ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، (3/ 60).

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الرقاق، باب فضل دوام الذكر، (4/ 2106 - ح: 2750).



يقول النووي في شرحه للحديث: "عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات"؛ أي عالجنا معايشنا وحظوظنا، وقوله: "نافق حنظلة" معناه أنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبيّ ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، فخاف أن يكون ذلك نفاقًا، فأعلمهم النبيّ ﷺ أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلَّفون الدوام على ذلك(1).

والشاهد: دلالة النصِّ حول ما كان من حديث حنظلة مع نفسه ومراجعته إياها بالتفكر والمقارنة بين حاله عند النبيّ ﷺ وحاله عند الخروج من عنده إلى دنياه وأسرته. فلما وجد فرقًا عدّه علامة نفاق. ثم إنه وجد فرصةً فعبَّرَ عما يجد في نفسه لأخيه أبي بكر رضي الله عنهما في إطار مراجعة ثنائية وتمعن في الظاهرة، فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، دون أن يربط الأمر بالنفاق؛ فاستدعى ذلك الذي وجداه مراجعة النبيّ المعلم ﷺ وهو بدوره استمع واستفهم، ثم قدَّمَ ملاحظاته التقويمية، فصوَّب مسار التفكير، وقوَّم الحديث مع النفس ليكون إيجابيًّا وواقعيًّا، فليس هذا الذي يجدونه نفاقًا، بل هو ما تقتضيه طبيعة النفس البشرية، وهم لا يكلفون بالدوام على حالهم عنده. فالنفس هكذا خلقت، تحتاج للترويح عنها بالمباحات كي لا تضجر أو تملَّ، وقد أكد النبيّ ﷺ هذا المعنى في تكرار وصيَّتَهُ "ساعة وساعة" ثلاث مرات.

وقبل انتهاء الموقف يضيف النبيّ ﷺ توجيهًا يبيِّنُ فيه فضل دوام الذكر والانشغال في أمور الآخرة فهذا مما يرفع المرء لدرجةٍ يقترب فيها من الملائكة الذين لا يَنفكُّون عن عِبادَته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُون**﴾ [سورة الأنبياء: 20].

(1) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (17/ 66).



المبحث السادس

استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمِد على الورقة والقلم

تُعرّف استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمِد على الورقة والقلم في التربية المعاصرة، بأنها: "استراتيجية تقيس قدرات المتعلم ومهاراته في مجالات معينة، وتشكل جزءًا هامًّا من برنامج التقويم في المدرسة، وتعتمد أساسًا على الاختبارات التحصيلية بأشكالها والتي تشخِّص مدى تحقق الأهداف الموضوعة، وتدلل على مستوى المتعلم في مقرر بعينه أو مجموعة من المقررات الدراسية"(1).

ويمكن للدراسة الحالية تعريف استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمِد على الورقة والقلم، بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المعلم أو المربّي من استثمار الكتابة وأدواتها في الكشف عن إنجازات المتعلم المعرفية أو المهارية أو القيمية، واستثمارها في وزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

وهي تعتبر استراتيجيَّة مناسبة للكشف عن إنجازات المتعلم المعرفية، ومهاراته في التعبير والتذكر والفهم والتوضيح والتفسير والتعليل والربط والتحليل والتلخيص والاستنتاج وعقد المقارنات وعمل الرسومات وإتمام المخططات وإكمال الجداول ونحوه.

وتندرج الاختبارات التحصيلية الكتابية بأنواعها تحت هذه الاستراتيجية: كاختبارات المقال ذات الإجابات القصيرة أو المفتوحة، واختبار الصواب والخطأ، واختبار التكميل وملء الفراغ، واختبارات الترتيب والتصنيف والتوصيل والمقارنة، والاختيار من متعدد(2).

---

(1) خوالدة، **التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي**، (ص: 58).

(2) انظر: المرجع السابق، (ص: 61). وانظر: العدوان، **استراتيجيات التدريس الحديثة**، (ص: 207).



ويمكن أن تنفذ الاختبارات التحريرية - الكتابية- بأدوات ووسائل تقليدية كالأوراق والألواح والأقلام المعهودة، أو بوسائل حديثة تعتمد الكتابة الإلكترونية وأدواتها.

وتعد استراتيجية التقويم المعتمِد على الورقة والقلم من الاستراتيجيات الهامة والفعّالة والأكثر شيوعًا بين المعلمين في عصرنا؛ فهي مفضلة في قياس التحصيل الدراسي في المؤسسات التعليمية والتربوية، وعلى أساسها تُمْنَحُ العديد من الشهادات والإجازات والترقيات والتوزيعات(1).

ونفصل في هذه الاستراتيجية في المطلبين التاليين، على النحو الآتي:

المطلب الأول
غياب الاختبارات التحريرية عن السُنّة النبويّة

من استقراء السُنّة النبويّة فإننا لا نجد ذِكرًا للاختبارات التحريرية المعهودة في عصرنا بمواقيتها المحددة وما يرافقها من أجواء امتحانية، لاعتبارات منها:

1. أن عملية التعليم والتقويم التربوي في تلكم البيئة وذلك العصر لم تكن قد أخذت شكلها النظامي والمؤسساتي بعد؛ فقد "عُرف التقويم في الفكر التربوي الإسلامي ممارسة دون إعطائه مسمى تقويم أو قياس كما هو معروف حالياً، ولم تكن له صورته الرسمية، أو المؤسسية المطبقة في عالمنا التربوي المعاصر حتى نشأت المدارس وأصبح التعليم نظاميًا وله صورته الرسمية في الدولة الإسلامية"(2).
2. ولأن الأمية كانت ضاربة أطنابها بين العرب آنذاك، كما وصف ذلك الحافظ ابن حجر، فقال: "قيل للعرب: أميون؛ لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة، قال الله ﷻ: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**﴾ [سورة الجمعة: 2]، ولا يُرَدُّ على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب؛ لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة"(3). ونجد عند "ابن سعد" إشارة

(1) انظر: دعمس، مصطفى نمر، **استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته**، عمان - الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م، (ص: 64).

(2) الميمات، بدرية صالح. والسالوس، منى علي، **النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور**، (ص: 240).

(3) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (4/ 127).



تؤكد ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر، قال ابن سعد: "وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون"[1]. ويقول الكرمي: لقد كانت الأمية سائدةً بشكل كبير في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك ما أخرجه البخاري من قول النبيّ ﷺ: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ))[2]، وتُشعِر بذلك الآية الكريمة: ﴿**وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ [العنكبوت: 48][3]. وهذا قد يفسر عناية النبيّ ﷺ بجعل فداء بعض أسرى بدر -العاجزين عن دفع الفدية- تعليم عشرة من غلمان المدينة الكتابة[4].

3. اشتهر عن العرب في تلكم البيئة اعتمادهم الكبير على ملكة الحفظ والمشافهة والسماع أكثر من اعتمادهم على الكتابة، "فالصحابة كانوا يتلقون الحديث عن النبيّ ﷺ إما بطريقة المشافهة، وإما بطريقة المشاهدة لأفعاله وتقريراته، وإما بطريق السماع ممن سمع منه ﷺ أو شاهد أفعاله وتقريراته؛ لأنهم لم يكونوا جميعًا يحضرون مجالسه ﷺ، بل كان منهم من يتخلَّفُ لبعض حاجاته"[5].

4. غلب على أدوات الكتابة البساطة في تلك البيئة العربية التي كانت تكتب القرآن الكريم على رقاع من جلد أو أكتاف من عظم وألواح من خشب ونحوه.

وبناءً على ما سبق فإن هذا المستوى من أدوات الكتابة والإمكانات والظروف قد جعلت من مسألة الاختبارات التحصيلية بالورقة والقلم في العهد النّبويّ مسألةً ليست باليسيرة؛ بل لم يُلتفت إليها -عمومًا-.

---

(1) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (2/ 16).

(2) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب قول النبيّ ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب». (3/ 27 - ح: 1913).

(3) الكرمي: **الإدارة في عصر الرسول** ﷺ، (ص: 118).

(4) انظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (2/ 16).

(5) نجم، عبد المنعم السيد، **تدوين السُنّة ومنزلتها، المدينة المنورة**، الناشر: الجامعة الإسلامية، ط 11، العدد (3)، 1399هـ، مسترجع من المكتبة الشاملة الذهبية، (ص: 35).



المطلب الثاني

ممارسات تقويمية بالورقة والقلم في السُنّة النبويّة

أمكن تتبع بعض الممارسات التقويمية المرتبطة بالكتابة والرسم في السُنّة النبويّة، ضمن المواقف والشواهد الآتية:

مراجعة وتدقيق مع كتبة الوحي

كان النبي ﷺ يشرف بنفسه على تدوين محتوى القرآن الكريم، وهذا استدعى انتخاب ثلة من الصحابة البارعين في الكتابة والأمناء، عرفوا بعد ذلك بكتبة الوحي، وكان منهم: الخلفاء الأربعة، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وكانوا يضعون ما يكتبونه في بيت النبيّ ﷺ، ثم يكتبون لأنفسهم منه صورًا أخرى يحفظونها لديهم[1].

ومع دقة الاختيار لكتبة الوحي فإن النبيّ ﷺ كان يمارس منهج التدقيق والمراجعة لما كان يمليه على أصحابه من كتبة الوحي الكرام من القرآن المنزّل قبل تعميمه على الناس، كما في رواية زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: ((فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ أو كَسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَإِذَا فَرَغْتُ قال: "اقْرَأْ"، فَأَقْرَأُهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ))[2] .

ويمُثّل هذا الفعل شكلًا من أشكال التقويم النبوي المرتبط بالورقة والقلم، فالصحابي كان يكتب ما يملى عليه من آيات الوحي المنزّل، ومن ثم يتم تقويم كتابته مباشرة بعرضها مشافهة على النبيّ ﷺ؛ فإن ثمة أي سَقْط أَقَامَه، ثم يعتمد هذا النص المكتوب بعد مراجعته، ويحدد له موضعه المناسب بين سور القرآن وآياته، ومن ثم تعمم الآيات للحفظ والنشر والتوزيع والتطبيق. ويجدر التنويه أن هذا الأمر لم يكن عارضًا بل كان ثابتًا مستمراً مرتبطًا بالوحي الذي تتابع نزوله على مدار ثلاث وعشرين سنة.

---

(1) انظر: الجلالي، محمد مهران، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، 1408هـ ، (1/ 20).

(2) الهيثمي: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، باب عرض الكتاب بعد إملائه، (1/ 152 -ح: 684). وقال رجاله موثوقون.



تطور التعامل مع تدوين السُنّة النبويّة

يجدر التنويه بداية أن السُنّة النبويّة لم تذكر عناية النبيّ ﷺ بكتابة أقواله أو إشرافه على تدوينها كما كان حاله مع وحي القرآن الكريم الذي كان يكتب ويراجع فور تنزله. لذا أمكن ملاحظة أن مضمون السُنّة النبويّة ومحتواها - القولي والفعلي- كان يتداول وينقل بشكل شفهي في العموم في فترة حياته ﷺ إلا من حالات فردية من بعض الصحابة رضي الله عنهم الذين استأذنوا في الكتابة كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

كما يجدر الإشارة إلى وُرود النهي من النبيّ ﷺ عن كتابة غير القرآن الكريم في بدايات الدعوة؛ احتياطًا لسلامة القرآن الكريم كيلا يختلط به غيره، وحتى لا ينشغل الناس بالسُنّة على حساب القرآن ودراسته وحفظه[1]. كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[2]. ويمكن تصور حال السامع من الصحابة رضي الله عنهم لهذا النهي النّبويّ، فإنه لا يسعه إلا الامتثال والطاعة، فهو نهي صريح، ينهى عن كتابة السُنّة، ويأمر من كتب بعضها أن يمحوه.

ومع ذلك نجد أن النبيّ ﷺ أذن بالكتابة في حالات خاصة ولأسباب معينة، كقوله: ((اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ))[3]، وقد ورد هذا الأمر بالكتابة لأبي شاه - وهو رجل من أهل اليمن - مضمون خطبة، مراعاة لحاله؛ كونه من بلاد بعيدة، وبناءً على طلبه رضي الله عنه ليأخذها معه إلى قومه. "لذا كانت السياسة العامة النهي عن كتابة السُّنَّة، فيما عدا الإذن الخاص أو في مسائل محددة ذات أنصبة وفروض وأرقام، يصعب ضبطها من غير كتاب"[4].

وبالمقابل فقد ثبت عنه ﷺ أحاديث تأذن بالكتابة وتأمر بها، كحديث عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رسول الله ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرسولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرسول الله ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما يَخْرُجُ مِنْهُ

---

(1) انظر: الخطيب: **السُنّة قبل التدوين**، (1/ 340).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (2298/4 - ح: 3004).

(3) المرجع السابق، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، (989/2 - ح: 1355).

(4) ملحم، همام سعيد، **التمهيد في علوم الحديث**، (ص: 40)



إِلَّا حَقٌّ))[1]. ويجدر التنويه أن الإذن منه ﷺ بالكتابة كان بعد السنة السابعة للهجرة؛ لأنّ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما هاجر مع أبيه بعد الحديبية، ويظهر من النص أن عبد الله أفرد كتابة الحديث في كتاب، ولم يجعله مع القرآن[2]. وقد ذكر النووي أقوال العلماء للتوفيق والجمع بين أحاديث النهي والإباحة، ومنها: "أن النهي عن كتابة السُنّة كان في حق من يُوثَق بحفظه ويُخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، وبالمقابل تُحمَل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث "اكتبوا لأبي شاه". وقيل إن حديث النهي منسوخ، وأن النهي كان حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن بالكتابة. وقيل إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط؛ فيشتبه على القارئ"[3]. والشاهد - مما سبق- متابعة النبيّ ﷺ وتقديره الأنسب في شأن كتابة السُنّة النبويّة، فثبت عنه النهي عن كتابتها بداية، كما ثبت عنه الإذن بكتابتها لأناس إما لحاجتهم وعجزهم عن الحفظ كأبي شاه، وإما لدقتهم وحرصهم على جمعها كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما والذي قال: ((اسْتَأْذَنْتُ النبيّ ﷺ فِي كتاب مَا سَمِعْتُ مِنْهُ، قَالَ: فَأَذِنَ لِي فَكَتَبْتُهُ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُسَمِّي صَحِيفَتَهُ تِلْكَ الصَّادِقَةَ))[4].

تأهيل مترجم للمراسلات

يأتي دفع زيد بن ثابت رضي الله عنه لتَعلُّم كلمات من لغة اليهود في إطار السعي النّبويّ لتوفير كاتب ومترجم يقرأ ويكتب الرسائل باللغة السُّريانية. يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: ((أَمَرَنِي رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قال: إِنِّي وَاللَّهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ. قال: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ. قال: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ))[5].

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (3/ 318 - ح: 3646). وصحَّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(2) انظر: ملحم، همام سعيد، **التمهيد في علوم الحديث**، (ص: 40).

(3) النووي: المنهاج شرح **صحيح مسلم بن الحجاج**، (18/ 130).

(4) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، (2/ 285).

(5) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في تعليم السريانية، (5/ 67 - ح: 2715)، وقال حديث حسن صحيح.



والشاهد: الكشف عن مهارة زيد بن ثابت وقوة حفظه وسرعة تعلمه للقراءة والكتابة بلغة اليهود، وتطوير هذه المهارة وتعزيز صاحبها حتى صار ترجمان النبيّ ﷺ وخبيرًا في كتابة المراسلات.

ومن الجدير بالذكر أن أمر كتابة الرسائل - من كثرته وأهميته- تعدى زيد بن ثابت رضي الله عنه ليشارك به العديد من الصحابة رضي الله عنهم مثل كتبة الوحي وغيرهم.

تقويم محتوى رسالة حاطب رضي الله عنه

حاول حَاطِب بن أَبِي بَلْتَعَةَ رضي الله عنه تمرير رسالة مكتوبة لقريش فيها معلومات عن تحركات المسلمين لفتح مكة المكرمة. يقول القرطبي: وَكَتَبَ فِي الْكِتَابِ: أَنَّ رسول الله ﷺ يُرِيدُكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ... وَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَ النبيّ ﷺ بِذَلِكَ[1].. وأُحضر الكتاب قبل وصوله لقريش، فاطلع النبيّ ﷺ على محتواه، ثم سأل: ((يَا حَاطِبُ ما هَذَا؟ قال: يَا رسول الله، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ صَدَقَكُمْ))[2].

والشاهد: هو احضار رسالة حاطب المكتوبة، وقراءة محتواها على مسامع الرسول ﷺ، فوزن ما فيها وقدّره، ثم حقّق مع كاتبها واستمع لتبريره. فصدّقه وتجاوز عن زلته لاعتبار سابقته في بدر. ويعد ما جرى شكلًا من أشكال التقويم التربوي المرتبط بالورقة والقلم، فقد تم تشخيص الموقف والحكم على الصحابي بناء على ما ضمنه في كتابه المرسل.

---

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (18/ 51).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59 - ح: 3007). روضة خاخ: موضع قرب المدينة على طريق مكة. (ظعينة) هي المرأة في الهودج، ثم اتسع فيه وأُطلق على مطلق المرأة. (عقاصها) جمع عقيصة أو عقصة وهي ضفائر الشعر.



الكتابة على الرمل

عن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبيّ ﷺ أنه ((خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وقال: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ -أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ- وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا))(1). والشاهد استخدام الرسم بالعود على التراب وسيلة لتقريب المعاني المجردة كالموت والحياة والأمل إلى أشياء محسوسة تسهم في بناء الفهم وتصحيح التصور أو تثبيته. ويعد هذا شكلًا من أشكال التقويمات البنائية المعتمدة على الكتابة والرسم.

"سَرِيَّة نخلة" وكتابها المغلق

نجد عند "ابن هشام" تفصيلًا عن سَرِيَّة عبدالله بن جحش ﵁ والتي كانت في رجب من السنة الثانية قبل غزوة بدر، فقد بعثه رسول الله ﷺ ومعه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدًا، فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: ((إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ))(2).

فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب، قال: سمعًا وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشًا، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

والشاهد: اعتماد هذه السَرِيَّة على رسالة مكتوبة طُلب أن تُفتح بعد يومين من المسير، وأن ينفَذ ما فيها. ورغم أن لها هدفها المكتوب في الرسالة، فقد مثّلت تدريبًا للصحابة واكتشافًا

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب الأمل وطوله، (8/ 89 - ح: 6417).

(2) ابن هشام، **السيرة النبويّة**، (1/ 602).



لمواهبهم وطاقاتهم وامتحانًا لطاعتهم وإقدامهم وحسن إدارتهم للموقف وما تخلله من مواجهة للمشكلات وحل لها. فقد فُتح الكتاب في موعده، وأُعلم الفريق بمضمونه، وانطلق الجميع للتنفيذ، ولم يتخلف منهم أحد. ومن الدلالات التربوية لسرية نخلة:

1. أدى تدوين تفاصيل المهمة في كتاب إلى تحديد المطلوب تمامًا وبوضوح.. وهذا إجراء توثيقي مفصل قد يقوم به المعلم أو القائد، ليكون مرجعًا في مرحلتي التنفيذ والتقويم.

2. إن جعل المهمة والأمر في كتاب مغلق يُفتح بعد يومين، إجراء مميز لم يفعله النبيّ ﷺ في سرية أخرى. وهو أسلوب متقدم يناسب طبيعة المهمة الأمنية الموجهة لاختراق محيط العدو ورصد أخباره وجمع المعلومات عنه. وقد أثمر هذا الاجراء الحكيم تحقق أمن المهمة وسلامة المنفذين، ومنع أي احتمال لتسرب المعلومات أو وصول خبر السرية إلى العدو.

3. قدّم قائد السرية ورفاقه صورة مشرقة معبرة عن حسن الطاعة في المنشط والمكره. فقد ساروا يومين، ثم فتحوا الكتاب وتشاوروا في محتواه، ثم ساروا الى منطقة نخلة لتنفيذ المهمة.

4. برزت الشورى في هذه السرية وطبقت عمليًا، حيث قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه لأصحابه: "قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه".

5. كما برزت الشورى بين الفريق حين ظهرت قافلة لقريش أثناء الرصد، مما دفع الفريق للتشاور، فقرروا التعرض لها والاشتباك مع أصحابها، وكان هذا تجاوزًا للتعليمات المكتوبة، فأعقب ذلك قتلًا في المشركين وجعل القافلة غنيمة وأسر رجلين من المشركين. ((فَلَمَّا قَدِموا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ))[1]،

(1) المرجع السابق.



وعنّفهم إخوانهم من المسلمين على ما صنعوا وأكثروا عليهم العتاب واللوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [سورة البقرة: 217].

6. ورغم رفع الحرج على عبدالله بن جحش وأصحابه رضي الله عنهم، إلا أن ما جرى كان درسًا تقويميا يؤكد على ضرورة تنفيذ تعليمات القائد بدقة وعدم تجاوزها.

7. شكّلت سرية نخلة بتفاصيلها تجربة ميدانية حية كشف عن المهارات الجهادية للفريق المشارك من الصحابة الكرام، وما يرتبط بذلك من سمع وطاعة وصبر وشورى واجتهاد في حل المشكلات وتحمّل للمسؤولية في اتخاذ القرارات، كل ذلك انطلق من مهمة ضُمنت كتابًا مغلقًا طُلب أن يفتح بعد مسير يومين.







الخاتمة

النتائج

التوصيات

المراجع

فهرست المحتوى











نتائج الدراسة

يمكن إجمال أهم نتائج هذه الدراسة على النحو الآتي:

1. تأصيل جوانب عديدة من أدبيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، كخصائصه ومبادئه، ووظائفه وضوابطه، ومجالاته، وأنواعه، واستراتيجياته، وما يرتبط بهذه العناوين من تطبيقات تربوية.

2. إظهار حالة التوافق الكبير بين استراتيجيات التقويم الواقعي التي انتشرت في التربية المعاصرة وبين استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، فرغم ما بينهما من مسافة زمنية تصل لأربعة عشر قرنًا فقد أمكن في هذه الدراسة تأصيل: استراتيجية التقويم المعتمد على الأداء، واستراتيجية التقويم المعتمد على التواصل، واستراتيجية التقويم المعتمد على الملاحظة، واستراتيجية التقويم المعتمد على الأقران، واستراتيجية التقويم المعتمد على مراجعة الذات، وكذا استراتيجية التقويم المعتمد على الورقة والقلم. وإن هذا التأصيل لها يعطي: أوّلًا: تأكيدًا على سبق النبيّ الكريم ﷺ في استحداث وتطبيق خير الوسائل والاستراتيجيات التقويمية المتاحة في عصره في أثناء عمليته التربوية. وثانيًا: يعطي دعمًا وتأكيدًا على فعالية وأهمية تطبيق استراتيجيات التقويم الواقعي التي أثبتت مكانتها وتقدمها في التربية المعاصرة.

3. كان محتوى المنهج في العملية التربوية وحي القرآن الكريم المحفوظ منه والمسطور إضافة إلى وحي السُنّة النبويّة، مع ملاحظة أن مضمون وحي السُنّة النبويّة ومحتواها القولي والفعلي كان يُتداول وينقل بشكل شفهي في فترة حياته ﷺ، ويستثنى من ذلك حالات خاصة عند بعض الصحابة رضي الله عنهم ممن كان يكتب لنفسه. فلم تسجِّلْ السُنّة النبويّة عناية النبيّ ﷺ بكتابة أقواله أو إشرافه على تدوين أحاديثه، كما كان حاله في تعامله مع وحي القرآن الكريم الذي كان يُكتب فور تنزله وتحت إشرافه ﷺ.

4. بيَّنت الدراسة أن النبيّ ﷺ والذي نفَّذَ عمليته التربوية قبل أربعة عشر قرنًا قد تلقى المساندة الكاملة من الله - تعالى- وحيًا، وأنه كان يتلقى التوجيهات والدعم المناسبين؛ مما جعل من



التقويم التربوي في السُنّة النبويّة تقويمًا مسددًا وناجحًا حقق أغراضه بأقصر الطرق وبأحسن الأساليب وضمن وقت قياسي بالمقارنة مع حجم الإنجاز التقويمي الذي حصل.

5. تميّز التقويم التربوي في السُنّة النبويّة بنمط التقويمات عقب الأحداث والمواقف، وناسب ذلك التنزُّلِ المفرَّقِ لمحتوى المنهج - القرآن الكريم- كما في قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 106]. فقد تنزَّل منجمًا على الوقائع والأحداث إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، مبينًا ومفسرًا ومقوِّمًا لأداءات الناس وسلوكاتهم. وتعتبر هذه استراتيجية تعليمية تقويمية واقعية فاعلة آتت أُكُلها على أحسن ما يكون، فهي جعلت من التجارب الحياتية الحقيقية وأسئلة المتعلمين وتحدياتهم مادة خصبة للتعلم، وجعلت من الأداءات الفردية والجماعية مادة ثرية للتقويم ومنطلقًا للتحسين والتطوير في الأداءات والمهارات.

6. أبرزت الدراسة أن من سمات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة أنه تقويم ممتد الأثر يمكن محاكاة مضمونه وأسلوبه وأدواته، فهو وإن كان يتم في إطار مكان وزمان محدودين عاش فيهما النبيّ ﷺ مع المتعلمين من أصحابه رضي الله عنهم فإن صلاحيته تتعدى ذلك المكان وتتجاوز خصوصية الزمان؛ حيث ينسحب حكم الحالة وتقويمها على المواقف المشابهة سواءً أكان ذلك أثناء حياته أم بعد مماته ﷺ.

7. بينت الدراسة بأن مكوث الصحابي الجديد أو الغريب عن المدينة عند النبيّ ﷺ أيامًا بعد إسلامه بصحبته في حلّه وترحاله وجهاده يُعدُّ نهجًا نبويًّا يمكن ملاحظته، وقد كان مثمرًا لأنه منح فرصة للكشف عن قدرات المتعلم ومواهبه وسجله التاريخي والعائلي وطرفًا من جوانب شخصيته. ومن جهة أخرى كان ضروريًّا للإعداد والتدريب والتعليم والتقويم قبل أن يُوَّجه المتعلم في مهمة إلى قومه؛ كما جرى مع أبي ذَرٍّ الغفاري والطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ رضي الله عنهما حين أُرسل كل منهما إلى قومه داعيًا ومعلمًا.

8. أبرزت الدراسة أن عمليات تقويم الأقران بين جيل الصحابة رضي الله عنهم انطلقت بتوجيهات النبيّ ﷺ ودعمه، وكان بعضها يحدث في حضرته ﷺ وبعضها الآخر كان يجري بعيدًا عنه، فإذا رفعت إليه تفاصيلها علّق عليها بالإقرار أو التعديل، بالإضافة إلى ما لا يحصى من التقويمات كان يجريها الصحابة رضي الله عنهم دون أن يطَّلع النبيّ ﷺ أو يخبر بها.



9. كان التقويم التربوي ممارسةً عملية تعتمد بالدرجة الأولى على المعايشة وملاحظة أداءات المتعلم ومهاراته كما يعيشها في حياته فعليًّا. فقد شكَّلت معايشة النبيّ ﷺ أصحابه رضي الله عنهم وتوفره الدائم بينهم؛ فرصةً تربوية كبيرة منحته القدرة على تفقدهم وتشخيص حالهم واستكشاف مواهبهم وطرق تفكيرهم وأثر منهج القرآن فيهم. وفي المقابل أتاحت المعايشة للمتعلمين من الصحابة رضي الله عنهم فرصة اللقاء المتكرر بالنبي ﷺ والتعلم منه مباشرة والإجابة عن أسئلتهم حول العقيدة والعبادات وتفصيلات أحكام الشريعة والأخلاق وفتح المجال للحوارات التربوية وتقديم النصح والمشورة.

10. ابتعد التقويم التربوي في السُنّة النبويّة عن ثقافة الاختبارات التي لها مواقيت محددة أو إلزامية، إلا من بعض المهرجانات السنوية التي كان يستعرض فيها الفتيان من أبناء الصحابة رضي الله عنهم قوتهم ومهاراتهم ومواهبهم لفرزهم لمشاركة الرجال في فعاليات الجهاد والدفاع ونحوه.

11. تميّزت المراجعة الذاتية في إطارها التقويمي في السُنّة النبويّة باعتمادها على المشافهة والتواصل اللفظي والبصري المباشر بين المعلم والمتعلم، وأن الكتابةَ والتدوين لم تكن إحدى أدواتها.

12. أشارت الدراسة أن الاختبارات التحصيلية - التحريرية- لم تأخذ مداها في السُنّة النبويّة ولم يعتنى بها لاعتبارات إمكانات البيئة في الجزيرة العربية في ذلك العصر، كما أن العملية التعليمية لم تكن قد أخذت شكلها النظامي والمؤسساتي بعد، كما أن منظومة التصورات والقيم والاتجاهات التي جاء بها المنهج التربوي النّبويّ لم يكن من الممكن تقويمها أو التعبير الصادق عن امتثالها من خلال الاختبارات التحريرية.

13. أظهرت الدراسة حالة الدمج والتداخل الحاصل في السُنّة النبويّة بين مهام التعلم والتعليم من جهة، ومهام التقويم التربوي من جهة أخرى، حيث كان بينهما تزامن وتقديم وتأخير، دونَ أن يكون هناك حاجة لتنبيه المتعلم بأن هذا الموقف تعليمي أو تقويمي؛ فقد كان النبيّ ﷺ يبدأ موقفه بالتعليم أحيانًا ثم يختمه بتقويم مناسب، أو يبدأ بالتقويم ثم يعقِّبُ مفسِّرًا ومرشدًا، أو كان يستخدم طريقة تضيف علمًا ومعرفة وفي نفس الوقت تَبني توجهًا ودافعًا لتقويم ذاتي عند المتعلم.

14. بيان فضل الرعيل الأول من الصحابة السابقين رضي الله عنهم فانطلاقة العملية التربوية النبويّة - حتى تمامها- اعتمدت اعتمادًا واضحًا عليهم؛ فهم شقُّوا طريق الهداية مع النبيّ ﷺ، وكان لتعاونهم وتضافر جهودهم رضي الله عنهم أثر كبير في إنجاح جهود النبيّ ﷺ في الدعوة والتعليم والتزكية والتقويم فاستحقوا أعلى درجات التقدير من الله تعالى والثناء من رسوله ﷺ؛ وقد أخرج الطبري في تفسيره:



أن عمر بن الخطاب ﷺ مرَّ برجل يقرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: 100]، قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أُبيّ بن كعب! فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه! فلما جاءه، قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم! قال: أنت سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! قال: لقد كنت أظن أنَّا رُفِعنا رِفْعَةً لا يبلغها أحدٌ بعدنا! فقال أُبيٌّ: بلى، تصديق هذه الآية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الجمعة: 3][1]. وأقول: تصديق ذلك من السُنّة النبويّة ما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ))[2].

15. تأكيد النجاح الكبير للتقويم التربوي النّبويّ على الصعيد الجماعي، فأصحاب النبيّ ﷺ الذين التقى بهم وتعلَّموا منه أو نقلوا حديثه بلغوا حدًا لا يجمعهم ديوان، كما بيَّن ذلك البخاري في روايته عن كعب بن مالك حين وصف عدد الصحابة ﷺ قبيل غزوة تبوك، فقال: "وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رسول الله ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ -يُرِيدُ الدِّيوَانَ"[3]. ونحو ذلك نقله الإمام أبو زُرْعَةَ الرازي (ت: 264هـ) وهو من علماء الحديث في زمانه، قال: "شَهِدَ مَعَ رسول الله ﷺ حِجَّةَ الْوَدَاعِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَشَهِدَ مَعَهُ تَبُوكَ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَقُبِضَ عَنْ مِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ، مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ"[4]. مما يشير إلى تحول مهيب في حال المجتمع في جزيرة العرب فصار بعد ضياع وفرقة وتناحر يمثّل أمَّةً متوحدةً تحمل مشروعًا حضاريًا وترفع لواء العلم والتوحيد والعدل والأخلاق وتنشره إلى غيرها من الأمم.

(1) الطبري: **تفسير الطبري = جامع البيان**، (14/ 438).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أصحاب النبيّ، باب قول النبيّ ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا» (5/ 8 - ح: 3673). (النَصِيفَ هو النصف).

(3) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، (6/ 4 - ح: 4418).

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **التبصرة لابن الجوزي**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ - 1986م، (1/ 482).



16. نجح التقويم التربوي النّبويّ نجاحًا كبيرًا على الصعيد الفردي مع أعيان الصحابة والمتعلمين رجالًا ونساءً كبارًا وصغارًا حيث تغيرت بهم الأحوال وتصححت عندهم المفاهيم والتصورات وارتقت بهم أخلاق الإسلام، ولم يجد الباحث صعوبة في تتبع مظاهر التغير الإيجابي التي حصلت عند أفراد الصحابة ﵃ من خلال تصور وملاحظة ما كان عليه الواحد منهم أيام الجاهلية من العصبية القبلية والجهل بالخالق والوقوع في فخ الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى وظلم المرأة ووأد البنات وعبادة الأوثان، وكيف تقوَّم حالهم بعد اتباعهم النبيّ محمد ﷺ وانخراطهم في العملية التربوية النبويّة وتلقيهم التزكية والتعليم والتقويم فصار الواحد منهم كأنه قرآن يمشي على الأرض يفيض علمًا ويعيش خُلُقًا.

17. تؤكد الدراسة على أنَّ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة منحَ الصحابة المتعلمين مساحة واسعةً من حرية التعبير وإبداء الرأي والمراجعة والتحفظ والاستفهام والنقد البناء والمشاركة في صنع القرار، بل إنَّ منهج التقويم التربوي النّبويّ أرسى دعائم هذه الحرية وجعلها حقًّا للمتعلم يطالب به ولا يتنازل عنه، وقد أوردت الدراسة شواهد على العديد من مراجعات الصحابة ومداخلاتهم وكيف أنهم تحفظوا على بعض الإجراءات واقترحوا بعض التعديلات في الوسائل والأدوات، وكان يقابل ذلك بسعة صدر من النبيّ المعلم ﷺ فيستمع ويقدّم للمراجع التفسيرات والتعليلات الشافية والمناسبة للموقف.

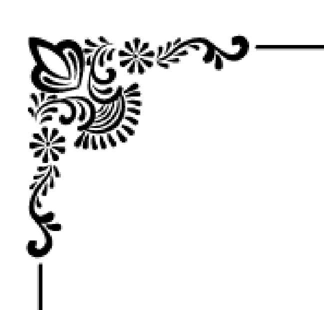
18. أكدت الدراسة تميُّز التقويم التربوي ببعده الاستراتيجي الذي يراعي المرونة والتنويع في خيارات التعامل مع المتغيرات الميدانية التي تفرضها حالة أطراف العملية التعليمية؛ بما يسمح به المحتوى المُنزّل وما تفرضه طبيعة البيئة وإمكاناتها، فكان النبيّ ﷺ يستعين بجديد الأدوات والوسائل وينّوع في أساليب التربية وأشكال التقويم، وكان يشرف بنفسه على كتابة المحتوى التعليمي ويتابع عمليات حفظه مكتوبًا وفهمه وتطبيقه، كما أنه استحدث دار الأرقم في مكة لتكون مدرسة تربوية لأصحابه، وبثَّ المعلمين في المنازل والنواحي والأطراف يعلّمون أقرانهم ويقوِّمونهم، وبنى المسجد كحاضنة تربوية وأمر برفع الأذان داعيًا ومذكّرًا بـ حيّ على الصلاة، وجعل رمضان مدرسة للتربية على التقوى والصبر، والحج مدرسة للجهاد ومؤتمرًا سنويًّا عامًّا. واتخذ خاتمًا لرسائله، ووجه لتعلم لغة الآخر، وبصورة يسمح بها ذلك العصر فقد استخدم المؤتمرات



والملتقيات التربوية والمقابلات والمشاريع والمهام الخاصة، واستخدم أحسن وسائل التواصل في عصره كتشجيع الشعراء على نظم الشِعر المعبِّرِ عن المبادئ والقيم التربوية، كما أشرف بنفسه على كتابة الرسائل التي حملت في طياتها المضمون التربوي والإصلاحي والتقويمي وتخير لنقلها الأمين ومن يتقن لغة الأقوام ويحسن التصرف حال التبليغ والتعليم والتقويم، وشرع للناس خطبة الجمعة الأسبوعية، ومارس بفاعلية المعايشة التربوية في المسجد وفي ساحات الجهاد على وجه الخصوص، وعزز التقويم الذاتي ودعم دور الرقابة الداخلية والوازع الديني، واستثمر كثيرًا البيعة بينه وبين المتعلمين في إطار تقويمهم وتثبيتهم. هذا كله ونحوه في سياقه التقويمي أشارت إليه هذه الدراسة وذكرت الشواهد عليه.

وبذلك تكون الدراسة الحالية - بفضل الله تعالى وتوفيقه- قد اقتربت من تقديم صورة تفصيلية عن حالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وبيّنت الإجراءات التقويمية التي قام بها النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أثناء تعليمهم وتزكيتهم، وكشفت عن أنماط استراتيجيات استخدمها، وعرضت آثارها ونتائجها التقويمية على العملية التربوية النبويّة.







التوصيات

وفي ختام هذه الدراسة وعلى ضوء ما توصلّت إليه، فيقترح الباحث جملة من التوصيات، على النحو الآتي:

1. العمل على تعزيز مكانة النبيّ ﷺ في نفوس الناشئة من الجيل المعاصر، حتى يمتثل الواحد منهم قول النبيّ ﷺ ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))[1]. ولا يكون ذلك إلا ببيان سيرته العطرة التي تظهر فضله وما قدَّمَهُ من تضحيات وجهود عظيمة في بناء الأمة وتزكيتها وتقويمها.

2. أن تعتني الجامعات ومراكز البحث بترجمة الأدب التربوي النّبويّ المرتبط بالتقويم التربوي والتعليمي إلى ما أمكن من لغات أخرى، دعمًا للبحث العلمي وتعريفًا بخاتم الأنبياء والمرسلين وبهديه التربوي والتقويمي؛ ليدرك الناس عظيم فضل النبيّ محمد ﷺ على هذه البشرية ومدى الرحمة التي اتصف بها وبعث بها للعالمين.

3. تعزيز مكانة الصحابة رضي الله عنهم في نفوس الناشئة وأن يُعَرَّفَ بهم بالوسائل المتاحة والأدوات الممكنة، وبيان مناقبهم ومواقفهم وتضحياتهم وجهودهم العظيمة في فترة الوحي والرسالة وبعدها، ليجدَ الناس فيهم الأسوة الحسنة فهم شقُّوا طريقَ الهداية مع النبيّ ﷺ وبايعوه وساندوه وتركوا ديارهم وأموالهم وخرجوا وهاجروا في سبيل نصرته وما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا ولا استكانوا.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: كيف كانت يمينُ النبيّ ﷺ، (8/ 129 - ح: 6632).



4. مراعاة تطبيق أدبيَّاتِ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة والإعلان عنها والتعريف بها؛ فهي حَرِيَةٌ بالاتباع، فقد أصابتها بركة الوحي المنزَّل، بل هي وحي في كثير من تفصيلاتها، وفي اتباعها تمسُّكٌ بالهدي النبوي وإحياء للسُنّة وتأسٍ مبارك بالنبيّ ﷺ يجلب رضا الله تعالى وتوفيقه والفلاح في الدارين.

5. توصي هذه الدراسة المتصدرين لإصلاح المجتمعات الإسلامية والساعين لنهوض الأمة وبناء مشروعها الحضاري أن يسلكوا الطرق النبويّة ويأخذوا بالوسائل التربوية والتقويمية التي طبَّقها النبيّ ﷺ فهي -كما ظهر- آتت أُكُلَها على أحسن ما يكون وفي فترة وجيزة، ونجحت نجاحًا عظيمًا يمكن محاكاته، كما أنها نالت شرعيةً من خلال تطبيقها الفعلي وحضورها في السُنّة النبويّة التي أمرنا باتباعها. وبلا شك فهي بمجموعها تشكِّلُ منهجًا تقويميًّا جديرًا بالدراسة والاقتداء.

6. توصي الدراسة باعتماد تطبيق استراتيجيات التقويم التربوي الواقعي، فهي من أحدث مداخل التقويم التربوي المعاصر، وكونها تركّز على الأثر الناتج - والنهائي- عن عملية التعلم والتقويم، كما أنها ترقب الأداءات بأشكالها وتجعل من تجاوز تحديات واقعِ المتعلم والإجابةِ عن أسئلته جسرًا لتجاوز تحديات المستقبل. وقد أكدت هذه الدراسة أن استراتيجيات التقويم التربوي الواقعي تمتلك رصيدًا كبيرًا من المصداقية من خلال تطبيقها في السُنّة النبويّة.

7. توصي هذه الدراسة بتفريد التقويم التربوي - وترجيح كفته قدر الإمكان-؛ من خلال استيعاب حال المتعلم وقدراته وظروفه الخاصة وبيئته والغايات التربوية المنشودة له، ومن ثم على أساسها يُختَار الطرق والأساليب التقويمية المناسبة له.

8. توصي الدراسة القائمين على المناهج التربوية والبرامج التعليمية بالأخذ بمبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة ومراعاة استراتيجياتها عند تصميم المناهج، وصياغة محتواها، وطرق تدريسها وتقويمها.



9. توصي الدراسة الباحثين والتربويين أن يمضوا قدمًا في تأصيل العلوم التربوية والاجتماعية، وإطلاق دراسات أخرى تبحث في عناوين تفصيلية في التقويم التربوي، رجاء أن يسهم ذلك في تتميم النظرية التربوية الإسلامية.

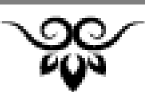
10. توصي الدراسة الميدان الأكاديمي بعمل مزيد من الدراسات والأبحاث العلمية في مجال التقويم التربوي، وبالأخص العناوين التالية:
    - التقويم التربوي في القرآن الكريم.
    - التقويم التربوي في عهد الخلفاء الراشدين.
    - التقويم التربوي عند علماء السلف.
    - التقويم التربوي عقب السرايا والغزوات والمواقف والأحداث.

11. كما توصي الدراسة بضرورة تعزيز التعاون بين المربِّين والمختصين من أهل التكنولوجيا والإعلام لتفعيل أدوات العصر في مجال التقويم التربوي والتعريف بها واستثمارها في عمليات التربية والدعوة وبناء الجيل.

12. وأخيرًا توصي الدراسة بمزيد من التتبع والتأصيل لتفاصيل الحالة التربوية والتقويمية في السُنّة النبويّة ومراعاة مبادئها وتنفيذ استراتيجياتها وطرقها وأساليبها؛ والتي ستكون كفيلة بوضع البرامج التربوية على طريقها الصحيح.

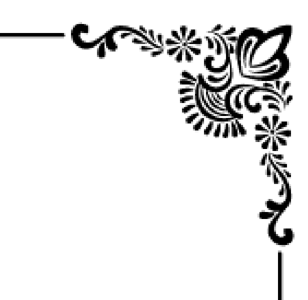
وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.









المراجع

- **القرآن الكريم**

1. إبراهيم، السعيد مبروك، **إدارة المكتبات الجامعية**، القاهرة، المجموعة العربية للنشر والتوزيع، ط 1، 2012م.
2. إبراهيم، هنادي عيسى، **أساليب وخصائص التقويم المعتمد على الأداء في القرآن الكريم**، مجلة كلية التربية- جامعة أسيوط، مجلد (31)، العدد (5)، الجزء (2)، 2015م، الصفحات (595-642).
3. أبو النصر، مدحت، وياسمين مدحت، **أبعاد وأطراف وفلسفة ومبادئ التنمية المستدامة**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة- مصر، 2017م.
4. الإسكندراني، أحمد بن محمد، **المتواري على تراجم أبواب البخاري**، تحقيق: صلاح مقبول، الكويت، مكتبة المعلا، ط1، 1407هـ- 1987م.
5. أبو إسماعيل: أكرم عبد القادر، **التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1993م، نشرتها دار النفائس، عمان -الأردن، 2006م.
6. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ- 1999م.
7. الأصبحي، مالك بن أنس. **الموطأ**، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط1، 1425هـ - 2004م.
8. الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 1، 1412 هـ.
9. الألباني، محمد بن ناصر، **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، مصدر الكتاب: الشاملة الذهبية.
10. ـــــــــــــ **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، صحيح وضعيف سنن النسائي، مصدر الكتاب: الشاملة الذهبية.



11. الأهدل: عبد الله قادري، **أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي**، على المكتبة الشاملة الذهبية.
12. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، **مجموع فتاوى ابن باز**، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، على المكتبة الشاملة الذهبية،
13. بحري، منى يونس، **المنهج التربوي (أسسه وتحليله)**، عمان- الأردن، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ- 2012م.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، (د.ت).
15. بريش، محمد، **تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي مدخل إلى التغيير الثقافي**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1418هـ- 1997م.
16. البستنجي: مراد أحمد، **واقع التقييم في التربية الخاصة في الأردن**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، 2007م.
17. البطاطي، سالم أحمد، **المعايشة التربوية**، (د. ط). الرياض: دار الوطن للنشر، 2016م.
18. ابن بطال، علي بن خلف، شرح **صحيح البخاري**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م.
19. البغدادي، أحمد بن علي، **الرحلة في طلب الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ.
20. البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1420هـ.
21. البوصيري، أحمد بن أبي بكر، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، المحقق: محمد الكشناوي، دار العربية – بيروت، ط2، 1403هـ.
22. بيج كيلي، **التقييم البنائي في العلوم: 75 إستراتيجية لربط التقييم والتدريس والتعليم**، ترجمة جبرين الجبر، الرياض، دار جامعة الملك سعود، 2014هـ.
23. البيضاوي، عبد الله بن عمر، **تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1418هـ.
24. الترباني، جهاد، **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، القاهرة، دار التقوى للطبع والنشر، ط 1، 1431هـ- 2010م.
25. الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، مطبعة الحلبي، ط2، 1395هـ- 1975م.



26. التويجري، محمد بن إبراهيم وآخرون، **علم النفس التربوي، الرياض**، مكتبة العبيكان للنشر، ط 9، 1434هـ- 2014م.
27. التويجري، محمد بن إبراهيم، **موسوعة الفقه الإسلامي**، بيت الأفكار الدولية، ط1، السعودية، 1430هـ- 2009م.
28. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: ناصر العقل، بيروت، لبنان، الناشر: دار عالم الكتب، ط7، 1419هـ - 1999م.
29. ـــــــــــــــ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن، السعودية، دار العاصمة، ط 2، 1419هـ - 1999م.
30. ـــــــــــــــ **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد، ط 3، 1416هـ- 2005م.
31. الثوابتة وفريق عمل، **استراتيجيات التقويم وأدواته**، الأردن، مديرية الاختبارات، (د. ط)، 2004م.
32. الجار الله: عبد السلام بن صالح، **نقد الصحابة والتابعين للتفسير**، أطروحة دكتوراه: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه، 1428هـ.
33. ابن جزي، محمد بن أحمد، **تفسير ابن جزي= التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1416هـ.
34. الجلالي، محمد مهران، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، دار النهضة العربية، ط2، 1408هـ.
35. الجندي، أنور، **التربية وبناء الأجيال في الإسلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1975م.
36. جيدوري، بشار عوض، والنجم، زياد عبد الكريم، **التطور الدلالي لمفهوم فلسفة التربية**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019م.
37. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **إعلام العالم بعد رسوخه بناسخ الحديث ومنسوخه**، تحقيق: أحمد الزهراني، بيروت – لبنان، دار ابن حزم، ط 1، 1423هـ- 2002م.
38. ـــــــــــــــ **التبصرة لابن الجوزي**، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 1406هـ - 1986م.
39. ـــــــــــــــ **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1422هـ.
40. ـــــــــــــــ **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، ط 1، دار الوطن لنشر، 1418هـ- 1997م.
41. الجيزاني، محمد بن حسين، **معالم أصول الفقه عند أهل السُّنّة والجماعة**، السعودية، دار ابن الجوزي، ط 5، 1427هـ.



42. الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بغداد- العراق، مكتبة المثنى، (د. ط)، 1941م.
43. أبو الحاج وآخرون، **المدخل إلى الفقه الإسلامي وأصوله**، الأردن، جامعة آل البيت، ط 1، 2007م.
44. الحاكم، محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1411هـ- 1990م.
45. حجازي، عبد الحكيم ياسين، الهياجنة، وائل سليم، **مفاهيم أساسية في التربية**، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط 1، 1436هـ- 2016م.
46. حبنكه، عبد الرحمن حسن، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق- دار القلم، ط5، 1420هـ- 1990م.
47. ابن حجر، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ.
48. ــــــــــــــ **تهذيب التهذيب**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1404هـ - 1984م.
49. ــــــــــــــ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت – لبنان، دار المعرفة، 1379هـ.
50. ــــــــــــــ **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، المحقق: حمدي عبد المجيد، دار ابن كثير، ط2، 1429هـ - 2008م.
51. الحروب، زهير حسن، **أساليب حديثة في تقويم أداء المعلم**، عمان- الأردن، دار غيداء، ط 1، 2020م.
52. الحريري، رافدة، **التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط 1، 1433هـ- 2012م.
53. الحسن: أحمد جوهر، **مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة دراسة تحليلية مقارنة**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1989م.
54. الحسني، محمد بن أحمد، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م.
55. الحسن، محمد علي، **المنار في علوم القرآن**، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ - 2000م.
56. حسين، عبد المنعم خيري، **القياس والتقويم في الفن والتربية الفنية**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان- الأردن، ط1، 2010م.
57. حطيبة، أحمد، **شرح الترغيب والترهيب للمنذرى**، على المكتبة الشاملة الذهبية، أصلها: دروس صوتية مفرغة عددها (50) على الانترنت.



58. الحلبي، علي بن إبراهيم، **السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1427هـ.

59. حماد، نزيه، **معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء**، دمشق- سوريا، دار القلم، ط 1، 1429هـ- 2008م.

60. حوّى، سعيد محمد، **الأساس في التفسير**، دار السلام – القاهرة، ط 6، 1424هـ.

61. حواس، حصة حمد، **النسيان في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية وآثاره التربوية**، مجلد (32)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الصفحات (431-496).

62. الحوامدة، سليمان حماد، **منهج التقويم في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة كراتشي، كراتشي – باكستان، 2002م.

63. حمود، رفيقة سليم، **التقويم والقياس التربوي**، القاهرة- مصر، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، 2023م.

64. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، دمشق، دار القلم، ط 2، 1415هـ- 1994م.

65. خضر، عبد العليم عبد الرحمن، **المسلمون وكتابه التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ - 1995م.

66. خطاب، محمود شيت، **قادة النبيّ** ﷺ، دمشق، دار القلم، ط 2، 1420هـ- 1999م.

67. الخطابي: حمد بن محمد، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد بن سعد، السعودية، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط 1، 1409هـ - 1988م.

68. ــــــــــــــ **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دمشق، دار الفكر، (د، ط)، 1402هـ- 1982م.

69. ــــــــــــــ **معالم السنن= شرح سنن أبي داود**، حلب، المطبعة العلمية، ط1، 1351هـ - 1932م، (2/ 276).

70. خطاطبة، عدنان مصطفى، **أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها**، عمان- الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 1، 1440هـ- 2019م.

71. خليفة، عبد السلام الشيباني، **الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي ودورها في تطوير العملية التعليمية**، مصر، مجلة فكر وإبداع، مجلد (86)، 2014م، الصفحات (485-506). https: //2u. pw/403rVE

72. خليل، عماد الدين، **المدخل إلى إسلامية المعرفة**، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 2006م.

73. الخليلي: خليل يوسف، **التقييم الحقيقي في التربية**، مجلة التربية، العدد (126)، 1998م.

74. خوالدة، أكرم صالح، **التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي**، عمان- الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2012م.



75. خيرى وآخرون، **أثر تقويم الأقران ببيئة تعلم إلكترونية في تنمية التفكير الكمبيوتري لدى طلاب تكنولوجيا التعليم**. "مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، العدد (40) (2022).
76. أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، ط 1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ.
77. دراز، محمد عبد الله، **مبادئ علم الاخلاق**، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، (د.ط)، 2021م.
78. درندري، إقبال زيد العابدين، **نحو تقييم موجه للتعلم**، بحث على شبكة الإنترنت.
https: //fliphtml5. com/xtjxv/touj/basic
79. دعمس، مصطفى نمر، **استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته**، عمان- الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م.
80. دغمان: نجاة محمد، **تطوير أداء معلمات التربية الإسلامية بالمدارس العربية التكميلية في مرحلة التعليم الابتدائي ببريطانيا**، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1436هـ - 2015م.
81. أبو دف: محمود خليل، **الاتصال التربوي في السُنّة النبويّة دراسة تحليلية**، في أعمال مؤتمر: التواصل والحوار التربوي، نحو مجتمع فلسطيني أفضل، غزة: الجامعة الإسلامية - كلية التربية، 2011م.
82. ـــــــــــــ **منهج الرسول ﷺ في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر**، بحث مقدم لمؤتمر تطوير برامج كليات التربية بالوطن العربي، جامعة الزقازيق، مصر، 2006م.
83. الدغشي، أحمد محمد، **دراسات في أصول التربية الإسلامية**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان- الأردن، ط1، 2017م.
84. ابن دقيق العيد، محمد بن علي، **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام**، تحقيق: محمد خلوف، سوريا، دار النوادر، ط2، 1430هـ - 2009م.
85. ـــــــــــــ **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبويّة**، مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ- 2003م.
86. الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين، **لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: تقي الدين الندوي، دمشق – سوريا، دار النوادر، ط 1، 1435هـ - 2014م.
87. الدوسري، محمود أحمد، **وجوب العمل بالقرآن العظيم**، مقال على الإنترنت في موقع الألوكة، تاريخ إضافة المقال: 2018/10/16م، تاريخ التصفح: 10/13/ 2022م.
88. دويدري، رجاء وحيد، **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، بيروت- لبنان، دار الفكر المعاصر، ط 1، 2000م.
89. أبو دية، عدنان أحمد، **أساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات**، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م.



90. الديلمي، ناهدة عبد زيد، **مفاهيم في التربية الحركية**، دار الكتب العلمية، 2011م.
91. الدينوري، عبد الله بن مسلم، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط 1، 1397هـ.
92. الذهبي، محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، المحقق: بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م
93. ــــــــــــ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ - 1985م.
94. ــــــــــــ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق، محمد عوامة، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط 1، 1413هـ.
95. الرازي: محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط 5، 1420هـ- 1999م.
96. الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1420هـ.
97. الربيعي وآخرون، **الإشراف والتقويم في التربية والتعليم**، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ط)، 2020م.
98. رجب، إبراهيم عبد الرحمن، **التأصيل الإسلامي للعلوم المفهوم والمنهج**، بحث في المؤتمر الثالث للتأصيل الإسلامي، الإسكندرية، في المدة من 9-11ربيع أول 1416الموافق 5-7أغسطس 1995.
99. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 7، 1422هـ - 2001م، (2/ 163).
100. الرشيد، عماد الدين محمد، **ملاحظات إثرائية**، مرسلة للباحث مباشرة وأثناء مناقشته، بتاريخ 30 /2023/5م، وفي تسجيل على الانترنت، مناقشة أطروحة دكتوراه. https://www.youtube.com/watch?v=2zLgQX9ULeo
101. زيود، حازم حسني، **التربية الوقائية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة النجاح، فلسطين، 1430هـ - 2009م.
102. أبو سالم، طلعت، **التقويم الواقعي ضرورة أم حاجة**، مقالة على الانترنت، تاريخ المقالة 12\2\2019، تاريخ التصفح 29\9\2022م. https: //www. new-educ. com/?p=25670
103. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن اللويحق، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ - 2000م.
104. أبو شارب، سليمان محمد، **إستراتيجيات التقويم في التربية المهنية**، عمان- الأردن، دار غيداء، ط 1، 1436هـ- 2015م.



105. رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم= تفسير المنار**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1990م.

106. الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: علي شيري، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1424 هـ.

107. الزعبي، أحمد محمد، **سيكولوجية الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية**، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1435هـ- 2014م.

108. الزغول، عماد عبد الرحيم، **علم النفس التربوية**، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ط2، 2012م.

109. الزمخشري: محمود بن عمرو، **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 3، 1407هـ.

110. الساعاتي: أحمد البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1396هـ.

111. سالي وآخرون، **فعالية استخدام استراتيجية المحاكاة في تنمية بعض المفاهيم**، المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة، مجلد (1)، العدد (2)، 2014م.

112. السباعي، مصطفى حسني، **السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط 3، 1402هـ- 1981م.

113. سرميني، محمد أنس، **منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة**، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر- مكتب الأردن، المجلد (26)، العدد (101)، 1442هـ- 2001م؟
4597/https: //citj. org/index. php/citj/article/view/5469

114. ابن سعد، محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عطا، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت).

115. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م.

116. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، **الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام**، تحقيق: عمر السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421هـ- 2000م.

117. سوماورو: ساموكا بن داود، **التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي**، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام - جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعودية، 1416هـ- 1995م.

118. سيد، معاوية أحمد، **فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهمًا وتطبيقًا**، اليمن، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1425هـ- 2004م.

119. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبطه وصحَّحه: أحمد عبد الشافي، بيروت – لبنان، دار الكتب الثقافية، 1422هـ- 2002م.



120. شاف، ريال ل، **استخدام الألعاب الرقمية كأدوات للتقويم والتعليم**، الدمام- السعودية، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، ط 1، 1439هـ.
121. الشامي، صالح أحمد، **من معين الخصائص النبويّة**، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط1، 2000م.
122. شحاتة، إلهام محمد، **فاعلية استراتيجية البيت الدائري في التحصيل وتنمية الاتجاه**، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2015م.
123. شحاتة، حسن سيد، **التقويم الواقعي من أساليب التقويم الحديثة نموذج خماسي**، في المؤتمر العلمي السنوي، اتجاهات معاصرة في تطوير التعليم في الوطن العربي، جامعة بني سويف، مجلد (1)، (2010).
124. شحاتة، حسن، والنجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003م.
125. الشحود، علي بن نايف، **موسوعة الدفاع عن رسول الله** ﷺ، المصدر: الشاملة الذهبية.
126. ـــــــــــــــ **موسوعة السُنّة النبويّة**، على الموسوعة الشاملة. المصدر: الشاملة الذهبية.
127. الشطي: محمد يوسف، **المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، 2010م. طبعتها المكتبة العامرة، ط1، الكويت، 1430هـ- 2009م.
128. أبو شعبان وعطوان، **القياس والتقويم التربوي**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د. ط)، 2019م.
129. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، القاهرة- مصر، مطابع أخبار اليوم، (د. ط)، 1997م.
130. الشنقيطي، محمد الخضر، **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ - 1995م.
131. أبو شهبة، محمد بن محمد، **السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسُنّة**، دمشق، دار القلم، ط 8، 1427هـ.
132. الشوكاني، محمد بن علي، **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**، تحقيق: محمد صبحي، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن، (د. ط)، (د. ت).
133. الشيباني، أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ- 2001م.
134. الشيباني، يحيى بن هبيرة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، تحقيق: فؤاد أحمد، السعودية، دار الوطن، (د. ط)، 1417هـ.
135. الصابوني، محمد الصابوني، **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، ط 3، 1400هـ - 1980م.



136. الصرايرة، إسماعيل محمد، **التحليل الإستراتيجي في إعادة هندسة العمليات الإدارية**، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمّان – الأردن، 2012م.

137. طارق سويدان، **أهداف الإسلام الكلية**، ملف فيديو على قناته على اليوتيوب.

https://www.youtube.com/watch?v=KBPAcHWGZCA

138. الطبري: محمد بن جرير، **تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م.

139. ـــــــــــــــــــــ **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1407هـ.

140. الطلاعي، محمد بن الفرج، **أقضية رسول الله ﷺ**.

141. الطيبي، الحسين بن عبد الله، **شرح المشكاة = الكاشف عن حقائق السنن**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417هـ - 1997م.

142. طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1998م.

143. الظفيري والبشير، محمد الدهيم وأكرم عادل، **درجة توظيف استراتيجيات التقويم وأدواته**، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، مجلد (15)، عدد (1)، 2021م.

144. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، **رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)**، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1412هـ - 1992م.

145. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، (د. ط)،1984هـ.

146. عاطف السيد، **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، مصر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، (د.ط)، 2008م.

147. العامري: صالح مهدي، **الخطر في المشاريع مفاهيم أساسية واستراتيجيات الاستجابة**، الأردن، جامعة البتراء، 2007م.

148. العامري، عبد الله، **المعلم الناجح**، عمان- الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2019م.

149. عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الكتب المصرية، (د. ط)، 1945م.

150. عبد الحميد، صفاء سعيد، **الاختبارات محكية المرجع**، على شبكة الإنترنت 4 يونيو 2021م.

https: //2u. pw/ldPiU

151. عبد الرزاق: ريم عبد الرزاق، **النمو المعرفي في التربية الإسلامية وتطبيقاته التربوية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعه اليرموك، 2019م.



152. عبد السميع وآخرون، **نظام تقويم الأقران في بيئة نظام مودل**. "تكنولوجيا التربية - دراسات وبحوث"، 2014م، الصفحات (147 – 166).

153. عبد الغفار: هشام، **الفرق بين التقويم والتقييم**، على شبكة الانترنت 2021/11/23م.

154. ابن العثيمين، محمد بن صالح، **شرح رياض الصالحين**، الرياض، دار الوطن للنشر، 1426هـ.

155. ــــــــــــــــ **فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام**، تحقيق: صبحي رمضان، القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط 1، 1427هـ - 2006م.

156. العجم، رفيق، **موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني**، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2004م.

157. العدوان: زيد سليمان، وداود، أحمد عيسى، **إستراتيجيات التدريس الحديثة**، عمان- الأردن، مركز ديبونو لتعليم التفكير، ط 1، 2016م.

158. ابن العربي، محمد بن عبد الله، **عارضة الأحوذي في شرح الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، المحقق: جمال مرعشلي، 1418هـ - 1997م.

159. ابن عساكر، علي بن الحسن، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.

160. العسكري، الحسن بن عبد الله، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: بيت الله بيات، قم - إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1412هـ.

161. عمادة ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي، **استراتيجيات التعلم والتعليم والتقويم**، (ص: 17). على شبكة الانترنت. https: //2u. pw/f8YE1.

162. العنزي، عبد الله عقيل، **التربية الوقائية في السُنّة النبويّة وتطبيقاتها على تلاميذ المرحلة الابتدائية**، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية التربية، السعودية، 2018م.

163. العنزي، عبد الله يوسف، **تيسير علم أصول الفقه**، بيروت – لبنان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط 1، 1418هـ- 1997م.

164. العياصرة، وليد رفيق، **التربية البيئية وإستراتيجيات تدريسها**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، (د.ط)، 2012م.

165. عيد، يحيى إسماعيل، **التقويم التربوي الجامعي في علوم الشريعة**، ضمن بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، تحرير فتحي ملكاوي ومحمد أبو سل، ص (111-152)، ط 1، 1416هـ- 1995م.

166. العيني، محمود بن أحمد، **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط 1، 1429هـ - 2008م.



167. ــــــــــــــــــــ **عمـدة القـاري شـرح صحيـح البخـاري**، عمـدة القـاري شـرح صحيـح البخـاري، بيـروت، دار إحيـاء التـراث العربـي، (د. ط)، (د. ت).

168. الغامدي، عبد الرحمن محمد، **التقويم البديل**، السعودية، (د. ط)، 2019م.

169. الغزالـي، محمـد السـقا، **فقـه السـيرة**، دمشـق، دار القلـم، تخريـج: محمـد ناصـر الديـن الألبانـي، ط1، 1427هـ، (ص: 160).

170. الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، (د، ط)، 1402هـ- 1982م.

171. الغضبان، منير محمد، **المنهج الحركي للسيرة النبويّة**، الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار، ط 6، 1411هـ.

172. أبـو فـار، يوسـف، **إدارة الأزمـات فـي المنظمـات العامـة والخاصـة**، دار اليـازوري العلميـة للنشـر والتوزيـع، عمـان– الأردن، (د. ط)، 2020م.

173. ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.

174. الفاروقـي، إسـماعيل راجـي، **أسـلمة المعرفـة المبـادئ العامـة وخطـة العمـل**، ترجمـة: عبـد الـوارث سـعيد، المعهـد العالمـي للفكـر الإسـلامي، ط 1، 1404هـ- 1984م.

175. الفتنـي، محمـد طاهـر، **مجمـع بحـار الأنـوار**، حيـدر أبـاد: مطبعـة مجلـس دائـرة المعـارف العثمانيـة، ط 3، 1387هـ- 1967م.

176. الفراهيـدي، الخليـل بـن أحمـد، **كتـاب العيـن**، تحقيـق: مهـدي المخزومـي وإبراهيـم السـامرائي، دار ومكتبـة الهـلال، (د.ط)، (د. ت).

177. فلاحـة، سوسـن فريـد، **الإمـام سـفيان الثـوري وآراءه الفقهيـة**، الريـاض– السـعودية، دار العبيـكان، ط 1، 2007م.

178. القاضـي عيـاض، عيـاض بـن موسـى، **إكمـال المعلـم بفوائـد مسـلم**، تحقيـق، يحيـى إسـماعيل، مصـر، دار الوفـاء للطباعـة والنشـر والتوزيـع، ط 1، 1419هـ - 1998م.

179. ــــــــــــــــــــ عيـاض بـن موسـى، **مشـارق الأنـوار علـى صحـاح الآثـار**، دار النشـر: المكتبـة العتيقـة ودار التـراث، الطبعـة القديمـة، 1333ه.

180. القرضاوي، الرسول والعلم، **القاهرة، دار الصحوة**، (د، ط)، 2001م.

181. القرطبـي، أحمـد بـن عمـر بـن إبراهيـم (ت: 656 هـ)، المفهـم لمـا أشـكل مـن تلخيـص **كتـاب مسـلم، تحقيـق: محيـي الديـن ميسـتو وآخـرون**، دمشـق– بيـروت، دار ابـن كثيـر، ط 1، 1417هـ - 1996م.

182. القرطبـي، محمـد بـن أحمـد بـن فـرح (ت: 671 هـ)، **الجامـع لأحـكام القـرآن = تفسـير القرطبـي**، تحقيـق: أحمـد البردونـي وإبراهيـم أطفيـش، القاهـرة، دار الكتـب المصريـة ط 2، 1384هـ - 1964م.

183. القرزعـي، عبداللـه علـي، **التقويـم الذاتـي وتقويـم الأقـران**، فـي مدونـة علـى الانترنـت، تاريـخ الناشـر 2012/3/19م. http: //child-trng. blogspot. com/2012/03/blog-post_4550. html



184. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000م.

185. قطب، سيد إبراهيم، **في ظلال القرآن**، بيروت- القاهرة، دار الشروق، ط 17، 1412هـ.

186. قطب، محمد إبراهيم، **حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1418هـ1998-م.

187. ـــــــــــــــ **منهج التربية الإسلامية**، مصر، دار الشروق، ط 16، 2019م.

188. قلعجي، محمد وقنيبي، حامد، **معجم لغة الفقهاء**، بيروت- لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ- 1988م.

189. القميزي، حمد عبدالله، **تقنيات التعليم ومهارات الاتصال**، القاهرة – مصر، دار روابط وتقنية المعلومات للنشر، ط2، 2016م.

190. ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: مشهور حديثة، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1، 1423هـ.

191. ـــــــــــــــ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط 2، 1395هـ- 1975م.

192. ـــــــــــــــ **الروح**، تعليق: إبراهيم رمضان، بيروت- لبنان، دار الفكر العربي، (د. ط)، 1996م.

193. ـــــــــــــــ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 27، 1415هـ- 1994م.

194. ـــــــــــــــ **شفاء العليل**، تحقيق: محمد الحلبي، بيروت، دار الفكر، 1398هـ- 1978م.

195. الكتاني، محمد بن جعفر، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُنّة المشرفة**، المحقق: محمد المنتصر الزمزمي، بيروت – لبنان، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط 6، 1421هـ- 2000م.

196. الكتاني، محمد عبد الحي، **التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبويّة**، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم للنشر، ط 2، (د. ت).

197. كتبي: أحمد إسماعيل، **المنهج التربوي النّبويّ في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبويّة لابن هشام المتوفى عام 218هـ**، سلسلة دعوة الحق، كتاب شهري محكم، إدارة الدعوة والتعليم، رابطة العالم الإسلامي، السُنّة الثالثة، العدد (222)، 2007م.

198. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، دار الفكر، (د. ط)، 1407هـ- 1986م.

199. ـــــــــــــــ **السيرة النبويّة**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت – لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1395هـ - 1976م.



200. ـــــــــــــــــــ **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ.

201. الكرماني، محمد بن يوسف، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1401هـ - 1981م.

202. الكرماني، محمود بن حمزة، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، جدة – السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (د. ط)، (د. ت).

203. الكرمي، حافظ أحمد، **الإدارة في عصر الرسول ﷺ**، القاهرة، دار السلام، ط1، 1427هـ.

204. الكريمين، رائد إبراهيم، **إستراتيجيات التدريس الفعال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم**، عمان- الأردن، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط 1، 2017م.

205. كولانجيلو، نيكولاس، وديفيز، غازي، **المرجع في تربية الموهوبين**، ترجمة صالح أبو جادو، السعودية، دار العبيكان، 2012م.

206. لاشين، موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، مصر، دار الشروق، ط 1، 1423هـ- 2002م.

207. اللجمي وآخرون، **المعجم المحيط**، المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي- نبيلة الرزاز، 1993م.

208. لجنة معيار التدريس والتعلم، **استراتيجية التدريس والتعلم والتقويم**، وحدة ضمان الجودة، كلية التربية النوعية، مصر، جامعة المنيا، (د. ط). (د. ت). https: //2u. pw/vVwG4B

209. لويس ورد، **الفرق بين الهدف والغرض**، مقالة على الانترنت، 5 فبراير 2021 م.
https: //ar. natapa. org/difference-between-goal-and-purpose-3234

210. العرعور، عدنان بن محمد، **التيه والمخرج**، الجيزة – مصر، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ط 2، 1416هـ - 1995م.

211. ابن ماجه، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، (د. ط)، (د. ت).

212. الماوردي، علي بن محمد، **الأحكام السلطانية**، القاهرة، دار الحديث، (د. ط)، (د. ت).

213. مايكل ج. دوريس، جون م. كيلي، جيمس ف. ترينر، **التخطيط الاستراتيجي الناجح**، ترجمة: سمة عبد ربه، الرياض- السعودية، مكتبة العبيكان، ط 1، 1427هـ.

214. المبروك، فرج عمر، **مدير المدرسة والادارة المدرسية**، دار حميثرا للنشر والترجمة، القاهرة، مصر، 2017م. https: //2u. pw/iGhUgz

215. أبو محمود: محمود مصطفى، **المضامين التربوية في آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم وتطبيقاتها**، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية، برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير، إسطنبول، 2019م.



216. مختار، أحمد عمر وآخرون، **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، القاهرة- الأردن، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ - 2008م.

217. ـــــــــــــــ **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ - 2008م.

218. مدانات، أوجيني، **الإشراف التربوي لتعليم أفضل**، عمان- الأردن، دار مجدلاوي، ط 1، 1423هـ- 2002م.

219. مدكور، علي أحمد، **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها**، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، (د. ط)، 2001م.

220. مرسي، محمد منير، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، 1425هـ- 2005م.

221. مسلم: ابن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

222. المطلق، إبراهيم بن عبد الله، **التدرج في دعوة النبيّ ﷺ**، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1417هـ.

223. معروف، بشار عواد، الأرنؤوط، شعيب، **تحرير تقريب التهذيب**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 1، 1417هـ - 1997م.

224. المغذوي، عادل عائض، **أساليب التقويم في ضوء استراتيجيات التدريس الحديثة**، السعودية، جامعة المجمعة، (د. ط). (د. ت). على شبكة الانترنت. https: //2u. pw/q4zycJ

225. مقبل، أحمد إسماعيل، **التقويم التربوي من منظور إسلامي**، "مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية، مجلد (2)، العدد (1)، 2015م.

226. المقدسي، عبد الله محمد، **المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم**، تحقيق: عبد الملك دهيش، بيروت – لبنان، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1420هـ - 2000م.

227. المقريزي، أحمد بن علي، **إمتاع الأسماع**، تحقيق: محمد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ - 1999م.

228. ملحم، همام سعيد، **التمهيد في علوم الحديث**، دار الفرقان، عمان- الأردن، ط1، 1412هـ - 1992م.

229. ملحم، همام سعيد وآخرون، **موسوعة التصنيف الموضوعي للسنّة النبويّة**، موسوعة أحاديث التربية والتعليم - موسوعة منهجية لتصنيف أحاديث كتب السُنّة النبويّة الشريفة- غير منشورة، إعداد مركز دراسات السُنّة النبويّة الشريفة، عمّان- الأردن، إشراف: د. محمد همام، الوصول من خلال: د. محمد همام ملحم، تاريخ التصفح: 15 /7/ 2021م.



230. ملكاوي، فتحي حسن، **بحوث المؤتمر التربوي**، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان- الأردن، 1411هـ - 1990م.

231. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة- مصر، عالم الكتب، ط1، 1410هـ- 1990م.

232. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.

233. المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب، **مبادئ إدارة الأعمال**، 161 دار، السعودية، (د. ط)، (د. ت).

234. موسى، فؤاد محمد، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي**، مكتبة زهرة المدائن، (د. ط)، (د. ت).

235. الميمات، بدرية صالح. والسالوس، منى علي، **النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور**، المدينة المنورة، السعودية، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، ط 1، 1435هـ- 2014م.

236. الميمني، إسماعيل عبد الستار، **المدخل لعلوم القرآن الكريم**، على المكتبة الشاملة الذهبية.

237. نجم، عبد المنعم السيد، **تدوين السُنّة ومنزلتها**، المدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، طبعة السُنّة الحادية عشر، العدد (3)، 1399هـ، مسترجع من المكتبة الشاملة الذهبية.

238. النسائي، شعيب بن علي، **المجتبى من السنن= السنن الصغرى**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 2، 1406هـ– 1986م.

239. النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط 1، 1419هـ - 1998م.

240. نصر، ياسمين، **أنواع التقويم التربوي التي تجعل العملية التعليمية غير تقليدية**، مقالة في مدونة كوركت على الإنترنت، تاريخ النشر: 2021/5/10، تاريخ التصفح 2022/11/29.

https: //arblog. qorrectassess. com/types-of-assessment/

241. النووي، يحيى بن شرف، **الأربعون النووية**، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1430هـ- 2009م.

242. ــــــــــــــــ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1392هـ.

243. ــــــــــــــــ **التبيان في آداب حملة القرآن**، تحقيق: محمد الحجار، بيروت – لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1414هـ - 1994م.

244. الهاشمي، عبد الرحمن عبد وآخرون، **استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية**، عمان- الأردن، دار عالم الثقافة، ط 1، 2010م.



245. الهرري، محمد الأمين، **الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، مراجعة: هاشم مهدي، مكة المكرمة، دار طوق النجاة، ط 1، 1430هـ - 2009م.

246. هشام عبد الغفار، **الفرق بين التقويم والتقييم**، على شبكة الانترنت 23\11\2021م.
https: //rs. ksu. edu. sa/issue-12067232/

247. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبويّة لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرؤوف. (د. ط). بيروت: دار الجيل.

248. الهوش، أبو بكر محمود، **إدارة الجودة الشاملة في المجالين التعليمي والخدمي**، دار حميثرا للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2018م.

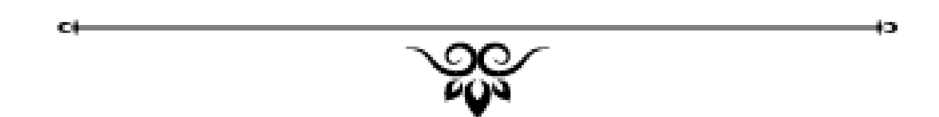
249. هياجنة، أحمد ذيب، **مدى استخدام معلمي اللغة العربية استراتيجيات التقويم البديل**، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، إربد، 2007م.

250. الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، (د. ط)، 1414هـ- 1994م.

251. الوادعِي، مقبل هَادِي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط 4، 1408هـ- 1987م.

252. الواقدي، محمد بن عمر، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي، ط 3، 1989م.

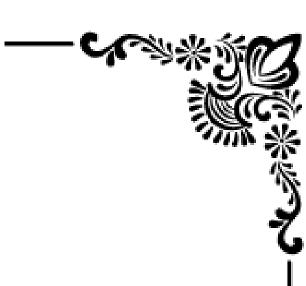
253. وصوص، ديمة، والجوارنة، المعتصم بالله، **الإشراف التربوي ماهيته تطوره أنواعه أساليبه**، دار الخليج دار الخليج للنشر والتوزيع، 2014م.











التعريف بالمؤلف

د. محمود مصطفى أبو محمود

ولد في العاصمة الأردنية عمّان في عام 1970م.

نال شهادة البكالوريوس في أصول الدين من كلية الشريعة في الجامعة الأردنية عام 1992م.

حصل على شهادة درجه الماجستير في التربية الإسلامية من قسم الدراسات الإسلامية من كليه الشريعة في جامعه اليرموك عام 2019م.

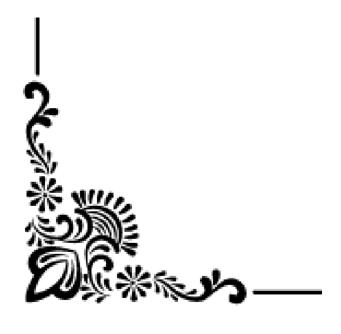
حصل على شهادة درجه الدكتوراه في التربية الإسلامية من قسم الدراسات الإسلامية في كليه الشريعة في جامعه اليرموك عام 2023م.

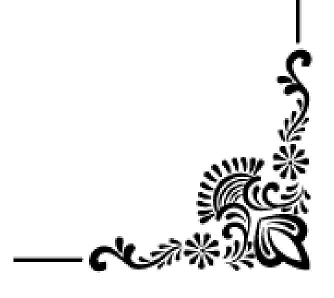
عمل نحوًا من ربع قرن مدرسًا للتربية الإسلامية في الأردن والسعودية والإمارات والبحرين.

عضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

عضو في هيئة علماء فلسطين.

شغل مهمة المدير التنفيذي لهيئة علماء فلسطين في مقرها الرئيس في إسطنبول/ تركيا في الفترة من 2019-2024م.







هذا الكتاب

أطروحة علمية سعت لتقديم صورة تفصيلية عن حالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، فبيّنت الإجراءات التقويمية التي قام بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وفصلّت في مبادئ التقويم التربوي النبوي وخصائصه ومجالاته وأنواعه وكشفت عن أنماط الاستراتيجيات التقويمية المستخدمة، وعرضت آثارها ونتائجها على العملية التربوية النبويّة.

